مذكرات

الشيخ محمد رضا الشبيبي

ورحلاته

تقديم وإعداد وتوثيق

د. كامل سلمان الجبوري

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

مذكرات
الشيخ محمد رضا الشبيبي
ورحلاته

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

منذ رغبتي بجمع تراث الثورة العراقية ١٩٢٠ وما سبقتها من الحوادث السياسية التي اعتبرت أنها مقدمة لتأريخ العراق السياسي الحديث، بدءاً من حرب العراق ١٩١٤ فاحتلال العراق عام ١٩١٧ حتى ثورة العشرين المجيدة، وتجوالي في عموم الأصقاع العراقية التي لها علاقة بهذه الأحداث ومحطّات لوقائعها، واتصالي برجالها وأبطالها، والإطلاع على ما لديهم من الوثائق والمستندات وتسجيل مذكراتهم وذكرياتهم صوتياً وفوتوغرافياً.

ثم عَرض تلك النتائج بعدة معارض أقيمت في عدد من محافظات العراق، تمخضت أن تقدمت بإهداء هذه المحتويات إلى الدولة بشرط أن تكون متحفاً ثابتاً، وتمَّ ذلك، وافتتح (المتحف الوثائقي لثورة العشرين في النجف) عام ١٩٧٨. والذي توّج بقرار الإلغاء الصادر من النظام السابق بعبارة: «بالنظر لعدم تماشي متحف ثورة العشرين مع قادسية (هدّام) المجيدة يغلق المتحف وحتى إشعار آخر». وأغلق المتحف وسلّمت محتوياته إلى المؤسسة العامة للآثار والتراث ببغداد.

وهذه المذكرات جزء من اهتماماتي التي دأبت في البحث عنها، ولعدم تيسرها مجموعة واحدة -للقارئ الكريم- أو الباحث والدارس رأيت من المناسب أن أعدّها للنشر، فقد هيئت نصوصها، ووثقتها بما تيسر من الوثائق والصور والمصادر، وتصحيحها تصحيحاً جيداً لئلا يجري عليها التصحيف، وقمت بضبط أسماء الأشخاص والأماكن وغيرها، حتى أصبحت مادة جيدة تشكل مصدراً مهماً من تاريخ العراق الحديث.

ولما كانت هذه المذكرات تشكل شطراً من جهاد الشيخ الشبيبي، فإن الشطر الآخر منها هي رحلاته التي دبجها يراعه النقي وقلمه الطاهر.

المذكرات:

* نشر الشهيد الأستاذ أسعد الشبيبي نجل العلامة الكبير الشيخ محمد رضا شذرات من مذكرات والده حول حركة الجهاد ١٣٣٢ - ١٣٣٦هـ/ ١٩١٤ - ١٩١٧م. نشرها متسلسلة بعنوان «في مسيرة النضال» على صفحات مجلة البلاغ الكاظمية، ابتداءً من العدد ٥ و ٦ للسنة الرابعة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م حتى نهاية السنة الخامسة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

وقد علّق عليها بتعليقات وهوامش مهمة.

* وكان قد نشر القسم المتعلق بثورة النجف ضد الإنكليز عام ١٩١٨ تحت عنوان: «وثيقة خطيرة حول ثورة النجف ضد الاستعمار البريطاني..» في مجلة «الثقافة الجديدة» البغدادية بعددها الرابع لسنة ١٩٦٩، ص٢٨١ - ٣٤٠.

* وقد كتب الأستاذ حسن الأسدي تحت عنوان: «ملاحظات حول مذكرات الشبيبي عن ثورة النجف» ونشرها على صفحات مجلة «الثقافة الجديدة» نفسها بعددها التاسع لسنة ١٩٦٩، وقد أوردت أهم تلك الملاحظات في هوامش المذكرات.

* كما نشرت مجلة «الثقافة الجديدة» بعددها بعنوان «تقرير وجيز عن أحوال العراق العامة بعد الثورة».

وها هي مجموعة المذكرات المذكورة أعلاه.

الرحلات:

وقد وصل إلينا منها ثلاث هي:

١ - رحلة في بادية السماوة:

قام العلامة الكبير الشيخ الشبيبي برحلته هذه سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩٢٠م في البادية بين ضواحي مدينة دمشق غرباً إلى شواطئ نهر الفرات في «الفلوجة» شرقاً، وقطع المسافة في التاريخ المذكور على ظهور الجمال في ست وعشرين مرحلة أو منزلة معروفة بأسمائها الآتية في البادية:

ضمير قرية بدوية على مرحلة من مدينة دمشق، الصيقل منزلة تنتقل فيها «الرّولا» بطن من بطون قبيلة عنزة، السبع بيار نزلناها بعد مسيرة نهار كامل من المنزلة السابقة،

المفازة مسيرة أربعة أيام في البادية من بعد المنزلة السابقة أي السبع بيار، وهي أشق المراحل وأثرها خطراً على القوافل لفقدان الماء فيها بالمرة، الكعرة ويقال لها «الرطبة» لأن آبارها من أغزر أبار هذه البادية بالمياه، منزلة الضايع والضُويِّع، حوران وادٍ كبير معروف مَصبُّه إذا سال في نهر الفرات، محيور مُصغّراً منزلة بعد حوران فيها آبار، منزلة بعد «محيور» يقال لها في اصطلاح البادية «مُعيشر»، الفّريدة بالتضعيف منزلة بدويّة واصلنا الرحلة منها إلى «الفلوجة» ومررنا في طريقنا على فريق من عرب «الدليم» ينتجعون مراعي البادية ورافقنا بعضهم إلى ضواحي الفلوجة.

هذه هي مراحل سفرنا بين دمشق والفلوجة في عودتنا إلى العراق، وأما مراحل السفر السابقة عندما غادرنا العراق في أواخر سنة ١٩١٩ فقد استغرقت من العراق حتى مكة المكرمة على الجمال أكثر من أربعين يوماً. وكانت على الخط الآتي:

بادية البصرة والمنتفق غربي البطائح ونهر الفرات، بادية نجد إلى مدينة حائل قاعدة إمارة الرشيد، بادية نجد والحجاز إلى المدينة المنورة ومنها إلى مكة، وبعد المكث في مكة أربعين يوماً رجع المؤلف إلى المدينة، ومن المدينة استقل القطار إلى دمشق وكان أي القطار بحالة يرثى لها من الخراب من جراء الثورة العربية.

سلخ المؤلف في دمشق أو القطر الشامي بين الداخل والساحل سنة كاملة حفلت بأحداث جسيمة قامت في أولها دولة عربية عاصمتها دمشق، ولم تمض تلك السنة حتى انقرضت تلك الدولة، وكان المؤلف مدّة إقامته في الشام وثيق الصلة بقادة الثورة العربية التي أعلنوها في سبيل الحرية والاستقلال وبالرأي العربي العام كذلك.

ولم تنقطع في هذه الفترة رسائله إلى المجاهدين من إخوانه في العراق حتى جدّ الخصام بين السوريين والفرنسيين المستعمرين في الشام، وزحف الجيش الفرنسي على دمشق من لبنان واحتل الشام بعد واقعة «ميسلون»، واستعرض القائد الفرنسي المتغطرس جيشه في قلب المدينة في يوم مشهود، وهكذا لم يسع الجالية العراقية بعد زوال سلطان العرب يومئذٍ في الشام إلاّ مبارحة دمشق إلى العراق بطريق البادية وعلى ظهور الجمال كما هو مشروح في هذه الرحلة، هذا ويستفاد من التأمل في وقائع

الرحلة أن المؤلف سجل فيها انطباعاته عن مظاهر الحياة في البادية، وفي الرحلة مضافاً إلى ذلك نبذ تاريخية وبلدانية إلى اجتماعية وعمرانية ونتفٌ في المقارنة بين أحوال البوادي العربية المختلفة في الشمال والجنوب.

هذا ولرحلة المؤلف هذه من العراق إلى تلك الأقطار بواعثها المعروفة وخلاصتها أنه غادر العراق سنة ١٩١٩ وفي أعقاب الاستفتاء الذي دعت إليه السلطة البريطانية المحتلة فور إعلان الهدنة العامة بعد الحرب العالمية الأولى حاملاً معه إلى قادة الثورة العربية وثائق تؤكد تمسك العراقيين بحقهم في تقرير مصيرهم بأنفسهم ورفضهم سلطان الاستعمار والانتداب بأشراف عصبة الأمم، ولكن الأحوال كما رآها في مركز الثورة العربية كانت على الإجمال مخيبة للآمال(١).

٢- رحلة إلى المغرب الأقصى:

وهي تختلف عن الرحلة السابقة في زمانها ومكانها، وفي ظروفها الخاصة، حيث قام بها العلامة الشبيبي من العراق إلى ديار المغرب الأقصى، من بغداد إلى الدار البيضاء بواسطة الطائرة، ثم تنقل بالسيارات إلى مختلف حواضر المغرب: الرباط، طنجة، تطوان، مكناس، فاس، وكان ذلك في خريف سنة ١٩٦٠.

وتتضمن هذه الرحلة بالإضافة إلى تعريف البلدان وصفاً لجملة من أوضاع المجتمع المغربي وأحواله، ومن ذلك الاحتفال بمهرجان جامعة القرويين في مدينة فاس، بمناسبة مرور أحد عشر قرناً على تأسيس «جامع القرويين» ومدرسته في فاس.

٣- رحلات الشبيبي إلى القاهرة:

في عام ١٩٤٨ وقع اختيار مجمع اللغة العربية في القاهرة على العلامة الكبير الشيخ محمد رضا الشبيبي عضواً عاملاً فيه، ولم يفته منذ ذلك التأريخ حتى استقالته من المجمع العلمي العراقي شهود دورة من الدورات المجمعية المذكورة إذا استثنينا دورة واحدة، وإذا رجعنا إلى محاضر هذه الدورات السبعة عشر نجد له في كل محضر

---

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي مج ٢ السنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م، ص٢٦٦-٢٦٨.
وفي آخر الرحلة وضعت ملحقاً بالوثائق التي حملها الشيخ الشبيبي إلى الحجاز «الجبوري».

من محاضرها بحثاً أو بحثين من بحوثه القيمة ، هذا عدا ما يتفق له في مؤتمر المجمع من مناقشات ومباحثات نجدها في محاضر الدورات المذكورة.

وفيما يلي بحث طريف له ألقاه في الدورة الثلاثين التي عقدت في سنة ١٩٦٤ في دورات مجمع اللغة العربية، عن العالم المصري الفقيد (أحمد لطفي السيد) رئيس المجمع، وقد تضمّن هذا البحث طرفاً من وقائع الدورات المذكورة وخصوصاً ما يتصل بعلاقتها مع رئيس مؤتمر المجمع من الأحاديث والنكات التأريخية الأدبية، ويستفاد من هذه الأحاديث متانة العلاقة والرابطة التي قامت بين العلامتين الشبيبي والمرحوم أحمد لطفي السيد رئيس المجمع، ويعتبر هذا البحث خلاصة رحلاته هذه خلال السنين المنصرمة.

ولغرض إعداد هذه المذكرات والرحلات، إعداداً جيداً للنشر، فقد صدّرتها بترجمة العلامة الشبيبي المحفوظة بملّفه الخاص في المجمع العلمي العراقي، والتي يغلب الظن أنها بقلمه كتبها للمجمع، ووضعت لها تتمة لما بعد كتابتها حتى وفاته.

هذا ما تمكنّت من إعداده وتوثيقه ونشره، خدمة للتراث، آملاً أن أكون قد قمت بجزء من الواجب.

وما توفيقي إلاّ بالله، عليه توكلت وإليه أُنيب، وهو حسبي ونعم الوكيل.

الكوفة في

٣٠ حزيران ٢٠١١م / ٢٩ رجب ١٤٣٢هـ **د. كامل سلمان الجبوري**

***

العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي

العلامة

الشيخ محمد رضا الشبيبي

ترجمته بقلمه كتبها إلى المجمع العلمي العراقي[1]

هو محمد رضا بن محمد جواد بن شبيب بن ابراهيم بن صقر الجزائري[2] النجفي مولداً ومنشأً.

وكان الجد الأعلى لأسرته أي الشيخ شبيب فقيهاً على طريقة المحدثين وهي الطريقة التي كانت ذائعة لدى فقهاء العراق في عصره، وقد سجل الشيخ شبيب نسبه بخطه على ظهر نسخة من كتاب الحدائق المشهور في الحديث، وهذه النسخة من جملة كتبه الموقوفة، وكانت ضمن محتويات مكتبة الاسرة.

ولد محمد رضا الشبيبي -صاحب الترجمة- في مدينة النجف عام ١٣٠٦ للهجرة، وفيها نشأ وختم القرآن قراءة في النجف على سيدة صالحة مقرئة هي السيدة (مريم) البراقية، وتعلم الخط على الشيخ هادي حصّير - بالتضعيف - وكان للمعلم أو المكتب المذكور كتاب يتعلم فيه الاحداث، وآل (حصّير) بيت من بيوت النجف عرفوا بهذه المهنة مهنة المكتبين أو المؤدبين كما كانت تسمى في عصور الدولة العباسية، مع ملاحظة الفارق البعيد في طبيعة هذا العمل وما كانت عليه في عصور المتقدمين. وما آلت إليه في أزمنة المتأخرين.

---

(١) نقلت هذه الترجمة عن نسخة مؤرخة في ١٩٦٥/١٠/٨ محفوظة في مكتبة السيد صبيح رديف، وكان الانتهاء من نقلها بتاريخ ١٠ ربيع الاول ١٣٨٩هـ الموافق ٢٥ مايس ١٩٦٩ على يد السيد صباح ياسين النعيمي الأعظمي.
وقد قام الأستاذ عبد الرحيم محمد علي بإهداء نسخة من الترجمة إلى المتحف الوثائقي لثورة العشرين في النجف ووشحها بقلمه: «هديتي إلى الملف الخاص بالشيخ الشبيبي في المتحف الوثائقي لثورة العشرين في النجف.. عبد الرحيم محمد علي ١٩٧٩/٤/٢١م» كما تفضل بتزويدي بنسخة مصورة منها «الجبوري».

(٢) نسبة إلى إقليم الجزائر المعروف من ملحقات لواء البصرة.

أما علوم اللغة العربية من نحو وتصريف وبلاغة وبيان، فإنه قرأها على أكثر من شيخ واحد في طليعتهم الشيخ (محمد حسن المظفر) ولعله أجلّ أساتذته في علم النحو، ومن مشايخه في هذا العلم الشيخ محمد جواد الجزائري، وكان أستاذاً في علوم اللغة العربية.

وأما علم المنطق فانه قرأه على أكثر من أستاذ في مقدمتهم السيد (مهدي الطباطبائي) من السادة المعروفين بآل بحر العلوم. وكان السيد مهدي معروفاً بحدة الذهن والذكاء الوقّاد.

ثم على السيد حسين الحمامي قرأ عليه في كتاب (شرح المطالع)، والسيد هبة الدين الشهرستاني من أوائل أساتذته في المنطق قرأ عليه سنة ١٣٢٣ (كتاب الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد) وهذا الشرح من أجلّ شروح العلامة الحلي في هذا العلم، أما المتن الذي يسمى (منطق التجريد) فهو من مصنفات الحكيم نصير الدين الطوسيء وكان كتاب القراءة الاول الذي يدرس في علم المنطق كتاباً موجزاً يقال له (شرح التهذيب) لمصنفه الملا عبد الله اليزدي، أما متن التهذيب فهو من مصنفات سعد الدين التفتازاني، ويقرأون بعده أي بعد كتاب التهذيب (شرح الشمسية) المتداول في المنطق للقطب الرازي، أما متن الشمسية فهو من مصنفات عمر بن علي المعروف بالكاتبي القزويني تلميذ (نصير الدين الطوسي) أهداه إلى (شمس الدين الجويني) وزير المغول، ويعدّ الجويني من خيرة وزراء المغول الذين عنوا بشؤون الإسلام والمسلمين في محنتهم بعد غلبة القوم على الديار الإسلامية.

وهذا الكاتبي القزويني أحد الحكماء الستة الذين اختارهم نصير الدين الطوسي لمعاونته في تأسيس (مرصد مراغة) والمعهد العلمي وخزانة الكتب الكبيرة في تلك المدينة المغولية، وكان مؤرخ العراق ابن الفوطي مصنف كتاب (مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب قيماً) على مكتبة المرصد. وقد عنى في كتابه المذكور بتأريخ المرصد والمدرسة والمكتبة وكل ما يتصل بشؤون النهضة العلمية الكبرى في مراغة، وتعدّ هذه النهضة من مآثر المغول في مستهل دولتهم في المشرق والعراق، وقد عقد ابن الفوطي فصلاً لطيفاً في كتابه ترجم فيه للكاتبي القزويني الحكيم.

وأما علم الفقه وعلم الأصول فانه قرأها على أكثر من أستاذ، ففي الأصول قرأ كتاب المعالم للشيخ زين الدين العاملي وكتاب القوانين للقمي، وفي الفقه قرأ كتاب شرايع الإسلام للمحقق الحلي، وكتاب الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية قرأه على الشيخ عبد الكريم آل الشيخ صالح الجعفري.

وتخرج الشيخ الشبيبي في الأدب وعلومه على أشهر مشاهير أدباء تلك المدينة، وفي طليعتهم المرحوم السيد حسين عميد آل القزويني رحمه الله، وكان شاعراً خبيراً بفنون الأدب مجدداً بعيداً عن الجمود، يفضل دراسة الكتب القديمة الأصلية على كتب المتأخرين.

وعلى الشيخ هادي نجل الشيخ عباس من آل الشيخ جعفر الكبير، وكان الشيخ الهادي أديباً ذواقة للشعر معنياً بروايته. وقد عنى هذا الشيخ بشؤون التربية واقتنى مكتبة ثمينة غنية بالمخطوطات وقلّما توثقت علاقة بين اثنين كالتي كانت بين والد المترجم له الشيخ جواد والشيخ هادي المذكور، ولا عجب فان تلك العلاقة كانت ذات جذور عميقة ويغذيها إخلاص متبادل وصفاء لا تشوبه شائبة.

ولما توفي الشيخ عباس والد الشيخ الهادي سنة ١٣١٥ للهجرة رثاه الشيخ جواد بثلاث قصائد تعدّ من عيون شعره، وهذه القصائد الثلاث تشعر من يقرأها بمتانة تلك العلاقة، فهي بمثابة تعبير جميل عن شعور صادق وإخاء وثيق وصحبة اكيدة.

وقرأ المترجم في الأدب أيضاً على أساتذة آخرين عدا ما أخذه عن المرحوم والده وأقرانه في ذلك الزمان

وكانت تعقد في النجف مجالس تلقى فيها بحوث ودروس بشكل محاضرات في الفقه والأصول يختلف اليها عدد كبير من الطلاب ومن أشهرها مجلس يعقد لشيخ الشريعة وهو خاص بالبحوث الفقهية.

وكان الشيخ الشبيبي يختلف إلى هذه المجالس العلمية، وكان ذلك كله في أواخر عصور الدولة العثمانية أي قبل نشوب الحرب الكونية الاولى. وهو عصر امتاز بيقظة فكرية ظهرت في الأقطار التابعة للدول العثمانية، ومن جملتها العراق، وكان هدف

تلك اليقظة المطالبة باصلاح شؤون الدولة، حيث أسهم المترجم له وثلة من شباب ذلك العصر من عراقيين وغيرهم في الدعوة إلى الاصلاح.

ثم كانت له جولات معروفة في الصحافة السورية والمصرية، ومن يتصفح بعض صحف مصر والشام ولبنان والعراق الصادرة في ذلك العصر يقرأ له فيها شعراً اجتماعياً أو سياسياً غير قليل، ومقالات أدبية وتأريخية ولغوية.

وكان لهجرة المتأدبين شغف بالغ بقصائده وحفظها وروايتها في تلك الفترة.

حمل الشبيبي لواء الدعوة إلى الاصلاح السياسي والاجتماعي في شعره ونثره منذ نشأ وكانت له رسالة من هذا القبيل في بلاد العرب والعراق وفي أقاليم الفرات خاصة.

ويقول مؤرخو الأدب العراقي الحديث انه في أوائل من طرق الموضوعات الاجتماعية وتناولها في شعره بين شعراء العراق، وأولهم على الاطلاق بين شعراء النجف وكان ذلك حوالي سنة ١٣٢٠ للهجرة/ ١٩٠٥م) كما كان عمره اذ ذاك حوالي الخمسة عشر سنة.

وأشهر الصحف والمجلات التي نشرت له من منظوم ومنثور في ذلك الحين ((المقتبس (مجلة وجريدة في دمشق الشام) والبرق البيروتية، ومجلة العرفان، ومجلة الزهور المصرية، وصحف عراقية أخرى معروفة)).

وله ديوان شعر عنوانه (ديوان الشبيبي) طبع في القاهرة سنة ١٩٤٠.

للشبيبي محمد رضا دراسات وبحوث تاريخية وأدبية وسياسية بعضها مطبوع وأكثرها مخطوط، من ذلك بحث عنوانه (فن التربية في الإسلام) ألقاه على طلبة كلية التربية ببغداد سنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م، ودراسة في اللغة عنوانها (أصول ألفاظ اللهجة العراقية) وأخرى في الأدب موضوعها (أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية)[1]. وهي محاضرة ألقاها على طلبة معهد الدراسات العربية العالي في القاهرة، هذا إلى بحوث غير قليلة في التاريخ والأدب واللغة ألقيت في دورات مؤتمر المجمع اللغوي في القاهرة وعددها خمسة عشر دورة. وقد نشرت محاضر الدورات

(١) طبع كتاب أدب المغاربة والأندلسيين في القاهرة سنة ١٩٦٠.

المذكورة وفيها امثلة في من تلك البحوث والمحاضرات. وآخر مجهود ظهر له كتاب عنوانه (رحلة في بادية السماوة) نشر أخيراً في بغداد.

ولما أعلنت الحرب الكونية الأولى في العراق سنة ١٩١٤ شارك في هذه الحرب إلى جانب الجيش التركي وحضر معه معركة الشعيبة الطاحنة التي خذل فيها الجيش المذكور. ومن ثم انتحر على الفور قائده أمير اللواء (سليمان عسكري) وكان إلى جانب القائد المذكور في ميدان الشعيبة ابان هذه الحادثة النكراء. ومن ثم عاد مع فلول الجيش المتقهقر إلى مدينة الناصرية.

كان القائد سليمان عسكري شجاعاً مقداماً غير انه لم يزود بمعلومات كافية عن معاقل الانكليز ومناعتها في ميدان الشعيبة. لذلك خابت محاولاته في الاستيلاء على المواقع المذكورة ومني الجيش بخسائر كبيرة بعد هجمات انتحارية ضارية أشرف عليها سليمان عسكري القائد العام بنفسه، وكان المترجم له معه فعلاً في ذلك الميدان وقد خصص له سلاح وركوبة، ولمشاركة الشبيبي في حرب (الشعيبة) الناشبة بين البريطانيين والاتراك في العراق قصة نادرة لا يخلو إيرادها من فائدة وذلك على الصورة التالية:

كانت رياسة هيئة اركان الجيش التركي انشأت في بغداد سنة ١٩١٤ مدرسة عسكرية عالية سميت (مدرسة ضباط الاحتياط) حشروا ممن حشروا فيها فريقاً من طلبة المدارس الدينية، وكان الشبيبي من بينهم، وكانت التركية لغة التعليم في هذه المدرسة ومعظم الأساتذة ضباط أتراك كان تدريبهم على جانب من العنف والشدة. على أن الشبيبي استطاع اقناع السلطات التركية ببغداد باستثناء طلاب المدارس الدينية وإعفائهم من الانتساب إلى مدرسة الضباط، فصدر الأمر بتسريحهم على أن يلتحقوا بفرق المجاهدين المتطوعين في تلك الحرب. وجلهم من أفراد القبائل العراقية عرباً وأكراداً، التحق الشبيبي في بعثة مرسلة إلى عشائر الأكراد في الجنوب قوامها فريق من رجال الدين وضباط الجيش اتجهت من مدينة بدرة الواقعة على واد يسمى واد (بادرايا) إلى المنطقة الجبلية الواقعة شرقي العراق وسكانها من الأكراد التابعين لايران

وذلك لمنع الانكليز واعوانهم من التغلغل إلى تلك الجبهة من منطقة البصرة والأهواز، وتطويق الجيش التركي المحارب في مواقع الكوت والفلاحية المشهورة، واجتمع هناك بأمير الأكراد الذي استجاب إلى الطلب وتعهد بان يقف سّداً دون تسرب طلائع البريطانيين على شرط تزويده بالسلاح وبمبلغ من المال، وقد زود فعلاً بذلك، وقد تم الاجتماع بهذا الأمير الكردي في مخيم له على ضفاف واد عريض يسمى (باكسايا) وكانت ضفافه خصبة مزدهرة، وهذا الوادي و(وادي بادرايا) الذي قبله ينحدران من سفوح الجبال الشرقية او الكردية المذكورة ويمران في السهول حتى مصبهما في نهر دجلة وهما تابعان ادارياً للواء العمارة[1]، وجلّ الزرّاع العاملين في هذه الجهات ينتمون إلى بني لام.

يقول الشيخ الشبيبي: وقد سرنا على ضفاف الواديين من سفوح الجبال حتى السهول المنتهية بشواطي دجلة، ولا تخلو كتب البلدانيين من ذكر (بادرايا وباكسايا) ومن ذلك معجم البلدان لياقوت، وبعد مكث الشبيبي مدة في تلك الجهات تلقى برقية تدعوه إلى مرافقة القيادة العامة للبعثة العسكرية المجهزة لاسترداد البصرة، وكانت قد وصلت إلى مدينة الناصرية، ولا مناص له من المرور على مدينة الكوت وعلى الغراف في طريقه إلى الناصرية وهي مسافة بعيدة، وكانت الطرق كلها مغمورة بالمياه في فيضان قلّما شهد العراق نظيره، بل أصبحت اليابسة وكأنها بحر لا ساحل له فاضطر أن يخوض الماء على ظهر جواده حتى مدينة الكوت وكانت مهددة بالغرق، وواصل رحلته منها بطريق الغراف حتى التحق بمقر قيادة الجيش التركي وقائده أمير اللواء (سليمان عسكري) وصادف أمير اللواء سليمان عسكري وهيئة اركان حربه على شاطئ الفرات في الناصرية، وهم على أهبة الحركة إلى الشعيبة بطريق بحيرة الحمار وفي زوارق بخارية، فاستقبلوه في زورق القائد العام وانحدرت السفن إلى سوق الشيوخ ومنها إلى منطقة الأهوار والبطائح المشهورة، حيث اجتازوا في المنطقة على سدود زراعية يقيمها الفلاحون، وتوهم الأتراك لسوء فهمهم أن غرض الفلاحين سدّ

(١) راجع وصف معركة الشعيبة في ديوان الشبيبي طبع القاهرة سنة ١٩٦٠.

الطريق على سفنهم وكانوا على أهبة الاشتباك بالسلاح مع اولئك الفلاحين، ومرد ذلك إلى نزق التركي وهوسه فأسرع الشيخ الشبيبي إلى الفلاحين وطلب إلى الفعلة بلطف أن يخلوا الطريق للزوارق التركية ولمركب القائد وأفهمهم بأن الجيش ذاهب للدفاع عن البلاد، وان القائد العام من جملة ركّاب الزوارق، ففتحوا الطريق وانحدرت السفن في طريقها إلى ساحل البطائح ومنه إلى معسكر (النخيلة) وهو قاعدة جيش الأتراك المنظم وفرق المجاهدين او المتطوعين العراقيين، وقد أربى عددهم على ثلاثين ألفاً، وكانت بعض الزوارق البخارية المذكورة تقطر سفناً شراعية موسوقة بخبز عفن مسدود تعافه النفس، وحسبك هذا دليلاً على حالة المؤن والتموين، ولم يخل مركز القيادة يومئذ من ضباط ألمان يغلب عليهم ضرب من الوجوم والحيرة، وكان القائد العام سليمان عسكري قد أمر بحشد الجيش فعلاً في الخطوط الأمامية من ميدان الشعيبة وذلك في خطة مرتجلة غير مسبوقة بتبصر وروية، وأمر بمهاجمة معاقل البريطانيين فيها ولم يعلم بحصانتها ومناعتها إلاّ بعد فوات الوقت، وقد أسفر الهجوم عن خيبة أمل مريرة وتراجع الجيش بخسائر فادحة، ومن ثم انتحر القائد العام في مأساة معروفة في تلك المعركة الضارية، فان الجيش البريطاني شنّ هجوماً مقابلاً طوّق فيه ذلك الميدان.

أما المجاهدون اوالذين سمّوا كذلك من أفراد القبائل فكانوا فيما شاهدناه أسرع من غيرهم إلى الهزيمة، وقد طورد المنهزمين بسيارات مصفحة ظهرت لأول مرة في حرب العراق، حتى قاربت قاعدة الجيش التركي في النخيلة وكانت تطلق نيرانها الحامية في أقفية المتراجعين من أفراد الجيش والمجاهدين.

وفي مساء ذلك اليوم شرع الاتراك بالانتقال إلى قواعد جديدة في المنتفك لم تصمد أيضاً ازاء تقدم البريطانيين – في الناصرية على الفرات، وفي العمارة على دجلة – مفتاحاً لاكتساح العراق برمته، وكان أمير اللواء سليمان عسكري يعتمد في ميدان الشعيبة على قائد مثله إسمه (محمد بك) عهد إليه بادارة رحى المعركة وقيادة الهجوم في الخطوط الامامية الذي استمر يومين بدون انقطاع وبدون جدوى أيضاً، فاستدعاه سليمان عسكري

من خط النار والحرب دائرة بعنف، وسأله عن مسير الهجوم، فكان الجواب والشبيبي يسمع أن معاقل العدو في غاية المنعة، ومنذ تلك اللحظة قرر القائد العام سليمان عسكري الكف عن مواصلة الهجوم، وأمر تحت جنح الظلام بالتقهقر إلى قاعدة الجيش في غابة (البرجسية) الواقعة في ضواحي مدينة (الزبير) والغابة كلها من شجر الأثل والطرفاء.

ولما عقدت الهدنة العامة سنة ١٩١٨ أي بعد انتهاء الحرب الكونية الاولى باندحار ألمانيا وحليفتها تركية، وعقب احتلال العراق أقام المحتلون حكومة قوامها فريق من ضباط الجيش ولم يحسب للشعب العراقي حساب في تأليف هذه الحكومة، ومن ذلك التاريخ شرع العراقيين بمقاومة السلطة الأجنبية وبدأوا يطالبون الانكليز بالجلاء والوفاء بعهودهم التي قطعوها للعرب بشأن حقهم في تقرير المصير، وهذه العهود عبارةعن مراسيم أصدرها في العراق قادة الحلفاء واذاعوها مذيلة بتواقيع رؤساء حكوماتهم، بعد تقهقر الأتراك في ميدان الحرب العراقية إلى شمال الموصل واحتلال بغداد. وفي هذه المراسيم ما فيها من الأماني المعسولة والمواعيد الخلابة في إسداء العون للعرب في كفاحهم لنيل حريتهم، وبعث تراثهم المجيد في الحضارة، وألح العراقيين على الانكليز بأن تتكون في العراق حكومة مستقلة ذات سيادة، وكان لصاحب الترجمة في هذا العهد كما لا يخفى جهود معروفة في مقاومة دسائس المحتلين والمطالبة بما قطعوه للعرب والعراقيين من عهود ووعود.

ولما اضطرت حكومة لندن إلى تكليف الحاكم السياسي العام في العراق السر (ارنولد ولسن) باستفتاء العراقيين، وجّه الحاكم العام المذكور بواسطة حكام الأقاليم من الضباط السياسيين أسئلة معينة إلى أهل العراق في اجتماعات كانت تعقد في مكاتب الحكام المذكورين، ويشهدها فريق من الوجوه والزعماء، وكان السؤال الأول عن جنسية الحاكم الذي يريدونه، والثاني عن شكل الحكم. والثالث عن حدود العراق، فكانت أجوبة العراقيين مغايرة تماماً لرغبة الانكليز.

طلب الشيخ في الاجتماع الذي عقد في مدينة النجف بحكومة دستورية يرأسها ملك عربي، وعبّر بذلك عن رغبات أحرار العراق على صورة أثارت امتعاض الحاكم

العام فقاطعه في تلك الجلسة ضارباً -أي الحاكم- بقبضة يده على المنضدة ولكن بدون جدوى، والواقع أن اشق ما كان يشق على البريطانيين يومئذ هو ذلك الشعور الحي بالكرامة، ولنا أن نقول أن جملة من الحوادث التي أريقت فيها الدماء نشأت في العراق عن خشونة في اللهجة، أو عجرفة استعمارية في اللقاء، اعتبرها الجانب العراقي جارحة لكرامته، ماسّة بشرفه، وهكذا فان الشعور الحي بالكرامة ونزعة الاستعماريين المعروفة في الشموخ والكبرياء ضدّان لا يجتمعان، ما أكثر الشواهد على ذلك في أحداث العراق خلال فترة الإحتلال.

ولا حاجة إلى القول بأن لصاحب الترجمة مواقفه المعروفة في هذا الدور الخطير من أدوار الكفاح بين الشعب العراقي والسلطة المحتلة، خصوصاً في بعض المراكز المعروفة كالحلة وكربلاء والنجف والديوانية وبغداد، فإن الروح الوطنية التي بعثت يومئذ كانت معروفة قائمة على نشاط عدد من العلماء ورجال الدين والوجوه والزعماء والشباب في المدن والأرياف المذكورة كان هو في طليعتهم.

هذا ولما أخذت السلطات الانكليزية المحتلة تماطل وتسوّف في تلهية مطالب العراقيين والاعتراف بحقوقهم المشروعة، وقد أعلنوها وطالبوا بها مراراً، خصوصاً بعد اجراء الاستفتاء الذي تقدم ذكره.

ولما كان قادة الثورة العربية في سوريا والحجاز يجهلون ما يجري داخل العراق من صراع عنيف بين أحرار البلاد والسلطات الانكليزية، وكان من الضروري إعلام زعماء العرب خارج العراق بحقيقة الحال هناك، فكّر صاحب الترجمة بأن يقوم بهذه المهمة، وفاتح بذلك فريقاً من أصدقائه وزملائه العاملين من علماء ورؤساء وغيرهم من الشباب الناهض، وأقنعهم بضرورة تنفيذ هذه الفكرة فوافقوا على رأيه.

ومن ثم قام برحلته إلى البلاد العربية منتدباً عن العراقيين لدى الحكومتين العربيتين في مكة المكرمة ودمشق الشام آنذاك، وزود بوثائق مذيلة بتواقيع زعماء البلاد وعلمائها، وقادة الرأي العام فيها، تضمنت انتدابه ليمثل العراق لدى الحكومتين المذكورتين وإبلاغهما رغائب العراقيين وايقافهم على الأحوال الجارية في العراق،

وقد بارح العراق في أوآخر سنة ١٩١٩ إلى مكة المكرمة سالكاً طريق البادية من البصرة إلى (جبل شمر) في الديار النجدية فالمدينة المنورة، ومن المدينة إلى مكة.

وقد قاسى الأمّرين في هذه الرحلة الشاقة وصحب قافلة من البدو المسلحين، واجتمع فور وصوله إلى مكة بشريفها الحسين بن علي ملك العرب اذ ذاك، وبأنجاله الأمراء ومنهم (علي) و(عبد الله) في مكة المكرمة، وهذا هو ثاني اجتماع له بانجاله، أما الاجتماع الأول فقد كان في الوادي الذى يسمى (وادي فاطمة)[1] على قيد مرحلة من مكة في مخيم لهم هناك وكان الجميع بلباس الاحرام، ولا يخلو وادي فاطمة من خصب وفيه بساتين يرويها جدول صغير ينحدر إلى الوادي في شبه قناة أو صهريج من الطائف.

ولابد لنا من القول أن الشيخ الشبيبي لم يجد في القطر الحجازي مظهرا يعتد به من مظاهر الثقة والايمان باهداف الثورة العربية العامة كما كان يتصورها في ذلك الحين وكلما وجده هناك جيش من المرتزقة قليل العدد والعدة وقد كاشفه بهذه الحقيقة العارية فريق من خيرة الضباط العراقيين والسوريين والفلسطينيين في المدينة المنورة فور وصوله اليها وشكوا اليه مر الشكوى من التسيب والاهمال وفقدان الشعور بالمسؤولية حتى أن رواتب ضباط الجيش لم تصرف منذ شهور ورغبوا اليه في ايقاف ملك العرب على الحقيقة اذا تسنى له الاجتماع به فوعدهم بذلك، وفي اول اجتماع له بالحسين بن علي في قصره بمكة اطلعه الشكوى المذكورة واوقفه على اسباب تذمر رجال الجيش في المدينة المنورة حتى أن بعضهم فضل الرجوع إلى بلاده في الشام والعراق مشياً على الأقدام على البقاء في الديار الحجازية على تلك الحالة، ولكن ما الفائدة من التحدث بذلك، وقد أخذ القلق يساور الملك من وجود ذلك الجيش ومن تذمر بعض الضباط والقادة فيه.

---

(١) من رأي بعض الباحثين إن الاسم الجاهلي القديم لهذا الوادي هو (مر الظهران) ولمر الظهران ذكر كثير من شعراء الجاهلية وصدر الإسلام. وما يشهد لرأي من يرى ان اسم وادي فاطمة قديماً هو (مر الظهران) وصفهم لمر الظهران بكثرة المياه والعيون الجارية والنخل، وإنه على مرحلة من مكة، ومعي أوصاف وادي فاطمة بعينها كما شاهدناه.

والخلاصة استقبله الملك حسين في قصر الامارة بمكة وخلا به حيث قدم له ما معه من الوثائق، وتحدث إليه وأطلعه على حقيقة الأحوال في العراق، وان العراقيين يعانون كثيراً من الضيم والارهاق تحت إدارة الاحتلال، ويطالبون أشد المطالبة بالحرية والاستقلال، وانهم مستعدون لحمل السلاح وإعلان الثورة والتضحية في هذا السبيل بنفوسهم ونفائسهم كما وقع ذلك فعلاً.

وقد طلب صاحب الترجمة إلى الملك حسين أن يبذل جهده في سبيل تحقيق مطالب الشعب العراقي، وتكليف رسله وممثليه في مؤتمر الصلح الذي كان ملتئماً في باريس بذلك، وكان فيصل يعاونه شباب أكفاء من السوريين وغيرهم يمثل والده في المؤتمر المذكور، فما كان من الملك حسين إلاّ أن أعلم فيصل بالوضع الراهن في البلاد العربية، وبأن يدافع عن حقوق العراق في مؤتمر الصلح استناداً إلى تلك الوثائق التي تسلمها من صاحب الترجمة في مكة المكرمة، وقد ادعى بعضهم انها لم تصل اليه، والواقع انها وصلت كما أخبره بذلك فيصل نفسه في الشام، ثم إن الملك حسين كتب بهذا المعنى رسائل اجاب بها العراقيين من علماء وزعماء وأعلمهم بتسلم الرسائل والوثائق التي حملها صاحب الترجمة ووعدهم وعداً قاطعاً في كتبه، بأنه مستعد للتضحية بنفسه وعرشه في سبيل استقلال العراق بحدوده المعلومة، وقد وفى الحسين بوعده، فانه توفي بعد أن أخرج من مكة، وتنازل عن عرشه، بسبب صلابته وثباته، وهو الآن يرقد في مثواه بفلسطين تغمده الله بالرحمة.

وقد وصلت رسائل الملك حسين هذه إلى كافة من كاتبه من قادة الثورة في العراق، حملها اليهم حجاج عراقيون بناء على طلب المترجم له.

وبعد أن أقام صاحب الترجمة مدة لا تقل عن (أربعين) يوماً في مكة بارحها إلى المدينة المنورة، ومنها استقل القطار وكان بحالة يرثى لها من الخراب بعد الثورة وذلك إلى حدود الشام، فلا جسر ولا مرافق أخرى ولا مستخدمين، حتى أن رحلة القطار بين المدينة ودمشق خمسة وعشرون يوماً وهي لا تستغرق في العادة اكثر من ثلاثة أيام، هذا ولبعض الضباط البريطانيين فيما يقال ضلع في ذلك الدمار.

وفي دمشق اجتمع بالملك فيصل بعد عودته من لندن، وبقادة الحركة العربية من عراقيين وسوريين وفلسطينيين وغيرهم، وتأكد لديه منهم وصول تلك الوثائق العراقية، وهكذا مثل العراق في عدة جمعيات ومؤتمرات من أشهرها المؤتمر العراقي الذي التأم في الشام سنة ١٩٢٠ ونادى – المؤتمر- على رؤوس الاشهاد باستقلال العراق استقلالاً تاماً على أن تقوم فيه حكومة دستورية. وتوجد وثيقة هذا المؤتمر مذيلة بتوقيع أعضائه من العراقيين المقيمين في سوريا يومئذ، ومنها توقيع صاحب الترجمة، هذا وقد اقيمت في دمشق وغيرها من الحواضر السورية كبيروت وصيدا في ذلك الحين حفلات تكريمية له، وقد انتهز فرصة وجوده في سوريا فراح يدافع عن حقوق العراق، وله في هذا المضمار مقالات وقصائد معروفة نشر منها في الصحف والمجلات الصادرة في الشام وبيروت وصيدا في ذلك الحين في ديوانه المطبوع.

ولا بد لنا من القول أن الشبيبي كان طول مكثه في الديار السورية يراقب تطور الوقائع والاحوال في الدولة المذكورة، وقد تجلت في ذلك الحين نوايا الحلفاء وبينوا غدرهم بالعرب، وان البلاد العربية التي كانت تابعة للدولة العثمانية قسمت إلى(مناطق نفوذ) بين انكلتره وفرنسا، فكانت البلاد السورية من نصيب فرنسا، ولذلك غادرها الانكليز إلى فلسطين فوجهت فرنسا في الحال انذاراً نهائياً إلى الملك فيصل بالنزول عن مطالب الحكومة الفرنسية المنتدبة من قبل عصبة الامم على سورية، وكانت حكومة فيصل تميل إلى الدخول في مفاوضات مع الفرنسيين على أساس الاعتراف بالانتداب، أما الشعب السوري فقد هاج وماج وثارت ثائرة السوريين، وتوالت المظاهرات في الشام، كما شهدها المترجم بنفسه من أحياء دمشق، وجاءت الجموع إلى قصر الملك فيصل في حي(المهاجرين) و(الصالحية) تطالب وتهتف بحياة العرب ورفض الانتداب والمطالب الفرنسية، ولما لم تتلق الحكومة الفرنسية جواباً من حكومة دمشق أمرت جيوشها المرابطة في لبنان بالزحف، فزحفت بقيادة الجنرال (غورو) واجتازت حدود المملكة ووقعت الواقعة بين السوريين والفرنسيين.

وكانت قيادة الجيش السوري للبطل (يوسف العظمة) وقد قتل في واقعة(مجدل غنجر) وشاهد صاحب الترجمة وقلبه يتفطر ألماً نكوص المجاهدين من أبناء الشام واندحارهم في الواقعة المذكورة، كما شاهد دخول الجنرال(غورو) على رأس جيوشه وجلّها من الأفارقة السود إلى مدينة الشام، دخول الظافر الفاتح، فاخترق شارع بغداد إلى سوق الحميدية فالجامع الأموي، ومنه اتجه إلى مقبرة صلاح الدين على شكل يشعر بضرب من التشفي والانتقام.

ولابد لنا من القول أن سلطات دمشق كانت كما يقول الشبيبي قد عرضت قيادة الجيش العامة في ساعة المحنة على بعض الضباط العراقيين المعروفين فاعتذروا بعد قيامهم بالكشف على وحدات الجيش وتفتيش الثكنات قائلين إن جيش دمشق او ما يسمى كذلك في ذلك الحين لا يعول عليه ولا يعتد به كمّاً وكيفاً.

كما تحدث إلى الشبيبي بذلك (ياسين) وهو -يعني الهاشمي- ممن عرضت عليه رياسة (ديوان شورى الحرب) فاعتذر، بعد جولة قام بها في المعسكرات والثكنات واجتمع على أثرها بالشيخ الشبيبي في منزله بصالحية دمشق، وأعرب له عن رأيه في مبلغ كفاءة ذلك الجيش، ومن ثم ركن إلى العزلة، وكانت عزلة هذا العسكري العراقي المعروف سبباً في مجاملة الفرنسيين المحتلين له، وهناك أسباب أخرى لهذه المجاملة، ومنها أن (ياسين الهاشمي) كان يكمن ضرباً من الولاء للأتراك، خلافاً لغيره من الضباط العراقيين الذين شاركوا في ثورة العرب عليهم بزعامة الملك حسين وانجاله فهو أي الهاشمي ياسين يعتقد أن بعض الدول الاجنبية كانت وراء تلك الثورة، وفي هذا الصدد يقول الشبيبي كنا نلاحظ انزعاج الانكليز من إسناد بعض المناصب إذا أسندت إليه أي الهاشمي ياسين.

والخلاصة كان (ياسين) يتردد على الشبيبي في منزله (بالصالحية) وكانا متجاورين في تلك الضاحية وهو يملك منزلاً حسناً فيها، وما أكثر عدد الذين كانوا يترددون على الشبيبي في ذلك المنزل من أبناء الشام ولبنان والعراق وغيرهم.

هذا وقد آثر العودة من دمشق إلى الوطن فور الاحتلال الفرنسي وذلك قبل غيره من ابناء العراق، وبعد أن مكث في أرجاء الشام مدة سنة كاملة، وفي هذا الصدد رغب إليَّ (ياسين) وهو يودّعني أن لا تقطع المراسلة بيننا، واتفقنا على استخدام ضرب من الاشارات الرمزية في الكتابة في محاولة لكتمان الأسرار عن علم السلطات المحتلة الغاشمة وسماسرتها في العراق والشام.

وكان الملك فيصل فور زحف الجنرال (غورو) على دمشق من لبنان قد غادر الشام إلى عمان وفلسطين بالقطار، ومعه حاشيته في ليلة ليلاء كما غادر تراب الأندلس المعتمد بن عباد، ولم تطل إقامة المترجم له بعد ذلك في سورية فبارح الشام في خريف سنة ١٩٢٠ عائداً إلى العراق بطريق البادية وعلى ظهور الجمال، وقد قطعوا المسافة بين دمشق وبغداد في خمسة وعشرون يوماً، ووصل بغداد مع رفيق له من الضباط العراقيين متنكرين، ووجد كثيراً من أصدقائه مبعدين إلى خارج العراق أو معتقلين داخل البلاد، أو مشردين، ولما اطمأن في بغداد اتصل بأهله وإخوانه، واجتمع بكثير من قادة الرأي ورجال الأحزاب والجمعيات السياسية.

هذا وفي هذه الفترة الصاخبة من تاريخ البلاد ظهر للجميع أن الانكليز لم يجدوا بّداً من إنهاء عهد الاحتلال، والموافقة على قيام دولة مستقلة ذات سيادة وفقاً لما تقرر في مؤتمر القاهرة الذى عقد سنة ١٩٢١ حيث مثل جرجل وغيره من البريطانيين الحكومة الانكليزية، ومثل العراق كل من السرساسون حسقيل والسيد جعفر العسكري، وفي صيف السنة المذكورة وصل فيصل وحاشيته ومن جملتهم السيد رستم حيدر علي باخرة إنكليزية اقلعت بهم من جدة إلى البصرة، ومنها توجهوا على السكة الحديد فمرّوا في طريقهم بالديوانية والحلة كربلاء إلى النجف وأرياف الفرات وهي في قلب العراق النابض، وعرين الأبطال الأشاوس الذين أذاقوا قوى المحتلين في الرارنجية والرميثة والشامية وأبي صخير وغيرها ما أذاقوه وضحوا بأرواحهم وجميع ما ملكت أيديهم في سبيل حرية البلاد وكرامتها.

وكان لفيصل باعتباره ثائراً عربياً استقبال باهر يعجز التعبير عن وصفه في تلك المدن المجاهدة، وقوبل بمظاهرات ترحيبية كبيرة وخطب ثورية بليغة كما أنه ألقى عدة خطب في تلك المناسبات، وكان صاحب الترجمة يجتمع بفيصل وصحبه طول مدة إقامته في تلك الجهات وخصوصاً في النجف وبغداد بعد وصوله إإليها ولا يضن عليهم بالنصح ومواجهتهم بالواقع.

ولما نودي بفيصل ملكاً على العراق في تلك السنة كان يستدعيه ويستشيره في الأمور المهمة، وقد رشح لاشغال بعض المناصب العليا في أوائل أيام العهد الفيصلي ولكنه كان يعتذر ويفضل الانقطاع للدراسة والتأليف، إلى أن كانت سنة ١٩٢٤ وفيها عهد إلى ياسين الهاشمي بتأليف وزارته الاولى فأبرق إليه وهو مقيم في النجف قائلاً انه يسره التعاون معه وأن يشغل منصب وزارة المعارف في الوزارة الهاشمية.. فتردد كثيراً في قبول الوزارة، ولكن إلحاح أصدقائه في بغداد والنجف اضطره إلى القبول فأشغل منصب هذه الوزارة فترة لاتزيد على سبعة أشهر، ولما عرضت اتفاقية النفط على مجلس الوزراء وكانت من الاتفاقيات المجحفة بحقوق العراق، اقترح تعديل بعض الاتفاقية على أساس يكفل للعراق زيادة العوائد المالية فلم يجد من يعضده، وفي جلسة خاصة بينه وبين الهاشمي سأله عن موقفه الأخير من الموضوع فقال الهاشمي: إن إبرام هذه الاتفاقية من واجب وزارته، وعلى أثر ذلك غادر الجلسة وذهب إلى مكتبه في ديوان الوزارة وبعث بكتابه الذي يستقيل من الوزارة لأنه يرى أن الاتفاقية مجحفة بمصالح العراق.

وقد تقلّد الشبيبي منصب وزارة المعارف خمس مرات وان لم تكن مدة الاستيزار طويلة فيها ففي سنة ١٩٢٤ تقلدها كما قلنا أول مرة، وتقلدها مرة ثانية سنة ١٩٢٥، وثالثاً سنة ١٩٣٨، ورابعاً سنة ١٩٤١، وخامساً سنة ١٩٤٨.

واختير سنة ١٩٣٥ عضواً في مجلس الاعيان وانتخبه هذا المجلس رئيساً له سنة ١٩٣٧.

وقد رشح في الانتخابات النيابية فكان عضوا في المجلس النيابي غير مرة وانتخب رئيساً للمجلس النيابي سنة ١٩٤٣، وأمضى سنة في الرياسة ثم اعيد انتخابه

لرئاسة المجلس المذكور سنة ١٩٤٤، ولكنه استقال قبل انتهاء السنة بسبب دسائس استعمارية معروفة دبرت بليل.

هذا ومن يمعن النظر في سيرته الرسمية او السياسية منذ أن نشأت هذه الدولة العراقية في سنة ١٩٢١ إلى هذا اليوم، تبدو له ظاهرة نادرة وهي أن تلك السيرة امتازت بكثرة الاستقالات والتخلي عن المناصب العليا التي تقلدها، فقد استقال مرتين من منصب وزارة المعارف: المرة الاولى سنة ١٩٢٥. والمرة الثانية سنة ١٩٣٥، وذلك بسبب اختلاف وجهات النظر في تخطيط أساسية التعليم، وفي تنظيم شؤون الوزارة واختيار الموظفين.

واستقال أيضاً من رياسة المجمع العلمي العراقي وعضويته سنة ١٩٤٨، واستقال من رياسة لجنة الترجمة والتأليف والنشر ومن عضويتها سنة ١٩٤٦، واستقال من عضوية مجلس النواب في أوآخر سنة ١٩٥٠ مع من استقال من النواب المعارضين وعددهم خمسة وثلاثون نائباً بسبب محاولة حاول بها بعض المرتزقة مس كرامة المعارضين، وكان لهذه الحادثة أثرها البالغ في الخارج والداخل على حد سواء، وهذه كما قلنا ظاهرة نادرة اذا ما استنبطنا أسرارها تبين لنا انه كان محاط بشبكة من دسائس المستعمرين وأذنابهم، فكان لا يقرّ لهم قرار اذا تقلد أو أشغل منصباً عالياً من مناصب الدولة، لأن الأذناب ومطايا المستعمرين ألدّ أعداء الخدمة الصحيحة وأكبر خصوم الاصلاح وهما كما لا يخفى غايته القصوى من تقلّد وظائف الدولة في جميع الأحوال والظروف.

انتخب الشبيبي في كثير من المؤسسات والمجامع العلمية واللغوية داخل العراق وخارجه، فهو عضو نادي القلم العراقي[1] ورئيسه نحواً من عشرين سنة، ورئيس المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٤٨ إلى أن تخلى عن رئاسته لأسباب معروفة.

---

(١) انشأ هذا النادي – نادي القلم العراقي – ببغداد سنة ١٩٣٤ وقد نصت المادة الثانية من نظامه الاساسي على ما يلي – غاية النادي (تعارف المؤلفين وحملة الأقلام وإحكام الروابط بينهم وتعزيز الأدب العربي. وتعضيد البحث وايجاد الصلات بين حملة الأقلام في العراق وامثالهم في البلاد العربية). وقد انتمى إلى النادي أشهر حملة الأقلام والصحفيين في ذلك التاريخ، وواضب أعضاء على عقد جلساتهم وإلقاء البحوث والمحاضرات، وقد احتفل اكثر من مرة بضيوف العراق من ادباء الاقطار العربية، وقد اعتبر النادى كغيره معطلاً بموجب مرسوم تعطيل الاحزاب والنوادي والجمعيات الصادرة سنة ١٩٥٨، ولم يتقدم أحد من اعضائه بطلب لاستئناف نشاط النادي منذ ذلك الحين.

وقد منح درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة القاهرة تقديراً لبحوثه في الأدب والتاريخ.

وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي في الشام سنة ١٩٢٣، كما انتخب عضواً فاعلاً في مجمع اللغة العربية في القاهرة وذلك في أواخر سنة ١٩٤٧.

بارح العراق إلى القاهرة لأول مرة وشارك لأول مرة في المؤتمر اللغوي الذي عقد في أول سنة ١٩٤٨، وأُقيمت له حفلات في القاهرة منها حفلة استقباله في المجمع اللغوي.. وللاستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله في هذه المناسبة خطبة معروفة كما أن لصاحب الترجمة خطبة فيها أيضاً.

ومن المحاضرات التي ألقاها في المؤتمر اللغوي محاضرة موضوعها (النهضة الأدبية الحديثة في العراق) وقد لخصتها بعض الصحف المصرية وعلّقت عليها.

وأقامت كلية دار العلوم المصرية حفلة استقبله فيها الاستاذ ابراهيم مصطفى بخطاب ضاف وألقى فيها محاضرة عنوانها (أقدم مخطوط وصل إلينا في وصف جزيرة العرب) وكان لها وقع في نفوس الحاضرين، وفي هذه الحفلة أُلقيت قصائد وخطب ترحيبية، ولم يتخلف عن شهود دورة من دورات مجمع اللغة العربية منذ انتخابه عضواً فيه حتى الآن إلاّ مرّة واحدة.

ولما ألغي المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٣ وخلفه المجمع الحالي انتخب عضواً فيه، ثم رئيساً له، ولكنه رغب إلى زملائه باعفائه من منصب الرياسة فأصروا على رأيهم ولم يسعه إلاّ النزول على تلك الرغبة.

ويلاحظ أن المجمع يجتاز الآن مرحلة من مراحل النشاط والاضطلاع بأعباء المهام المطلوبة منه، وقد اخرج جزءاً جديداً حافلاً بالبحوث من مجلته الخاصة.

تتمة الترجمة: بقلم د. كامل سلمان الجبوري:

مؤلفاته:

آ- المطبوعة:

- تراثنا الفلسفي
- مؤرخ العراق ابن الفوطي ١-٣
- القاضي ابن خلكان: منهجه في الضبط والإتقان
- مذكرات الشبيبي، ننشر هنا قسماً منها
- تاريخ النجف نشر قسم منه في مجلة الرابطة الأدبية
- المأنوس من لغة القاموس نشر في مجلة البلاغ
- لهجات الجنوب العربي
- ابن خلكان وفن الترجمة
- بين مصر والعراق في ميدان العلاقات الثقافية
- رحلات إلى المغرب الأقصى
- مع الأستاذ أحمد لطفي السيد في المجمع اللغوي
- إحصاء العلوم للفارابي

ب - المخطوطة:

- تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها
- فن المناظرة
- فلاسفة اليهود في الإسلام
- التذكرة فيما عثر عليه من الكتب والآثار النادرة
- المسألة العراقية
- الفكر الشيعي

- الرحلات الداخلية في عهد الاتراك
- رحلات الشمال إلى كركوك
- رحلة من شرقي دجلة الى غربي الفرات

وفاته:

توفي ببغداد فجر يوم الجمعة ٢ شعبان سنة ١٣٨٥، ونقل إلى النجف ودفن به وأرخ وفاته السيد محمد الحلي بقوله:

بالنور سجِّل ذكره بالطيبِ وغنِّ في قيثارة الطروبِ
مرثية في حفله المهيب لتغمر القلوب بالكروبِ
قلت وقد عمّ الأسى مؤرخاً: (أثكلت الأمة بالشبيبي)

وقد نعاه المجمع العلمي العراق بما نصّه[1]:

«ننعى بمزيد الأسى والأسف الأستاذ الجليل الشيخ محمد رضا الشبيبي محمد رضا الشبيبي عضو المجمع العراقي ورئيسه السابق -تعمده الله برحمته ورضوانه-

كان رحمه الله من قادة الحياة الفكرية والأدبية، وكان ضافاً إلى صفاته العلمية ذا خلق عال، واسع الصدر، لطيف العشرة.

ولد في مدينة النجف عام ١٣٠٦ للهجرة وتعلم فيها علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة على كبار الأساتذة ومشايخ العلوم فيها، وهو من أولئل الذين طرقوا الموضوعات الاجتماعية في شعره وقد كانت المجلات والجرائد العربية تنشر له قصائده الغرّ في مختلف بقاع الدنيا العربية. وديوان شعره زاخر بالحكمة والفلسفة، وقد ارتفع بشعره إلى مستوى خلقي عالٍ، وله -رحمه الله- دراسات وبحوث في التأريخ والأدب والسياسة، وهو عضو في المجمع اللغوي في القاهرة منذ خمس عشرة سنة، وقد نشرت كلماته وآراؤه في محاضر الدورات.

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ١٣ لسنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م ص٣٨٩-٣٩٢.

وكان من أوائل المطالبين بإنشاء حكومة دستورية يرأسها ملك عربي في العراق تعبيراً عن رغبات أحرار العراق، وقد نُدب عن العراق للذهاب إلى الحكومة العربية في مكة لهذا الغرض.

تقلد الشبيبي وزارة المعارف خمس مرات أولاها في سنة ١٩٢٤، واختير سنة ١٩٣٥ عضواً ف مجلس الأعيان، ثم انتخب رئيساً له سنة ١٩٣٧ وعضواً في مجلس النواب غير مرة ورئيساً للمجلس النيابي سنة ١٩٤٣ و١٩٤٤.

هذا ومن ينعم النظر في سيرته أو سيرته السياسية منذ نشأت الدولة العراقية سنة ١٩٢١ إلى يوم وفاته تبدو له ظاهرة النشاط والحيوية في المشاركة في أكثر الفترات السياسية وجملة الأعمال الأدبية.

كان عضواً في نادي القلم العراقي ورئيساً له نحواً من عشرين سنة، ومنح درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة القاهرة، وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي سنة ١٩٢٣، وعضواً ف مجمع اللغة العربية في القاهرة، ورئيساً للمجمع العلمي العراقي منذ تطبيق قانونه الأخير.

رحم الله الشبيبي فقد كان جمّ النشاط، واسع الصدر، كريم الخلق، الطويل الأناة.

جلسة تأبين:

وفي الجلسة التي يعقدها مجلس املجمع العلمي العراقي مساء يوم الأثنين ٦/ ١٢/ ١٩٦٥ طلب نائب الرئيس الأستاذ الدكتور سليم النعيمي وقف الجلسة دقيقتين حداداً على الفقيد، وابنه بإعلان أساه وأسى السادة أعضاء المجمع لفقد علم من أعلام الفكر والأدب أَثَّر في النهضة الأدبية والعلمية آثاراً ستذكرها له الأجيال ويخلدها التأريخ.

نسأل الله أن يلهمنا الصبر والعزاء».

وقد أبّنه الدكتور عبد الرزاق محيي الدين فقال:

«إن مصاب المجمع العلمي العراقي لجلل، وإن فقد أستاذنا الشبيبي لخسارة ليس لهذا المجمع فحسب، وإنما هي خسارة لمجاميع اللغوية في الأقطار العربية جميعاً،

وأستأذنكم أيها السادة الأفاضل أن أتحدث عن انطباعاتي عن شيخنا الشبيبي خارج هذا المجمع وعن معرفتي له معرفة بنوة وتلمذة وزمالة.

لعل أول شعر أرهفت أذني إلى سماعه كان شعر الشيخ الشبيبي وأول أديب انفتحت عيني على أدبه كان شخص الشيخ الشبيبي، ولقد لا زمته منذ مطلع حياتي حتى الأسابيع الأخيرة من حياته الطويلة فما ازددت قرباً منه إلاّ ازددت إكباراً لشخصه وإعجاباً بسيرته، ولقد كان المثل الأعلى والصورة المشرقة لي، كلما وصلت بين أديب وسيرته وبين نهجه في الحياة وآثاره ولا أتحاشى أبداً أزعم أنني لا أعرف في القديم ولا في الحديث أديباً كان أدبه صورة من مسلكه ومسلكه صورة من أدبه كالشبيبي.

السلوك الرفيع، والخلق العالي الحكيم، وعفّة اللسان، واليدُ الجارحة نراها متمثلة أصدق التمثيل في فكرته المصطفاة وعبارته المنتقاة وكلمته العَفّة. إنني مدين للفقيد بأكثر ما أعتز به إنساناً وأديباً وصاحب مسلك في الحياة، تغمده الله برحمته وأجزل له قدر ما أجزل للأدب وأهله».

ثم قال السيد محمد تقي الحكيم مؤبناً:

«إن خسارتنا في الشيخ أعظم من أن أستطيع ذكرها وستيفاء الحديث فيها نظراً لعظم شخصية الفقيد الذي اعتبره أستاذاً لي بل أستاذ الجيل بالجملة، وإذا كان لا بدّ من أن أضيف إلى ما ذكره الأخوان الذين سبقوني في التأبين فالذي أحب أن أؤكد على ذكره من عناصر شخصيته هو خلقه الذي يمثل منه مدرسة قلّ نظيرها، وقد أفدت من خلقه وسلوكه ما لم أفده من أي أستاذ آخر، وفي إدراته لجلسات المجمع الذي شاهده الأخوان خير مثل على ذلك، رحم الله الفقيد الكبير وإلى روحه الفاتحة».

وتحدث الدكتور عبد العزيز الدوري: عن كريم خلقه وحميد سيرته أشاد بسيرته الجميلة وتذكّر أول اتصال مباشر بالفقيد بعد عودته من الدراسة حين دعى للحديث في ذكرى أبي العلاء في دار الفقيد وما لاحظه لديه من طجيب ونادرة ورغبة في التشيجيع وجوّ علمي رائق، وَبيّن أن الفقيد الغالي كان مدرسة مفتوحة للأدب والفكر،

وتحدَّث عن الناحية التأريخية في نشاطه الفكري، وأن آثاره في التأريخ تنطوي على استقصاء وتمحيص، وأن كتابته وبحوثه التاريخية تعطي مثلاً حسناً في أسلوبها واستيفائها للمصادر وفيما تتضمنه من تحليل وآراء، وخير ما يتركه المرء أثر ينتفع به، وأثر يسر على هديه، وحديث طيّب، كما قال الشاعر:

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

وسيرة الأستاذ الشبيبي حديث بعده.

وقال الدكتور يوم عز الدين:

«رحم الله أبا سعد: كان علماً من أعلام الأدب ومدرسة من مدارس الشعر عاش عليها جيل كان يترنم بحلاوة شعره ويستفيد من جزالة لفظه ويستنير بسموّ معانيه.

لئن ذهب أبو أسعد لقد ترك وراءه ذكراً خالداً باقياً الأدب العربي وخلود المعاني السامية، رحم الله أبا أسعد فقد كان عفيف اللفظ، سامي العبارة، ما وجدنا في ديوانه إلاّ السمو والعفّة، وقد درسته دراسة طالب أدب وحاضرت عنه وما كنت أتورع عن تلاوة شعره أو أخجل من إنشاد قصيدة في كل ناد.

وقد امتاز رحمه الله بالخلق العالي والمجاملة الرقيقة حتى على حساب صحته فما سمعته آذى إنساناً بعبارة أو نال شخصاً بسوء، إنما كان يشجّع الأدباء ويدفعهم نحو الإجادة والإحسان.

وقد امتاز رحمه الله بسعة الصدر فهو يجول ويصول ولكن برّقة، وقلّما يمكن أن يزحزح عن رأي رآه أو فكرة اعتقدها، فهو يحاول باللفظ الجميل والعبارة الآسرة أن يأخذ محاجه معه إلى رأيه ويستميله إلى جانبه، وخلال اتصالي به في المجمع ومعرفتي الطويلة به تعلمت منه أشياء ما تعلمتها من سواه، وأرجو الله أن يوفقني لتخليده في دراستي له التي كتبتها ، وحق الشاعر الجليل أن يخلد.

والسلام عليكم وإلى روحه الفاتحة».

مصادر ترجمته:

- الأدب العصري: روفائيل بطي، ط القاهرة ١٩٢٢ ص١٥-٢٨.
- أعلام الأدب: ٢/ ١٨١.
- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين العاملي - ط الأولى - ١٧/ ١٣٨.
- إلى ولدي: ٣٤/ ٩٠.
- تاريخ الوزارات العراقية: السيد عبد الرزاق الحسني.
- الشبيبي الكبير: (الشيخ محمد جواد): حمود الحمادي مط النعمان النجف.
- شعراء العراق المعاصرون: غازي عبد الحميد الكنين.
- شعراء العصر: محمد صبري - ط القاهرة ١٩١٢.
- شعراء الغري: علي الخاقاني - ط النجف ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م، ٩/ ٣-٩٣.
- الشعر والشعراء في العراق: ص٨٢.
- كتابهاي عربي: ٨١٠
- ماضي النجف وحاضرها: الشيخ جعفر باقر محبوبة - ط النجف ٢/ ٣٨٠.
- المجموعة الشعرية: للسيد محمد الحلي - ط النجف ١/ ١٢٥.
- مصادر الدراسة عن النجف: عبد الرحيم محمدعلي - ط النجف ١٩/ ٣٥/ ٤١/ ٥٨.
- معارف الرجال: الشيخ محمد حرز الدين - ط النجف ١/ ٢٠٣.
- معجم الأدباء: كامل سلمان الجبوري - ط بيروت.
- معجم رجال الفكر والأدب في النجف: الشيخ محمد هادي الأميني - ط٢، ٢/ ٧١٨.
- معجم الشعراء: كامل سلمان الجبوري - ط بيروت
- معجم المؤلفين العراقيين: كوركيس عواد - ط بغداد ٣/ ١٦٥.

- معجم المؤلفين والكتاب العراقيين: د.صباح نوري المرزوق - ط بغداد ٢٠٠٢.
- المنتخب من أعلام الفكر والأدب: كاظم عبود الفتلاوي - ط بيروت ص٤٨٢.
- نقباء البشر: الشيخ آغا بزرك الطهراني - ط النجف ٢/ ٧٤٥.
- هكذا عرفتهم: جعفر الخليلي ٢/ ١٠٩
- مجلة البيان: علي الخاقاني س٢ / ٧٩٠.
- مجلة الرابطة: جمعية الرابطة الأدبية في النجف س٢ / ع٢ / ١٤٠.

وقد كُتبت عنه درسات ورسائل وأطاريح جامعية عديدة، تناولت جوانب ومحطات من سيرته وجهاده وحياته العلمية.

***

القسم الأول

المذكرات

١- مذكرات الشيخ الشبيبي خلال الأعوام ١٣٣٢ - ١٣٣٦هـ / ١٩١٤ - ١٩١٧م.

٢- مذكرات الشيخ الشبيبي عن ثورة النجف ١٣٣٦هـ / ١٩١٨م.

٣- تقرير وجيز عن أحوال العراق بعد الثورة ١٣٣٩هـ.

(١)

مذكرات
الشيخ محمد رضا الشبيبي
خلال الأعوام ١٣٣٢ ـ ١٣٣٦هـ
١٩١٤ ـ ١٩١٧م

في مسيرة النضال

تعليق

الأستاذ أسعد الشبيبي

العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي
أبان حركة الجهاد

تمهيد

بقلم: الأستاذ أسعد محمد رضا الشبيبي

تتصل هذه المذكرات اتصالاً وثيقاً بتاريخ العراق، والنجف خاصة، منذ بداية هذا القرن أبان استفحال حركة المشروطية التي قادها الشيخ محمد كاظم الخراساني إلى ما بعد احتلال الإنكليز للعراق ومن ثم إعلان الهدنة وانتهاء الحرب العالمية الأولى وما أعقب ذلك من أحداث.

وقد سبق أن نشر قسماً منها في مجلة(الثقافة الجديدة) الغراء بعددها الرابع لسنة ١٩٦٩، وهو ما يتعلق بثورة النجف ضد الإنكليز(١).

وقد حتم عليّ تسلسل الأحداث تقديم أو تأخير بعض الأجزاء في السلسلة كما يجد القارئ الكريم بعض الهوامش أدناه، وفيها ما هو بقلم الشبيبي، رأيت إيرادها فهي لا تخلو من فائدة لعلاقة الشبيبي بها أو علاقتها بالشبيبي.

وما دام وعد الحر ديناً، فسيجد تراث الشبيبي طريقة إلى النشر جميعاً في مستقبل الأيام، وأرجو أن يكون ذلك قريباً.

أسعد الشبيبي

١٩٧٢

* * *

(١) تم نشر هذا القسم من المذكرات ملحقاً لكتابنا (النجف الأشرف ومقتل الكابتن مارشال ١٩١٨م) - الجبوري -

أما هذه الشذرات فقد نشرت متسلسلة في مجلة (البلاغ) الكاظمية ابتداء من العدد ٥و٦ للسنة الرابعة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م حتى نهاية السنة الخامسة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

نهضة الروحانيين الأولى

حركة الحبوبي:

يوم السبت ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٢ هـ قبل الغروب بثلاث ساعات، خرج السيد الفاضل السيد محمد سعيد حبوبي قاصداً ثغر البصرة، ومعه جماعة من أهل العلم وغيرهم لحث العشائر والأعراب على الجهاد، وقد وردت قبل سفره جملة رسائل برقية من أهل البصرة تستغيث بالعلماء وتطلب منهم النصر.

الحلو:

في يوم ٢٧ ذي الحجة ١٣٣٢ هـ خرج السيد عبد الرزاق الحلو[1] من النجف مع

---

(١) قال الشبيبي في إقليم «الجزائر» الّذي ينتمي إليه آل الحلو السّاكنون في النجف: «في جنوب العراق مما دون البصرة إلى أسفل ديار المنتفق اليوم على ضفتي الفرات، إقليم واسع يقال له (الجزائر) لأنها كان محاطة بفيض عريض تدفع فيه مياه دجلة والفرات، ويتصل بالبطائح وقد عمرت وانكشفت في القرون الوسطى، ولم تكن شيئاً مذكوراً قبل ذلك، حتّى أنها في أوائل القرن السّابع للهجرة لم تكن من اليابسة، فلذلك لم يذكرها ياقوت ولا غيره، وإنما كانت مفازة طاعنة من الغرب والجنوب في بادية العرب، ومثله من جهة الشرق ببطائح دجلة والحويزة.

وإذا تأخر بك الزمان عن أن تشاهد بأم رأسك هذه الجزائر فاطلق طائر خيالك في سمائه وتصوّر بحيرة ساجية شجراء متأجمة تكثر في مياهها الدعاميص، ويخشى جوها البعوض، وتشخص فيها لعينيك عيدان الأسل كأنها الرماح أشرعت في صدر الأعداء، يصعقك فيها زئير الأسود، وفي الأجام وصئي الخنازير، في الفياض من تحتها نقيق الضفادع، وفوقها في أعالي العيدان الخضر هديل الطيور، وإذا هب الشرقية تكدّر الجو وأدركك مدّ البحار وغمق الجزر في المستنقعات. هنالك انحسر الماء عن قطع من الأرض متجاورات، فاستعمرها خلق ممن كان في حدودها من العرب، كانت أكبر مادّتهم السّمك واللّبن، مثل بني أسد وعبادة والمواجد وآل غريق وبني حطيط وكثير غيرهم.

ثم أحكموا مواضع الفتوق من جهة الفرات واتقنوها وفاروا إلى أرضهم الجديدة أنهاراً كثيرة من الفرات مثل نهر المدك ونهر صالح والتبل وشط بني أسد ونهر العشار وشط سحاب ونهر علي وغير ذلك، فعمرت بهم واتصلت قراها وعظم سوادها حتى قيل أنها كانت ٣٦٠ قرية كبيرة، وكانت عاصمتها (المدينة) وكذلك هي إلى اليوم. وقد ارتقت الزراعة فيها ارتقاء عظيماً، وجاد فيها النخل وأنواع الفواكه من الليمون والنارنج والعنب، وربّي فيها دود الحرير والدجاج وهي بلاد السّمك والطيور والخير العميم. وكان أهلها أجواداً يخرجون من حقوق الله في أموالهم».

وقال: «إذا جزت في بلاد الجزائر اليوم رأيت نفراً من المتفقهين ومتقلدي الإفتاء ورهطاً من طلبة العلم وحملة الأخبار، أولئك هم بقية السّلف من أئمة العلم والأدب في الجزائر، ثم إذا تغلغلت فيهم وجدت انهم إخباريو المشرب، وسرعان ما يهبون لمناظرتك ويمطرونك وابلاً من الأسئلة إذا وجدوك منحرفاً عنهم، هكذا كان أسلافهم فإنهم صميم الأخباريين...».

ويقول المرحوم القصاب في كتابه (من ذكرياتي) ص ١٠٨: «... وأول قافلة وصلت السّماوة كانت قافلة المجتهد السيّد عبد الرزاق الحلو وبرفقته تسعة أنفار من المجاهدين..... وعند وصوله ==

بعض أهله داعياً إلى الدفاع فشيّعه الناس ونيته الجزائر.

في السماوة:

أقام السيد محمد سعيد حبوبى في السماوة إلى ٢٢ محرم سنة ١٣٣٣ هـ، داعياً أهلها وعشائرها إلى الجهاد، وهم يطلبون مطالب جمة، طوراً يتفقون وتارة يختلفون، ولم تصلح عزيمة أحد على السفر منهم إلاّ ٥٠٠ مجاهد.

وفي ٢١ محرّم لحق بالسيّد هادي مقوطر الشهير[1]، وكان يدعو عشائر الأبيض[2].

...

إلى القرنة كانت البصرة على وشك السّقوط، فأخذ يجمع المجاهدين من أفراد عشائر الجزائر (المدينة) المقلدين له في أنحاء القرنة ويقدمهم إلى القائد للمدافعة».

وعن خاتمة السيّد عبد الرزاق بعد سقوط القرنة يقول القصاب في صفحة ١٠٩: «... وسلبوه جميع ما يملك هو ورفقاؤه، بالرغم من توسله بشيخوخته وضعف بنيته، ثم توجه ماشياً إلى القرية الثانية، وعند وصوله إليها اشتدّ مرضه من التعب والتأثر، توفى هناك رحمة الله عليه رحمة واسعة».

إلاّ أن الشبيبي في (نهضة الروحانيين الثانية بين النجف وسلمان) والتي تلي هذه السلسلة يقول: «في يوم ١١ محرم سنة ١٣٣٤ هـ أذيعت في النجف حركة العلماء والطلاب ومن معهم.... وقد أعدّت شركة الخط الحديدي للقوم عدّة مركبات فركبوا إلى الكوفة، وهم من العلماء: السيّد عليّ التبريزي.... والسيّد عبد الرزاق الحلو....» وعليه فلم يتوقف السيّد الحلو هناك... وما راء كمن سمعا..).

هذا وفي (من ذكرياتي) وصف لطيف لمشاركة المجاهدين في حرب العراق، ذلك أن المرحوم القصاب كان في تلك الفترة قائمقام السّماوة رتب عليها من قبل العثمانيين.

(١) وفي السيّد هادي قال الشاعر في تلك الفترة (ثلثين الجنّة لهادينا) وكانت أغنية المجاهدين: (بارض الشعيبة باجر تفكنه ايثور) انظر (الثورة العراقية الكبرى) لعبد الله الفياض.

أما في [من ذكرياتي] ص ١١٢:

«ثلث الجنة الهادينا
وثلث الكاكا أحمد وأصحابه
والثلث الآخر للسّادة
وشويه شويه البربوتي»

وكان السيّد أحمد خانقاه على رأس المجاهدين من الأكراد، في حين كان بربوتي السّلمان قائداً لسرية مجاهدين من أهالي السّماوة الغربيين.

وفي إعتقادي أن مسحاً شاملاً للمناطق التي شهدت الكفاح ضد المحتلين سيؤدي حتماً إلى إغناء التراث الشعبي والنضالي بمجموعة من الهوسات والقصص تشكلّ مرجعاً من المراجع المهمّة في دراسة تلك الفترة.

وآل مكوطر «عائلة من السّادات.... متنفذة يتمتعون بحظوة من قبل الحكومة التركية، وكانوا كثيري المساعدة للحكومة العثمانية حتّى بعد سقوط بغداد.... ويعتبر السيّد هادي، الشيخ الرئيس في الشنافية» عن (تقرير سري لدائرة الإستخبارات البريطانية عن العشائر والسيّاسة) نقله إلى العربية عام ١٩٥٨ المرحوم الدكتور عبد الجليل الطاهر.

أبلى السيّد هادي بلاء حسناً بعد ذلك في ثورة العشرين في منطقة السماوة، ثم هاجر إلى الحجاز بعد فشل الثورة مع الزعماء المهاجرين منهم: السيّد علوان السيّد عباس الياسري والسيّد نور السيّد عزيز الياسري، والسيّد محسن أبو طبيخ، وجعفر أبو التمن، راجع تقرير وجيز عن أحوال العراق بعد الثورة للشبيبي في مجلة «الثقافة الجديدة» العدد الخامس ١٩٦٩.

(٢) الأبيض: الرميثة الآن، ويمرّ بها شط الحلّة (شط السّبل) قديماً.

وفي يوم ٢٣ محرم غادر الحبوبي السماوة مع العدّة الماضية من المجاهدين إلى الناصرية، وكانت عشائر المجرة والغراف وعجمي بك في انتظاره.

مظاهرة واستعراض في بغداد:

يوم الخميس غرّة محرّم سنة ١٣٣٣هـ، تظاهر عامة البغاددة السنّة والشيعة منهم في بغداد، وجاءوا إلى ثكنة المدفعية الكبيرة، وحضر ألوف من الجند في مقدمتهم ضباط الاحتياط(احتياط ضابطي) ومنهم يومئذ كاتب الحروف، وقد تلي نص إعلان الحرب، وخطب جماعة منهم: نقيب بغداد، وجميل الزهاوي، ومعروف الرصافي، وبعض الضباط، ومن الشيعة (محمد علي جسام)(١) نجفي، و(محمد الخالصي) كاظمي، وسواهم، وأطلقت المدافع، وتفرّق الجمع بعد الغليان الشديد يقدمهم ضباط الاحتياط، ثم طلبة المكاتب الاعدادية العسكرية تصدح أمامهم الموسيقى العثمانية.

علماء النجف المجاهدون:

في يوم ٧ محرّم سنة ١٣٣٣هـ، نفذ شيخ الشريعة والداماد والكاشي إلى بغداد ذاهبين إلى ديار الحرب مع المجاهدين.

---

(١) أ- محمد علي جسام:

خطيب مجيد من خطباء ثورة العشرين وشاعر (١٢٩٠-١٣٧٣) وهو من العائلة النجفية المعروفة آل قسام، التي اعتاد على تسميتها الناس آل جسام أو كَسام كما يقول بعض النجفيّين. ومثل هذا اللّقب شائع في وسط وجنوب العراق خاصة، وفي أمكنة من هذه المذكرات يكنّى الشيخ عطية بأبي قلل مرّة وابي كَلل اخرى.

ب- إلتقى الشبيبي بالرصافي لأول مرّة في دمشق عام ١٩٢٠ (راجع العدد الخاص بالرصافي من مجلة الوادي الصادر في ١٤ آذار ١٩٥٩)

وكانت هناك عدّة لقاءات بين الرجلين، منها: زيارة للرصافي حين كان في الفلوجة، وقد رافقت والدي في تلك الزيارة وضمّ المجلس إضافة اليهما رجلاً «مكشّداً» قدم معنا من بغداد، وجلس الثلاثة على النهر قريباً من جسرها القديم، راجع كذلك مقدمة الشبيبي لكتاب الدكتور بدوي طبانة: معروف الرصافي، دراسة أدبية لشاعر العراق وبيئته السيّاسية والإجتماعية).

ج- انظر (رأيي في الزهاوي) للشبيبي في مجلة (الحاصد) العدد ٣٨ الخاص بالزهاوي والصادر في ٢-٤-١٩٣٦ وفي الصفحة ٨ من نفس العدد تحت عنوان: كيف شيع جثمان الزهاوي إلى مرقده الأخير (ما يلي: (... ووضع في سيارة جلس فيها وراء النعش الشاعران الكبيران معروف الرصافي والشيخ محمّد رضا الشبيبي، وأمام النعش الشابين موفق الزهاوي وجودت عبد الحميد من أقارب الفقيد) وقد إلتقط المصور الأهلي صورة فريدة لهذا المشهد ونشرت (الحاصد) صورة أخرى على الضريح في ص ١٩ من نفس العدد.

الوفد من قبل اليزدي:

في يوم السبت ١٠ محرّم الحرام سنة ١٣٣٣هـ، ورد إلى بغداد من النجف الوفد المندوب من قبل السيّد كاظم اليزدي لدعوة العشائر العراقية للدفاع، وهم ولده السيّد محمد، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيّد إسماعيل اليزدي وبعض طلبة العرب والفرس.

وكانت دجلة فائضة حتّى أغرقت الجسر فلا أثر له، والامطار متواصلة، فعبروا إلى الجانب الشرقي في حراقة بخارية، فاستقبلهم عامّة الشيعة محتفين بهم، حتّى عطّل كثير منهم دكاكينهم، ونزلوا أضيافاً على آل الحاج داود[1]، وهم أقطاب الحركة الجهادية

---

(١) الحاج داود مؤسس العائلة المعروفة بـ(أبو التمن) وهو جدّ المناضل جعفر أبو التمن، الّذي كان يوقّع أحياناً جعفر حفيد الحاج داود، ولا شك أن هذا دليل اعتزاز جعفر بجدّه.
وإنما عرفت العائلة كذلك لكرمها وجودها وتجارتها خاصة بالتمن، وأكد لي صديق منهم أن المعوزين في إحدى سنين القحط كان يدل أحدهم الآخر على(أبو التمن) ليتسلّم حصته دون مقابل، وأين هذا ممن يمتص دم الكادحين.
وعن عليّ البزركان في (الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية) عن الحاج داود: أنه لم ينس «مجلسه في مسجده وقد وضع أكوام المجيديات أمامه والمجاهدون حوله، وهو يسألهم عن عدد من يعيلونهم، ليدفع لهم نفقات كسائهم ومعيشتهم، ثم أنه تزعّم ما يزيد على الأربعمائة مجاهد وسار بهم للعمارة لقتال الإنكليز...»
وعن الإمام الفقيد (محمّد حسين كاشف الغطاء) يقول الشبيبي في كلمة نشرتها جريدة الزمان العدد ٥٠٩١ الصادر في ٢٠-٧-١٩٥٤:
«... فهو بقية السّلف من أهل بيته، بيت العلم والفقاهة، فوالده هو الشيخ عليّ مؤسس المكتبة المعروفة الثمينة بالمخطوطات في النجف، وجدّه هو الشيخ محمّد رضا ابن الشيخ موسى الّذي كان له موقف معروف في منتصف القرن الماضي بين الدولتين العثمانية والايرانية حقنت فيه الدماء...».
انظر أيضاً عن الشيخ عليّ بحث الشبيبي (صرعى الكتب والمكتبات في العراق) المنشور في (لغة العرب) الجزء ٩ السنة الثانية الصادر في ربيع الثاني سنة ١٣٣١هـ.
ويكفي أن يكون الشيخ عليّ صاحب (الحصون المنيعة).
وكانت هناك صلة متينة بين الشيخين عليّ وجواد الشبيبي يبرز جانباً منها كتاب الأستاذ الحمادي (الشبيبي الكبير) الّذي صدر مؤخراً.
ومن المناسب الإشارة هنا إلى أن (محمّد حسين) الّذي ورد ذكره في وصية الشبيبي الكبير هو محمّد حسين آل إبراهيم من الشطرة وليس محمّد حسين كاشف الغطاء كما ورد في الكتاب الصفحة ١٣١.
وان بحث (صفحة من تاريخ داود باشا في العراق أو واقعة المناخور في كربلاء) الواردة الإشارة إليه في هامش الصفحة ٢٨ والمنشور بلا توقيع في صحيفة دار السّلام الأعداد ٩-١٢ الصادرة عام ١٣٣٦هـ - ١٩١٨م هو بحث وتحقيق للشبيبي لرسالة [ركيكة العبارة، سيئة الترتيب والتنسيق لا ينبغي نشر أصلها في عصر نحاول فيه تمكين ملكة الإنشاء الفصيح فمن ثم لخصناها وأفرغناها في قالب أقرب إلى فصيح العربية، ونسّقنا أفكار مؤلفها كما نراه] كما يقول الشبيبي، ولديّ مسودّة البحث بخطّ الشبيبي.

في بغداد، وقد كان عالم الطبيعة منقلباً في بغداد آنئذ، فماء السّماء مدرار، ودجلة ملأت الأنجاد والأغوار، في غير الوقت المعتاد، وقد طوقت المياه محيط دار السّلام.

العلماء المجاهدون:

في يوم ١١ محرم سنة ١٣٣٣هـ، وهو يوم غرق بغداد، أبحرت الباخرة (حميدية) من الجانب الغربي تقلّ السيّد مهدي السيّد حيدر، والشيخ مهدي الخالصي، وجماعة من طلبة العلم، وزهاء ٣٠٠ مجاهد من مجاهدي الكاظمية، وفيها أيضاً ٢٠٠ من فرسان العثمانيين وكثير من الذخيرة.

وفي يوم ١٧ وصلوا إلى ساحة الحرب في القرنة فصادفوا انكسار طابور الضباط الصغار (كوجك ضابطان) الشهير، وهو أضخم طوابير العراق وأحسنها تمريناً، وأجودها تدريباً، وأكثرها عدداً، وفيه أفضل شبان العراق العرب وأسرارهم، وقد تشتتوا وقُتل قائد هذا الطابور (شاكر افندي) وأسر وقُتل جماعة من ضباطه وجنوده إذ ذاك.

غرق بغداد:

في نحو اليوم ١٠ من محرم سنة ١٣٣٣هـ، الموافق تشرين الثاني بدأ وادي دجلة يزداد، واطردت زيادته يومين إلى أن تجاوزت العادية، فأصبح جسر بغداد ذات يوم مغموراً بالماء، وقد عقب ذلك إنبثاق الأَسداد على مسافات قريبة وبعيدة من البلد، فأحاط الماء بدار السّلام، وأول ما جاء من تلقاء باب المعظم ثم انكسر سدّ (باب الشرقي) فذعر النّاس لأن ماءه ينتهي إلى البلد توّاً، وعملوا على سدّه جماهير في اللّيل والنهار فلم يغن عملهم شيئاً، ولم يزل الماء يزداد ويتقرّب إلى العمارات حتّى ليلة ١٣ من الشهر فتحقق الغرق وأذن للناس بالهجرة من الرصافة.

ولم تغمض تلك اللّيلة عين إلاّ قليلاً، وبدأ الناس ينقلون أمتعتهم وخصوصاً إلى الخارج، وأقام كثيرون أسدادهم في الشوارع داخل المدينة. ودخل الماء من الباب الشرقي إلى الخندق القديم فأحفره وكان مغموراً وصار كالخليج العظيم، وصار مما لا شك فيه إستيلاء الماء على البلد فغصَّت الشوارع بالمهاجرين حاملين أمتعتهم، هائمين على وجوههم، يريدون العبور إلى الكرخ لاعتصامه من الماء، فشرعت بعض البواخر

تعبّر الناس، وارتفع ثمن العبّارات (القفف) وتعسّر وجودها حتّى أنا استأجرنا قفة واحدة مرّة واحدة بمجيدين وربما بلغت جنيها، فعبر مع ذلك عشرات الألوف إلى الكرخ بأثقالهم وأحمالهم وكذلك ارتفعت أجرة الحمّالين.

أما الماء فإنه أتى على البساتين والقرى وهدم بعض القصور، ففي الكرادة منها قصر ابن عمّتنا السيّد محمّد رحمه اللّه، ونفذ إلى بساتين البلد وجيناتها ومنها إلى قصورها ودورها فهدم كثيراً، وكان يسري من دار إلى أخرى فاستولى على أحياء الباب الشرقي وقسم من محلّة الشيخ عبد القادر ومحلّة السيّفين وبني سعيد والأكراد وغير ذلك، وبلغ مجموع ما سقط من الدور أكثر من ٤٠٠٠ دار أصبحت تلالاً قائمة من الحجارة والتراب، ولم تعد تتميّز حدود الشوارع والأملاك والبيوت الخربة، وكادت تحدث القلاقل بسبب ذلك.

ودامت تلك الحال أي الزيادة ثلاثة أيام ثم بدأت تخفّ، قال رجال بغداد: ولم تنكب بغداد في الغرق أخت هذه النكبة فيما يعلمون.

قلت: وقد نكبت بغداد أخت هذه النكبة، فقد جاء في (مختصر تاريخ الدول) لابن العبري صفحة ٣٦٣ ما هذا نصّه:

«وفي سنة ٥٥٤هـ، ثامن ربيع الآخر، كثرت الزيادة في دجلة وخرج القورج فوق بغداد فامتلأت الصحارى وخندق البلدة ووقع بعض السّور فغرق بعض القطيعة وباب الازج والمأمونية ودبَّ الماء تحت الأرض إلى أماكن فوقعت، وأخذ النّاس يعبرون إلى الجانب الغربي (الكرخ) فبلغت المعبرة عدّة دنانير، ولم يكن يقدر عليها. ثم نقص الماء فكثر الخراب، وبقيت المحالّ لا تُعرف وإنما هي تلولٌ فأخذ النّاس حدود دورهم بالتخمين».

وما شاهدنا نحن من غرق بغداد هذه السنة لا يبعد عن هذه الصفة، فكأن الزمان ارتد ثمانية قرون إلى الوراء.

وفي يوم ١٠ صفر استعير جسر الاعظمية إلى بغداد فنصب فيها بدل الجسر الغريق.

انظر كذلك (الكامل) في حوادث سنة ٦١٤هـ، وغرق بغداد وخروج العامّة وغيرهم لعمل القورج حول البلد.

باخرة تبحر إلى دار الحرب:

في ٢٠ محرّم سنة ١٣٣٣هـ أبحرت من أمام ثكنة المشاة في بغداد الباخرة «خليفة» مشحونة بالجند والذخيرة إلى العمارة، وفيها بعض السّادة الخارجين للدعوة والارشاد.

حروب القرنة:

وقعت في محرّم سنة ١٣٣٣هـ، عدّة حروب في القرنة بعضها هائلة جداً، وفي يوم عشرين من هذا الشهر وردت برقية بمظفرية العثمانيّين.

حركة العلماء في بغداد:

في عصر اليوم ٢١ محرّم سنة ١٣٣٣هـ، شُيِّع علماء النجف الموجودون في الكاظمية وهم: السيّد عليّ التبريزي، شيخ الشريعة، السيّد مصطفى القاشاني، ومن معهم من الطلاب، وانتهوا إلى مكتب (صغار الضباط) في الجانب الغربي وتكاثف النّاس وخطب بعض الخطباء، ثم عبرت إليهم الباخرة «موصل» وفيها عدد كبير من مجاهدي بغداد مقدمهم الحاج داود الشهير، ومن علماء بغداد السيّد صادق العطار، والسيّد عبد الكريم، وغيرهم، وأقلعت بهم الباخرة في ذلك اليوم بين صفوف الخلائق المتجمهرين على ضفتي دجلة إلى العمارة ومنها إلى العزير فالقرنة.

اليزدي:

في محرّم سنة ١٣٣٣هـ، كانت النجف قائمة قاعدة فقهاؤها ومستخدموها وطلابها والسّواد المسخّر لهم، وزاد الهيجان في أواخر محرّم.

وفي ٢٧ منه رقى المنبر السيّد كاظم اليزدي وخطب النّاس، وألزمهم بالدفاع، وأوجب على الغني العاجز بدناً أن يجهز من ماله الفقير القوي، فكان لكلامه صدىً ردّدته الأطراف.

توارد الجنود:

في أوائل صفر كانت ترد فصائل الجنود تباعاً من أرضروم ومن الموصل إلى بغداد وكذلك السّلاح والذخائر. وفي هذه الأيام اجتمع علماء الشيعة جميعاً من النجفيّين والكاظميّين والبغاددة في العمارة، وفيها تقدّم جاويد باشا إلى القرنة.

حركة الشيوخ:

في مثل اليوم ٤ صفر سنة ١٣٣٣هـ، غادر النجف الشيخ جعفر الشيخ عبد الحسن مع جماعة من وجوه طلبة العلم منهم الشيخ عبد الكريم الجزائري[1]، والحسينان الحلّي والواسطي، والشيخ منصور المحتصر، وآخرون من أهل النجف.

وفي يوم ١١ صفر وصلوا إلى بغداد، وغادروها بعد أيام قلائل في الباخرة إلى العمارة، ومنها إلى الأهواز، صحبهم إليها توفيق بك مبعوث بغداد، وهو ضابط تقرر قائداً للجناح الأيسر، فارق بغداد يومئذ ومعه ثلّة من الجند والآلة، وقد أعان الشيخ جعفر خازن المشهد العلوي بمائة دينار.

المجاهدون:

في ليلة الثلاثاء ٥ صفر أبحر مركب (بغداد) من بغداد إلى القرنة يقلّ محمّد بن السيّد كاظم اليزدي ومن معه، ومن مجاهدي بغداد ٣٠٠ مجاهداً أو أكثر، غير ما فيه من الجنود والمدافع الجديدة والذخيرة التي وردت من قريب، وقد شيّع المجاهدون أحفل تشيّع، وتجمهر العالم على ضفتي دجلة.

---

(١) ومن كلمة بعنوان (فقيدنا الكبير) ألقيت في الإحتفال بتأبين الشيخ الجليل عبد الكريم الجزائري، نشرتها جريدة الأيام في العدد ١٢٤ في ١٠ أيلول ١٩٦٢.

«... في كل ميدان من ميادين نشاط شيخنا الفقيد مجال واسع للقول على أن هناك ناحية من نواحي هذا النشاط يتسع فيها مجال القول إلى أكثر من غيرها، إلا وهي ناحية جهاده المضني في سبيل المصالح العامة ومصلحة بلاده الوطنية الخاصة، ومقارعة الإحتلال والسلطات الطاغية...

.... كان الفقيد الجليل في بداية الحرب العالمية الأولى في طليعة المجاهدين، رابط في جنوب العراق على حدود الأهواز مدّة طويلة، وكان في هذه الفترة عقلاً فعالاً وفكراً جوالاً في القيادة والإرشاد والتوجيه... ولا أنسى ما حييت ذلك المؤتمر التأريخي الذي ضمّنا وإيّاه في النجف بناء على طلب الماجور (نوريري) حاكم البلد أيام الاحتلال البريطاني وكانت النجف آنذاك مقراً للحاكم البريطاني الّذي تمتد سلطته في ذلك الحين إلى حدود لواء الديوانية، وقد شهد هذا المؤتمر جماعة من أعلام النجف وزعماء الأرياف القريبة منها وكبار الشيوخ والزرّاع.

استهل الحاكم البريطاني الكلام قائلاً ما معناه: لقد تقرر إجراء الاستفتاء بشأن مصير العراق ومستقبل الحكم وفي شخص الوازع أو الحاكم في العراق، وقد كلّفني السير (ارنولد ولسن) الحاكم البريطاني العام أن أوافيه بآرائكم، وعند انتهاء حاكم النجف من كلامه هذا أجبناه بإسم الجماعة الحاضرين في المؤتمر: بأن رأى الشعب العراقي لا يعدو طلب الحكم الذاتي والإستقلال التام للعراق بحدوده المعروفة، وأن يكون نظام الحكم في البلاد ديمقراطياً وشكله نيابياً، ولما جوبه الحاكم البريطاني بهذا الرأي احتدم غيظاً وأظهر استنكاره له، وقاطعني بلا جدوى، وكان يضرب على المنضدة بكلتا يديه...»

عشائر الشامية والمشخاب[1]:

في يوم الجمعة ٦ صفر سنة ١٣٣٣هـ، تحرّك إلى جهة الناصرية، ومن ثم إلى الشامية فالشعيبة بطريق الفرات السيّد نور وأتباعه، وتلاه مبدر ومزهر وعبد الكاظم وجماعتهم من آل فتلة، والسيّد علوان وآل إبراهيم، والسيّد محسن أبو طبيخ ومن معه من آل زياد، وقد صحب هؤلاء السيّد محمّد عليّ الشهرستاني من النجف، والشيخ عبد الرضا الشيخ مهدي من أهل العلم.

الأكراد:

ما زال مجاهدوا الأكراد وعشائرهم يتواردون من شمال العراق إلى بغداد فرساناً، ففي ١٠ صفر سنة ١٣٣٣هـ، وقبله وبعده، وقد استقبلهم الجند العثماني والموسيقى وخلق كثير.

دجلة والأمطار:

في ٣ ربيع الأول سنة ١٣٣٣هـ، أصبح نهر دجلة زائداً فجأة على عادته ١٥ سافاً بل

---

(١) آل ياسر والبو طبيخ من الأسر العلويّة التي توطّنت العراق منذ أجيال وسكنت المشخاب، ولقد كان لكلّ من السيّد نور السيّد عزيز الياسري، والسيّد علوان السيّد عباس الياسري دور بارز في ثورة العشرين الخالدة، وكان الشبيبي على صلة متينة بهما تلك الفترة، وكانا من جملة الحاضرين في المؤتمر التأريخي، راجع الهامش السابق وراجع أيضاً الهامش الوارد في بداية المذكرات، فقد أرسل الشبيبي تقريره الوجيز عن (أحوال العراق بعد الثورة) إلى السيّد علوان السيّد عباس الياسري أساساً فيه - في السيّد علوان - قال الشبيبي: (... وللسيّد الفقيد مميزات ومن جملتها ذكاء فطري نادر وخبرة واسعة بشؤون القبائل لا يُجارى فيها تقريباً، ومساعيه لا تُنكر في جمع كلمة رؤساء القبائل في بدء الثورة. ومن مميزاته جرأة نادرة كان يواجه بها بعض الحكّام السيّاسيين في دور الإحتلال، وله مواقف معروفة في هذا القبيل) انظر (زعماء الثورة العراقية، السيّد علوان الياسري) جريدة الزمان العدد ٤١٠٤ جريدة الزمان الصادر في ١٥-٤-١٩٥١).

كانت - بعد وفاة السيّد علوان ولا تزال إلى حدٍّ ما، لمثل هذه الأُسر مكانة كبيرة في قلوب أبناء العشائر، فقد شاهدت تقبيل أحد أبناء العشائر ليد رجل معتذراً، وقد جمعتهما الصدفة وأخذاً في نقاش، بعد أن عرف أنه من الياسريّين.

أما البو طبيخ فقد عرفو بهذا الاسم لكرمهم وجودهم ومضايفهم المفتوحة كما قال لي صديق منهم.

انظر(البطولة في ثورة العشرين) للسيّد عبد الشهيد الياسري. وعن آل فتلة (الحقائق الناصعة في الثورة العراقية) لفريق المزهر الفرعون، وفي هذا الكتاب الثاني مبالغات لا تفوت القارئ اللّبيب ووثائق لم تستند إلى براهين، إلاّ أنه كتاب لا يخلو من فائدة كبيرة مع ذلك.

أكثر، فاضطرب النّاس وكانت الأمطار متتابعة في هذه الأيام.

الكوت:

في ربيع الأول، لا سيّما في الثلث الأخير منه، كانت الكوت أشبه بثكنة عسكرية لكثرة ما يطرقها وما يقيم فيها من الجنود التي تنقل إلى جهتي القرنة والغرّاف.

الحبوبي في المجرة والغراف:

في ٢٨صفر ١٣٣٣هـ، ورد الناصرية السيّد محمّد سعيد حبوبي ومعه لفيف من مجاهدي السّماوة والشنافية والنجف ونحوهم، قيل: إن عددهم ٣٠٠ وقيل بل أكثر، فوفدت عليه في الناصرية مشايخ قبائل الغرّاف والمجرة والشامية، وبثّ رسله وكتبه في تلك الأطراف للدعوة إلى الدفاع.

وفي أوائل صفر هاج الغرّاف وماج عن بكرة أبيه إجابة لدعوة الحبوبي، ونشرت الرايات في الحواضر والبوادي بعد أن كانت هذه الديار إلباً على العثمانيّين تتوقع في كلّ عام تقلّص ظلّهم، حتّى أن إعلان النفير العام لم يشملهم في شيء.

فبينا كانت أعالي العراق قائمة قاعدة لهذا الحادث وكانت جماهير نفوسهم وقناطير فلوسهم تؤخذ أخذاً بأسم الجندية والتكاليف الحربية، كان الغراف ناعم البال جميل الحال لا يُسمع فيه لهذه الحوادث نسيس اللّهم إلاّ تيقظ أهله وتأهبهم للطوارئ، فما أشبهه يومئذ بإمارة صغيرة أعلنت الحياد في قلب ممالك كبيرة تعالت بالحروب، وربما تجاوزت هذه الامارة على حقوق من أنست الضعف فيه.

ففي محرم سنة ١٣٣٣هـ، أخرج مستخدمو الحكومة العثمانية من الشطرة وطرد الجند العثماني بعد تجريده من سلاحه وكراعه، وقبض العبودة على الدواوين، واحتلوا دور العمال، وقتلوا في الشطرة بعض من تظاهر لحكومة آل عثمان، ثم إن الحكومة العثمانية صفحت وأحسنت التجاوز عن كلّ ما فعل القوم بعد أن شفع بهم علماء الشيعة المرابطون في دار الحرب.

وفي أوليات صفر طير البرق نبأ العفو عن (خيون)[1] وجماعته من العبودة على عهد جاويد باشا وهو يومئذ في القرنة. وفي ١١ صفر سنة ١٣٣٣هـ، غادرت الغرّاف خفاجة إلى الناصرية إجابة لدعوة الحبوبي، وكذلك فعل آل أبي سعد، وغادرته على إثرهم عشائر العبودة، وبني زيد، وآل مالك، والشويلات وسواهم من عرب تلك الأطراف، وقد أقام الحبوبي أكثر من شهرين يتردد بين الناصرية وسوق الشيوخ والمجرة يدعو القبائل ويصلح ما فسد منهم حتّى استجاب له خلق كثيف، وأطلقت الحكومة العثمانية على يده أموالاً طائلة ينفقها في تجهيز العرب المجاهدين.

وفي ٤ ربيع الثاني سنة ١٣٣٣هـ، غادر سوق الشيوخ إلى دار الحرب مع من استجاب له من الخلائق وهم عشرات الألوف، ومخرت بهم مئات من السّفن الشراعية متتابعة كعرف الفرس، شاقّة بحيازيمها بحيرة الحمّار يوم كانت هذه البحيرة عثمانية، وألقت مراسيها في (الغبيشية) وفيها يومئذ المعسكر العام.

---

(١) وفي مذكراته أيضاً يقول الشبيبي:
الغراف والعثمانيون:
(كان خيون بن عبيد زعيم العبودة شغب على الحكومة العثمانية عدّة مرّات وطالما جردت عليه البعوث فأخذهم لإتفاق عموم الغرافيين وخصوصاً العبودة معه، ثم أن الحكومة أرادت الإستيلاء بتفريق كلمة العشائر وإطماع جماعة من الرؤساء فتم ذلك لها.
وفي ٢٨ربيع سنة ١٣٣٢هـ وصل متصرف الناصرية إلى الشطرة ونزل مع الجند على (آل عواد) في البدعة وهم «مناوئو خيون، وصبّ نار مدافعه على عبودة العرب من أتباع خيون، وطابقت الحكومة العثمانية أكثر عشائر الغراف من الشويلات والطوقية وقراغول وتوابعهم. وكذلك تظاهر مع الحكومة آل عواد وبنو زيد وآل أبي سعد وآل جهل وآل إبراهيم وبدر الرميض، ومن آل السّعدون أولاد صالح باشا فساروا على خيون صباحاً وهو في (الحاوى) على نحو ساعة في جنوبي الشطرة، ونشبت الحرب إلى ثلثي اللّيل، فانهزم خيون وأصحابه بعد الثبات العجيب، فرّ هو إلى (خفاجة) وبعض أصحابه إلى (بني ركاب) واحترق الحاوى ملجأ خيون، ونهب ما فيه من المال والمتاع، وقاتل خيون وأصحابه على ظهور الخيل.
أما في زمن الإحتلال البريطاني فكان خيون ممالئاً للإنكليز وأبان الثورة (لم يصغ لنداء الجهاد الّذي أعلنه العلماء ضدّنا واحتفظ بولائه لنا حتّى الأخر) كما يقول(هالدن).
وفيه قال الشاعر:
يا خيون شنو المانعك لليوم
تندله فرض مثل الصلاة والصوم
اظن ابليس غشك بالطمع والنوم
انظر: (الثورة العراقية الكبرى) لعبد الله الفياض.

مجاهدو الأكراد في النجف:

في يوم ٥ ربيع الثاني سنة ١٣٣٣هـ، وردت النجف برقية تشعر بتوجّه ستمائة فارس من مجاهدي عشائر كركوك والسّليمانية وموصل الأكراد إليها، وفي يوم الأربعاء ٧ ربيع الثاني وصل هؤلاء الفرسان جميعهم إليها، وفي يوم السّبت ١٠ ربيع الثاني غادروا النجف إلى الشعيبة بطريق الطف، أي من النجف إلى الشنافية والسّماوة والناصرية فبر الزبير.

عدد الجيش في الجناح الأيمن:

حزر الرجالة الّذين أجابوا السيّد الحبوبي وتحرّكوا حوالي جهة البصرة بثلاثين ألفاً وقيل خمسين ألفاً وقيل أكثر غير أن الأول أصح. أما الفرسان فنحو عشرة آلاف فارساً عدا من التحق بهم من عشائر أعالي الفرات وهم ألوف، وعدا الجند السّلطاني وقد ناهز عدده الخمسة عشر ألف في الأول والأخير، وقد كانت منازل هذه الجيوش على الفرات بين الناصرية وسوق الشيوخ والحبوبي ويتردد بين الموضعين.

المعسكر العام بعد سقوط القرنة:

أصبح المعسكر العام للجند العثماني بعد سقوط القرنة في أيام جاويد باشا في العمارة، وإليها كانت وجهة الجند والمجاهدين ومن ثم يساقون إلى دار الحرب، كان ذلك في محرّم وبعض صفر من سنة ١٣٣٣هـ.

العدول عن مهاجمة القرنة:

لما رأى القائد عسكري بك قلّة الفائدة من مهاجمة القرنة ولو فرض الاستيلاء عليها لأن وراءها إلى البصرة شط العرب الكبير فلا يمكن النفوذ إلى البصرة من هذا الطريق، ثم رأى الانكليز من الجهة الأخرى ملكوا بر الزبير، صمم على مهاجمة البصرة نفسها من طريق الشامية أو بر الزبير أو بادية العراق الغربية أو ما كان العرب يسمّونه طف العراق، وكانت جمرة العساكر العثمانية بين القرنة والعمارة غير ما كان يرد من الجنود الجديدة والمجاهدون من غربي العراق، فأوعز القائد بأن تكون جهتهم الغراف ومن ثم إلى الناصرية، فكانت البواخر الواردة من بغداد أو العائدة من القرنة والعمارة بالجنود والمجاهدين تلج الغراف، وذلك بين شهري ربيع الأول وربيع الثاني من سنة ١٣٣٣هـ.

دحر الإنكليز:

كان الانكليز قد تقدّموا في الشامية حتّى وصلوا إلى »علوى« وفي علوي قتل عبد اللّه الغالب ابن عمّ عجمي السّعدون في واقعة له مع الانكليز، وكانت لهم ثم متاريس ومقدمة جيش، فلمّا وصل المجاهدون إلى »علوى« في ربيع الأول سنة ١٣٣٣هـ، وأقعوهم مرّات فتقهقروا إلى »النخيلة« متخذين لهم منها متاريساً وملاجئ، ودلف إليهم المجاهدون فتأخروا إلى »كويبك« واحتفروا لهم الخنادق فيها، وحمل المجاهدون عليهم غير مرّة ألجأوهم إلى الإقامة في حصون الشعيبة.

معسكر النخيلة:

في أواخر ربيع الثاني سنة ١٣٣٣هـ، تواقع العرب والانكليز مرّتين بين النخيلة والشعيبة واندحر في كلتيهما الانكليز، وفي يوم ٢٨ من هذا الشهر أو قبله بيوم قابلت بواخر الانكليز وجنائبهم معسكر المجاهدين في النخيلة من الحمار فأطلقت مدفعيتهم عليه مقدار ٢٥٤ قذيفة كانت تقع بين مضارب العرب فلا تؤثر أبداً، وقد كرّر الانكليز فعلهم هذا مرّات فلمّا لم يتح لهم شيئاً أضربوا عنه، وقد مضت إلى ذلك الحين شهور على المجاهدين وهم في النخيلة.

جند النخيلة قبل وصول عسكري بك:

كان مع المجاهدين في النخيلة وعددهم ٣٠٠٠٠ قبيل وصول عسكري بك ٦ مدافع و٣٠٠٠ جندي قائدهم القائمقام أحمد أوراق.

دفاع النجفيين:

مما فعله النجفيون أصحاب عطية أبي قلل في خطّة الحرب دفاعهم الانكليز عن المؤن التي كانوا يحرسونها في »علوى« وقد هجموا عليهم فصُدّوا، وأيضاً اتفق لهم قطع أسلاك البرق في الشعيبة.

قوة عسكرية:

في أواخر كانون الثاني[1] فصلت من الناصرية خمسة طوابير مع ١٢ مدفعاً صحرائياً لكنّهم تأخروا في الخميسية نحو ٥٠ يوماً، أما المجاهدون فقد أقاموا نحو

(١) أواخر كانون الثاني = الأيام العشر الأولى من ربيع الأول.

شهرين في النخيلة بلا جند فملّوا وتبرموا.

رجوع:

في أواخر شباط[1] عاد جماعة من فرسان الأكراد من خطّة الحرب معتذرين بصعوبة تحصيل قضيم خيلهم وعلوفتها، وكذلك رجع الشويلات وهم من عشائر الغراف الضخمة عددهم ٢٠٠٠ فارس منتحلين ذلك العذر، وتراجع بعد ذلك خلق مثنى ووحدانا، وأكبر ما حمل الناس على الرجوع طول التجمير في (النخيلة).

بحيرة السناف:

جاست سفن الانكليز خلال هذه البحيرة منذ ١٩ شباط ولم تكن جاستها قبل ذلك وإنما كانت تطوف في بحيرة الحمار.

غزوات اللّيل:

منذ أوائل جمادى الأولى سنة ١٣٣٣هـ، ابتدأ العرب بغزوات اللّيل برّاً وبحراً، وصلوا في بعضها إلى البصرة نفسها واغتنموا عشرات من السّفن والحرّاقات المشحونة بالمؤن المختلفة، وخرّبوا غير مرّة أدوات التلفون وأسلاك البرق بين البصرة والشعيبة.

آية سماوية:

في السّاعة ١ من ليلة الثلاثاء ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٣٣هـ، هبّت ريح عاصف تلوّنت سوداء طوراً وصفراء تارة وحمراء أخرى، ودامت إلى السّاعة الثالثة وقد أرهقت الناس وهدّمت بعض الدور وعقرت نخلاً كثيراً، قيل إن عدد ما عُقر في أعراض بغداد وحدها من النخل نحو ١٠٠٠٠ رأساً.

لغو ضريبة:

في أواخر جمادى الأولى سنة ١٣٣٣هـ، وردت برقية من نواب العراق في الاستانة تفيد أن مجلس النواب قرر لغو (رسم الدفنية) الّذي يُستوفي ممن يُدفن خارج قصبات النجف وكربلاء والكاظمية من العثمانيّين.

---

(١) أواخر شباط = أوائل ربيع الثاني.

غلام رضا خان أمير بشتكوه[1]:

في يوم ٢٣ صفر سنة ١٣٣٣هـ، غادر بدرة الوفد المندوب من قبل الحكومة العثمانية للمفاوضة مع غلام رضا خان الكردي أمير بشتكوه في شأن اشتراكه بالدفاع وخروجه إلى الأهواز، وهذا الوفد مؤلف من مراد بك ابن سليمان باشا من نواب بغداد، ومن داود بك ابن محمّد باشا الداغستاني الشهير، ومن السيّد محمّد عليّ الطباطبائي، والسيّد هادي العاملي، والسيّد صالح النقيب، وموسى أفندي وهما من ذوي الاقدار في بدرة وخلق غير هؤلاء، أمضوا سحابة يومهم مغذّين حتّى صاروا إلى (باكسايا) مصيف الأمير الكردي، وهناك اجتمعوا به وتداولوا في مهمتهم.

وممن كان أيضاً في الوفد محمّد أمين الشريف قيّم مقام بدرة، وأجابهم الكردي على شروط منها إرسال كمية من الأسلحة إليه، وأنه ينفق من جيبه على جيشه إلى شهر ثم تكون النفقة على العثمانيّين، ومنها قبول كون أصغر أولاده وهو (أمان اللّه خان) عثمانياً فيدعى (أمان اللّه باشا) وأن تخرج إلى الدفاع جميع قبائل بني لام الموازية له المحاددة لبلاده.

---

(١) وفي مذكراته في محلٍّ آخر عن غلام رضا خان بن حسين قلي خان يقول الشبيبي:
ولي الإمارة سنة ١٣٢٣هـ، وهو كهل طويل يميل إلى النحافة، أسمر اللّون قوي البنية، يستعمل العوينات ويفضّل لباس الفرس على لباس الأكراد، واللّباسان متشابهان إلاّ في القلانس، فقلنسوة الكردي أما طويلة إسطوانية وأما عريضة كبيرة، وتطوى عليها مناديل سود مخططة من الأبريسم غالباً..
وهذا الأمير الكردي مفتون بالصيد وكلابه وركوب الخيل، وقد ارتبط كثيراً من الجياد العربية وهو يعرف مزاياها ويضبط أنسابها، وترد إليه تباعاً أجلاب كثيرة من الجهات، وقد يمرّ عليه الاسبوع أو الاسبوعان وهو يقتني الخيل بعدد أيامهما، وربما انتسب هذا الأمير إلى ربيعة، ونظن ذلك مباسطة للعرب وملاحظة لهم، ويقول (نحن أخوة كَشه) وهو اكتناء بعض عشائر ربيعة، وهو يتكلم العربية.
ومن عاداته أنه يستيقظ من النوم بعد الظهر فيتناول الغذاء ثم يركب في سرية من رجاله ناحية (العملة) حيث يشرب الشاي ونحوه ثم يعود عند الغروب ويسهر مع حظاياه أكثر اللّيل. ويغتنم أرباب المظالم والشكايات ركوبه بعد الظهر فيسايرونه راكبين ويقدمون له مطالبهم، ولا يمكن أن يدخل عليه أو يشافهه أحد في غير ذلك الوقت إلاّ بعض الوجوه في بعض الأحيان وهو بخيل غاية في البخل.
بلغني أن من يقيم في دار ضيافتهم أكثر من يومين يطرد كائناً من كان، وأنهم في عملتهم يبيعون الطعام على المترددين وهذا لاشك فيه. وإذا كانت المهاجرة من بلاد دليلاً على تفشّي الظلم فيها وهضم حقوق أهلها فبلاد الأكراد هذه من أوفر بلاد اللّه حظاً في ذلك، ففي سنة يهاجر منها ألوف إلى العراق وحده وحمّالوا بغداد وهم ألوف أكثرهم أكراد.

ثم عاد الوفد إلى بدرة بعد إمضائه ليلتين لا غير في باكسايا، وعاد مراد إلى بغداد للقيام بالشروط، واستنفر الكردي قومه على إثر ذلك وحشّد كثيراً من خيله ورجله قيل بلغ عددهم ١٠٠٠٠ أو أكثر.

وفي مثل يوم ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٣٣هـ، فارق باكسايا إلى جهة الأهواز، وشنّ الغارة على بعض قبائل الأكراد الخارجة عن طاعته، ثم عسكر قريباً من نهر الكرخة وهو الحدّ الفاصل بين العراق والأهواز، وأقام ينتظر عودة مراد بك من بغداد ليقود بني لام المبثوثين في أعمال بدرة، وكان مقام مراد في بغداد إلى أوائل ربيع الثاني فحضر إذ ذاك وحضر بعض الجند والمجاهدين وتردّدت الرسل بينه وبين الكردي، والكردي يتعجّله ويتضجّر من الإقامة ـ إذ الدفاع لا يهمه بل يهمه الوفاء بالشروط ـ.

وفي أثناء ذلك أحيل تدبير هذه التجريدة إلى حسين رؤوف بك فحضر إلى مندلي وهو مزود بالنقود وسواها، ولم يكترث بجميع ما سبق، وطالبه مراد بك فلم يحفل به بل عمد فاسترجع من حضر إلى بدرة من الجند والمجاهدين وأثخن بهم وبغيرهم في حدود ايران، وعاد مراد إلى بغداد منكسراً وتفرّق الناس على هذه الصورة.

في شرقي العراق:

في يوم ٢ربيع الثاني سنة ١٣٣٣هـ، وصل إلى بدرة مراد بك ليقوم بتجهيز عشائرها على أن تلتحق به عشائر مندلي وخراسان، وفي ٧ ربيع متفرقعة كثيرة وقد تجاوزا حدود قصر شيرين إلى (كرنت) وهي على ثلاث مضارب المجاهدين شرقيها إلى أن يكمل عددهم وعدّتهم فيتوجهون إلى الحويزة.

وفي هذه الأيام حضر إلى تلك الجهة فريق من الجند والمجاهدين، أتراك وسوريين، ومعهم ذخائر كثيرة لاسيّما المواد المتفرقعة، وكذلك الطيار اسماعيل حقّي بك الّذي قتل بعد ذلك في حدود خانقين ومعه طياره، وقد تقرر قائداً لهذه الجمعية حسين رؤوف بك، الّذي فعل الأفاعيل في حدود العجم.

حسين رؤوف بك:

في جمادى الأول سنة ١٣٣٣هـ، نفذ حسين رؤوف بك قائد حميدية المعروف إلى حدود ايران ووغل فيها ومعه كتيبة من الجنود وطابور ضباط الاحتياط وبعض

المجاهدين واسماعيل حقّى بك الطيار، ومعه ذخائر ومواد متفرقعة كثيرة وقد تجاوزا حدود قصر شيرين إلى (كرنت) وهي على ثلاث مراحل من الحدود العثمانية، وربما وصلت بعض طلائعهم إلى (قرمين) وقد واقعوا الأكراد الايرانيّين فقتل جماعة منهم اسماعيل حقّى الطيار دون أن يكون داع غير سوء التفاهم، وقد أساء معاملة الايرانيين وأوغر صدورهم عليه لما يريهم من القسوة وسوء السّيرة، وقد خرّب كثيراً من الضياع والقرى بلا سبب معقول، فثار عليه القوم ونشبت بينهم حرب انجلت عن تلف مئات من جنده، وقد قتل وجرح نحو ١٥ شاباً من شبان ضباط الاحتياط البغاددة الّذين معه، وذلك في واقعة اخريات شعبان سنة ١٣٣٣هـ، حُمل بعضهم إلى بغداد وكنا فيها إذ ذاك.

ثم جرت له أشياء تقشعر لها الأبدان من سفك الدماء وقتل الأبرياء ونهب الأموال دلّت على شدّة تهوّره وتسكره حتّى ذاع ذلك في العراق. ففي ٢٤ رمضان قتل جماعة من المترددين وعابري السّبيل بعضهم من طلاب العلم، أمسكهم بحجّة التجسس، وأخذ ما معهم من النقود قتل بعضهم بيده، وقد تخلّص إلى النجف بعض من نجوا من شركة وهو الشيخ محمّد باقر ابن الفاضل المازندراني بعد تجريده من دراهمه، وقد شهد مقتل جماعة ومن لم يشهدهم أكثر وأكبر ما شاع من مساويه قتل الشيخ جعفر ابن الشيخ محمّد تقي من شباب النجف النجباء ومن آل المرزا حصل، بينما كان عائداً من ايران إلى العراق بضمان ضيعة لهم هناك وهو نحو ٧٠٠ دينار (ليرة) أخذها منه، وقد سبقت لجدّ القتيل ـ الميرزا حسين ـ أياد جليلة على العثمانيّين ظن أنه يدل بها عند رؤوف وأمثاله، فصادفت هذا الجهل والتهور الفاضحين فلا حول ولا قوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم.

أمطار شرقي العراق:

كثرت الأمطار هذه السنة في العراق لا سيّما في حدوده الشرقية، فقد لا يمرّ اسبوع بلا مطر مرّة أو مرّات مما لم يعهد له نظير، حتى اختلطت مياه الجبال جبال حلوان وسهولها بمياه دجلة المتبطحة، والتقت في سهول العراق وفتقت أسداد كثيرة فانقطع الطريق بين بدرة وجصان، وبين الكوت وبينها، وبين البغيلة، وامتلأت (الشويكة) وهي المنخفض المعروف بين الكوت وجصان، أما ربيع تلك السنة فقد وجدناه فوق ما يراد

فالأرض معتمة بالخضرة، موشاة من الورد بأشكال وألوان، ورخصت الألبان والأسمان رخصاً فاحشاً وجنيت الكمأة.

في مدرسة ضباط الإحتياط:

في مثل يوم ١٣ شوال سنة ١٣٣٢هـ، جُلب جماعة من طلبة العلوم في النجف أسوة بامثالهم بداعي النفير العام ومنهم يومئذ كاتب الحروف، ونفذنا في ذلك الحين إلى بغداد وأقمنا نتردد على الدواوين العسكرية مدّة تزيد على الشهر، في آخرها فحصتنا اللّجنة الطبيّة العسكرية في مستشفى (المجيدية) العسكري، وأخرجت جماعة منّا لا تساعد أمزجتهم على الانتظام في سلك الضباط.

وفي أوائل ذي القعدة سنة ١٣٣٢هـ، انشئت هذه المدرسة في بغداد، استعير لها (مكتب الحقوق) أمام ثكنة المشاة، وأكثر طلاب المدرسة من طلبة علم الحقوق، ثم يجيء طلبة العلوم الدينية، فبعض طلاب المدارس الاعدادية، ومدرسة دار المعلمين، وقليل من طلاب المدارس العالية، بلغ عدد الجميع زهاء ٢٠٠ طالب زادوا ونقصوا من حين إلى آخر.

وفي يوم السبت ١٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٢هـ ارتدينا الألبسة الخاصة بضباط الاحتياط كما أرادها وعيّنها الضباط وكانت ثمينة، وقد جعلنا أصنافاً ثلاثة حسب أقدارنا في الطول، وكنا في أكثر الأيام نخرج للتمرين العسكري صبحاً وعصراً وتُملى علينا الدروس فيما بين ذلك، وهي في التربية الذاتية والتربية العسكرية وفي الرماية والمدفعية والطبوغرافيا ونحو ذلك.

أقمنا على هذا في المكتب إلى ١٣ محرّم، وفيه تناولنا وثيقة بالاذن في الخروج منه لنحل في ظهراني العشائر العراقية داعين للدفاع، فكانت مدّة إقامتي في المكتب شهرين كاملين، وفي ٢١ محرّم سنة ١٣٣٣هـ خلعت تلك الأردية العسكرية وعدت إلى العمّة وشعار الأئمة!.

من غربي دجلة إلى شرقي الفرات:

وفي يوم الثلاثاء ١١ صفر أقلّتنا الباخرة (حميدية) وفيها من العلماء: الشيخ هادي الجعفري، ومن السّادة: السيّد هادي العاملي، والسيّد محمّد عليّ الطباطبائي وغيرهم، وفي هذه الباخرة أبحر القائد العام في العراق (سليمان عسكري بك)، صارفاً لجاويد باشا، ومعه طابور الاطفائية الشهير الوارد من الاستانة وهو تامُّ العدّة والعدد، وفيها من

الكراع والمتاع والذخيرة شيء كثير.

وفي يوم الأربعاء ١٢ صفر رست بنا الباخرة على (البغيلة) فحضر إلى مقابلة القائد فيها (عجيل بك) من رؤساء زبيد، وكلّم القائد بالتركية وحضر أيضاً جماعة من أعيان تلك الجهة، ثم خرج القائد وأركان حربه ومن في الباخرة من الطلاب، وقد احتشد فريق من العرب على دجلة فوبخهم القائد على التقاعد، وتكلّم آخرون.

وفي يوم ١٣ صفر وردنا «الكوت»، وفي يوم ١٥ منه فضلنا من الكوت السّاعة ٥ عربية إلى جصان فوردناها الساعة ٣ ليلاً، وبانت لنا سلسلة جبال (حلوان) ولاح لنا (اناران) طاعناً في السّماء، متلبداً فيها تلبد السّحاب، وأشرق لنا القمر من ورائه ناصع بياض القرص، لم يحجبه انعقاد هبوات الأبخرة الأرضية، مما يدلّ على صفاء الأقليم هناك[1].

---

(١) وعن بعض الأعلام الوارد ذكرهم هنا يقول الشبيبي:

أ- الشيخ هادي الجعفري: هو الشيخ هادي بن الشيخ عباس من آل كاشف الغطاء.

ب- السيد هادي العاملي كان يتعاطى الزراعة في بدرة، وهو من أسرة نجفية معروفة أصلهم من جبل عامل، ومنهم علماء وأدباء مثل السيد محسن العاملي.

جـ- السيد محمد عليّ من السادة آل الطباطبائي، ويُعرفون بآل بحر العلوم ولهم منزلة لدى قبائل الأكراد الجبليّين.

د- انظر قصيدة (حلوان بعد العراق) في ديوان الشبيبي ص ١٢: (وقد اتفقت أثر إعلان الحرب العالمية الأولى سنة ١٣٣٣ هـ - ١٩١٤م، وكان في بعثة عسكرية على حدود العراق الشرقية).

ومن القصيدة:

ولمّا أجزناها إلى الشّرق أشرقت ... لأعيننا بعد العراقين حلوان

تجافت عن السّهل السّويّ واصبحت ... تجشمها المسرى شعاب وكثبان

وهل مسعفي بالقرب طول تقلّبي ... و(بدرة) خلفي و(الجبال) و(جصان)

شواهق بالثلج الكثيف تكلّلت ... كما كلّلت هام الجبابر تيجان

أنظر كذلك قصيدته (طلائع الحرب العامة) ص١٥ وقد (نظمت في مدينة بادرويا بالعراق في ربيع الثاني سنة ١٣٣٣هـ وكان في بعثة من المجاهدين العراقيّين).

هـ- البغلية - النعمانية الآن.

و- قال الشبيبي يصف جصان:

دخلنا جصان ليلاً فلما أصبحنا طفنا في القرية فرحب بنا أهلها وهم عرب مسامح لا يُباع بين ظهرانيهم الطعام، لهم مضايف كثيرة مفتوحة للصادر والوارد، والبلدة حقيرة البناء من الطين، واقعة على مرتفع يقولون أنه قديم، وسقوف بنائها من جذوع النخيل، وهي اثمن ما فيها حتّى أنهم عند بيع الدور وشرائها يساومون على عدد الجذوع ويعدّونها عداداً.

وفي البلدة نحو ٥٠٠ دار لا تكاد توجد في الجميع (ميضاة) واحدة وهو من طبع أهل البادية.

يستعمل أهل هذه البلدة جذوع النخل مكان الأخشاب فمنها أبواب دورهم، وغرفهم داخل الدور ولا يوجد عندهم آجر ولا لبن وإنما يجلبون الطين على غير نظام ولا هندام ==

ويستعملونه مكان الآجر والحجارة، ومنظره كريه جداً، وعرب هذه الجهة وهم من بني لام أقرب إلى التقوى من عرب الشط، واشدّ تعلّقاً بالدين، وليس في جصان عامل مستخدم من قبل الحكومة وإنما يقيم فيها بعض رجال الدرك ورئيس من الأهلين عليهم تعينه الحكومة.

وأهل هذه البلدة يكرمون طلاب العلم الّذين يعرفونهم إكراماً عربياً، ويتفانون في حبّهم إلى درجة عجيبة.

وإلى عهد غير بعيد كانت لغة أهل جصان محرّفة كثيراً منكرة اللّهجة، تشبه لغة أهل الموصل، وقدماء البغادة وهم يسمّونها (اللّغة الحضارية) أي الفاسدة بالتوغل في الحضارة، ولا يزال أثر هذه اللّغة ظاهراً في كلام بعض أهل جصان، فهم يسمّون الخرقة (تاموله) والنافذة (شنبور) والرجل (راجر) وقد اعتدلت لهجتهم أخيراً لترددهم في الأسفار وتعرّضهم لنزول الفار.

ومزابل جصان مشهورة كثيرة لعلاقتهم بتربية الدوابّ، وترى هذه المزابل سادة منافس البلدة، فترى الغريب يضيق صدره إذا هبّت رياح الصيف الحارّة، ومن الأمثال المشهورة عندهم قولهم: (جصان في الصيف خراها بلحاها) لتغوطهم على وجه الأرض مع ذلك.

ويسمّى أهل جصان القبضة من الطعام ونحوه (جنك) بكسر الجيم الفارسية بعدها نون مكسورة.

أما تاريخ جصان القديم فمظلم، وروى لنا مشايخها وأعيان أهلها: أنه كانت جنوب جصان وعلى نحو ساعتين منها بلدة عامرة يقال لها (المرى) لا تزال آثارها باقية، ولم تكن يومئذ جصان وإنما كان موضعها مغموراً بهور عظيم، وهناك شبه التلال قائمة في الهور مكان جصان الآن، فأوى إليها رجل اسمه(جصاني) صاحب جاموس كثير فوقع بينه وبين سكان (المرى) شقاق حمل أهل الهور على قصد المرى، وقصده أهلها فاقتتلوا فهلك أهل المرى كلّهم على أيدي أهل الهور، وخرّبوا بلادهم التي لا تزال آثارها ظاهرة إلى الآن فانتقلت العمارة إلى المرتفع الثاني في الهور واتسعت البلدة وسمّيت (جصان) باسم المعيدي أول من نزل هناك.

وكانت جصان عامرة جداً، أعمر من بدرة بكثير حتّى أن أصل أشجارها من جصان، غير أنه لما كان زمام ماء باداريا بأيديهم صرفوه في مصالحهم وغمض شأن جصان من ذلك الحين فهي حقيرة إلى الآن. وقد سألنا عن تاريخ خراب المرى الأول وعمران جصان فلم يعينوا شيئاً، وأظهروا أن عدم وقوفهم على تاريخ ذلك دليل على قِدم الأمر.

وكان هور جصان القديم منبتاً للآجام والغابات يقتطعون منها الأخشاب العظيمة، وذكر لنا بعض أهل البلدة أن بعض هذه الأخشاب باق في سقوف الدور في جصان إلى الآن، وغربي جصان على نحو ساعة منها تل يقال له (تليل الذهب) عثر فيه على نقود ذهبية كثيرة.

ومن أسطع البراهين على عمران جصان وأعمالها في القديم أنها كانت عاصمة لواء برأسه في أواخر القرن الثاني عشر تقريباً، وكانت بدرة وغيرها إلى موضع بلد الكوت من أعمالها، ومن عمالها يومئذ المير لواء محمّد عليّ باشا، كان يُصدر الأوامر إلى زعماء هذه الجهات بتوقيعه، وتوجد بعض الصكوك المعطاة منه إلى بعض الأصلاء من بيوت بدرة فيما يتعلق بالمزارعات.

ومياه جصان تحملها القلال من الجبال بعد أن تمرّ على زرباطية وبدرة، وليست عذبة كمياه دجلة والفرات، ومن هذا الماء يُسقى نخيل جصان ومزارعها، ونخلهم ضعيف دون نخل الفرات، ويقلّ في الصيف ماء جصان وقد ينقطع أحياناً لأن ماءهم فضالة ماء بدرة، وقد خرّبت لهم بساتين كثيرة من أجل ذلك، وإذا انقطع ماؤهم حملوه من مجرى الوادي على بعد ساعة وربع من جصان.

وطائفة كبيرة من سكان جصتان اكرياء بينها وبين الكوت وبدرة، واكثر سكّانها مزارعون وأهل بساتين، ويكثر في سكان جصان مرض الصدر على ما لاحظناه.

ومما امتازت به جصان عمل الرحال الجيدة حتّى نُسبت إليها، فالرحل يُسمّى في غرب العراق(جصانية).

==

ز - وقال يصف بدرة:
(بليدة على ضفاف وادي بارادايا الشهير، أحد الطساسيج الفارسية القديمة، وهي ثلاثة: بادارايا، وبادسايا، والنهروان الأسفل، ووادي بادارايا عظيم جداً ينحدر فيه الماء بسرعة شديدة، ينحطّ إليه من جبال حلوان، وله خرير يُسمع من بعيد. ويمتلئ هذا الوادي عادة بعد هطول الأمطار، وأما ماؤه العادي فمن عيون في الجبال ويحمل في جريه الحصى والصخور التي تشاهد كثيراً في مجراه وفي الفروع التي تشعّب منه.
وإذا زاد ماؤه أحمرّ وخلّف طيناً أحمر اللّون أشدّ حمرةً من طمى الفرات ودجلة بكثير، والّذي يقبل على بدرة من جصان يشاهدها كأنها جالسة في سفوح جبال حلوان التي ترسل إليها مياهها الصافية فتشطرها وتسقى مزارعها وبساتينها الكثيرة.
وعدا ذلك فإن في ظاهرة بدرة أنهاراً كثيرة تنحطّ إليها من عيون الجبال ومن ماء هذه الأنهر تُسقى أكثر بساتين بدرة، أما ماء الوادي فيسقى المزارع الأخرى.
وتدير هذه الأنهار السّريعة الجري نحو ١٨ طاحونة مائية، وينفذ ماء بعضها إلى بعض دور البلدة وشوارعها بعد أن يخترق البساتين، وأكثر مياه هذه الأنهار ينحدر إلى ربوع جصان رأساً وبعضها ينصب في الوادي الكبير.
ويذهب ماء وادي بادارايا إلى حيث ينصب في الهور الواقع جنوب جصان المسمّى هور جصان، وعليه مزارع كثيرة، وخيرات بدرة وافرة وفواكهها كثيرة متنوعة وتمرها، وخصوصاً البدرايا، ورمانها مشهور، ويوجد فيها الأترج الحامض والحلو والليّمون، كذلك النارنج والتفاح والتين والسّفرجل والكمثري والبرتقال والعنب والمشمش والخوخ والإجاص، وأنواع غير ما ذكرناها.
وفي صدر هذا القرن كانت تجود زراعة القطن في بدرة، وتنسج منه فيها الأقمشة المتينة الرائجة، وقضاء بدرة من أعمال بغداد وجصان من أعمالها، بينهما ثلاث ساعات للراكب، وقد دخلناها عصر يوم الاثنين ١٧ صفر سنة ١٣٣٣هـ، قائمقامها عربي يومئذ سوري من أهل دمشق اسمه (محمّد أمين الشريف) مضت عليه ٥ سنين وهو مرتب في بدرة، وهو عفيف نصر الفلاح ورقّى الزراعة، وقاضيها تركي من أهل باطوم.
وأهم شوارعها بدرة شارع واحد مستطيل على ضفة الوادي تتشعب منه صحاصح ضيقة محدودة بالبساتين وهي محلّتان القلعة والقمقمية، ونجد تلك الشوارع الضيقة في بدرة مسرحة لمكان جري الماء، فيها وبلغ من شدّة جري ماء الوادي أنه يقتلع النخل والأشجار الكبيرة، ولا يقف في سبيله شيء وقد جرفت كثير من الدور والبساتين حتّى أن بعضهم أقام له مسناة من الصخر فجرفها سيله الغامر.
وفي جانب بدرة الغربي هضبة كبيرة يقال لها (العقر) وهي على ما يقولون خرائب بلدة قديمة، وقد عثر المنقبون فيها على آثار كثيرة منها قوس ونبله وراقود صغير وغير ذلك، ويقال أن الخرائب خرائب العقر، كانت على عهد الأكاسرة حاضرة بادرايا بمثابة بدرة الآن، وكان الوادي عندها ثم تحول مجراه، وأثار مجراه الأول باقية إلى الآن.
وبناء بدرة وإن كان الطين مادّته إلاّ أنه ألطف وأحسن بكثير من بناء جصان، وهي أكبر بكثير ومنظرها أجمل، بل ليس هنا موضع صيغة التفضيل إذ لا أثر للجمال في جصان، وأهل بدرة موسورون وقد يضيفون النزيل إلاّ أن أهل جصان أكرم منهم للضيف.
وبدرة في رطوبة هوائها وتربتها وضيق أعطانها وعفونتها أسوء حالاً من بلاد كربلاء العتيقة، ووجوه أهلها شاحبة مصفرّة، وجسومهم نحيفة ذابلة، وألوانهم كمدة حائلة، وتشيّع فيهم الأمراض الصدرية، وتكثر نوعاً بينهم الأورام والخراجات الخبيثة ومرض السّل ونحو ذلك، وقد قلّت أخيراً بين أهلها وهم يستعملون الشاي بكثرة مفرطة، وينسبون تحسّن صحتهم شيئاً ما إلى استعمال الشاي، ولذلك تجدهم مستهوين في شربه، وقد لا يشرب بعضهم من الماء قدر ما يشرب من الشاي.

فلما استوى قيد رمح على (اناران) وأرسل عليه أشعته الفضيّة أنارت كتل الثلج ونصعت وتراءت كرضراض البلور أو كشظايا المرائي الصقيلة، قد انعكس منها النّور على السّهول المترامية بين أيدي تلك الجبال، فكوّنت مشهداً بديعاً مونقاً طبع في نفسي أثراً لا تتناساه، لاسيّما مع السّكون الشامل الرهيب في المفازة التي كنا نقطعها إذ ذاك.

وفي يوم ١٧ صفر زايلنا (جصان) إلى (بدرة) وبينهما مسيرة ثلاث ساعات ونصف ساعة أكثرها ضياع ومزارع شتوية.

...

ومن عادات أهل بدرة الخبيثة إيداع أطفالهم إلى المربيات من الأكراد البعيدات الديار عنهم، فينشأ الولد بين غير أهله فلا يأنسون به طفلاً ولا يأنس بهم بعد ذلك، ولا تبتسم له أمه ابتسام الوالدة، وكذلك لا يحنى الأخ على أخيه ولا الأم على ابنتها غالباً، فهم متقطعون مضطربو نظام العائلة، ولهم في هذا السبيل نوادر، فربما تبنّى أهل المربية ذلك الولد ولم يعيدوه إلى أهله، وربما أخذت المربية على عهدتها تربية ولدين لوالدين مختلفين فيموت أحدهما فيعود الولد الآخر مجالاً للتنزاع!! فنراهم يتعذرون عن ذلك بعدم احتمال الأطفال هواءها وماءها خاصة في الصيف، وقد جربوا تربية الأطفال في بدرة فتعرّض معظمهم للموت فيضطرون إلى إرسالهم إلى الجبال الباردة ويتركونهم ثم إلى زمن الفطام.

ح- وقال يصف زرباطية:

على ساعتين من الشمال الشرقي لبدرة تقع زرباطية، وهي قرية صغيرة كثيرة النخل فيها نحو ٣٢٠٠٠ رأس، ٧٠٠٠ رأس منها، يمتلكها الأكراد اللّر، إلاّ أن نخلها أضعف من نخل بدرة. وزرباطية واقعة عند التخوم العراقية الفارسية، وليس وراء أعمالها في الشرق، وهي نحو ساعتين أرض عراقية وإنما هي بلاد الأكراد اللّر.

وزرباطية حديثة العهد نسبة إلى قرية(جزمان) الخربة الواقعة على نصف ساعة من شمال زرباطية. وليس في كلّ زرباطية أكثر من ٢٠٠ بيت وفيها حمّام حسن، أحسن من حمّام بدرة، وقد بناه أمير لورستان، وبناء البلدة من الطين كبدرة وجصان بلا فرق يذكر إلاّ أن هواءها وماءها أعذب، ويبعد عنها وادي باداريا نصف ساعة أو أكثر قليلاً، وأهلها أطيب أخلاقاً من أهل بدرة وأودع، وهم خليط وكثير منهم أكراد إلاّ أنهم ينطقون العربية، وتخترقها ساقية تحمل من ماء باداريا، وتحيط بها من جهة الشرق عشائر الأكراد، يسابلونها، ومن الغرب بعض أفخاذ بني لام كالطعان وغيرهم.

وأهلها كلّهم لا يعرفون أصل تسمية بلدتهم (زرباطية) وقد سألناهم عن ذلك ومعنى الكلمة (الجفنة الذهبية) وعلى مقربة تُصنع البواطي والأقداح والجفان من أخشاب الجبل وهي مشهورة بالجودة، وقد ترصع بالنحاس وغيره، فلعلّ تسمية البلدة مأخوذة من ذلك، وسكّانها نحو ٥٠٠ نسمة).

ط- انظر بحث الشبيبي (حول المنتفق) المنشور في مجلة لغة العرب السنة الأولى العدد ٦ ص ٢١٧ – ٢٢٦ الصادر في كانون الأول ١٩١١م.

وفي هذا البحث معلومات عن المنتفق وربوعها على الفرات وهي البطحة والناصرية وسوق الشيوخ، وربوعها على الغراف وهي الشطرة، قلعة سكر، الحي.

وفي ١٨ منه نودي من قبل عامل بدرة بالإجتماع في (القمقمية) فحضر فريق من النّاس والمستخدمين وفئة من الجند وتليت بعض الخطب، وقد لقينا في بدرة صاحبنا (محمد أمين الشريف) الدمشقي العلوي قيم مقام البلد، مضى على استعماله فيه أكثر من خمس سنين لحسن رأي العثمانيّين في خدمته، وسبق له تقلد رئاسة شرطة بغداد مدّة، والرجل ميال بكليته إلى التصوف، لا ينتحل أحد المذاهب الأربعة يحترم (ابن العربي) ويقدّسه، وقد شارف كتبه وآراءه فتراه يحسن التكلّم نوعاً ما على طريقة القوم.

وفي يوم ٢١ صفر قدم من بغداد إلى بدرة (مراد بك ابن سليمان باشا البغدادي) ومعه وجوه (مندلى) وقدم أيضاً عن طريق الجزيرة والنهروان (داود بك ابن محمّد فاضل باشا الدغستاني) معه جماعة من فرسان شمرّ وزعمائهم.

وفي يوم ٢٣ منه فارقت (باداريا) إلى (باكسايا) مع اثنين من العرب، راجلين وأنا فارس، وضايقنا اللّيل ونحن دون باكسايا بساعتين، فملنا إلى عرب يقال لهم (الخميس) بالتصغير ـ فخذ من بنى لام ـ أمضينا عندهم سواد تلك اللّيلة.

وفي ضحى يوم الاثنين ٢٤ صفر سنة ١٣٣٣هـ، وردنا باكسايا وخضنا ماء ذلك الوادي الجميل المنحدر من الجبال إلى الوهاد المتكسرة على الصخور والجنادل الشداد، وبين واديي بادرايا وباكسايا في طريق بدرة ـ باكسايا ١٠ ساعات أو أكثر قليلاً، وفي هذا المكان آصطاف هذه السنة (أمير بشتكوه) غلام رضا خان بن حسين قلي خان الشهير، ونقل إليه (العملة)، وهي رحل هذا الأمير الكردي وبيوته، وقد شاهدناه وضمنّا وإياه مجلس، وخلا به أيضاً الوفد المندوب من بغداد لمفاوضته في الإشتراك بحرب العراق.

وفي صباح ٢٥ صفر قفلنا إلى بدرة مغدين فوردناها عشاءً، وأمضيت فيها بقية صفر وأكثر ربيع الأول.

وفي ١٧ من هذا الشهر قصدت (زرباطية) صحبة السيّد محمّد عليّ الطباطبائي، والسيّد هادي العاملي، وهي على ساعتين من الشمال الشرقي لبدرة، أقمنا فيها ليلتين وعدنا إلى بدرة، واستهلكت فيها بقايا ربيع الأول وأكثر ربيع الثاني.

وفي يوم ١٩ ربيع الثاني سنة ١٣٣٣هـ، وردت الكوت الباخرة (حميدية) تقلّ القائد المجروح (عسكري بك) ومعه (نورى بك) وجماعة من أجناد الأتراك، وفي ذلك اليوم أقلعت بهم إلى الناصرية بطريق الغراف.

وفي يوم ٢٢ من ربيع الثاني سنة ١٣٣٣هـ، وتناولت وأنا في بدرة، رقعة من الكوت دعيت فيها إلى الإلتحاق بجبهة القيادة العامة في العراق، وذلك على أثر مرور(عسكري بك) بالكوت عائداً في الدفعة الثانية إلى دار الحرب في الشعبية بعد أن غادر القرنة جريحاً في المرّة الأولى، وذلك في منتصف صفر سنة ١٣٣٣هـ، وقد أقام في بغداد يتداوى في مستشفى الهلال الأحمر نحو شهرين ولم يبرأ.

وفي ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٣٣٣هـ، فارقت بدرة بعد الظهر، فبت (مزبيلة) عند عرب الخميس وشيخهم ياسين الفليح، والخميس المتقدمون فخذ من هؤلاء، ومزبيلة ضيعة يلتزمها هذا الشيخ يسقيها وادي باداريا وهي على شبه ثلاث ساعات من الجنوب الشرقي لبدرة.

وفي صباح ٢٧ منه سرت من مزبيلة إلى (الشهابي) مصحوباً بخفير من الخميس، لأن الطريق بينهما مفازة مخوفة وقد فارت لنا دابة فيها فاجهدنا إمساكها، وفيما نحن سائرون شك صاحبي في ثلاثة أشخاص تراءوا لنا فلما قاربناهم ناداهم فلم يلتفتوا وأعاد النداء فلم يجيبوا، وتأكد الشك فيهم فأطلق عليهم النار ولم يرعووا، فهجمنا معاً عليهم وصوب صاحبي نحوهم سلاحه تصويب جيد فأقبلوا يعتذرون لكن بعد أن تنكرنا لهم، وما كان إعراضهم أولاً إلاّ لأمر دبروه وقد اعترفوا بذلك أو كادوا يعترفون.

ثم أعملنا دوابنا، فوردنا الشهابي عصر ذلك اليوم وهو ضيعة فلاّحوها ملفقون من العرب والأكراد، وفي هذه التخوم عرب استكردوا وكرد استعربوا كثير، ملتزم هذه الضيعة السيّد (عليّ الحكيم) النجفي من سدنة المشهد الغروي، في محلّه بتنا، وباينا صباح ٢٨ إلى (الغريبة) وهي مزدرع عظيم لبني لام المعقودة رئاستهم للشيخ (جِتَب)، جل ريه من وادي باكسايا، ومن ثم تنحط فضول مياه هذا الوادي إلى دجلة في الشتاء خاصة فهم يردون من مياه العراق ومياه الجبال.

وسرنا من الغريبة فبتنا في شمالها عند فريق من سادة (الهماش) وفارقتهم إلى الكوت صباح ٢٩ من صفر مع خفير إستأجرته من سادة(المقاصيص) والمسافة بين الكوت والغريبة نحو ٩ ساعات في طريق ما سلكنا أوعث ولا أصعب منها قط، واشقّ ما لقينا منها عبور الجداول والأنهار والمخاضات المفعمة وكانت أيام الفيوض والمدود، وقد وردنا الكوت مساء ذلك اليوم وأقمنا فيه إلى ٥ جمادى الأولى.

وفيه أقلعت بنا الباخرة(موصل) ماخرة في الغراف، وكانت تحمل ثلة من الجند وضباطاً عثمانيّين وألمانيّين، وقد جزنا على حيّ واسط وعلى قلعة سكر والكرادى عبر معرجين.

وفي عصر ٧جمادى الأولى رست الباخرة في (البدعة) والبواخر لا تتجاوزها لأن الغراف ينشطر عندها شطرين لا يتسعان للبواخر الكبيرة، وقد اضطررنا ثم إلى المبيت في الباخرة لمكان المطر الغزير، وانحدرنا من الغد في خشبة إلى الشطرة وهي على شبه ساعة من البدعة.

وفي عصر ٩ منه فصلنا من الشطرة إلى الناصرية تقلّنا حرّاقة شراعية مشحونة مؤونة للجنود وانتهت بنا إلى (السّويق) والحرّاقات لا تتجاوزه لأن شقّ الغراف الصغير ـ وهو شق الشطرة هذا ـ يضيق عند السّويق، تصغير سوق وهو قرية معروفة في ديار خفاجة على ساعات من جنوب الشطرة من أعمال هذه، يقيم فيها مدير وإليها تشحن يومئذ الجند والمجاهدين في الجناح الأيمن.

وفي صباح ١٠ جمادى الأولى سرنا إلى الناصررية براً في ربوع خالية موحشة ممحلة لا تُرى فيها إلاّ آثار الأنهار والضياع والقرى الداثرة، وهي أسفل بلاد الغراف خرّبت فلا يركبها ماؤه كما كان لإنحطاط شأنه، قصرنا بعد الزوال في ظاهر الناصرية وتراءت مضارب المعسكر العام مالئةً رقعة واسعة للغاية، فملنا إليها ونزلنا على صاحبنا نورى بك بناء على دعوته، وقد أقمت أسبوعاً في الناصرية متردداً بين البلدة والمعسكر.

وفي صباح ١٦ جمادى الأولى سنة ١٣٣٣هـ، ركبنا في حرّاقة حربية ـ موطور ـ معدّة للقائد العام سليمان عسكري وأركان حربه وأعوانه، فأقلعت بنا جميعاً وقطعنا

المسافة إلى سوق الشيوخ في شبه ساعتين وهي ٦ ساعات، والطريق بين الناصرية والسوق تنعش النفس وتشرح الصدر لإعتمامها بالخضرة ولبسوق النخل والأشجار على ضفتي الفرات طول تلك المسافة.

ثم جرت الحراقة بنا ساعة وراء سوق الشيوخ وكنا نشاهد الفرات يتجزأ ويتشعب فيضعف سلطانه علينا وعلى الحرّاقة شأن كلّ قويّ بدأت قواه بالتفرّق والإنتشار وهم يقولون لديار الفرات ثم (المجرة).

مخرت بنا الحراقة متجهة إلى الغرب في فرع من فروع المجرة تظهر منه إلى (الخميسية) أو إلى البرية العربية، وقد قطعنا من هذا الفرع مسافة قصيرة، ثم تضايق عن حراقتنا فعدلنا إلى خشبات شراعية وسرنا في أراضي (حكام) و(آل حسن) أراضي الأرز المشهورة، ورأينا تلك القلاع وتلك الأحياء القائمة في المياه التي ما زالت لقاحاً ممتنعة على الغزاة حتّى غزاها العلم الحديث فهزم الجهل القديم.

وما زلنا ننحدر ونتقدم من هذا الجدول إلى الأهوار والفيوض حتّى انتهينا إلى أوائل هور (السناف) المعروف، ونفذنا في طريق من البردي والعرمض والعظلم وغيرها من الأنبتة المائية، وما زال ماء الفرات يتغير في هذا الهور حتّى استحال لونه وطعمه.

ووصلنا في منتصف طريق الخميسية إلى قرية ـ أم ودعة ـ وهي قرية كبيرة جداً قائمة على هضبة بارزة في هور السّناف، وهذه القرية اشتهرت بل استقلّت بصناعة البواري الجيّدة، وعلى بواريها معوّل أهل العراق، وهي تُجلب وتجهّز بكثرة إلى الأطراف، وتجارتها رائجة، ويقال: أن أهل هذه القرية وهم لفيف من العشائر العربية موسورون نسبة إلى غيرهم، وحول القرية في الماء بعض الأبراج العالية لحراستها رأينا فيها الحرس، وقد شاهدنا في هذا الطريق عشرات من السّفن الراسية والذاهبة والجائية مشحونة بالمؤن والدخائر وخاصة بالسّمن والتمر والدقيق والأرز والشعير، وكان طريقها هور (الحمّار) حتى ملكه الانكليز فدمّروا وأحرقوا غير سفينة مشحونة، فعدل بالسّفن إلى طريق الخميسية ومنها تنتقل المؤن برّاً إلى معسكر الجند والمجاهدين، وفي ذلك من معانات النصب والمشقّة وتعاظم النفقات وبطأ التواصل شيء خطير.

ومررنا من غربي أم ودعة في طريق من البردى إلى أن صرنا أمام الخميسية وبيننا وبينها لجّة كبيرة متلاطمة بالأمواج، عظيمة الأثباج، وهي لا تكون كذلك إلاّ في أيام الفيضان، وقد وجدنا عندها جماعة من النوتية وجلين من المغامرة بحرّاقاتهم فيها، منتظرين سكون الريح فقلنا ما أعجب الموانئ البحرية في الديار البرية.

ترى بها السّفن كالظلمات حاضرة والضبّ والنّون والملاح والحادي

والخميسية - بليدة بدوية صغيرة واقعة على ضفة البطائح الغربية (هور السناف)، والهور يكون من أمامها عزير الماء وقت الفيضان متلاطم الأمواج، وكذلك رأيناه، وماؤه متغير لا يكاد يُشرب وأكثر أهلها نجديون، وفي لغة العراقيين نجادة، ومؤسسها نجدي، وهي حديثة العهد وفيها بعض البساتين إلاّ أنها قليلة ضعيفة النخل، وتجارتها واسعة نسبة لها وتسابلها بادية الشامية، والطريق ناهجة بينها وبين الكويت والزبير والبصرة وهي مدخل السلاح إلى بلاد العراق من جهة الكويت، وهي ناحية وفيها إدارة للبرق قد دخلناها دوين الغروب من يوم ١٦ جمادى الأولى سنة ١٣٣٣هـ.

وفي يوم ١٨ جمادى الأولى رحلنا من الخميسية صوب (الغبيشية) صباحاً فقلنا عند الظهر في أرض تدعى (الحماد) قرب ضفة هور الحمار الغربية وبتنا فيها، وارتحلنا منها صباحاً يوم ١٩ من الشهر المذكور الساعة ٢ عربية فوصلنا (لقيط) عند السّاعة الخامسة، وهي أرض جافة طيّبة عذبة الهواء ذات آكام قليلة، وماء الهور من أمامها عذب في الجملة.

وقد شاهدنا منها على بعض طراد الانكليز تجوس خلال الهور، وفي اللّيل كانت ترسل أشعتها الكهربائية القوية للإستكشاف، وقد بتنا في لقيط وراء نقض آكامه، ورحلنا منه صباحاً فوصلنا الغبيشية عند الظهر ونزلنا بعيداً عن ساحل الهور كثيراً وبتنا فيها تلك اللّيلة.

والغبيشية قرية خربة فيها صدر من الجند المحافظين، وفيها جامع باق إلى الآن وهي اليوم مخزن ذخيرة الجند والمجاهدين المجهزين إلى استرجاع البصرة، وقد أصلتها طرادات الانكليز نار حامية غير مرّة.

وفي صباح يوم ٢٠ من الشهر المذكور ٢٠ من الشهر المذكور إرتحلنا من الغبيشية وكان الجو متلبداً بالغيوم ممطراً قليلاً، وما توغلنا في السير حتّى صار الهواء على أشدّه فمالت القوافل عن الطريق المؤدي إلى (الرميلة) وصرنا نتخبط على غير هدى.

ووقفنا أخيراً إلى أن حضر بعض الأدلاّء فألزمنا الطريق ولم تزل الريح العاصفة تعلو وتشتدّ حتّى لم يعد أحدنا يشاهد صاحبه المساير له، وكان الخطب يعظم في الربوع الرملية فكنت ترى تياراً من الرمال مقبلاً عليك مثل البحر الهائج، فتشتت شمل الناس في البيداء، ومنعتنا الرمال عن السير ورشقتنا رشقاً موجعاً، وآيس من لم يحمل نظارة من سلامة نظره، وانكب كلّ على وجهه في مكانه لم يستطع حراكاً ولا يدري أين صار، وما سكن الهواء إلاّ عند الغروب فاهتدى كلّ إلى مطمأنه ورأى رفقته بحال سيئة، وفي الرميلة قلبان كثيرة ماؤها منها إلاّ أنّا وجدناها مطمورة، وماء الهور من مائها شديد الملوحة.

وفي يوم ٢١ رحلنا من الرميلة قاصدين (النخيلة) وكان الجوّ صافياً فما جزنا منتصف الطريق حتّى رأينا سرايا خيل العرب تستقبلنا وكانت كثيرة، ولما وصلنا النخيلة رأينا معسكر الجند والمجاهدين يشغل ساحة هائلة ولهم منظر مهيب، وهناك يومئذ من المجاهدين العرب عرب العراق والمجرة والفرات ونهر الحلّة وبعض شمّر والمنتفق من قطان الشامية، غير من هناك من الأكراد، وكان فرسان المنتفك على رأسهم عجمي السّعدون، وكان المجاهد الحبوبي على رأس القبائل ومعه من أهل العلم الشيخ فلاح، والسيّد عليّ الشرع، وأصلهم من المناطق الجنوبية في لواء المنتفك والعمارة.

ورأينا سفنهم راسية موازية لهم في الهور وقد أصلتهم مدافع الانكليز ناراً حامية فلم يحفلوا بها، ولكثرة الخلق المجتمع في النخيلة أنشأ فيها سوق وجلبت لها البضائع والأمتعة من البصرة ولكن العمل قائم على ساق.

يوم الشعيبة[1]:

أشهر أيام الحرب العراقية - إن لم يكن أعظمها عند العراقيين - يوم الشعيبة، ذلك اليوم الّذي استنفر إليه أهل البلاد، ومن حاضر وباد، قلّت قبيلة أو مدينة لم يشهده منها

---

(١) أ- هذا الجزء أخذ من ديوان الشبيبي، وهو مقدمة قصيدته في يوم الشعيبة، انظر ص ٤٧ وكان الشبيبي حاضراً لحظة انتحر سليمان عسكري بك، فقد سحب ذلك القائد، وكان ممدداً على سريره في الخيمة، سحب الغطاء بعد أن عرف نتيجة المعركة الخاسرة ومن ثم سحب مسدسه وانتحر دون أن يشاهده أحد يفعل ذلك. ويروي الشبيبي أيضاً أنه هام في الصحراء على فرسه متراجعاً مع الأخرين حتّى وصل الناصرية بعد ثلاثة أيام.

ومن القصيدة:

جرى سليمان في استعجال مصرعه ... مجرى كفاة بأمر الحرب قواد

قاد الألوف فارتادها واتبعها ... في الحال نفس أبيّ غير منقاد

مخاطر عاش أعماراً لأن له ... في كل يوم نجاة يوم ميلاد

ب- أصدر القائد عسكري بك بياناً حين عيّن قائداً لجيوش العراق وما جاور، تجد صورته ضمن السلسلة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي فضّل المجاهدين على القاعدين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه الّذين أقاموا بجهدهم وجهادهم أعلام الدين.

[عن قائد جيوش العراق وما جاوره من البلاد إلى عشائر وأهالي هذه الخطّة المطهّرة ورؤسائهم].

لقد أحيلت إلى عهدتي قيادة الجيوش العراقية ومجاهديها الكرام، فابتدات بإيفاء ما عهد إلي مستنداً بتوفيقات الله تعالى ومستظهراً بنصره العزيز، فقد عقدت بالغ الأمل على ما سمعت إلى الآن مما أظهره المجاهدون من ضروب الحميّة والحماسة ما يستوجب الشكر.

وعليه فإني منتظر بكلّ جوارحي إلى نهوض الأهلين كافة من بدوٍ وحضر للقيام بفريضة الجهاد حق القيام.

فإن الجنّة فتحت أبوابها لمن استشهد، والتاريخ الإسلامي ابتدأ بتسجيل اسم كلّ من استسلم إلى الموت، فللّه درّ من غزا، وطوبى لمن أحرز منصب الشهادة، فالبدار إلى صيانة أعراض المؤمنات، والمحافظة على العتبات العاليات، فكلّ منّا يعلم أنه.

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ... حتّى يُراق على جوانبه الدمُ

فبناءً على ذلك ينبغي على المؤمنين كافة بأن يفطروا بدماء أعدائهم قبل أن يصبحوا غذاءً لهم، ويقتفوا أثر أجدادهم العظام الّذين طافوا بقاع البر من يابسٍ وأخضرٍ، وأذلّوا رقاب من طغى وتجبّر، فرحمة الله على من أجاب دعوة الملكوت وتباً لمن أقام بطيشه علم الطاغوت، وليعلم الجميع بأن الجنّة تحت ظلال السّيوف، ومن تولّى فله أشدّ العقاب، وسيعلم الّذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

حرر في اليوم الثامن من شهر صفر الخير لسنة ثلاثة وثلاثون وثلاثمائة بعد الألف من هجرة من له العزّ والشّرف.

القائد العام للجيوش العراقية

سليمان عسكري

رجل أو رجال، أضف إلى ذلك عظيم محنة القوم فيه، قد رابطوا عدّة شهور في (النخيلة) صابرين على أشياء لم يصبر على مثلها من جدب المكان، وشظف العيش، إلى أن مُنوا بذلك الخذلان العظيم.

ومجمله: إنه في أوائل صفر سنة ١٣٣٣هـ ـ ١٩١٤ م، ورد بغداد (أمير الالاى سليمان عسكري بك) متقلداً قيادة الجيش العثماني العامة في العراق، صارفاً (لجاويد باشا) ومعه فريق من الجنود التركية المدربة إنحدر بها إلى (القرنة) وواقع الإنجليز هناك في منتصف صفر المذكور، فجرح جراحاً بليغة، أعيد بسببها إلى بغداد، وأقام في المستشفى شهرين لم ينجح فيه علاج، لكنه أبى مع هذا أن يستقيل، وثابر على تدبير الأمور الحربية، متوقعاً البرء التام.

ولما طال ذلك عليه قاد الجيش بذاته إلى مهاجمة الإنجليز في وادي الشعيبة دون البصرة، استخفافاً بعدوّه، وإعتداداً برأيه، وثقة من نفسه ومن جنده بالفوز والإنتصار، فأعدّت له محفلة خاصة حمل عليها من بغداد إلى الناصرية، بعد أن تقدم بأن يحتشد فيها الجيش، وكان مؤلفاً من ثلاث كتائب (الآليات) واحدة تركية، واثنتان ملفقتان من العرب العراقيين والأكراد، معها عدّة رشاشات ونحو أربعين مدفع سهل.

قام هذا الجيش في منتصف جمادى الأول سنة ١٣٣٣هـ ـ ١٩١٥م من الناصرية إلى المعسكر العام في (النخيلة) مشياً على الأقدام، وبعد يومين أو ثلاثة أيام من وصولهم زحفوا بإيعاز من القائد العام هم والعرب المجاهدون على (الشعيبة) وهاجموا الإنجليز وهم فيها أمنع من عقاب الجو صباح الاثنين ٢٧ من الشهر المذكور هجوماً شديداً دام يومين من غير أن يعود عليهم بطائل، إلى أن إرتدوا فشلين، فاغتنم الانكليز من القوم انقطاع الطرق والمواصلات بهم، وغلبة الأعياء والتعب عليهم، وسوء أثر العطش والجوع فيهم، فاتبعوهم وناجزوهم لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ١٣٣٣هـ، أو صباح الأربعاء ٢٩ منه مناجزة شديدة هُزم في آخرها العثمانيون وتركوا نصف ذلك الجيش بين قتيل وجريح وأسير وفقيد، وانتحر (سليمان عسكري بك) قائدهم العام.

***

حادثة النجف[1]

في يوم ٨ من شهر رجب سنة ١٣٣٣هـ، هجم الفُرّار من النفير العام الّذي أعلن قبل ذلك على سور النجف، ودخلوا البلدة من حيّ المشراق في السّابعة من ليلة السّبت وقد أيقظتنا معمعتهم، فأطلقوا بعض القراطيس إذ ذاك ثم تفرّقوا في عدّة مواضع.

فما أصبح الصباح حتّى تعاطوا الرمي الشديد مع الجند العثماني من عدّة جهات.

وقد كان حيّا البراق والحويش في جانب الحكومة أولاً ثم اضطر من فيهما إليالإشتراك مع الباقين ثم القيام عليها، وما سُمع إطلاق النار في الخارج حتّى توافت أمداد كثيرة للفرار، ودامت الحرب ثلاثة أيام بلياليها تقريباً، أطلق الجند في غضونها عدّة قنابل من بعض المدافع السّريعة الطلق وكانوا متحصنين في الثكنة الكبيرة، وفي مخفر (النلمة) وفي كثير من (الانزال) والدور.

فما زال في البلدة فرار النجف وأعوانهم يستسقطون معاقلهم واحداً بعد آخر حتّى عصر يوم الاثنين ١١ من شهر رجب، فلم يبقى في أيدي الجنود إلاّ الثكنة والنزل المعروف بالشيلان وهو أحصن معاقلهم، فدخل الناس الثكنة وأذعن من فيها من الجند والضباط وألقوا سلاحهم إلى المهاجمين، فأضرم هؤلاء النار في بعض غرف الثكنة، فعند ذلك طلب من الشيلان الأمان وفيهم قائمقام النجف بهيج بك وقائد الجند البكباشي وأكثر

---

(١) أ- انظر قصيدة الشبيبي(ثورة على الأتراك) أو (شكوى وعتاب) ص٢٦ من الديوان، ولابد من القول أن الشبيبي كان من مؤيدي الجامعة الإسلامية حتّى ذلك الحين، وفي هذه القصيدة يظهر مدى تأثر الشبيبي لإنفصام أو بوادر انفصام هذه الرابطة، فهو يؤنّب ويعاتب الأتراك عتاباً مرّاً على معاملتهم السيئة للعرب.

نحن الألى عرض في جنب جوهركم ... فيه نصال المنايا الزرق تنتقل
قوم من العرب وخز النحل حظهم ... وحظ قوم سوانا الاري والعسل
عند المغانم لا ندعي ويفدنا ... من المغارم ثقل ليس يحتمل
تأبى الحوادث إلاّ أن نملكم ... ولا -ودين التآخي- ما بنا ملل

ب- وعن بلدة(الرماحية) التي ينتسب إليها رماحية النجف الوارد ذكرهم في جزء لاحق من هذه السلسلة، راجع بحث الشبيبي المعنون (الرماحية) المنشور في (لغة العرب)العدد ٩ ص ٤١٦، الصادر في آذار ٩١٤ - ربيع الثاني ١٣٣٢هـ.

من مائتي جندي، وفيه أيضاً عمال الحكومة وعيلاتهم جمعاء، فخرجوا بأمان من بعض أشراف البلدة وأعيانها بعد أن أخذ جميع ما لديهم من السلاح والذخيرة وغير ذلك إلاّ بعض أمتعة كبار المستخدمين وأفرشتهم، وقد ضافهم النجفيون وأكرموهم.

وبعد إذعان الشيلان أضرمت النار في دار الحكومة وفي البلدية ودار القائمقام ومدخل السوق الكبير من قبل بعض الجهال، وأحرقت الدفاتر المختلفة، ومزق كثير منها كلّ ممزق، وبلغ عدد من قتل وجرح من الجند نحو عشرين منهم بعض الضباط، وفي الفرار والثوار أقل من ذلك، وقتل جماعة من الأطفال والنساء وبعض من لا يد له من إثارة الفتنة من الفقراء.

وبعد أن قبض على رجال الحكومة أعلن من قبل مشايخ الأحياء في البلدة تأمين أهلها، ونادى المنادي بفتح المخازن وتعاطي الأعمال على العادة وبالمحافظة على الأسعار السّابقة، ورتبوا من جهتم رجالاً على جباية الأموال والضرائب التي كانت تتقاضاها الحكومة، ولكنّهم خفضوا مقادير بعضها إلى النصف، وأعادوا تنوير البلدة بالغاز وكنس الشوارع.

ومما تلف في هذه الفتنة من المرافق المهمة آلات البرق والبريد، وقد قلع الأعراب كلّ الأعمدة الموجودة بين النجف والجسر، وبينها وبين أبى صخير وحملوها للإنتفاع بها، أما الدور التي نهبت فكثير وهي دور المأمورين في الغالب.

وفي يوم ١٣ رجب ورد إلى النجف (نوري بك) نائب كربلاء والنجف المشهور، وقاضي بغداد، وبعض أعيان كربلاء، ومشايخ بني حسن لرأب الصدع المتقدم، وتذكروا مليّاً مع بعض أعيان النجف وزعماء الفرار في ذلك، فإنتهى الأمر إجمالاً بعزل بعض العمال ومنهم القائممقام ورئيس البلدية وبعض كتّاب الرديف والسيّد عليّ الخطيب المعروفة أطواره، واستعمل على وكالة القائممقامية يوزباشي الدرك رمضان أفندي المحبوب من قبل النجفيين، وردّت بعض المنهوبات منها قليل من البندقيات القديمة الطرز، وقبل المصلحين بأن يتولّى ضبط البلد جماعة من الثوار يقومون مقام الشرطة ففعلوا.

وفي ١٩ من شهر رجب عادت لجنة الإصلاح وأقفلت عن طريق الكوفة، وفي هذا اليوم نقلت أدوات البرق والبريد إلى الكوفة وأنشئت دار لهما هناك بعد أن كانت في النجف، وذلك لفقد الأعمدة والأسلاك بعد الفتنة.

شهيد الدفاع:

توفي السيّد المجاهد محمّد سعيد الحبوبي عشية الأربعاء ٢ شعبان سنة ١٣٣٣ هـ، في مركز الناصرية، فحُمل في إحدى البواخر الفراتية إلى السّماوة، ومنها براً إلى النجف في طريق الشامية، فوصل نعشه عصر يوم الجمعة ٥ شعبان، وشيّع تشيّعاً، ودفن في الإيوان الكبير قرب الباب القبلي من المشهد العلوي رحمه اللّه وطيّب ثراه.

وكان خروجه للدفاع عن البصره في محرّم سنة ١٣٣٣ هـ، فدعا عرب العراق والمنتفق والمجرة فلبّوه، فسار بهم جماهير إلى الشعيبة، وكان ما كان هناك من الخذلان المعروف، فرابط السيّد المشار إليه في الناصرية مصلحاً بين القبائل، نافذ الكلمة فيهم مرهوب اللّقاء، إلى أن توفاه اللّه في ذلك اليوم على أثر حمّى لزمته تسعة أيام كاملة، وقد رثي بهذه القصيدة[1].

---

(١) راجع القصيدة في(ديوان الشبيبي) ص ١٨٥ وقد حذف منها الشبيبي ثمانية أبيات وأبدل ثلاث كلمات في البيت الأول ومطلعها:

عمَّ الثغور الموحشات ظلام ... ودّت لأنك ثغرها البسام

ولا تقلّ في الحقيقة شهرة السيّد الحبوبي الأدبية عن شهرته النضالية، فقد كان شاعراً مجدداً في زمانه بحيث حمل ذلك الشبيبي على جمع شعره وقد طبع ديوانه في بيروت عام ١٣٣١هـ راجع (قصة ديوانه) في شعراء الغري الجزء التاسع صفحة ١٥٤، راجع كذلك (العراقيات) وقد جاء عن العراقيات في العرفان لصاحبها المرحوم أحمد عارف الزين الجزء الأول المجلد الخامس ص ٣٩ ما يلي:

«عني بنشر هذا الكتاب الشيخ محمّد رضا الشبيبي من فضلاء العراق، والشيخ أحمد رضا، والشيخ سليمان ظاهر من فضلاء جبل عامل وصاحب هذه المجلة، وقد اختاروا به شعر عشرة شعراء من مشاهير شعراء العراق، وهم: السيّد محمّد سعيد الحبوبي، والسيّد إبراهيم الطباطبائي، والسيّد حيدر الحلّي، والشيخ جواد شبيب، والشيخ ملاّ كاظم الأزري، وملا عباس النجفي، والسيّد جعفر الحلّي، والشيخ عبد الباقي الفاروقي، والشيخ عبد المحسن الكاظمي، والأخرس البغدادي، وقد أكثروا الإختيار من شعر الأول لعلّو كعبه في فن القريض، فجاء هذا الديوان وهو الجزء الأول من خيرة الدواوين الشعرية، ومن أحسن مطبوعات العرفان، عدد صفحاته ٢٠٩ وثمنه ثلاثة بشالك....»

حادثة كربلاء:

ما تسامع العراقيون بحادثة النجف المتقدمة حتّى صاروا يتوقعون أمثالها في بقية المدن العراقية لإستعداد النفوس للشر، غير أن العثمانيّين حكّام العراق إضطروا إلى الاعراض عن تطلب البلط أي الفرار من الجندية وتساهلوا في أشياء غير ذلك، فأخلد الناس إلى السّكينة لمّا رأوا من ضعف شأن الحكومة حتّى أن أهل البلاد أصبحوا في الحقيقة حكّام بلادهم، فلم يروا من حاجة إلى إبعاد العمال والمستخدمين اللّهم إلاّ أهل كربلاء، فإنهم في أوائل ليلة ١٥ شعبان سنة ١٣٣٣ هـ، هاجموا دار الحكومة وناجزهم الدرك وبعض الجند قليلاً، ولم يكونوا أكثر من أربعين جندياً ثم سلّموا، فأضرم الثائرون النار في دار الحكومة ودار البلدية ودار البرق والبريد وبعض المدارس السّلطانية (الرسمية) كلّ ذلك تقليداً لأهل النجف دون أن يكون في البين باعث مشروع لالقاح الفتنة، ولذلك إستذلّ كلّ أهل العراق فعلة الكربلائيّين هذه، وطعنوا من أجلها الطعن المرّ الّذي أصبح أوباشهم أهلاً له، خصوصاً وقد شاع أنهم ارتكبوا ما لم يرتكبه النجفيّون من المنكرات، وقد سلبوا النجفيّين أمتعتهم وأثاثاتهم وجميع ما يخصّهم.

ومن الغريب أنهم لم يتمكنوا من حماية بلدهم فدخلها الأعراب وأهل البادية والغرباء ونهبوا من دور الكربلائيّين أنفسهم، أي الفرس منهم غالباً، ما يوازي ٢٠٠ دار في «كربلاء الحديثة» ولذلك أصبح هذا القسم الجميل من المدينة موحشاً صفراً من سكانه الّذين هجروه إلى كربلاء العتيقة التي لا يسكنها إلاّ أشباه الأموات.

وقد دام النّهب والتعرّض في شوارع كربلاء أياماً، وذلك لضعف الثائرين وسوء تدبيرهم حتّى أنهم ثاني يوم الحادثة فتنوا ما بينهم نزاعاً على المنهوبات، وتراموا في حرم المسجد الحسيني فجرح وقتل منهم جماعة.

ومن أهجن أفاعيل جهالهم تعرضهم للمستشفى البلدي وتشعيثهم إيّاه ونهبهم أدواته وأمتعته مما لا يكاد يفعله العدوّ بعدوّه، ولكن الجاهل عدوّ نفسه، وهذا المستشفى من أنفس المعاهد الحديثة النافعة في العراق وخصوصاً في كربلاء البلدة الموبوءة الفاسدة الهواء، وقد أنشأ على الطراز الحديث، خارج البلدة من جهة الجنوب

الغربي، وأنفقت عليه أموال طائلة وكان الفراغ منه سنة ١٣٣٢هـ، وعلى أثر الحادثة انقطعت المواصلة بين كربلاء وبغداد، وعزل والي الولاية، وتحامل أهل السنّة في دار السّلام على شيعتها بالكلام، وظهرت بوادر التدابر والتنابذ في وقت أكبر حاجتنا فيه التواصل والتوادد ودفن الأحقاد والأضغان.

عود العثمانيين إلى كربلاء:

ما زالت حكومة بغداد منذ يوم ١٥ شعبان تنفذ البعوث والجنود إلى المسيب بعد حادثة كربلاء فأقلق ذلك أهلها، فعادوا إلى مفاوضة الحكومة العثمانية في العود، وتردد في ذلك نائبهم(عبد المهدي الحافظ) فصدر العفو العام عنهم وعن أهل النجف مصدراً بإرادة الناحية السّلطانية.

ففي ١٦ رمضان فصل عن المسيب إلى كربلاء خمسون جندياً مع النائب الكربلائي فإستقلّهم عامة الأهلين، وقد اشترط العثمانيون في إصدار الصلح إعادة ما يمكن إعادته من المنهوبات، وبناء ما نقض وأُحرق من دور الحكومة، وقد ورد كربلاء وكيل متصرف وشحنة وغيره من العمال والأعوان.

وفي يوم ٥ شوال ورد إلى كربلاء المتصرف الجديد(محمّد حمزة بك) الذي تصرف في الناصرية إلى أن فتحها الانكليز.

سقوط العمارة:

في يوم الأحد ١٦ رجب سنة ١٣٣٣هـ، كان المرابطون أمام القرنة ينتظرون زحف الإنكليز وهم سواء كانوا متطوعين أو جنوداً لا خبرة لهم بمبلغ القوّة الإنكليزية وبما أعدّ لهم أعداؤهم، وكان القائد في القرنة(حليم بك) وفيها يومئذ جماعة من مشاهير علماء العراق وطلاب العلوم، منهم: الشيخ فتح اللّه الأصفهاني، والسيّد عليّ التبريزي، والسيّد مصطفى القاشاني، والسيّد مهدي السيّد حيدر الكاظمي، ومن التجار: الحاج داود البغدادي وغيره، ومنهم: الشيخ عبد الحميد خازن المشهد الكاظمي.

ففي ذلك اليوم زحف الانكليز برّاً وأصعدوا بحراً إلى معسكر العثمانيّين بعدد وعدّة يفوقان كثيراً ما كان القوم عليه؛ فمن ذلك عشرات الطرادات الصغيرة والكبيرة،

ومئون من السّفن والقوارب المصفحة والمدرعة المجهزة بالمدافع والرشاشات، وعدد من الطيارات.

وكانت بعض طلائع الجنود المتطوعة من معسكرة في عدّة أطلال قائمة في الهور وهي: الردة وبريخ وأبو عران وعرار على أن نفس المعسكر العام في(مزيلة) كان محاطاً بالمياه من الأول فلم يلتفت إلى هذا الخطر أحد حتّى القواد الّذين نيط بهم الإشراف على مثل هذه الأمور.

فأول ما فعل الانكليز أن ألقت طياراتهم بعض المواد المتفجرة فلم تؤثر شيئاً، وعلى أثر ذلك أحاط الانكليز ببعض تلك الطلائع من الهور، وقد شوهد بصحبتهم جماعة من أولاد العرب، عرب الجزائر، فدافع رجالها حتّى أُسر من أُسر وقُتل من قُتل.

ثم هجم الانكليز على بقية ملاجئ الجنود العثمانية فلم تقاوم إلاّ قليلاً، فشعروا بالخطر المحدق بهم من السّفن والطرّادات فأمر القائد بالانسحاب العام من (مزيلة) وهي المعسكر العام على ساعتين ونصف من تلك الأطلال، وفيها نحو سبعة آلاف جندي، فاسقط في أيدى الناس وذهلوا كأنهم لم يشاهدوا إحاطة المياه بهم إلاّ تلك السّاعة.

فعند ذلك شحنت السّفن البخارية والشراعية الموجودة بأمتعة الجنود والمتطوعين ونفوسهم، فأصعدت به إلى دجلة فتأثرتها بواخر الإنكليز في النهر إلى ما وراء العزير إلى قلعة فوقع في أسر الإنكليز عدّة جنائب (دوب) فيها من السّلاح والكراع أصابت قذائفهم بعض البواخر العثمانية فأعابتها، فلقي الناس ما لاقوا من ذلك وتجرعوا الغصص العظيمة، وألقى كثير أنفسهم في دجلة فنجا البعض وغرق الآخرون، وضويقت الدارعة العثمانية الشهيرة (مرمريس) قرب العزير فأضرم ربانتها فيها النار ونسفت بما فيها من الآلات والأدوات والقنابل والقذائف.

أما العلماء وكثير من المتطوعين الّذين يصحبونهم فقد ألقوا بأنفسهم إلى السّاحل حيث شاهدوا طرّادات العدوّ فأثخنوا في الأهوار مدّة بعد إشراف جماعة منهم على الغرق، ثم انتهوا إلى جزيرة واسط فركبوا منها إلى الحيّ، حيّ واسط، وذهب بعضهم إلى الكوت مع ربيعة وأميرهم محمّد، وكانوا في دار الحرب، وقد فقدت لهم أمتعة

وأزواد وأموال كثيرةً في ذلك النكوص شأن أكثر الناس، فعلى أثر ذلك سقطت العمارة وفيها أسر حليم بك وغيره من القواد وبعض العمال، وقيل إن حليم ألقى بيده إلى الإنكليز إشفاقاً من التبعة الملقاة عليه لسوء تدبيره وخوفاً من طائلة العقاب، فأصبح بعد هذه الواقعة خط دفاع العثمانيين في الكوت وجبر وهنه بالجنود الجديدة الواردة إلى العراق بقيادة نور الدين بك الّذي ولي القيادة العامة في العراق بعد سليمان العسكري المنتحر في الشعيبة، وقد تم إحتلال العمارة في يوم ١٧ رجب يوم السبت.

معسكر الكفل:

إن الجيش العراقي المحتشد في المسيب بعد ثائرة كربلاء أمر من ناحية القيادة العامة في الكوت بعد أن طفأت تلك النائرة وشنق أحد الذعار من الكربلائيين في المسيب في نحو ١٠ رمضان، أمر بالإثخان في الفرات فتقدم إلى الهندية وتقدمه بعض الطلائه من الفرسان وارد من طريق الحلّة، فعبرت الفرات تريد خان الحماد، وقد تأثرها من خان النصف بعض أعراب الهندية فتناوشوا معها قرب خان الحماد، وخرج عليه أيضاً خرج من عشيرته الحواتم قرب الخان المذكور، وغرض جميع النهب فقابلتهم السّرية وحاربتهم متجهة إلى الخان في نحو ١٥ رمضان ١٣٣٣هـ، إلى أن أدركته فتحصنت فيه، وقاتلتهم قتالاً شديداً من خلف جدرانه، فقُتل من الحواتم وغيره من عرب الهندية قيل سبعة وردوا على أعقابهم، غير أنهم قطعوا عشرة بغال بأحمالها من الذخر والأزواد.

ولما كان آل جميل وفيهم زعامة بني حسن في الهندية خفراء السّرية صمموا على الفتح بمن جاء عليها ثم صالحوا على أن تردّ المسلوبات فاسترد أكثرها وعادت السرية إلى الكفل وقد قتل منها واحد وجرح آخر.

وعلى أثر ذلك تواصلت الجنود وعسكرت في الكفل وقد قتلوا اثنين من سواس الخان لإعانتهم على الجند وصلبوا واحداً من عرب اليسار وهم بين الحلّة والكفل لتعرضه لدرك السيار.

أما هذه الجنود فقد أنفذت إلى العراق من الفيالق التي حاربت على ترع السويس، وكثير منهم بل أكثرهم ترك وهم جيدوا الصحة شداد الأبدان حسنة ألبستهم على

رؤوسهم (الأنوريات) ومضاربهم جميلة، وسلاحهم بندقية موز الألمانية، ومعهم أربعة مدافع، وقائدهم البكباشي عاكف فضلي بك، وما زالت الجنود العثمانية تتواصل إلى العراق من بعد واقعة شعبية إلى يوم ٥ شوال ويؤمل أنها لا تنقطع.

وفود الزعماء إلى المعسكر:

منذ ٢٠ إلى ٢٤ من رمضان كانت ترد إلى النجف زعماء آل فتلة وآل إبراهيم من المشخاب، وزعماء بني حسن من الهندية وزعماء غيرهم من نهر العباسيات وسواه، للمداولة في الوفود على قائد جنود الفرات في الكفل وتعيّين موضع واقعة الانكليز في الفرات، وقد شاع أن خط الدفاع أصبح في الكفل غير أن ذلك لم يتحقق، فوفد على القائد زعماء آل فتلة وطلبوا منه التقدم فوعدهم بالتقدم إلى الشناقية بعد تكامل البعوث.

وفي ٢٥ من رمضان وفد على الكفل السيّد محمّد حسن خازن المشهد العلوي، والسيّد محمّد عليّ الطباطبائي من ذوي الأقدار في النجف، ومعهم بعض أهلها وذلك على أثر ورود العصيمي الزبيري، والحاج عباس العلي من قبل الحكومة والقيادة العامة في العراق يطالبان النجفيّين بالطاعة، وكان وصول العصيمي مندوب الحكومة في ٢٤ من الشهر المتقدم، وفي ٢٥ عاد هو ومن تقدم من مندوبين نجفيّين إلى الكفل فشافهوا القائد وشافههم بشأن إطاعة النجفيّين، وأنهم إذا أصرّوا على غيّهم ابتدا وكتب بذلك إلى علماء النجف وأعيانهم في ٢٥ من الشهر ملقياً الحجّة عليهم.

فائتمر النجفيون في ذلك فأقرّوا على محاسنة الحكومة ووفد المدعو كاظم الصبي من المتغلبين في النجف على القائد في ٢٨ من رمضان فخلع عليه وطيّبه.

وفي الليلة ٢٩ زايل النجف وفوداً على القائد جماعة من العلماء وذو الأقدار كالسيّد عليّ الداماد، والسيّد محمّد اليزدي، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي، والسيّد محمّد عليّ الطباطبائي، والسيّد محمّد الخازن الرفيعي، والشيخ جواد الجواهري، والمرزا مهدي الخراساني، ومعهم من زعماء المتغلبين سعد الحاج راضي، والسيّد مهدي السيّد سليمان، وفي تلك اللّيلة وصل إلى النجف الشيخ محمّد عليّ كمونة زعيم الحركة الكربلائية ففارقها من ساعته إلى الكفل.

وفي متصف ليلة ٣٠ عاد النجفيون من الكفل مطيبين مخلوعاً عليهم، وفي ليلة أول شوال عاد المسمى عطية أبو قلل مطيباً مخلوعاً عليه.

وفي يوم ٣ شوال عند ارتفاع النهار تقدّم النجفيون إلى الكوفة في عدّة ألوية يستقبلون القائم مقام الجليل الّذي رُتّب عليهم بعد مفاوضة الحكومة، ووفودهم على القائد العام، وعادوا بعد العصر وهم يعطعطون ويزغردون، وورد القائم مقام قبيل الغروب وهو عربي من طرابلس الغرب من أهل الزاوية، وقد جاء معه قليل من الشرط والأعوان وقد كان يوم وروده يوماً مشهوداً في النجف، خفّ ألوف من أهلها إلى الخارج لوقوعه بعد اليأس من عودة العثمانين فسرّ عودهم قوماً وساء آخرين، وفي ٧ شوال وصل بريد النجف بعد انقطاعه أكثر تلك المدّة يخفره ١٤ من الدرك العثمانيّين.

فتح الناصرية:

منذ غوائل شعبان سنة ١٣٣٣هـ، كانت طرادات الإنكليز وبواخرهم المحمية تقارب (عكيكة) وهي الجدول المشهور الّذي يحمل من الفرات على نحو ٣ ساعات من الناصرية، وقد استوثق أهل المجرة من سدِّ هذا الجدول إبقاءً على الماء في الفرات لزراعتهم، وقد رمي الإنكليز السدّ مراراً فقابلهم العثمانيون فردّوهم، وفي نحو ٢٠ من شعبان أنفذ الإنكليز جنداً كثيفاً لفتح عكيكة فوافقهم العرب، وقتلوا منه مقتله فعادوا إلى الحملة، ثم أعادوا الكرة في ٢٥ من شعبان فانهضوا حامية عكيكة ومقاتلتها عنها وأحتلوها عنوة ونسفوا السدّ ففتحوا طريق مهيع لطراداتهم وسفنهم والمصفحة وهي كثيرة، فقد ذكروا أنها ١٤ طراداً و٨ سفناً كبيرة شراعية، ومئات من العشاريات المصفحة.

وفي يوم ٢٩ من شعبان أخلي سوق الشيوخ فاحتلوه سلماً، ثم تحشد العرب من حكام وآل حسين والحسينيات، وفي أثناء ذلك كانت تتواصل الإمدادات من المعسكر العام في الكوت عن طريق الفرات ومعهم مدافع كثيرة، وقد تقلّد قيادة الجيش هناك المسمّى أحمد بك أوراق وهو قائممقام عسكرى عراقي، وقد أغرق بعد فتح عكيكة ثلاثاً من البواخر الفراتية في مجرى الفرات على ساعة ونصف من الناصرية، وهي (برحي) و(فرات) و(رصافة) ليضيق مجرى الوادي على مراكب العداة.

ثم اخرج الإنكليز جنودهم على جانبي الفرات ووافقهم العرب والجنود العثمانية، وكان النصر في أكثرها في جانبي العراقيّين لاسيّما في معارك البوعظم، والعصفورية، والمصفر وهذه الواقعة خدع فيها الإنكليز فأخرجهم العرب إلى هور المصغر، اتجاه الناصرية من جانب الشامية ليدلوهم على الطريق وقد كمن لهم فأوقعوا فيهم، فلم ينج من جنود الإنكليز يومئذ إلاّ اليسير، وكانت قتلاهم مئات.

ثم تصاف الفريقين في (مجنينه) على رأس ساعة ونصف من الناصرية من جانب الشامية، وحفروا الخنادق والملاجئ وظلت المناوشات سجالاً إلى أن جزع الإنكليز، حتّى ذكروا أن القائد العام في البصرة نحى عدّة قواد من القيادة في البعث الفراتي ثم أمدّهم إلى البصرة، فإبتدات الواقعة الفاصلة هناك صباح يوم الأحد ١١ رمضان، واستعر القتال وحمل الإنكليز غير مرّة فصدّهم العثمانيون وأتلفوا منهم الكثير الى أن بغت الجناح الأيمن فريق منهم فأنهضوه، وخلا شاطئ الفرات من بعض المدافع فتبعت إليه الطرادات، واستقلّ العدوّ في البرّ والبحر، فصار ثبات العثمانيّين مستحيلاً فقهروا وعبروا من اتجاه الناصرية إليها، وكان تقهقرهم في السّاعة ٤ عربية.

وفي أثرهم تقهقرت الجنود المعسكرة في جانب الجزيرة، وقد اغتنم الإنكليز جميع المدافع وهي ١٥ مدفعاً، وشهروها في الناصرية، واغتنموا ٤ رشاشات وكثيراً من البنادق، واستأسروا في (مجنينه) قليلاً من الجنود.

وكانت للعثمانيين ٥ بواخر صغيرة اثنتان منها حربيتان مصفحتان فأغرقهما ربابنتها بما فيها من المؤن والذخائر وأحرقوا البواقي، وفي غروب ذلك اليوم تقدم إلى المدينة طراد إنكليزي فرماه الجند من أمام الثكنة العسكرية في الناصرية رشقاً واحداً فعاد أدراجه، وفي تلك اللّيلة إنسحب أكثر الجنود وقائدهم إلى الغراف.

وفي صباح يوم ١٣ ذهب وفد من أهل البلدة يخبرون الإنكليز بخلوّ المدينة فتقدمت طراداتهم وانزلوا إلى البرّ جنوداً فتم لهم إحتلالها، وأعلنوا عن جمع السّلاح فأتلف الأهلون كثيراً من أسلحتهم وألقوها في الفرات، وخبّوا جانباً منها وحصل الإنكليز على القليل.

ووشى بعض البلديين بالجنود المتنكرة العثمانية في الناصرية فاستأسروهم، أما الجند المتقهقر إلى الشطرة فقد اعترض له آل ازيرق فرموه بالسّلاح ورماهم فقتل منهم مقتلة فكفوا عنه، فوصل إلى الشطرة، وهو ٣ آلاف جندي من مجموع تسعة آلاف جندي فرّ أكثرهم بعد سقوط الناصرية.

أما ما فقد منهم فقليل نسبة إلى ما فقد من الإنكليز الذين فقدوا منذ فتح عكيكة إلى ذلك اليوم نحو أربعة آلاف بين جريح وقتيل، وتعطّل لهم طرادان وتلف كثير من السّفن الصغيرة.

وفي يوم ١٤ رمضان أصعدت بعض طرادات الإنكليز إلى السّماوة فزايلها المستخدمون العثمانيون إلى (الأبيض) ودعا القائد الإنكليزي بعض عمد أهل السّماوة المتغلبين فأجابوه ورفعوا العلم الإنكليزي على هذه البلدة.

وفي يوم ١٥ رمضان إلى ٢٠ عاد يسقط إلينا في النجف كثير من البلط، أي الفارّون من العسكر، وهم أتراك وسوريون وعراقيون بحالة يرثى لها، فألطف بهم بعض الناس، وقد استعمل الإنكليز في حرب الناصرية الطيارات كما استعملوها في حرب العمارة، ومما فعله الإنكليز أنهم طلبوا(عجمي بك السعدون) وتقدموا إلى بعض العشائر المعادية له بذلك فنجا وتخلص إلى عشائر السّماوة من آل زياد وسواهم، وكان في ظهرانيهم يدبر الحيلة للوقوف بوجه الأعداء، وقد أجابته العشائر وأطاع أهل السّماوة فعاد إليها العثمانيون وخفق عليها الهلال وعسكر عجمي شرقي السّماوة وقد إنحدرت إليه طائفة من الجنود العراقية في الكفل.

هجوم على الناصرية:

إن عرب المنتفق تحالفوا بعد سقوط الناصرية على الدفاع في يوم ١٧ رمضان في الشطرة، وقد اجتمع هناك زعماء آل الزريق والعبودة وخفاجة وسواهم، ثم بعضهم (عبد اللّه الفالح) إلى حاكم الناصرية الإنكليزي، فتجمهر بعض العرب من العبودة وخفاجة ونهبوا منازله، فعاد عبد اللّه وعاد من معه بخفي حنين من الناصرية وطعن فيهم العرب وأهانوهم.

وفي يوم ٢٢ شوال سنة ١٣٣٣ هـ، تجدد حلف قبائل المنتفق المذكور على الدفاع، وفي ليلة ٢٦ شوال هجم جماعة من آل زيرق على مخفر للإنكليز قرب الناصرية وقتلوا من فيه ونهبوا سلاحهم وخرّبوا أدوات المسبرة وعادوا سالمين، وكانت الحكومة دعت جميع مستخدميها من بلاد المنتفق إلى المعسكر العام في الكوت، ورتبت قائمقاماً في الشطرة (خيون بن عبيد) الّذي أصبح أكبر أعضاء العثمانية هناك، ورتبت غيره من وجهاء العرب وأبناء مشايخهم في أعمال مختلفة.

وفي البلاغ الرسمي من القائد العام عن الواقعة الأخيرة ما نصّه: ـ إن عشائر المنتفق الصادقة هجمت ليلة ٢٦ أغسطس في ضواحي سدّة (أبو جداحة) على طلائع العدو الأمامية في الناصرية فأجبرتها على التقهقر، وأحرقت مواضع فئتين (بلوكين) من العدوّ، وخربت أسلاك التلفون له، اللهو واغتنمت قدر ٥٠٠ متر من الأسلاك البرقية، وهجمت عليه طائفة أخرى من العرب على (مخفر السديناوية) الانكليزي، فاستولت عليه وقتلت من فيه وهم ١٠ أنفار، وذلك بعد التاريخ المذكور بقليل.

فتنة الحلّة:

افتتنت الحلّة فكانت ثالثة الأثافي بعد فتنتي النجف وكربلاء، وذلك أن حكومتها تطلبت البلط وكان يتأثرهم بعض الشرطة في نحو ١٢ شوال سنة ١٣٣٣ هـ، فقتلت بعض الحليّين يومئذ، فأصرّ عامل الحلّة على إمساك القاتل فامتنع عليه بالحليّين قومه، وأنذرهم عاملهم بالإيقاع بهم بعد مداولة القائد في الكفل.

فلما كان يوم السبت ١٥ شوال تظاهر أهل الحلة تلقاء دار الحكومة والثكنة العسكرية فرموها أو رماهم من فيها من الجند، ونشبت الحرب ضمن البلدة وعلم بذلك القائد في الكفل، فركب في كثير من الفرسان والمشاة وأبرق إلى المسيب بإنفاذ فريق من الجنود إلى الحلّة وخف إذ ذاك كثير من أعراب اليسار وخفاجة والفتلة وقصدوا الحلّة يريدون النهب.

وفي يوم ١٦ إتصل العسكر بالحلّة وأحاطوا بها وملكوا كثيراً من المخافر، وتراموا قليلاً مع الأهلين وكثيراً مع الأعراب، واعترضهم من ورائهم الجند الوارد من المسيب وقتل منهم مقتلة أيضاً وقتلوا منه، فعدّت قتلى الأعراب وجرحاهم نحو مائة،

أما البلدة فملكت بعد أن دامت الفتنة يومين وقد قتل وجرح من أهلها قليل ودمرت بعض دورها التي كانت ملجأ للعصاة بقنبلة، وخرج القوم مستأمنين ناشري مصاحفهم، فأمنهم القائد على شروط منها على ما ذكروا نزع الأسلحة، وقد عزل عاملها الأول ورتّب في الوكالة على عملها (محمّد العصيمي الزبيري) صاحب القائد في الفرات.

وهكذا كان بعد أن أشتهرت الحلّة بمصافاة العثمانيّين والتمسك بحبلهم إلى النفس الأخير، وأعلن بعد ذلك طلب البلط وغيرهم ممن ينخرط في سلك الجندية في الحلّة وأطرافها بشدّة فأجاب بعضهم وتفرّق كثيرون في الأطراف، وقد جرح وقتل من الجند جماعة في وقعة الحلّة واستولى الأعراب على معقل واحد فيه ١٣ جندياً فقتلوهم.

التجارة والحرب:

لما أخذت الناصرية في رمضان سنة ١٣٣٣هـ، أصبح الفرات كلّه بحكم غير العثماني، واستقلّت الحرب في دجلة، وقد انفتح سبيل التجارة، وكان النّاس في ضيق من أجل ذلك لقلّة الحاجيات والبضائع الأجنبية بل لفقدان بعضها بالمرّة، وقد انحدر النّاس بالحبوب والأسمان إلى البصرة وعادوا بالأقمشة والأسقاط من بضائع الهند وأوربا، ولم يعد أهل الفرات يشعرون بضيق وعادت الحال إلى مجاريها أو كادت كأن الحرب لم تكن.

وقد ربح التجار من ذلك ربحاً جزيلاً وأفادوا وأخصبوا سواء بالصادرات أو الواردات حتّى أن تجار دجلة وبغداد صاروا يفدون على النجف لإبتياع ما يحمل من البصرة، وقد عرف بالربح في هذه التجارة أهل النجف فقد ترددوا كثيراً إلى البصرة أو قريباً منها، وصاروا واسطة حمل البضائع إلى اعالي العراق، وانتفع المتغلبون منهم بالمكوس والضرائب التي وضعوها على ما يرد إلى النجف ويصدر منها.

حروب دجلة عن برقيات القائد العام:

١- نشبت خمس حروب في ضواحي عليّ الغربي منذ ٢٠-٢٥ اغسطوس سنة ١٣٣١هـ، الموافق هذا التاريخ ٢٠-٢٥ شوال سنة ١٣٣٣هـ، بين جنودنا ومجاهدينا، وبين العدوّ وكلّ منها انجلت عن فشل الإنكليز واندحارهم، ولقد خربت خطوط التلفون للعدوّ واغتنمته منه.

٢- فرّت إحدى طلائعنا المكتشفة ومقدار من مجاهدينا من السّاحل حتّى لم يبق بينهم وبين بواخر العدوّ إلاّ قدر ٥٠ متراً، واطلقوا الرصاص عليها فأبرزوا بسالة أجبرت العدو على أن يتقهقر ببواخره.

٣- خسر العدو في هذه الحروب بكباشياً و ٤ ضباط وأكثر من ١٠٠ نفر قتلى و٤٩ نفراً جرحى وقتل بضعة من الحيوانات، أما نحن فقد استشهد منا ٣ وجرح ٩ أحدهم السيّد عبد الكريم العلاّق زعيم قومه الّذي أبرز بسالة وحماسة تجدران بالإطراء، وإن جرحه ليس بضائر، وفي ليلة ٢٦ اغسطوس أيضاً حملت كتائبنا على معسكر العدوّ في ضواحي (قلعة نجم) وبعد أن هزموه أحرقوا أماكنه وغنموا منه أدوات التلفون.

واقعة في النجف:

في غروب يوم الخميس ٥ ذي القعدة سنة ١٣٣٣ هـ، تناوب بعض فتيان (آل شربه) من شقّ الحويش في النجف مع مثلهم من بيت (جريو) في شقّ البراق وتبادلوا إطلاق النار بينهم في(المسلخ) خارج المدينة، وتراكض الناس إلى الداخل فاتصل الرمي بهم واضطربت البلدة وأقفلت الأسواق وفزع العامة إلى أسلحتهم وترتبوا في حدودهم، وبعد ساعة أو أقل سكنت الحال عن جرح الحاج حسون شربه زعيم أسرته جرحاً بليغاً وجرح إبنه أيضاً وجرح اثنان من بيت(جريو).

وفي يوم ٨ ذي القعدة إجتمع رؤساء أحياء النجف في دار(السيّد محمّد حسن)خازن الشهد، وبعد الأخذ والردّ توادع أهل البراق والحويش إلى شهر على أن يعضد أهل الحويش أهل العمارة ويعضد أهل البراق أهل المشراق، وذلك بعد أن إنشطرت البلد شطرين، وانتظرنا نشوب الحرب لأن الامداد إمداد كلّ حزب،وصلت ليلة ٧ وبقي القلق إلى ليلة ٨ من الشهر.

هجوم آخر على الناصرية:

في أول ذي القعدة تجدد هجوم لخفاجة وآل إزريق وغيرهم على الناصرية، فانهضوا الجنود الإنكليزية عن ملاجئها وقتل من الطرفين مقتلة وظهرت بوادر الاضطراب على الإنكليز في العراق لخذلانهم في وقائع (بوشير) وقيام قبائل الأهواز

والبختيارية وتهديدهم عبادان، وقيل بل واقعوا الإنكليز.

مكافأة المجاهد الحبوبي:

ضحى اليوم الثامن من ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ، وصلت من بغداد على طريق الكفل جملة صناديق أنفذت فيها الحكومة العثمانية هدايا إلى مقبرة الحبوبي، وفي ضحوة اليوم ٩ من الشهر المذكور أحضرها المستخدمون في النجف إلى المقبرة باحتفال حافل شهده العلماء والوجهاء، وتليت فيه الخطب في ذكر مآثر السيّد وتقدير رجال الدولة لها ولأمثالها وختم بالدعاء.

أما الهدايا فكانت عبارة عن بردة منكبة من الحرير الأحمر مكتوب عليها بالقصب آية الكرسي تطرح على القبر وتحتها وأخرى من نسيج صوفي جيّد، ومسرجتين زجاجيتين من المسارج الكبيرة التي توقد فيها الشموع.

حركة الفيلق الفراتي:

في يوم ٨ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ، فارق الجند الفراتي المعسكر في الكفل معسكره بعد الإقامة ثم نحو شهرين ووجهته الحلّة، ثم توجّه من الحلّة إلى البغيلة على دجلة سالكاً طريق الجزيرة ومعه بعض رجال زبيد، ومنها إلى المعسكر العام في السن.

أما قائدهم عاكف فضلي بك فقد تأخر في الحلّة إلى يوم ١٨ ذي القعدة أو نحوه، وفيه تحرك إلى السّماوة مع قليل من الفرسان حيث يواجه عجمي بك السّعدون.

الناصرية والعمارة:

في يوم ٩ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ، وردت هذه البرقية مؤرخة ٧ أيلول من وكيل قائم مقام الحلّة العصيمي إلى قائم مقام النجف، وهي:

نبشركم بمظفرية عساكرنا، وأن العدوّ انسحب من العمارة والناصرية، وان القائد أحمد بك مع القوّة العسكريّة وصل الشطرة مع المجاهدين متوجهين إلى الناصرية والفيلق تقدم إلى العمارة. وقد أمر قائم مقام النجف على أثر ذلك بإنارة البلدة ونودي بهذه البشارة.

وقد سبق ذلك ورود برقيتين من القائد العام فحواهما دوام الحرب في(عليّ الغربي) بالمدافع مع كتائب المجاهدين وذلك بتاريخ ٧ ذي القعدة و٨ سنة ١٣٣٣هـ.

ثم ما زالت تتدارك برقيات القائد العام بشأن الحرب بين الكوت والعمارة، ولم ينكشف انسحاب الإنكليز من الناصرية والعمارة بذلك التاريخ.

حرب العراق عن برقيات القائد العام[1]:

١ - جرت بالأمس واليوم مبارزة بالمدافع بين سفائن العدوّ الحربيّة وبين مواضعنا، ولم يصبنا أدنى ضرر ولله الحمد.

---

(١) راجع كذلك جريدة (صدى الإسلام) البغدادية التي كانت تنشر البرقيات والبلاغات الخاصّة بحرب العراق، ومنها ما أورده الشبيبي في مذكراته.. على أن تباين الأسلوب في بعض البلاغات والبرقيات يدلّ على أن النجف كانت تصلح ما يردها حيّ وجدت الركاكة واختلت العربية.. وما ذلك ببعيد على النجف إذ كانت يومها وقبل ذلك بفترة طويلة وبعد ذلك أيضاً من حصون العربية المنيعة، أشار إلى ذاك الشبيبي في بحثيه (النجف وطبقات شعرائها) و(شذرات من تاريخ الأدب في النجف) المنشورين في مجلة الاعتدال العدد الرابع السنة الثانية والعدد السّادس ١٩٤٦ على التوالي.
وفي (كتاب النجف) فصل في(تاريخ العلوم والآداب في النجف).. يقول الشبيبي في مقدمته:
(مازالت النجف من أكبر عواصم العلم للشيعة وهي أكبرها منذ نحو قرنين، وما انفكت من أول ما خُططت مأوى كثير من فقهاء الشيعة، ومتصوفتهم وزهّادهم، وما عبر عليها عصر خلت فيه من ادب أو اديب، غير أن لها عصوراً معروفة حجّ إليها النّاس فيها من أجل التعلّم والتفقه، ورأس على رأس كلّ عصر منها إمام واحد أو اكثر من مشاهير أئمة الشيعة ومخرجيهم أقدمها عصر أبي جعفر الطوسي على أثر هجرته إلى النجف وأقرانه فيها النّاس وشدّهم الرحال إليه في منتصف القرن الخامس.. ثم عصر أبي عليّ الطوسي بن أبي جعفر، وقد خلف اباه ثمة في الأقراء وعاصره جماعة من أصحاب ابيه.. ثم عصر عماد الدين الطبري النجفي تلميذ أبي عليّ الطوسي في منتصف القرن السّادس، وفي هذا العصر زاحمت الحلّة السيفية النجف من الجهة العلمية وصارت إليها رحلة الشيعة نحو ثلاثة قرون. ففتر النّاس عن الرحلة إلى النجف من تلك الجهة مدّة طويلة أي من منتصف القرن السّادس حيث عصر إبن إدريس، وسديد الدين الحمصي في الحلّة إلى منتصف القرن التاسع حيث عصر ابن فهد الحلّي فيها، وهو آخر عصورها المشرقة، فكان الشأن الأكبر للحلّة في خلال ذلك.
على أن النجف ظهر فيها طوال هذه الفترة طائفة من العلماء المشاهير سواء كانوا ممن أخرجتهم المدينة أو ممن جاوروا فيها، حتّى جاز لنا أن نطلق عليهم (علماء الفترة وفي النجف).
ثم لما هرمت الحلّة وانقضى عهدها العلمي عادت النجف فاستقلّت مرّة أخرى بالعلم والرحلة إليه، واتصلت أو كادت حلقات عصورها العلمية من أول القرن العاشر - الى منذ سنة ٩٠٠ تقريباً إلى الآن - فكان أولها عصر الشيخ عليّ بن عبد العال الكركي المحقق الشهور، ومعاصرة الشيخ إبراهيم القطيفي.. ثم عصر الشيخ الأردبيلي الزاهد، وصاحبه الملا عبد الله اليزدي.. ثم عصر الشيخ عبد النبيّ الجزائري.. ثم عصر الشيخ حسام الدين النجفي، فعصر الشيخ فخر الدين الطريحي.. ثم عصر أبي الحسين الشريف ومعاصريه، فعصر الفتوني، فعصر الطباطبائي، فعصر الشيخ جعفر الكبير، فعصر ابن الشيخ، فعصر صاحب الجواهر، فعصر الشيخ مرتضى الأنصاري، فعصر تلامذة الأنصاري وغيرهم، فعصر الطوسي الأخير..
فهذه حلقات هذه السلسلة من العصور الآخذ بعضها بأطراف بعض، وقد تكوّنت في أثنائها أشهر الأُسر المعروفة بالعلم والأدب: كآل الخمائسي، وآل الطريحي، وآل الجزائري، وآل محي الدين، وآل البلاغي، وآل الطباطبائي، وآل الشيخ جعفر، وآل النحوي، وآل الأعسم، وآل الجواهر، وآل القزويني، وآل قفطان، وآل الشيخ راضي، وسواهم من البيوتات المعروفة والمندرسة، ولنأت على ترتيب تلك العصور...).

٢- أسقطنا بنيراننا طيّارة للعدوّ كانت قد حلّقت على مواضعنا فاغتنمناها وأسرنا راصدها الّذي برتبة (قول أغاسي) وربانها (ماكينست) وسترسل الطيّارة والأسيران إلى بغداد في باخرة خليفة، وكانت هذه الحوادث في ٧ ذي القعدة.

العراق عن البلاغات الرسميّة:

فاجأت إحدى مفرزاتنا السيّارة من المجاهدين ليلة ٣٠ أغستوس سنة ١٣٣١هـ، معسكر العدوّ في قلعة النجم، وقد قُتل من العدوّ عدد كثير، واغتنم المجاهدون غنائم كثيرة، وفي اليوم الثاني هجم المجاهدون على معسكر العدوّ أيضاً فسقط من العدوّ أكثر من ١٠٠ قتيل واندحر من مواضعه.

ومنه أيضاً:

١- باغتنا ليلة أمس (ليلة ٨ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ،) بالنيران معسكر العدوّ بموفقية.

٢- على أثر محاربة قصيرة بالمدافع وقعت في هذا الصباح (صباح ٨ ذي القعدة) رجعت سفائن العدوّ وقد أصابت في محاربة أمس إحدى مرميات مدافعنا الضخمة جنيبة للعدوّ كانت تحمل المدافع الضخمة وتضررت الجنيب وتلف خمسة أنفس.

٣- قام المجاهدون بمباغته معسكر العدوّ الّذي في جوار الناصرية، فأخرجوا العدوّ من متاريسه وكبدوه خسائر مهمّة ولحقوه إلى معسكره معقبين.

٤- أرسلنا إلى بغداد الطيّارة التي اغتنمناها من العدوّ مع الأسيرين وهم راصدها القول أغاسي (أنكيس وا) والملازم الأول (تربلور) وأرسلت طيّارة أخرى للعدوّ بسبب تضررها.

ومنه أيضا بتاريخ ١١ ذي القعدة:

دخلت أمس واليوم فرساننا وطلائعنا المفاجئة معسكر العدوّ، فحصلت بينهم مصادمات انجلت عن قتل وجرح ما يربوا على ١٠٠ نسمة من العدوّ، أما ضايعاتنا فعبارة عن ٣ أشخاص جُرحوا بصورة خفيفة، نتجت مفاجأتنا اللّيلية التي حملنا بها

على معسكر العدوّ بالقرب من الناصرية على ضايعات مهمّة العدوّ.

حرب العراق:

١- أن التعرضات والمفاجآت اللّيلية التي أجريناها ضد العدوّ في جبهة الدجلة، وقد أورثته خسائر فادحة.

٢- لم يحدث ضرر من قنابل طيّارة العدوّ ونيران مدافعه، وقد انهزمت بتأثير نيراننا الطيّارة التي كانت تتجول فيق مواضعنا.

٣- تصادمت كشفاتنا الخيّالة مع بلوكين من خيالة العدوّ كانا تحت حماية خمس من سفنهم ودامت المصادمة ساعة ونصف، تجلّت فيها شجاعة خيّالتنا فانهزمت خيّالة العدوّ مع سفنهم، ولم يقع منّا في هذه المصادمات سوى جرح جندي واثنين من المجاهدين جروحا خفيفة، وتلف وجرح بضعة حيوانات لا غير.

هذا بتاريخ ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ.

أيضاً:

حاولت خمس بواخر للعدوّ أن تسير صباح ٩ أيلول محامية لفئة من فرسانه الزاحفة من ضفة دجلة اليسرى على مواضعنا، فقابلتهم طليعتنا المكتشفة القويّة فأجبرتهم على التقهقر والانسحاب، ولا زالت قوى العدوّ التي تتجول على مجاري دجلة والفرات بحماية حرّاقاته متكبدة للخسائر الفادحة والتلفات العظيمة، تاركة لنا الغنائم الغزيرة على أثر مفاجأتنا الناجحة.

أيضاً:

ليلة أمس - هي ليلة ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ-، أجرت قطعاتنا المتقدمة على جانبي النهر مفاجأة مدفعية ضد معسكر القسم الكلّي من قوات العدوّ وسفائنه المجتمعة في دجلة، فاضطر العدو إلى أن يأخذ قواته إلى السّفن ويحرق مضاربه بعد أن تكبّد خسائر كبرى، على أن العدوّ المصاب بالذعر والخوف من هذه المفاجأة قد تشبث بعد ساعتين بسوق حرّاقة (موطور) واحدة وسفينتين مع خيالته إلى استقامة

جبهتنا، ولكن قطعاتنا المهيأة ضد هذه الحركة من قبل قابلت العدوّ واضطرت سفائنه وخيّالته إلى الرجوع والفرار، وقد فهم أن العدوّ قد خسر في مفاجأتنا اللّيلية قبل هذا ١٥٠ جنديا، أما ضايعاتنا فهي جريح خفيف وبضعة حيوانات.

دار الحكومة القديمة:

في يوم الخميس ١٢ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ، انتقلت دواوين الحكومة العثمانية عائدة إلى دارها القديمة بعد أن أصلحها الأهلون وكانت مخرّبة منذ الفتنة، وكذلك جدد نصب (الحرية) الّذي دمره الثائرون، وكانت دواوين الحكومة قبل ذلك في خان الهنود واليه كان يختلف المستخدمون.

عود الماء إلى النجف[1]:

في عصر اليوم ١٥ ذي القعدة عاد الماء وجرى في الحيدرية، وكان انقطاعه على أثر المحنة أي أنه دام منقطعا نحو ٤ أشهر، وقد دعى إلى تطهيره عشائر الجعارة من قبل السيّد كاظم اليزدي، وعملوا على تطهير النهر قرابة شهر، وقد كان الماء يُجلب إلى النجف من الفرات طول تلك المدّة على السّكة الحديدية غير دواب السقائين.

---

(١) (الأقنية والمياه في النجف) فصل من فصول (كتاب النجف) المخطوط للشبيبي، جاء فيه على ذكر نهر النجف، قناة آل اعين، نهر التاجية، قناة الجويني، الطهمازية، المكرية او نهر الشاه عباس وقناته الهندية، وقناة أصف الدولة، قناة السيّد، كري الشيخ، نهر السنية، نهر الحيدرية.
ويقول الشبيبي في التعريف بمصادره في هذا الفصل:
(استقينا لهذا الفصل وللفصل الّذي تقدمه من عدّة كتب) مطبوعة ومخطوطة عربية وفارسية، أهمها كتاب: (اليتيمة الغروية والتحفة النجفية) للسيّد حسين البراقي النجفي، مخطوط فيه مادّة ممتعة ولا توجد في غيره، وكتاب(فرحة الغري) للسيّد عبد الكريم بن طاوس، طبع في العجم، وكتاب (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب) للسيّد أحمد بن عليّ الداودي الحسني طبع الهند، و(مختصر التاريخ الفارسي) طبع العجم، وكتاب (مجالس المؤمنين) للقاضي نور الله التستري فارسي طبع العجم، و(كشكول) الشيخ يوسف البحراني) طبع الهند، و(حبيب السير في أخبار أفراد البشر) فارسي لغياث الدين بن مير خوند، و(روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء) فارسي لير فوند، و(مستدرك الوسائل) للشيخ ميرزا حسين النوري النجفي طبع العجم، و(الفوائد البهائية) للشيخ بهاء الدين من آل نظام الدولة فارسي طبع العجم، و(إجازة السيّد عبد الله الجزائري) مخطوطة، ومعجم البلدان للحموي طبع مصر، وغير ذلك من كتب ورجال وإجازات وتاريخ ولغة، هذا غير ما استخرجه المؤلف بالنظر والمقابلة وبعض ما استعان عليه بالمشاهدة.).

النجفيون والدفاع:

في يوم ١٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ، وردت برقية من القائد العام في العراق نور الدين مخرجها المقاصيص يشكر فيها العلماء ورؤساء المتغلّبين: عطية، وسيّد مهدي، والحاج سعد، ويدعوهم فيها إلى الاشتراك بالدفاع فأجابوه، وتوقعوا إجراء النفقة ونحوها من آلة السّفر.

وفي يوم ٢٠ ذي القعدة نشر النجفيون في شقّ العمارة وزعيمهم عطية لواءهم على المسرجة في ساحة المشهد الغروي، ومكتوب على اللّواء (نصر من اللّه وفتح قريب) وعليه أيضا الشعار العثماني، ونشر علم آخر في شقّ المشراق.

حرب العراق عن القائد العام في الكوت:

١- تكبد العدوّ أمس خسائر جمّة (١٩ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ) على أثر مفاجأتنا له.

٢- دحرنا العدوّ اليوم ففر مقهقراً بالرغم عن استعماله لمدافعه البرية والنهرية وصرفه لكثير من الذخائر الحربية، ولقد خسر في هذه المصادمة حرّاقتين أورثتهما مدافعنا الضخمة خللا بيّناً، وقتل منه عدد كثير شاهدنا منه مايربو على ٢٠٠ قتيل، أما ضايعاتنا فعبارة عن شهيد واحد وعشرة جرحى.

٣- حاولت طيّارة العدوّ أن تحلّق هذا الصباح على مواضعنا، فما كان من مفرقعاتنا (شراينيلنا) إلاّ أن أصمتها فأسقطها، لكنّا لم نتمكن من القبض عليها حيث إنها سقطت في جانب العدوّ.

٤- زحف لواء فرساننا مع عدّة من كتائب هجّانتنا فاحتلوا موقعاً مهماً على خطّ رجعة العدوّ وخلف مواضع جبهته بأربعين كيلو متر وخرّبوا أسلاكهم البرقية، واغتنموا آلة التلغراف، كما ضبطوا فأحرقوا أثناء الحرب حرّاقته المسماة (شطّ العرب) حينما ساقها من الجبهة إلى خلفها حاملة لمفرزة البرق ابتغاء ترميم الأسلاك التي دمرناها، أما مرتباتها فقد تلفوا برمتهم وأما مفرزة فقد أسرناها.

٥- ضبطنا ٢٥ سفينة من سفائن العدوّ الشراعية حاملة[1] للأرزاق فأحرقناها ومحوناها تماماً، وخمنت أثمان الذخائر التي كانت تقلها بـ ٤٠٠٠٠ ليرة.

٦- ستساق الأسرى إلى بغداد في باخرة الغد.

في أعراض الناصرية:

ما زال عرب آل إزيرق القاطنون في ضواحي الناصرية يوالون الهجوم ليلاً عليها أكثر شهر ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ، وفي ليلة ١٧ من الشهر المذكور جم العبيدات - وهم فرقة من آل إزريق - على معقل للإنكليز فقتلوا خمسة ممن فيه واغتنموا بندقيتين وخيمة، وقُتل من العرب واحد وجرح آخر، وفي اليوم نفسه - يوم ١٧ - قدم المجاهدون من قبائل خفاجة وضربوا فساطيطهم في البطيحة على ساعتين من الناصرية.

أما العشائر التي في قلب الغراف كالشويلات، وآل أبي سعد، والعبودة فهم على قدم الاستعداد والتقدم إلى الناصرية.

أما عشائر المجرة فهي إلى الآن تنتظر الوثبة بالإنكليز، وآل حسن لم يطووا إعلامهم نحوهم حكام، وأن زعماءهم يكاتبون رجال الحكومة العثمانية مع إنهم في منطقة النفوذ الإنكليزي، وقد أخذ الإنكليز يلاينون طوائف العرب ويعاملونهم بالحسنى جلباً لقلوبهم، وينثرون بينهم الأصفر الرّنان.

إخلاء الكوت:

أن الجنود العثمانية التي انكفأت عن الشعبية وعادت إلى الناصرية أقامت فيها أياماً ريثما استراحت، ثم فارقتها في جمادى الثانية سنة ١٣٣٣هـ، إلى الكوت في طريق الغراف، وكانت البعوث الجديدة تتوارد إلى بغداد مع القائد الجديد (نور الدين بك) وبعده فتسير إلى الكوت.

ثم حدثت حادثة القرنة فالعمارة فتواصل من بقي هناك من الجنود مع الجنود التي انقلبت من الأهواز على أثر الاستيلاء على العمارة تحت قيادة (محمّد باشا

---

(١) في (صدى الإسلام) العدد ٥٨ الصادر يوم الأربعاء ١٩ ذي القعدة: سفائن العدوّ الذوات شرع حال كونها حاملة...

الداغستاني) وكان ذلك في رجب سنة ١٣٣٣هـ، فصار معسكر العثمانيّين في الكوت، وأنشاؤا ملاجئهم في الموضع الّذي يسمّى (السن) وهو مرتفع في جنوب الكوت على رأس ساعتين منه يكون على عدوة دجلة اليسرى.

وهذا الموضع معروف بصعوبة مرامه لإشرافه على ما حوله ولوقوعه على منعطف من منعطفات دجلة بحيث تنكشف لمن فيه مقاتل الأعداء إذا أرادوه في الوادي، وقد نصبت فيه أضخم مدافع العثمانيّين واتخذ جمهور الجند متاريسهم هناك وإزاءهم على عدوة الوادي اليمنى فرقة أخرى من الجنود.

وقد انضم إلى عسكر دجلة هذا عسكر الفرات الّذي فصل إليها في أوائل ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ، بأمر من القائد العام نور الدين.

ثم أن عامة الجنود العثمانية والمجاهدين تقدموا في منتصف شعبان سنة ١٣٣٣هـ، حتّى قاربوا العمارة ونشبت بينهم وبين الإنكليز الّذين كانوا مشغولين يومئذ بالناصرية والمجرة عدّة وقائع تقهقر فيها الإنكليز من (عليّ الغربي) و(كميت) إلى العمارة وضويقوا فيها.

وبينا هم كذلك إذ استولى الإنكليز على المجرة والناصرية فعاد العثمانيون الّذين ضايقوا العمارة أدراجهم إلى الكوت، وورد من نجى من حامية الناصرية على الكوت، وركن الفريقان إلى الراحة وإعداد المعدات إلى حرب دجلة فلم تقع إلاّ مناوشات طفيفة في رمضان.

وفي أواخر شوال سنة ١٣٣٣هـ، تقدمت الجنود العثمانية إلى (عليّ الغربي) ونشبت هناك عدّة حروب ثم تقهقروا على أثر ورود الإمداد إلى الإنكليز، وشرع الإنكليز يتقدمون نهراً وبراً حتّى صافوا العثمانيّين في معسكرهم العام.

ونشبت وقائع مهمّة بين الفريقين لا سيما بين كتائب الطلائع وذلك منذ أوائل ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ، أدرك الإنكليز في أثنائها امتناع (السن) عليهم، وكانت الأعناق متطالة إلى الحوادث الجارية هناك، وعامة الناس موقنون برجحان الكفّة العثمانية. ففي

أثناء ذلك فاجأنا على غير انتظار خبر إخلاء الكوت أو سقوط الكوت مع (النقالة) الواردين من دجلة، وكان وصول هذا النبأ إلى النجف بغته في ٢٢ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ.

وفي عصر ذلك اليوم حمل السّعادة كتب العصيمي قائم مقام الحلّة إلى عطية النجفي والى قائم مقام النجف تعرب عن إخلاء الكوت وتنحي القائد العام عنه.

وفي يوم ٢٣ ذي القعدة ورد كتاب من شطرة المنتفق فيه أن نبأ الكوت سقط إليهم في يوم ٢٠ ذي القعدة، وأن أحمد بك القائم مقام العسكري الّذي كان في الشطرة غادرها ليلاً، فيظهر أن إخلاء الكوت وقع يوم الأربعاء ١٩ من ذي القعدة ولم يتضح بعد كيف تم هذا الأمر الغريب.

وروى لنا أحد القادمين من الكوت ومن حضار الواقعة أن إخلاء الكوت كان يوم الأربعاء ١٩ ذي القعدة.

كيف أُخلي الكوت:

وروى النقالة (الجنّازة) وغير واحد من البلط (الأفراد من الجند) أن تعجيل الإخلاء تم لتوقع الإحاطة بالعثمانيين من الإنكليز، وذلك إنهم رأوا عقم الهجوم على السن من النهر والبرّ القريب منه، فوجهوا معظم قوّتهم واهتمامهم إلى فتح طريق تؤديهم إلى ما وراء المعسكر العثماني ليضطروه إلى مغادرة معاقله الممتنعة فيتهيأ لهم الإيقاع به.

أما الطريق الّذي يفضي بالإنكليز إلى تلك الغاية فهو الشويكة - الشويكة منخفض عريض شرقي الكوت بينها وبين حصان تنتهي إليه فضول المدود مدود دجلة وسيول جبال حلوان فيستحيل أحيانا بحيرة عظيمة كما تفق في هذا العام عام ١٣٣٣هـ - وكان في جهة الشويكة طائفة متضعفة من الجنود العثمانية - نحو طابورين - مرابطة لصدّ مثل هذه الغارة الإنكليزية غير إنها لا تكفي لردّ هجوم القوى التي هاجمتها فعلاً فأبادت أكثرها بعد طلبها الإمداد الّذي لم تحصل عليه.

فلما أدرك القائد غاية الإنكليز من هذه المباغتة أمر تفادياً من شرّ الإحاطة به بالتنحي عن السن، فشرع عامة الجيش بالتأخر إلى (البغيلة). وكانت الطريق ممهدة

فسهل انتقالهم، ولم يفقد من ذخائرهم ومدافعهم شيء، وذكروا أن القبائل أرادت التعرّض لهم فصبّوا عليها نيرانهم الحامية وردّت منهزمة بعد مقتلة عظيمة. فلم يتم للإنكليز ما أرادوه وان تم إخلاء الكوت وتجاوز الجيش البغيلة، ومما يدلّ على أن التأخر تم لهذا السبب وبهذه الصورة برقية القائد العام التي وردت إلى النجف في يوم ٢٤ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ وهذا نصها:

بيت عداي - وهم فرقة من زبيد تقيم في شمال البغيلة على رأس ساعتين - إن انسحابنا من موقع الكوت ليس هو من جهة مغلوبية بل من جهة تدبير فنّي لتكون فيه وضعيتنا الحربية مساعدة، وهذه الحركة التي اتخذناها جارية بكمال الانتظام، وقد جعلت تشبثات العدوّ عقيمة، وليس شيء مما يوجب الهيجان والاضطراب فينبغي للأهالي أن يكونوا مستقرين، وأن يظهروا العزم الديني أكثر من كلّ وقت، ويستبشروا بنتيجة فائدة للإسلام؟إن شاء الله، بلّغوا بيان نامتنا إلى أهالي الولاية.

ذيول كائنة الكوت:

في يوم الاثنين ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ، قبل طلوع الشمس هجم الإنكليز من النهر والبرّ على السن، ونشب القتال الساعة ٥ عربية فرجع الإنكليز بلا نتيجة.

وفي فجر الثلاثاء ١٧ أعادوا الكرّة وحمى الوطيس النهار كلّه، وجرت مبارزة شديدة بالمدافع، وقد أنس الإنكليز ضعفاً في الجناح الأيسر مما يلي الشويكة فوجّهوا معظم قواهم عليه وأنهضوه في عصر ذلك اليوم، فتداركه القائد العام بعد اللّتيا والتي بجنود ومدافع فاستردّ بعض ملاجئهم، ودامت الحرب إلى السّاعة ٥ ليلاً، غير أن طائفة من الإنكليز نفذت في أثناء تضعضع الجناح الأيسر إلى ما ورائه، علم ذلك من قذائف المدافع التي تساقطت من تلك الجهة ومنها قذيفة أصابت فسطاط القائد نور الدين، فعند ذلك أشعر القواد الصغار، بالانسحاب العام في تلك السّاعة، ولم يُقتل من الجنود العثمانية على ما ذكروا أكثر من خمسمائة في تلك اللّيلة وتم على ما تقدم، أما الإنكليز فقتلاهم أضعاف ذلك.

كان مجموع القوّة العسكرية التي انسحبت من الكوت ١٩ طابوراً عدا المجاهدين مع ٥٠ مدفعاً بل أكثر.

سلمان باك:

احتاط العثمانيون بعد سقوط العمارة فأنشأوا بينها وبين بغداد عدّة خطوط من الملاجئ والمتاريس آخرها ملاجئ سلمان على رأس ٧ ساعات جنوب بغداد الشرقي، فلمّا تقهقروا من الكوت لم يتهيأ لهم الثبات في البغيلة أو العزيزية والصويرة لا سيّما وقد طالت على هاتين الأخيرتين أيدي الأعراب فأصبح ما فيهما نهباً مقسماً، فتعيّن أن يكون مركز القيادة العامة في سلمان باك فكان ذلك، وتعدى القائد العام إليه من (بيت عداى)، ونقل إلى سلمان باك جسراً قراره بغداد فبقيت بغداد بلا جسر، وأرادت التقدّم حرّاقات الإنكليز فقابلتها المدرعة الألمانية الصغيرة (بونير) وطردتها إلى ما وراء الصويرة.

وفي يوم ٢٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ، حلّقت طائرة إنكليزية على المعسكر في سلمان باك وألقت عدّة قنابل، وحلّقت بعد ذلك في سماء بغداد، أما معسكر الإنكليز فقد ذكر أنه في الصويرة، ونقلت أيضاً أسلاك التلفون من بغداد إلى سلمان باك.

حالة بغداد:

اضطربت بغداد بعد وقوع ما سبق، ورأت الحكومة العثمانية انتقالها إلى سامراء وإخلاء بغداد من الآثار العثمانية، وقد بدأت بذلك لا سيّما بعد أن حلّقت الطيّارات الإنكليزية في سماء بغداد في ٢٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ، ولم تحدث حدثاً.

وفي ليلة ٢٥ ذي القعدة ليلاً حلّقت المرّة الثانية، وأرسلت عموداً شعاعياً أضاء المدينة، فتوقف المصرف العثماني عن الدفع على أثر ذلك وسقطت الأوراق المالية، وحمل التجار بضائعهم وأمتعتهم إلى بيوتهم، وهبط المصطافون على ضفاف دجلة إلى المدينة، وقاربتها عشائر الدليم وزوبع وشمّر طوقة، ووضعت الحكومة يدها على الحبوبات والأسمان، ومنعت خروج أيّ كان إلى أيّ جهة كانت، وقررت (عاطف بك)

قائد خانقين محافظاً للمدينة فلم يقبله الأهالي، ووضعت بضاعة الأجانب الموجودة في دار المكس في المزايدة، ونقلت ما يدخل في حاجتها من محل (شركة لنج) إلى مقرّها الجديد، ونودي على ما لا تحتاجه من هذا المحل في الأسواق، وتأهب الهلال الأحمر إلى مغادرة بغداد... كلّ ذلك بين ١٨-٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ.

مؤتمرات النجفيين:

لما بلغ المترأسين في النجف خبر الكوت خفّوا إلى عامل البلدة (القائمقام) فطيّبوا خاطره وطمنوه وأشعروه بالإخلاص الّذي انطووا عليه للدولة العثمانية. ثم عقدوا بعد ذلك عدّة مؤتمرات تحالفوا فيها وتداولوا بشأن ضبط المدينة وتدبير أمورها. وفي يوم ٢٤ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ، استلموا أزمة الحكومة في البلدة وتولّوا ما يعود إلى الحل والعقد والجباية والمكوس فيها، وأحدثوا بعض الضرائب الجديدة يوم ٢٥ ذي القعدة على التمور.

الشيخ الرئيس:

في يوم ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ، قدم النجف من القسطنطينية مارّاً بالعجم شيخ يدعى (الشيخ الرئيس) وهو من ذراري فتح عليّ شاه القاجاري ومن مشاهير أنصار الجامعة الإسلامية.

وفي يوم ٢٦ ذي القعدة أذيع في البلد أنه ينوي الخطابة في اللّيلة المقبلة، وفيها - في ليلة ٢٧ - اجتمع خلق كثيف في المشهد العلوي في جملتهم فريق من علماء البلدة وطلاب العلوم والأعيان ومستخدمو الحكومة العثمانية وجملة المترأسين، وما أزفت السّاعة ١ من تلك اللّيلة حتّى قرع المنبر فخطب بالعربية والفارسية أكثر من ساعة، خطبة ظهر عليها أثر التجدد، شفت عن أدبه ومشاركته الحسنة لا سيّما في الآداب العربية، وقد سبق له التحصيل في العراق فسمع في النجف في حدود سنة ١٣٠٩هـ، من الميرزا حبيب الله الجيلاني ومن الأيرواني، وفي كربلاء من الأردكاني، وفي سامراء ثلاث سنين من الميرزا الشيرازي.

وذكر لنا أن له أصنافاً كثيرة منها ما طبع ومنها ما لم يطبع، وقد جرد كثيراً منها في الدفاع عن الجامعة الإسلامية والإسلام، مطرساً في ذلك أثر الأفغاني ومحمّد عبده، منها ردّ القادياني مسيح الهند، المنتخب النفيس من آثار الشيخ الرئيس، فرح القلوب في العقائد، فهرس ما عنيت فيه الفرق من الأبحاث التي يجب طيّها اليوم، وذكر أنه يطبع ديون شعره، أنشدنا بعضه، وهو يحسن النظم في الفارسية والعربية، وله قصيدة أولها:

يَا أرضُ طُوسٍ طَالَ عَنكِ بُعادي

وقد فارق النجف صباح ٢٧ ذي القعدة عائداً إلى الأستانة.

ذيول كائنة الكوت:

عصر اليوم ٢٧ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ، وصل إلى النجف السيّد عبد الرزاق الحلو من مشايخ معسكر الكوت، وقد تخلّص هو وجماعة من أمثاله إلى (عفك) منهم: السيّد مهدي السيّد حيدر الكاظمي، عاد إلى الكاظمية، والشيخ مهدي الخالصي، تأخر في الدعارة، وكان السيّد عبد الرزاق الحلو ممن بكّر في الخروج إلى الدفاع، وذلك في محرّم سنة ١٣٣٣هـ، فمرّ من الفرات إلى البطائح فأجابه جماعة، وأقام مدة في جملة المدافعين حول القرنة إلى أن ظهر عليهم الإنكليز، فتأدّى بعد حين إلى الكوت وأقام فيه إلى أن استولي عليه.

وقد روى أن الفيلق انسحب بغتة في اللّيل بعد ثلاث معارك شديدة قدر النصر فيها له، وأنه قد تم للقائد نقل أكثر الذخائر والمؤن، ولم يتخلّف إلاّ مدفع ثقيل، وقد تأثرت السّفن الإنكليزية في النهر سفن العثمانيّين فلم تحصل على طائل على طائل اللّهم إلاّ سفينة مشحونة بالذخائر جنحت بها الباخرة (بصرة) فخلّيت ونهبت ذخائرها الأعراب. وتقدم الإنكليز إلى البغيلة ففارقها المستخدمون العثمانيون، وقرر أولئك في البغيلة رئيس بلدية من قبلهم، وذكر أن أحد قادة الجيش العثماني قتل من أهل البغيلة ١٤ رجلاً في أثناء مروره عليها إلى غير ذلك ومئات من العشائر.

سؤال من القائد العام:

في يوم ٢٧ ذي القعدة وردت برقية من القائد العام مخرجها سلمان باك - أي مشهد سلمان الفارسي - إلى النجف يسأل فيها عن المجاهدين وعددهم وما يلزم من العدّة والأهبة لهم، فانعقد على أثر ذلك مؤتمر في دار بعض الأعيان للمداولة في هذا الشأن وأبرقوا للقائد في يوم ٢٨ بالنتيجة.

بغداد والعثمانيون:

في أواخر ذي القعدة سنة ١٣٣٣ هـ، غادر بغداد كثير من ضباط الحصون والاستحكام لاحكام هذا الموضع بعد موضع سلمان باك، وعزمت العدلية على الانتقال. ومازالت الطيّارات في هذه الأيام محلّقة في سماء بغداد وضواحيها، والقطار رائح غاد ينقل المهمات من بغداد، وقد أخرجت البنادق الفتيلية والمدافع الأثرية القديمة.

حرب العراق:

البرقية الواردة من القائد العام المؤرخة ٢٨ أيلول سنة ١٣٣١ [مارتية] أو ١ ذي الحجّة سنة ١٣٣٣ هـ، :

أن الاغتيال(باصقين) الّذي أجرى ليلة أمس على موضع العدوّ في ساحل دجلة الأيمن - عبرها - قد أنتج حرباً دامت ساعتين، وقد خسر العدوّ ٨٠ قتيلاً وكثيراً من الجرحى، وهلكت بغال ثمانية مدافع، واغتنمنا من العدوّ ٤٠ بندقية، وعشرة مسدسات، وذخائر وتجهيزات عسكرية كثيرة جداً. أما خسائرنا فهي ٨شهداء و٣ جرحى، وبصعوبة كليّة نجت من أيدي مجاهدينا مفرزة العدوّ ومدافعه بسبب مجيء السّفن لإمدادها وقد ألقت طيارة العدوّ على قطعاتنا المتقدمة صباحاً ٨ قنابل ولكن لم تحدث ضرراً أبداً.

وفي هذه الحرب أبرز عجيل بك شيخ عشيرة زبيد، والشيخ عمران وأتباعه مفاداة جدير بالتقدير، وأن خيّالتنا في السّاحل الأيسر طردت خيّالة العدوّ الكشافة التي تركت ثلاثة قتلى.

حرب العراق:

صورة البرقية الواردة من القائد العام المؤرخة في: ٢٧/ ٢٨ أيلول سنة ١٣٣١ [مارتي]، ذي الحجة سنة ١٣٣٣هـ:

١- أبادت اليوم خيّالتنا بتعرّضها وهجومها في جوار العزيزية بلوكاً من خيّالة العدوّ، وأن الفارّين من إمام تعقيباتنا الشديدة لم ينج منهم إلاّ بضعة أنفار التجأوا إلى معسكرهم بحماية مدفعيتهم، وقد اغتنمنا أشياء وأسلحة، وفي الزمان نفسه أجبرنا أيضا حرّاقات العدوّ (موطورات) على الرجعة، وفي هذه الحرب جرح الملازم عليّ أفندي مع جنديّين واستشهد جندي واحد.

٢- وفي المفاجأة (باصفين)التي أجريناه في موقع تلّ اليسار ليلة أمس أورثنا العدوّ خسائر كبيرة واغتنمنا أسلحة مع راية وأسرى، ومن المفاجأة التي أجريت في الناصرية أهلكنا ١٧ من الجند العدوّ وغنمنا أسلحتهم.

مراجعات برقية:

كان المتغلبون في النجف يراجعون القائد العام- قبل سقوط الكوت- بالحركة في الدفاع كما تقدم، فلما أُخلي الكوت كتبوا إلى القائد يأسفون على ما جرى، ويُظهرون أن مهمتهم صارت الدفاع عن المشاهد.

ففي٣ ذي الحجة سنة ٣٣٣هـ، أجابهم القائد بأن انسحابه لفذلكة حربية، وان أعمال المترأسين في النجف هي التي توجب الأسف وتهددهم بالقوّة العسكرية القريبة الورود.

كائنة نجفية:

في نحو ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ، ورد من نجد إلى النجف ركب شمّر للامتيار، وفي يوم ذي الحجّة كان بعض(آل أبي عامر) من أحلاف النجف على حراسه ماء (البركة) أن تطرقه الإبل.

وطرق البدو فواقعهم العامريون فقُتل من هؤلاء واحد وعدوا على جمل البدو فعقروه، ودوّى بينهم الرصاص، فلمّا تسامع النجفيون خرجوا وفي نيّة كثير منهم نجد الركب أن كان العدوان عليه - لأنه نازل بحماهم - وقد أساء البدو فهم خروج النجفيّين فأطلقوا عليهم النار فأجابهم هؤلاء.

ثم التجأوا إلى معاقلهم خارج المدينة وعلى السّور فصبّوا على الركب ناراً حامية، وكان ذلك في السّاعة ١١ من ذلك اليوم، فلم يصبر البداة على ما نابهم، وتركوا أعطانهم ومضاربهم هائمين على وجوههم، فمدّت السّقاط والسّفلة أيديهم إلى أمتعة القوم وأزوادهم، واشتملوا على مبلغ خطير من الأثاث والسّلاح والمال الصامت والناطق قدّر بـ١٥٠٠٠ ليرة، ودام النهب إلى السّاعة٢ من ليلة ٢ ذي الحجّة حتّى خرج بعض الأعيان والمترأسين فكفّ الجهال.

وقد نهبت للركب عير كثير أحتوى عليها أهل السّواد فكان لهذا العدوان أسوء وقع في في نفوس عقلاء النجف وغيرهم، وانجلت الواقعة عن قتل ٤من البدو وواحد من أهل النجف وآخر جريح، وقتلت أجمال كثيرة ونهب من الطعام نحو ٤٠ طغاراً.

وقد تلاوم النجفيون وائتمروا في المشهد الغروي نادمين، وتولّى عامّتهم حراسة الركب خارج المدينة ليلة ٢ ذي الحجّة، وكان رصاصهم يصفر طول اللّيل طرداً للعادين، وفي صباح ٢ ذي الحجة نودي من قبل السيّد كاظم اليزدي بوجوب إعادة المنهوب، جلّ أو قلّ، ونودي بذلك من قبل المترأسين مع الوعيد الشديد، وفتشت الدور فأحتمل السّواد كثيراً مما أحتووا عليه إلى دور المشايخ.

ولمّا بلغت الكائنة عشائر الفرات قاربوا النجف لشنّ الغارة وأمتحن أهل النجف بدفاعهم.

ففي عصر ٢ ذي الحجّة سنة ١٣٣٣هـ، عدا فرسان آل شبل فهزمهم النجفيون والبدو، وقُتل اثنان منهم بعد مناوءة طويلة، وفيه أغار فريق من خزاعة وهم آل براك فقابلهم النجفيون وأعادوا ما نهبوه.

وفي يوم ٣ ذي الحجّة كانت خيل مختلفة تصيب الطريق بين النجف والكوفة وبينها الجعارة سلبت بعض الاكرياء وعابري السّبيل، وفي عصر هذا اليوم قتل في طريق (القطعة) نجفي، وجُرّد خمسة نجفيين من أسلحتهم، فعل ذلك آل براك من خزاعة، وفي يوم ٤ ذي الحجّة أصابت خيل طريق الجعارة، وقُتل نجفي وخرج النجفيون في طلب الخيل.

حالة النجف:

لا يخفى أن سواد سكان النجف منذ عهد بعيد - سوى العلماء والطلاب وبعض الأشراف وذوى البيوتات والفرس - خليط من العراقيين من عامتهم المنحطّين في الأخلاق والآداب المدنية، فهم إلى أخلاق أهل القرى المتبدّين أقرب منهم إلى أخلاق أهل المدن الجامعة.

فمن مزايا أمثالهم إيثار التبدي والجفاء إذا وجدوا في طبيعة التحضر والتلطف ما لا يوافق طبائعهم وأحوالهم الاجتماعية.

ولما استعمل مدحت باشا والياً في العراق - من سنة ١٢٨٥هـ إلى ١٢٨٨هـ - ادخل بعض الأوضاع المدنية الحديثة إلى مدن العراق وترك فيها أثراً محسوساً من آثار التجدد، ومن أكبر الأوضاع الحديثة التي هجمت على متحضري العراقيّين في عهده إحصاء النسّمة وسنّ قانون الجندية، فكبر ذلك على عامة أهل المدن العراقية، وآثر كثيرون من سكّانها الهجرة إلى البادية، وغادر بعضهم المملكة العثمانية إلى العجم، لأن أهل البادية مستثنون من الجندية في العراق - وهو كذلك إلى الآن - فهاجر فريق من أهل النجف إذ ذاك إلى سواد الفرات القريب منهم، وفيه القرايا والبليدات الدنيا، فاشتغلوا في الفلاحة وغيرها.

ثم تدرجت وطأة التجنيد والإحصاء في الاشتداد فرافقها مهاجرة السّواد إلى عهد غير بعيد حتّى أعلن الانقلاب العثماني سنة ١٣٢٦هـ وتغيرت جملة من الأوضاع القديمة، فضعفت الدهماء عن مجاراة الأوضاع الحديثة فكانت البلاد تلفظ منهم

أحياناً من لا يصابرون محدثات الأمور، وشعرنا بقلّة السّواد ومال المتوطئون إلى التجمّل في اللّباس، وترك كثيرون الاعتمار بالكوافي والعقل وهي زي البدو والأعراب، وعدلوا في عمرتهم ولباسهم إلى ما يشبه الزي الشامي والخراساني، وهو فرع الزي العربي القديم، وحلّت الموادعة إجمالاً محلّ الخشونة والنزق، وقام الهدوء والسّكينة مقام العجيج والضجيج.

وأدركنا تبدد السّواد كما يتبدد ظلام اللّيل الأليل إمام قرن الغزالة، وحلمنا جريا مع النشوء والارتقاء بمستقبل جميل لا سيّما بعد أن أنشئت عدّة مدارس حديثة، وغرف قراءة، وجلبت مطبعتان، وسوى ذلك من أسباب الحضارة الحديثة.

على أن الناقمين من الجامدين ما زالوا يبسطون ألسنتهم في التجدد ودعاته، وكثيراً ما ثار ثائرهم كما فعلوا في شعبان سنة ١٣٣٢هـ إذ هجم العامة والنساء على دار الحكومة زاعمين إنها منعت ذكر الحسين(ع) بإغراء بعض الجهال حتّى التجأ رجال الدرك إلى إطلاق النار على المتجمهرين.

وبينا نحن كذلك نتهادى بين أشباح الأماني والآمال إذا بإعلان النفير العام في ١٢ رمضان سنة ١٣٣٢هـ، فاجترف سيله الوفا من سواد النجف المدلهم دفع أكثرهم إلى ثغر البصرة وقليل منهم إلى ديار الترك.

فلمّا وطأ الإنكليز تربة العراق ونشبت المعارك بينهم وبين العثمانيّين في أواخر ذي الحجّة سنة ١٣٣٢هـ، وفتحوا البصرة في ٢ محرّم سنة ١٣٣٢هـ، وفشل العثمانيون في استرداد البصرة، بل في المحافظة على القرنة في صفر سنة ١٣٣٣هـ، فرّ ألوف من جنود العراق كلّ إلى ناحيته ووطنه، ومنهم مراق النجف، وإنما زادوا عن غيرهم بتأليفهم عصابة منهم للدفاع عن أنفسهم ولحمل الحكومة على الأعراض عنهم.

وفي أوائل جمادى الأولى سنة ١٣٣٣هـ، دخلوا النجف، وكانت أيام الثورة، مسلحين مبدين صفحتهم للعثمانيّين وقد أرادوا الشغب في البلدة، فأمسك عنهم العثمانيون وأمهلوهم حتّى خرجوا، غير إنهم مرّوا في الجسر فتبادلوا إطلاق النار مع

الدرك فقتلوا واحدا من هؤلاء.. وقد جاسوا خلال البلد وأقلقوا بال الأهلين وخاشنوا المستخدمين.

وفي أخريات جمادى الآخرة سنة ١٣٣٣هـ، انتشرت لهم رقاع فيها أن محاربة الحكومة العثمانية أولى من محاربة المشركين، وفيها كلام وتهديد لعمال النجف والمترأسين فيها، فألمع قيم مقام النجف بذلك إلى بغداد - والوالي يومئذ سليمان نظيف بك - فجرّدوا إلى النجف من بغداد نحو ١٠٠٠ جندي مشاة وفرساناً قائدهم (عزت بك) وهو من أهل العراق، فلما وصل أذاع في البلد لزوم الأذعان إلى الجهة العسكرية والتسليم إلى أمر الحكومة فإن لم يفعلوا طوعاً حملهم عليه كرهاً بعد ثلاثة أيام، وشرع رجال الدرك والعسس بعد تمام المهلة يمسكون البلط والمتخلفين (البقايا) ويكبسون الدور ليلاً ونهاراً وربما تعرّضوا للنساء وقتلوا بعض المتمنعين، حتّى أمسكوا كثيراً ولكن من غير ذوى الفتنة.

أما هؤلاء فقد فرّوا إلى السّواد، وعيّرهم العرب بالفرار من وجه العثمانيّين، حتّى التجأوا إلى الهجوم على النجف في ليلة ٧ رجب سنة ١٣٣٣هـ، فكان ما كان من استيلاءهم عليها وطردهم للعمال العثمانيّين واستقلالهم بالبلد، فأحسسنا بوحشة إنزال العلم الّذي ألفناه متموجاً على رؤوسنا منذ قرون على ما فيه من العلاّت، وأصبحت حكومة النجف أعرابية سوداوية من ذلك الحين، واستبدّ كلّ مترأس بالحيّ الّذي يليه، والتفت حوله آله وعصابته وأحلافه من هذه الغثراء.

وأوجبت قضية ردّ الفعل، وهي ناموس من أهم نواميس الحياة، نزوح أولئك الهمج الهامج الّذين لفظتهم البلد بداعي نبوّ طباعهم عن قبول الأوضاع الجديدة... نزحوا إلينا حاملين بين جنوبهم عجرفية نصف قرن أمعنوه في مثل المحاجير والتاجية والجعارة والخرم وغير ذلك من سقي الفرات، حيث الجهل والفظاعة راسخاً الإقدام ثابتا الدعام، وحيث غلظ الحسّ وجفاء الطبع على أشدّهما هناك، فتاهوا وأزدهوا بغدرهم هذا العظيم وشنفوا الناس بأبصارهم، وتطاولوا على ذوي القدم والقدم في

البلدة، ومدّوا أيديهم إلى كثير من العقار يدّعونه، وتولّوا أعمالّ البلد فلم يزيدوها إلاّ خبالاً ووبالاً، إذ لم يرجعوا في حكومتهم إلى قانون وازع أو شرع رادع ولم يقيّدهم عهد أو ميثاق، رئيسهم غير مطاع ومرؤوسهم غير مطواع، فكلّهم راع وكلّهم غير مسؤول عن رغبته، وقد أُهملت المصالح العامة مثل مصلحة التنوير والتنظيف وإصلاح المياه ومصلحة الصحة، وتكالب القوم على الإسعاف إلى دنايا الشؤون، وقد تشبّه بهم كثيرون من المقيمين في البلدة، وانتشر زي الأعراب، وتكاثف السّواد حتّى لا ينفذ فيه بصر أقوى النّاس بصر أقوى النّاس بصراً وأحدّهم نظراً، وكثر نقلة السّلاح صغاراً وكباراً حتّى أرموا على ٨٠٠٠ مسلحاً بأحدث طراز من الناريات، فلذلك ما انفك صفير الرصاص مالأً أعنان السماء، ومازال وغى هذه الإمارة الجديدة ووغرها وجلبتها يصمّان الأذنان في كلّ آن، هذه حالنا اليوم والله أعلم بمصاير الأمور ٦ ذي الحجّة سنة ١٣٣٣هـ.

أهل الحسكة:

في يوم ٧ ذي الحجّة سنة ١٣٣٣هـ، أبرق الشيخ مهدي الخالصي من الديوانية إلى النجف بأن أهل (عفك) والدغارة تقدموا إلى الدفاع وتوجهوا إلى خطّة الحرب، وأن الشيخ معهم يتوجّه، ثم إنهم طلبوا ما يتجهزون به من العثمانيّين، وتأخروا.

حركة مدير الحجر الصحي:

يوم الأربعاء ١٠ ذي الحجّة سنة ١٣٣٣هـ، غادر النجف مدير الحجر الصحي وأعوانه، وكان النجفيون تولّوا جباية الضرائب المأخوذة باسمه، وقد أحال النظر في عمله إلى خازن المشهد السيّد محمّد حسن.

حركة الركب النجدي:

وفي يوم الخميس ١١ ذي الحجّة سنة ١٣٣٣هـ، أقفل قسم كبير من الركب (الحدرة) وقد غادروا النجف وهم غير راضين عن أهلها، وقد تولّى خفارتهم الغزالات.

اختلاف الشمرت[1]:

لا يخفى أن ظهر من قام بإلقاح فتنة ٨ رجب هم الشمرت، فتبعهم غيرهم وإن قرن تلك الكائنة في شقّهم نجم، وكان قطب تلك الحركة سعد الحاج راضي، وهو تان معروف وتاجر موسر اشتهر أخيراً بمناوأة العثمانيّين في النجف.

فلما تم النصر للثوار ذاع صيته ووثب بزعامة عامّة الشمرت، وأسقط الزعماء الأولين مثل الشيخ مطلق، والسيّد سلمان، وتنكّر لهم ولكثير من الشمرت في الخارج كالروازق وآل وهب، فحاول هؤلاء الإيقاع به والألباب عليه، وقد عضدوا رجال الحكومة العثمانية وشدّوا أزرهم أملاً بمحاسبته والاستقصاء عليه بعد انتهاء الحرب،

---

(١) (الشمرت والزقرت) فصل من فصول (كتاب النجف) يقول الشبيبي:
مادّة هذا الفصل الاولية مستقاة من كتب ومجاميع كثيرة مخطوطة أهمها مجموعة السيّد أبي الحسن شاه كوثر، ومزار الشيخ خضر، وكتب البراقي، وديوان عبد الباقي، وسجّل ولاة بغداد، ومما ثقفناه عن أفواة الرواة، ومما أدركناه وأفقنا عليه من الأمور والأحداث، ومن كتاب(الفوائد البهائية).
يقول الشبيبي: «رجم الناس الظنون في منشا انشقاق الغرويّين إلى هاتين الطائفتين، ووجه تسميتها بذينك الاسمين، فثم ثلاثة آراء: (لعامة أهل النجف رأى وللخاصة رأي ولنا ثالث، نوردها على الترتيب).
وفي رأينا يقول الشبيبي: (رأيت فيما تقدم أن السبب كلّ السبب في ظهور الطائفتين هو قتل الرحباوي، أما نحن فلا نرى ذلك. وقد تكون المطالبة بدم المشار إليه سبباً صورياً يتذرع به الدهاة إلى نيل مآربهم، بل نرى أن ظهور مثل هذين الحزبين أمر طبيعي بديهي المنشأ لا غرابة فيه، بل لا مفرّ منه، في كلّ مجتمع منحط، إذ لا مناص لمثل هذا المجتمع من وجود المتغلّبين.
وقد شاهدنا نحن أن كلّ واقعة وقعت انتفع بها الغالب في الأكثر، نعني الرئيس ولكن على نفقة المرؤوسين، وهذا أمر على قلّة إكتراثنا له ومبالاتنا به ينسف لنا عن السبب الحقيقي لتكوّن الفريقين، ونريد به وجود المترأسين والمتآمرين وتطالهم إلى الأمر والنهى والاستئثار والغلبة على خصومهما، فهذه هي أسباب تفرّق الفرق وتحزّب الأحزاب أيّاً كانت، ولنا في التاريخ شاهد قاطع الشهادة على ذلك غير أن الأحزاب تختلف باختلاف شيعها وأنصارها فشيعنا وأحزابنا في الشرق منذ القديم أشباه (الأكراد وأهل الجامعين) في الحلّة و(أولاد رخيك وأولاد فائر) في كربلاء، ومثل (الشرقيّين والغربيّين) في السّماوة، و(الشمرت والزقرت) في النجف وغيرهم في غيرها من البلاد التي يقضي طرزها الاجتماعي وتكالب الرؤساء فيها بانشقاق أهلها وتفرّقهم أو أكثر كما رأيت.
فلا دعوة الرحباوى على قتلته ولا اثمه الّذي باؤا به أظهر هاتين الفئتين. كلا إنما هي أطماع الرؤساء وأغراض أرباب الدهاء وهم يعقّلون في القاح، هذه الفتن بحيل مختلفة كثيراً ما تكون من قبيل الفتك بشخص والتعصب له أو عليه، كما هي الحال في المطالبة بالرحباوى والانتصاف من قتلته. أما اختراع الأسماء فالأمر فيها سهل.... هذه جملة مذهبنا في العصابتين وقد بقى علينا سرد وقائع الطائفتين...).

فلم تساعدهم المقادير حتّى نهض (الملا شاكر) إبن الملا محمود من آل الملا[1] المسلمة زعامتهم، وجمع كلمة المتفرقين من الشمرت، وحضر بزعمائهم إلى النجف في ٢ذي الحجّة سنة ١٣٣٣هـ، يطالبون سعد بالحقوق التي وثب عليها وينكرون عليه استبداده بالأموال والضرائب التي تجبى باسم عامة الشمرت، وذلك بعد كفٍّ المستخدمين العثمانيّين عن تناولها منذ شهور.

فلما طالبوه بهذا أنكر عليهم وكادوا يفتنون بينهم لولا أن تداركهم وتردد في إصلاحهم بقيّة المترأسين، وقد اصطلحوا يوم الأربعاء ١٠ ذي الحجّة على قسمة ما يخصّ الشمرت من واردات النجف منافصة لسعد نصف ولسائرهم نصف آخر.

وفي يوم الخميس ١١ ذي الحجّة عدا الملا شاكر فانتقل إلى الدار المشهودة بالملا يوسف جدّه في شقّ المشراق، وكانت قد اعتورت عليها الأيدي وهي يوم عاد إليها في حيازة الشيخ عبد الهادي البغدادي أي ورثته، وقد طالبه بالبيّنة على إنها كانت لهم ملكاً من الأملاك.

البدو وأهل النجف:

كان فريق من شمّر نازلين عند القصور منذ شهر ذي القعدة وهم يسابلون النجف أحياناً، فلمّا وقعت واقعة الركب أحفظهم ذلك، وفي يوم الخميس ١١ ذي الحجّة

---

(١) (ورث أبناء الملا عبد الله السّدانة واتسعت قدرتهم حتّى صاروا نقباء المشهد وحكّامه غير مدافعين على إنهم غير علويّين، واعتملوا النجف وضواحيها من انفسهم نحو ثلاثة قرون.
ومن مشاهيرهم الملا محمود بن الملا صالح (سنة ١٢٠٠) كانت له خزانة كتب فيها من أمهات الآثار العلميّة والأدبية ما لا يوجد في خزائن الملوك، والملا محمّد طاهر قلّده داود باشا أعمال النجف سنة ١٢٣٥هـ، والملا يوسف (وجد سنة ١٢٤٧هـ) وامره في الضبط وصرامة الحكم مشهور، وله حكايات يتناقلها النجفيون وغير هؤلاء.
عن فصل (النقباء والسّدنة في النجف) من(كتاب النجف). يقول الشبيبي:
استقينا لهذا الفصل من عدّة كتب في الرجال والاجازات والتاريخ والانساب منها: (فهرست مشايخ الشيعة في القرنين الخامس والسّادس)،للشيخ منتجب الدين القمي(٥٨٥هـ) و(فرحة الغري) للسيّد عبد الكريم بن طاوس المتوفى سنة ٦٩٣هـ، و(عمدة الطالب للسيّد أحمد الحسني، المتوفى ٨٢٨هـ، وكتاب(مجالس المؤمنين) الفارسي للقاضي التسترى المتوفى ١٠١٩هـ، و(تحفة عالم) وهي رحلة السيّد عبد اللطيف الجزائري(١٢١٦هـ) فارسية طبع حيدر آباد و(رحلة ابن بطوطة) طبع مصر، والمجاميع المخطوطة)
اما خازن المشهد السيّد محمّد حسن المشار إليه قبل هذا فهو من (آل الرفيعي الّذين تسلّموها -أي السّدانة- من آل الملا) كما يقول الشبيبي.

وثبوا بجماعة من النجف فقتلوا وجرحوا اثنين وأخذوا دوابّهم، فتجمهر السّواد في النجف وأرادوا الفتك بمن عندهم وأطلقوا بعض النار ثم منعهم بعد الجهد حضور الشيوخ.

بسالة فتاة بدوية:

لما واقع الهمج شمّر بظاهر النجف تأثر بعض الرعاع فتاة بدوية معها نقود وأطلق عليها الرصاص ثلاث مرّات فأخطأها، فحينئذ عدلت إليه مسددة بندقيتها فأردته أول رمية قتيلاً وأخذت سلاحه.

وفد إلى النجف:

ليلة السبت ١٧ ذي الحجّة سنة ١٣٣٣ هـ، وصل إلى النجف وفد مشوق للدفاع والإصلاح، مؤلّف من عزّت باشا قائد جناح سابقاً -وهو الّذي يتولّى قيادة المجاهدين في الخطّة العراقية- ومن قاضي بغداد وفؤاد بك الدفتري، ومزهر بك الميرالاي الشهير، وحكمت بك[1] مدير معارف بغداد أخي ناظر الحربية الأسبق محمود شوكت

---

(١) هو حكمت سليمان رئيس الوزارة العراقية أثر انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦م، وفي [من أوراق كامل الجادرجي] ص٧٩-٨٤ شيئ عن حكمت سليمان، و(عن العوامل المختلفة التي كان حكمت تحت تأثيرها عند حدوث انقلاب).. ومنه حين (حدث الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨م انغمر فيه بطبيعة محيطه العائلي، إذ عاش في بيت أخيه محمود شوكت باشا بطل الانقلاب -ومحمود شوكت اخو حكمت لأبيه، كانت امه عربية على ما يقال ويكبر حكمت بنحو من ثلاثين سنة- وقد خلبت تلك الحركة لب حكمت فانغمر فيها واختلط برجالها حتّى اصبح من شباب الاتحاديّين فمجد الجندية في شخص اخيه ايما تمجيد).

كان الشبيبي أيضا من شباب الاتحاديين (فقد اختير في أوائل من اختير من أعضاء ذلك الحزب العاملين في العراق....) راجع مقدمة الشبيبي لكتاب (معروف الرصافي...) لبدوي طبانة.

ويقول الشبيبي: (... وقد تم إنشاء كلّ من فرع بغداد وفرع النجف -لحزب الاتحاد والترقي- في سنة واحدة وذلك في التاريخ المذكور - عبان أو رجب ١٣٢٦هـ، ...) انظر (مباحث عراقية) القسم الثاني ص٣٤٥ ليعقوب سركيس.

وفي مذكراته أيضاً يقول الشبيبي (... وقد عقب ذلك -أي نبأ إعلان الدستور العثماني- ورود المندوب العثماني ثريا بك إلى النجف... وإنشاءه فيها فرعاً لجمعية الاتحاد والترقي، ثم انشأ طلاب الفرس في النجف بعد قليل (الهيئة العلمية) الشهيرة في تلك السنة، ثم اجتمعت هاتان الجمعيتان في النجف وتحالفتا على الإخلاص في العمل والتعاون والتناصر، وذلك في احتفال حافل اتفق في مدرسة الميرزا الكبيرة تلك الأيام حضره الضباط والمندوبون العثمانيون والعلماء والطلاب المتنورون وغيرهم، وأخذت صورتهم الشمسية على تلك الحال...).

باشا، وشكري بك من أعيان الحلّة، وقد مرّوا على الحلّة ونزلوا في النجف على خازن المشهد السّيد محمّد حسن.

فتنة في الجعارة:

في ١٣ ذي الحجّة سنة ١٣٣٣هـ، قُتل في الجعارة عليّ بن حسين الفطن، أصله من أهل النجف قتله (عبد الرضا زهيرة) نجفي أيضا. وكان الفطن متغلباً في الجعارة شغب عدّة مرّات وتأثره العثمانيون فسجن تارات آخرها سنة ١٣٣٢هـ، وقد أطلق في رمضان سنة ١٣٣٣هـ، وهو شاب.

وكان أبوه أكبر شاناً في التغلب في سمّاه رجب باشا لما جاء إلى النجف سنة ١٣٠٩(حسين الفتن). وفي ١٤ ذي الحجّة غادر النجف إلى الجعارة بعض المترأسين للإصلاح وعادوا يوم ١٧ وقد سكّنوا الفتنة، وكانت عشائر السّواد قد دخلت إلى البلدة، ثم أن آل الفطن ومناوئيهم في الجعارة حضروا إلى النجف وتنافروا إلى المترأسين.

حمّى كربلاء:

فشت هذه السنة في كربلاء - كربلاء معدن الحميات - حمّى خبيثة فتكت بأهلها فتكاً ذريعاً وبالزوار والمترددين حتّى سرت إلى بغداد والنجف وسواد العراق فاتت على خلق كثير ودامت طويلاً حتّى سمّيت (حمّى كربلاء) سببها تطامن أرض كربلاء وكثرة المستنقعات المتعفنة والبعوض فيها.

وقد أعان على فشوّها هذه السنة فشوّا لا يعرف له نظير كثرة تبطح المياه وقلّة العقاقير الطبيّة وإهمال العناية بالصحة العامة لاضطراب البلدة وفقدان الأطباء.

وكانت وطأتها تخفّ وتشتدّ أحياناً، بدأت في رجب ثم هانت واشتدّت وطأتها في رمضان أيضا، ومازالت بين قوّة وضعف إلى اليوم أي ١٧ ذو الحجّة سنة ١٣٣٣هـ، وقلّ من سلم منها ممن دار عليه محيط كربلاء، فكنت ترى الباعة والمحترفين والفقراء يأتون في الحوانيت والشوارع وقد لا تمشي بضع خطوات حتّى تلاقيك بضع جنائز،

رجب وذي الحجّة فكانت ١١٠٠٠ أكثرهم من الفقراء.

وضع يد:

في أواسط ذو الحجّة سنة ١٣٣٣هـ، وضع الشيخ محمّد عليّ بن الحاج محسن كمونة الشهير وهو المتغلّب الوحيد في كربلاء يده على (اليوسفية) وهي ضيعة خازن المشهد الحائري السيّد عبد الحسين.

وآل كمونة ذوو سابة في الاشراف على الخزانة الحائرية والمشهد وما إليه، وتريد حكومة كربلاء العثمانية تنحية الشيخ محمّد عليّ عنها باللّين وإلاّ فبالخشونة وسنرى ما يكون.

متصرف كربلاء:

عصر اليوم ١٧ من ذي الحجّة سنة ١٣٣٣هـ، قدم النجف متصرّف كربلاء محمّد حمزة بك، ونزل على السيّد علي بن السيّد محمد سعيد حبوبي.

خلو الوفد العثماني باليزدي والاجتماع العام في المشهد العلوي:

في يوم الغدير، وهو يوم الخميس ١٨ ذي الحجّة سنة ١٣٣٣هـ، قصة المندوبون العثمانيون المتقدمة أسماؤهم ومعهم متصرّف كربلاء حمزة بك دار السيّد كاظم اليزدي عصراً، وكان المتصرّف قد خلا به صبحا عدة ساعات، وطالعوا السيّد بحال العراق الحاضرة وتقاعد العرب عن الدفاع وطلبوا منه الخروج وتقلد قيادة العشائر.

وكان قد وردت في هذا اليوم برقية من القائد العام نور الدين إلى اليزدي فيها توارد القوى وقرب هجوم العثمانيّين، وأهم ينتظرون قدوم السيّد، وقد طلب الوافدون فعلاً تأكيد إعلان وجوب الدفاع فأجابهم وذاع ذلك في النجف، وفيها يومئذ خلق من الزوار، - زوار الغدير - فتجمهر الناس في الصحن عصر ذلك اليوم، وحضر ألوف من الطلبة والتجار والزوار والأعيان، ووجد مستخدمو الحكومة ومشاهير العلماء وجماعة من مشايخ عرب السّواد وزعماء المتغلّبين في النجف.

فعند ذلك تقدم خازن المشهد العلويّ بإخراج لواء تاريخي ثمين من الخزانة مكتوب عليها الشهادتان، ثم حضر السيّد اليزدي والسّواد متعطش إلى ما يقول، وجلس على المرقاة الأولى من المنبر، فرقى المنبر الشيخ محمّد شريف الذاكر المعروف وبلّغ الناس عن السيّد الحاضر تأكيد وجوب الدفاع ولزوم التعاضد واجتماع الكلمة وكون المدافعين يداً واحدةً، وختم بالدعاء.

ثم رقى السيّد عبد الرزاق الحلو وتكلّم في شبه ذلك واستنهض الناس، ثم نهض السيّد (يحيى الحلّي) من الذاكرين فعذل الناس عامّة والنجفيّين خاصة، ووبخهم بكلام مرّ، واستنهض هممهم للدفاع شارحاً مظالم الإنكليز حتّى أبكى السّواد.

وما انتهى حتّى كانت العيون ترمق ذلك اللّواء المنشور ولمن يعطى؟ وقد تجاذبه الشمرت والزقرت وتنازعوا عليه حتّى أوشكت الفتنة أن تقع، فبادر إذ ذاك السيّد محمّد عليّ الطباطبائي وخازن المشهد العلوي وحمل الأول اللواء والمسلحون خلفه حتّى نشره على المسرجة تجاه المشهد، فعند ذلك جال الشمرت في الصحن عدّة جولات وهم يهزجون، وتفرّق الجمع على أثر ذلك على أن يتهيئوا للحركة.

التاريخ يعيد نفسه - في مثل ذلك اليوم من العام الماضي اتفق ما هو أعظم وأكثف من هذا الاجتماع في النجف على أثر وفود مندوبين عثمانيّين، منهم نوري بك مبعوث كربلاء، ومنهم: متصرّف كربلاء أيضاً، وقد خلوا بالسيّد اليزدي واجتمعوا بسائر العلماء.

وفي يوم الغدير هذا نودي بخروج اليزدي للدعاء، وحُملت الأفرشة والبسط من المشهد إلى مقام المهدي في ظاهر البلدة، وهرع النّاس أفواجاً على اختلاف طبقاتهم، وحضر أكثر العلماء والطلاّب، منهم: السيّد الصدر، والشيخ حسين زين العابدين من علماء كربلاء، وكذلك عمال الحكومة، وحزر الناس بعشرات الألوف.

فعند ذلك أمَّ اليزدي بالنّاس وصلّى ركعتين، ثم رقى المنبر ودعا وخطب على أثره الشيخ جواد الجواهري فالشيخ عليّ زين العابدين فالمتصرف فجماعة سواهم وانفض الجمع.

كتب البراقي[1]:

يوم الجمعة ١٩ ذي الحجّة سنة ١٣٣٣هـ، نودي على كتاب السيّد حسين البراقي في سوق الكتّاب في النجف، وأكثرها بخطّه من مؤلفاته ومنقولاته فبيعت بأبخس ثمن.

احتفال في المشهد الغروي:

يوم الجمعة ١٩ ذي الحجّة سنة ١٣٣٣هـ، احتفل الناس في المشهد الغروي، وحضر الوجوه ومشاهير العلماء وأولاد الفقهاء والمندوبون العثمانيون ومستخدمو

---

(١) وفي بحث (مؤرخنا البراقي) المنشور في مجلة الاعتدال النجفية، العدد الثالث السنة الأولى، الصادر في ذي الحجّة ١٣٥١هـ - نيسان ١٩٣٣م يقول الشبيبي: (من مؤرخينا الّذين خدموا تاريخ هذه البلاد وخططها إجمالاً بما أثبتوه من الأحداث التي أدركوها وأفاقوا عليها، وبما ضموه إلى ذلك مما استخرجوه من بطون الدفاتر والآثار، أو ما نقبوا عنه بين الجنادل والأحجار، المؤخ العراقي الكبير السيّد حسن بن أحمد بن اسماعيل بن زيني الحسني النجفي، الشهير بالبراقي. ولد في النجف سنة ١٢٦١هـ أو بعدها بسنة، كنا خلال أيام الطفولة نكثر الاختلاف إلى دار إقامة السيّد البراقي في النجف للاستظهار من القرآن المجيد، فكانت داره لا تخلو من غروس مخضرّة ومن شجرة ونخلة قائمة، وهناك شويهة مرتبطة، وهنا وحشية مقتنصة، وثم طويرات جميلة تتطاير في فضاء الدار أو تتدافع في ساحتها الواسعة يتعهدها شيخ مشرق الوجه، باسم الثغر، نحيف إلى الطول والسّمرة، وكلّ ما يبدوا لك في الدار يدل على لطف الطبع واجتناب التكلّف، والميل إلى الحياة في مظاهرها الفطرية الصحيحة.

وقد اتفقت لنا زيارته في ضيعته سنة ١٣٣١هـ - أي قبل وفاته بسنة- وذلك بعد غياب طويل لمشارفة بعض كتبه التي لم يسبق لنا الاطلاع عليها ولمذكراته في بعض المسائل التاريخية التي عرف بالتنقيب عنها في بعض جهات العراق.

تربو مؤلفات المؤرخ البراقي رحمه الله على ثمانين مجلداً، رأينا أهمها بخط يده ولم يطبع منها شيء على ما نعلم إلى الآن، وهي نتيجة أبحاثه وتتبعه مدّة عمره، وفيها مادّة تاريخية غزيرة على علاّتها إجمالاً... وإليك قائمة بأسماء مؤلفاته..... (٧) عقد اللؤلؤ والمرجان في تحديد أرض كوفان ومن سكن فيها من القبائل والعربان، مجلد واحد، وهو من أمتع آثاره، ومن أوعى ما كتب عن الكوفة، وقد ألم بتاريخها القديم والحديث إلى أواخر أيامه.

هذا وقد حملت مؤلفاته المذكورة في جملة ما حمل من كتبه ومعظمها بخطّ يده، وذلك من قبل ورثته، وهم يجهلون الإحتفاظ بالآثار وذلك لينادى عليها في سوق الكتب في النجف، وذلك في شوال سنة ١٣٣٣هـ، فداخلنا لذلك من الغم شيء عظيم لعلمنا بما ستصير إليه حال هذه الكتب إذا احتوى منتحلو الأثار وما اكثرهم في هذه الديار وكان ذلك آخر عهدنا بها. ففي ذمة (التاريخ) وفي سنة ١٣٥٦ هجرية طبع (تاريخ الكوفة) المشار إليه تأليف البراقي وقد(حرره وأضاف إليه) السيد محمّد صادق بحر العلوم. وفي اول هذا الكتاب بحث الشبيبي المذكور أعلاه.

ويقول الشبيبي: اني أميل إلى رأي من يرى أن الكلمة - اي الكوفة - عربية الأصل، وإنها من التكوف اي التجمع، وكان الغرض الأصلي من تأسيس الكوفة أن تكون قاعدة عسكرية تتكوف فيها الجنود، أي تتجمع ولذلك قيل فيها كوفة الجند. وبهذا الاسم سماها عبدة بن الطبيب من الشعراء القدماء، فقال:

أن التي وضعت بيتا مهاجره ... بكوفة الجند قد غالت بها غول

انظر (مباحث عراقية) القسم الثاني، ص٣٤٤ ليعقوب سركيس.

هذا وقد استقى الشبيبي لبعض فصول كتابه (كتاب النجف) من مؤلفات البراقي.

الحكماء، وجاء الشيخ عليّ رفيش[1] من فقهاء الشيعة المقلَّدين، أجلس على المرقاة الأولى وبلغ خطيب عنه تأكيد وجوب الدفاعط، ثم تكلّم جماعة من أهل العلم وغيرهم في هذا الشأن.

محمد فاضل باشا:

في ١٩ ذي الحجّة وصل إلى الكوفة مع طائفة من الفرسان، ووفدت عليهم من المشايخ بني حسن وغيرهم للمفاوضة في الحركة إلى دار الحرب، وفي ٢٠ ذي الحجّة ورد النجف وحضر الاحتفال في المشهد وفي ذلك اليوم عاد إلى الكوفة.

احتفال ثان:

عصر يوم السبت ٢٠ ذي الحجّة ١٣٣٣هـ، احتفل النّاس واحتشدوا من جميع طبقات في المشهد، وحضر غير من حضر أولاً محمّد فاضل باشا الداغستاني - وقد دخل في ذلك اليوم إلى النجف - وجاء أعضاء الوفد والمستخدمون، ورقى ذروة المنبر الشيخ فتح الله الأصفهاني المعروف بالشيخ الشريعة، وتكلّم في وجوب الدفاع وسوء مغبّة التقاعد، وتكلّم جماعة آخرون منهم بعض العلويّين نادى بالمسودة من قومه واستنهضهم فنهضوا قائمين، ونهض بعض مشايخ السّواد وانتخى وانتدب قائلاً: لبيكم، ونودي من أطراف المحتفل: لبيك لبيك، وهاج عامّة الحاضرين، ثم نهض الشيخ عليّ الطريحي - من فقهاء النجف - وأحسن أفهام النّاس وقرعهم على الاكتفاء بالبكاء والدعاء والتوسّل، قائلاً: هذا وحده لا يفيد، وقاطعه بعض العامة فعلت الضوضاء واختلطت الأصوات واختلّت النظام واختلف الحاضرون وتفرّقوا على إثر ذلك.

قفول المندوبين:

في يوم الاثنين ٢٢ ذي الحجّة ١٣٣٣هـ، زايل النجف المندوبون العثمانيون المتقدم ذكرهم إلى بغداد بطريق كربلاء.

---

(١) وفي الشيخ علي رفيش يقول الشبيبي: «توفي الشيخ عليّ بن ياسين رفيش عصر الثلاثاء ٢٩ شوال سنة ١٣٣٤هـ، عن نيف وسبعين سنة تقريباً، ودفن في صحن المشهد داخل إيوان الحبوبي، وكان هذا الشيخ من أعيان رجال الدين في شيعة العراق، قلده كثيرون، مشهوراً عندهم بالتقوى والعبادة حتّى صلاة الجماعة كالمنحصرة فيه.
تخرج في الفقه على الشيخ الكاظمي، ولزمه وصحبه سفراً وحضراً، وفي الاصول على الميرزا حبيب الله سمع منه مدّة».

فاضل الباشا:

في يوم ٢٤ ذي الحجّة سنة ١٣٣٣هـ، فصل محمّد فاضل باشا من الكوفة إلى أبي صخير ليشافه عشائر المشخاف والشامية في الحركة إلى دار الحرب العراقية بعد أن توثق من بني حسن وعشائر الهندية.

الغراف والإنكليز:

في نحو ٢٠-٢٤ ذي الحجّة سنة ١٣٣٣هـ، تردد الرسل بين العبودة وخاصة زعيمهم (خيون آل عبيد) وبين العامل الإنكليزي في الناصرية، وكان يدعو خيون إلى الشخوص نده فتمنّع. ولكن فريقاً كبيراً من العبودة ورؤسائهم أشاروا بالإجابة عليه فاضطر، وفصل إلى الناصرية مع طائفة من رجاله فطالع حكّام الإنكليز وعاد. وكذلك فعل بعض رؤساء خفاجة وسواهم من عشائر تلك الجهات، وفي هذه الأيام اقتتلت خفاجة الغراف ما بينها فأُصيب فيهم جماعة، وقد رتب في الشطرة نحو ٢٠٠ من الدركي الأهلي وتقرر خيون قيّم مقامه إلى حين.

المتصرف والنجفيون:

يوم الخميس ٢٥ ذي الحجّة سنة ١٣٣٣هـ، أشخص المتصرف إليه جماعة المترأسين المتغلّبين في النجف، أحضرهم خازن المشهد، وحضر العلماء وأولاد المجتهدين فنصحهم المتصرف وهدّدهم، ونصحهم العلماء بالتخلّي للحكومة العثمانية عن الأموال التي ترتفع من مكوس النجف، وكان قد تقاسموها ورتبوا من قبلهم الوكلاء عليها، وتأجل البت في ذلك إلى جلسة أخرى.

وفي عصر يوم الجمعة ٢٦ ذي الحجّة اجتمع من العلماء: الشيخ عليّ رفيش، وشيخ الشريعة، والكاشي، والسيّد اليزدي، في دار اليزدي، وحضر خازن المشهد وجماعة من المتصدّرين، وجاء شيخ المتغلّبين فأعيد عليهم الكلام وخاطبهم اليزدي في ذلك وألزمهم بكفّ اليد عن الارتفاعات، فأجابوا أو تظاهروا بالإجابة واستمهلوا أربعة أيام، وقد حضر هذه الجلسة المتصرف محمّد حمزة بك وطائفة من المستخدمين.

رمضان أفندي:

في يوم ٢٧ ذي الحجّة سنة ١٣٣٣هـ، ورد النجف رمضان أفندي من قواد الدرك حامل البدر التي توزع على زعماء النهضة إلى دار الحرب، وقد وزعت عليهم في اليوم الثاني.

أخذ بعضهم أربعين ديناراً وبعضهم أقلّ وبعضهم أكثر.

عودة فاضل باشا:

يوم الثلاثاء ٢٩ ذي الحجّة سنة ١٣٣٣هـ، عاد محمّد فاضل من قضاء الشامية إلى الكوفة بعد مخاطبة أهل تلك الأطراف بشأن الحركة إلى دار الحرب.

حركة النجف:

تليت في ٢و٣و٤ عدّة قصائد للعامة في بعض أندية عزاء الحسين (ع) الكبيرة، فيها حث النجفيّين على القيام بالدفاع، وقد أظهر جماعة المترأسين في هذه الأيام ميلاً إلى ذلك أعلنوه في المجامع العامة.

نهضة النجف:

ما زالت هذه البلدة قائمة قاعدة منذ منتصف ذي الحجّة سنة ١٣٣٣هـ، حين حضر المندوبون العثمانيون الاحتفالات العامّة في المشهد، وتقدّم العلماء وغيرهم بالخطابة إلى أوائل محرّم سنة ١٣٣٤هـ، حين شرع العلماء والطلاب بالتأهب إلى الحركة وأنقاد لهم المتغلّبون، فكان لهذه الأنباء أكبر وقع في أنحاء العراق حيث طيّرتها البرقيات العامّة ونشرتها الصحف السّيارة.

الجند في كربلاء:

في غرّة محرّم سنة ١٣٣٤هـ، إلى ٤ محرّم ورد كربلاء أربعمائة جندي من بغداد عدا من كان فيها أولاً من الجنود، وقد منعت الحكومة خروج الجماهير في ليالي محرّم كما هي العادة واطمأنت البلدة، ويريدون دعوة البلط في البلدة المذكورة.

علم تاريخي:

في يوم السبت ٥ محرّم سنة ١٣٣٤هـ، أُخرج العلم الّذي عمله خازن المشهد ليُهدى لمحمّد فاضل باشا، فحفّ به فريق من السدنة والأعيان والمتصرّف وطائفة من

الضباط والدرك والمستخدمين وانصل للتيمن، وطيف به في المشهد ثم أخرجوه متوجهين به إلى الكوفة حيث يقيم الباشا المومى إليه، فاستقبله الباشا والنّاس وتناوله باحترام وقبّله ثم أعطاه للشيخ علوان زعيم القبائل الفراتية.

فاضل باشا:

في عصر يوم الأحد ٦ محرّم سنة ١٣٣٤هـ، عاد محمّد فاضل باشا إلى النجف وخطب النجفيّين في دار الحبوبي، وبثّ العطاء في السّدنة.

البعوث إلى العراق:

في يوم الأحد ٦ محرّم سنة ١٣٣٤هـ، قدم القطار يحمل من سامراء ٥٠٠٠ جندياً من الجنود الجديدة إلى بغداد، وهو مقدمة الفرقتين المرسلتين نجدة لجند العراق تحت قيادة خليل بك، ثم عاد القطار إلى سامراء لحمل البقيّة.

حرب العراق عن برقيات القائد العام:

أجبرنا قطعات العدو و(ما طورته) التي أرادت التقدّم على الرجوع، من جملة القتلى ربان - قبطان - إحدى الماطورة. بنتيجة الهجمات التي أجريت بليال مختلفة أجبرنا العدوّ على ترك مواقعه المستحكمة. خرّبنا خطوط التلغراف والتلفون بمحالٍّ متعددة، واغتنمنا أسلحة وأعمدة تلغرافية وحيوانات وأشياء متنوعة.

مجاهدونا الذين دخلوا إحدى مراكب العدوّ قتلوا أركان حرب (يوزباشي) إنكليزي وأخذوا أوراقه المهمّة.

اليوم - ١ تشرين/ ٥ محرّم ١٣٣٤هـ، أوقعنا بنيراننا طيّارة العدوّ بجوار (أبي منيصير) وقد حُملت مع راصدها وقائدها الجريح إلى بغداد. آه. أسقط هذه الطيّارة العرب بينما كانت تستطلع حال الخطّ الحديدي البغدادي قرب الوشاش أو أبي غريب أو نهر عيسى الشهير.

حرب العراق أيضا عن برقيّة القائد العام:

وقعت مصادمة مع مقدمة قطعاتنا والعدوّ بتاريخ ٣١ تشرين أوّل فاندحر العدوّ وقُتل ستون نفراً وجُرح خمسون، وقُتل ٧٥ حيواناً وأما ضايعاتنا فعبارة عن عدّة مجاريح.

أصلت نيران أفرادنا المشاة حرّاقات العدوّ ناراً حامية وأجبرتها على الرجوع، وقتلت وجرحت راصديها ومرتبيها، أطلقنا طوربيداً شديداً على حرّاقات العدوّ وأغرقنا أحدها مع جميع مرتباته، تخرّبت لهجمات المجاهدين خطوط التلغراف والتلفون من العدوّ واغتنمت جميع لوازمها.

وقعة ٨ رجب في النجف:

لما وقعت هذه الواقعة أيقن خلق من أهل البلد أن العثمانيّين سيجردون على أهل البلد بعوثاً كثيفة ولو أدّى ذلك إلى تدميرها، فبدأ النّاس يخبأون أمتعتهم النفيسة وأموالهم الصامتة والناطقة في المخابئ والمطامير، وقد بنوا وطانوا عليها، وهاجر فريق ممن كبرت أوهامهم سوء عقبى الحادثة إلى ضواحي النجف، ثم أن القائمين بالفتنة أنشأوا عدّة أبراج على السّور في طريق الكوفة.

غائلة ٨ رجب:

لما حدثت هذه الحادثة وانتشرت وتأثر لها العراق وسواه أذاع ساسة الإنكليز والرّوس في الهند والقوقاس وإيران والبصرة أن العثمانيّين عدوا على المشهد العلوي وأطلقوا عليه المدافع يريدون تجريده من الآثار الثمينة، نشروا ذلك في الصحف والمناشير مع أنه لا حقيقة له، بل الحقيقة أنه كان في مأذنتي المشهد فئة من الجند على حمايته أنزلهم الخازن بعهد منه بعد تغلّب النجفيّين.

انقسام أهل النجف إلى أفخاذ:

لما قبض النجفيون على موارد الضرائب والمعاون في النجف وتخلّى عنها العثمانيون قسموها على محالّهم الأربع، وانقسمت كلّ واحدة من محلاّتهم هذه إلى أفخاذ على نسبة ما فيها من الطوائف والجماعات والبيوتات المتغلّبة لتنال كلّ جماعة حصة، وهم يقولون لكلّ طائفة (شبة) ففي شقّ المشراق وهو منبعث هذه الغائلة نحو ١٥ طائفة أو (شبة) منها طائفة الروازق، والدراويش، والقوّام، وآل وهب، وآل الملا، وآل الحاج راضي وغيرهم.

وفي شقّ العمارة ٦ أفخاذ، منهم آل أبي قلل، وآل مرماشة، والعكائشيون، وآل عرب وأتباعهم، وآل أبي غنيم.

وفي البراق ١٠ أفخاذ أيضاً، منهم: الرماحية فخذان، وآل المعمار، وآل أبي جريو، وكاظم الصبّي، وآل الأعشم، وفي شقّ الحويش خمس طوائف: آل السيّد سلمان، وآل عدوة، وآل شربة، وآل أبي شبع، وآل الحار.

ازدياد النفوس في النجف:

لما صار أمر النجف إلي المتغلّبين عاد أكثر البلط من أهلها إليها ولم يفقد منهم في كلّ جهات الحرب إلاّ آحاد، فلم يظهر على سواد النجف فرق ظاهر في الكثرة والقلّة، بل زاد سواد النجف زيادة ظاهرة بمن لجأ إليها من بلط سائر المدن العراقية لأن النجف أصبحت حمّى الفارّين لا يتأثرهم أحد فيه، وقد احترفوا أنواع الحرف، هذا عدا من نزح إلى النجف من أهلها الّذين تناسلوا في الخارج، نزحوا لتأليف الطوائف والأفخاذ، فزاد سواد نفوس النجف زيادة محسوسة عمّا كان قبل النفير العام.

نقلة السلاح:

ما زلنا نرتقب سير عامّة أهل الديار منذ سنين، قد كنّا نعهد في فتيان النجف وصبيتهم منذ خمسة عشر عاماً غلبة السّلاح لا سيّما الخناجر والمدي، ذلك في كلّ وقت في الجلوة والخلوة، وقد قلّ ذلك تدريجياً حتّى ندر في السّنين الأخيرة أي قبيل إعلان الدستور العثماني، وتلاشى بعد إعلان الدستور، مما يدل على الميل العام إلى الوداعة وانتشار الذوق المدني، وكان ذلك يرافق شدّة سطوة الحكومة، ثم لما كانت غائلة ٨ رجب عاد الأمر إلى أشدّ أحواله عملاً بقانون ردّ الفعل، وشاع حمل السّلاح غير متكفين بالمدي بل حملوا البنادق في كلّ الأوقات، ولبسوا المشالح، وغلب زي العامة والأعراب وقلّدوهم، فيما عدا الأزياء، باللّهجات والنبرات، واستعملوا الأهازيج والحداء، واخترعوا بعض أنواعها حتّى عرفت بهم في هذه الديار.

النجفيون والطلاب:

كلّما نهض المعممون نهضة في هذه الأيام ثلبهم عليها عوامّ أهل النجف وزبروهم وواجهوهم بالكلام المرّ ولاعتبارهم كلّ نهضة بمنزلة مظاهرة للعثمانيّين وبين هؤلاء وبين النجفيّين ما صنع الحداد.

وقد بلغ الأمر أنه ما قدم مستخدم عثماني أو وفد إلى النجف من أجل المفاوضة في الإصلاح ونحوه إلاّ طالت الألسن على العلماء والطلاب وبعض أبناء المجتهدين لما يظهر على أكثرهم من الميل إلى أولئك، وآخر ما شاهدنا من هذا القبيل ما كان بعد ورود اللّجنة العثمانية الأخيرة في ١٧ ذي الحجّة سنة ١٣٣٣هـ فقد أسمع النجفيون طلابي العلم وأبناء المجتهدين تلك النغمة، وزادوا على ذلك لما رأوا من تقدم الحكومة العثمانية إلى الطلاب بالتجهيز والتزويد وبذل النفقة وتظاهرها بالاعراض عن المترأسين والمتغلّبين وأعوانهم في النجف حتّى اضطروا أخيراً إلى التحرّش والتقرّب من الحكومة من أنفسهم، على إنهم ما انفكّوا يضعون العراقيل في سبيل حركة الطلاب والعلماء مع العثمانيّين إلى ساحة الحرب.

فلما أعلنت جماعة الطلاب أن سيرهم يكون في يوم السبت ٥ محرّم سنة ١٣٣٤هـ، تعصر المترأسون وضاقت حيلتهم وهم يخافون من الأقدام معهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يواجهون من بغداد وساحة الحرب والقائد العام الّذي أوغرو صدره فتظاهر بعضهم بمنع الخروج، خروج أي أحد من النجف.

ثم جاءوا إلى المتصرف والى العلماء يلتمسون التأخير حتّى يتأهبوا للرحلة فأجابهم القوم وأرجأوا الحركة من أجلهم إلى أسبوع، والنجفيون لا يطمأنون ولا يرغبون في الحركة مع كلّ ما تقدم فكانوا يتحلون كلّ يوم عذراً جديداً للامتناع من الحركة مطلقاً، وربما كانت ثم أيد خفية تعمل في ذلك، وقد تناولوا الطلاب وشنّفوهم بأبصارهم وأبدوا صفاحهم لهم.

ثم لما دنا وقت الرحيل ثار جماعة من الفتيان المدججين بالسّلاح يوم الإثنين ٨ محرّم وأطلقوا النار وأرادوا الهجوم على دار الحكومة لأن العثمانيّين أمسكوا في حدود إيران (السيّد عبود كمونة)[1] وأخاه مشتبهين بحالهم وهما من سدنه المشهد لا

---

(١) وفي آل كمونة في النجف يقول الشبيبي:
(هذا البيت من أقدم بيوتات النجف توارثوا النقابة في المشهد مدّة طويلة، وتوجد في النجف سجلات عتيقة كثيرة يرتقي بعضها إلى أوائل القرن العاشر، تشير إلى تفويض زراعة سنجق الرماحية إلى بعض اعيانهم.
وفي جملتها توقيع في صدره طغرا السّلطان عثمان يرتقي تاريخه إلى جمادى الأولى سنة نيف وثلاثين والف، جاء في صدره:
=

من الثوار، ولكن القوم عادوا يتعقلّون بأوهن الأسباب في القيام على الحكومة ومنع إيقاع هذه الحركة من النجف وقد ردّهم بعض مشايخهم عن ذلك الهجوم.

ولكن عادت لهجتهم المطالبة بالسيّد المتقدّم وتهجين أعمال العثمانيّين، وبسطوا ألسنتهم في العلماء والطلاب وشتموهم على رؤوس الأشهاد وسلقوهم بالسنة حداد.

آل إزريق وأهل الشامية:

في سنة ١٣٢٩هـ، لما كان جمال باشا والياً على بغداد وتجوّل في أعمالها وبلغه ما يلقى النّاس من آل شبل وهم في أرضهم، فطردهم عنها وأوقع فيهم عسكري بك يومئذ، وردّ زراعتها إلى آل إزريق ورئيسهم (حسن آغا بن فرهود) وقد حضر مع جمال باشا إلى النجف في تلك السنة، وانتقل إلى تلك الأرض آل إزريق من شط السّبل، وأقاموا في حدودها قلاعاً محكمة، من أشهرها (الدعارية).

وقد واقع آل شبل وأحلافهم آل إزريق مراراً كثيرة استرجاعاً للأرض، وذهبت من الجانبين نفوس كثيرة، وكان الخزاعل وأهل المشخاب من آل فتلة وسواهم وأهل البحر يعضدون آل شبل ففشلوا حتّى كانت الوقعة الأخيرة، فاجتمع آل شبل والغزالات والخزاعل وكثير من أهل المشخاب وزراع البحر ونازلوا آل إزريق في ٥ محرّم سنة ١٣٣٤هـ.

ووردت الأخبار في يوم ٩ محرّم إلى النجف بأن أهم القلاع وقعت بأيدي آل شبل بعد هلاك جماعة، وقد سلم من فيها إلى القوم وكان قائد آل شبل شيخهم الشهير جبار أبو حليل.

قتل في النجف:

في يوم عاشوراء سنة ١٣٣٤هـ، قتل أحد الرماحية آخراً منهم في شقّ البراق.

***

...

قدوة السّادات ومنبع السّعادات سيّد حسين كمونة زيد شرف سيادته، ومنها توقيع في صدره طغرا السّلطان محمّد يرتقي تاريخه إلى ١٦ ذي القعدة سنة ١٠٥٩هـ، وهو باسم السيّد حسين بن حسين كمونة في تفويض الرماحية، وتوقيع آخر في صدره طغرا السّلطان محمّد باسم نقيب أشراف مشهد الإمام عليّ قدوة السّادات، ومنبع السّعادات، السيّد عليّ بن السيّد ناصر كمونة. ردّ إليه الرماحية التي كانت في تصرف ابيه إلى غير ذلك).

نهضة الروحانيين الثانية

بين النجف وسلمان

في يوم الجمعة ١١ محرّم سنة ١٣٣٤هـ، أذيعت في النجف حركة العلماء والطلاب ومن معهم من النجفيّين، وقد نسل الناس من الساعة ٧ إلى المشهد العلوي، وجلس المتصرف محمّد حمزة بك والمستخدمون في الصفة، ثم توارد عليه العلماء والأعيان وأبناء المجتهدين والطلاب ثم جاءت جموع أحياء البلد الأربعة شاكي السّلاح، ناثري الألوية، ومرّوا يهزجون وينشدون الأناشيد مدّة.

ثم تقدم العلماء والطلاب بسكينة ووقار إلى داخل المشهد حيث الضريح المقدّس ومعهم المستخدمون، فكان اللّواء العلوي الخاص منشوراً على الضريح وقد تناوله أحد السّدنة العلويّين، وقد تناوله خازن المشهد (السيّد محمّد حسن) وحفّ به العلماء وأبناء المجتهدين في شكل دائرة تقريباً مما يلي الرأس، وفي جانبي اللّواء قام السيّد عباس نجل خازن المشهد، والسيّد داود نائب الخازن يحملان مصحفين غشيا بالقصب.

فثم ألقى مفتي النجف دعاء مفصلاً أمن عليه الحاضرون ثم فعل مثل ذلك السيّد أحمد ولد الخازن، ثم أخرجوا اللّواء حافّين به، مهلّلين مكبرين، وتأخروا في حرم المشهد ريثما أخذت صورة ذلك المشهد وقد احتشد هناك خلق كثيف. ثم مرّوا بالعلم، يحمله الخازن حافّة به السّدنة، من السوق الكبير إلى الخارج بين تهليل المهلّلين وأناشيد النجفيّين، ودوي للرصاص وصفيره في الفضاء، وقد أعدت شركة الخط الحديدي للقوم عدّة مركبات فركبوا إلى الكوفة، وهم من العلماء:

السيّد عليّ التبريزي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والسيّد مصطفى القاشاني، الشيخ الباقر القمّي، الشيخ محمّد حسين القمشي، السيّد عبد الرزاق الحلو، ومن الإعلام وأولاد المجتهدين: الشيخ جواد آل صاحب الجواهر، السيّد محمّد عليّ الطباطبائي، الميرزا مهدي نجل الأخوند الخرساني، الشيخ اسحق نجل الميرزا حبيب اللّه الجيلاني، الشيخ عبد الحسين آل صاحب الجواهر، الشيخ عبد الرضا الشيخ

المهدي، السيّد محمّد عليّ الشهرستاني، الشيخ عبد الكريم الجزائري، الشيخ محمّد حسين الجعفري، السيّد عليّ نجل السيّد محمّد سعيد حبوبي وغير هؤلاء من المعدودين في أفاضل الطلاب الفرس والعرب.. حُزر عدد الجميع بمائة وخمسون.

ولما صارت المركبات قرب مسجد الكوفة استقبلهم محمّد فاضل باشا مع طائفة من الفرسان، ثم استقبلهم جمع الكوفة ومرّوا بالعلم إلى مشهد (النبيّ يونس) على الفرات في بلدة الكوفة، فخطب الجمع(نعمان الأعظمي)[1] ثم تكلّم خازن المشهد العلوي في شأن العلم، وتكلم كذلك السيّد أحمد ثم المتصرف محمّد حمزة. ثم أعطي العلم إلى السيّد محمّد عليّ وجماعة أولاد المجتهدين وقد باتوا الكوفة ليلة السبت.

وفي ضحى يوم السبت ١٢ محرّم سنة ١٣٣٤هـ، قدم الكوفة مجاهدوا شقّ العمارة من أهل النجف، قائدهم سلمان أبو غنيم ومحمد أبو قلل أخو عطية، وورد أيضاً كثير من فرسان بني حسن المجاهدين.

وفي عصر هذا اليوم شخص العلماء وأبناء المجتهدين ومحمّد فاضل باشا والمتصرف وبقية المستخدمين وكثير من حملة السّلاح المجاهدين من أهل النجف والكوفة بالعلمين العلويّين الأول والثاني إلى مسجد الكوفة، استقبل بهما محراب الأمير المشهور فيه، وتلى ثم دعاء الثغور المأثور عن زين العابدين(ع)، وتكلّم آخرون، وعطعط جمع من المجاهدين وقد أخذت صورة الجميع منشورة بينهم الإعلام مرّتين. وقد أكثر الطلاب والعلماء من أعمال مسجد الكوفة المندوبة المناسبة لمقتى الحال، وورد هذا اليوم أيضاً السيّد كاظم اليزدي وجماعته لهذا الوجه الّذي توجّه إليه العلماء.

وفي يوم الاثنين ١٣ محرّم سنة ١٣٣٤هـ، تحمّل القوم في الحرّاقات وأصعدوا في الفرات، ومما يستوقف الأنظار ويسترعي الأفكار أن الروحانيّين والمجاهدين الذين نهضوا عام أول من النجف وديار الفرات زايلوا ديارهم منحدرين إلى العراق البصرة في مثل هذه الأيام على هذه الهيئات، وأما اليوم فقد فعلوا ذلك لكنهم مصعدين لا

(١) نشرت (صدى الإسلام) للاعظمي في عددها ١٠٧ الصادر في ٢٠ محرّم ١٣٣٤هـ، وفي اعدادها ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١٢٠، ١٢٧ سلسلة بعنوان (صرخة في النجف الاشرف) أو (نهضة حجج الإسلام) أتى فيها الأعظمي على وصف لهذه (النهضة) أيضاً.

منحدرين في الفرات إلى بغداد وأعالي العراق، فسبحان مقلّب الأحول، على أن هناك فوارق كثيرة بين النهضتين.

وقد بلغ عدد الحرّاقات التي تحملوا فيها زهاء ٣٠ حرّاقة باتت تلك اللّيلة أمام (الكفل)، وقد لحقت بها ثم في منتصف اللّيل حراقات باقي النجفيّين وهم من شقّ المشارق، قائداهم الشيخ مطلق وشباده، ومن البراق قائدهم السيّد هادي الرفيعي، ومن الحويش قائدهم حسين الشافعي، وكانت للقوم خيل وبغال نشاهدها أحياناً بشاطىء الفرات وهي قليلة، ومنهم أيضاً الرماحية، عقيدهم عباس العليّ، وهم أعدّ النجفيّين نفوساً.

وفي صباح يوم الاثنين ١٤ محرّم أقلعت الحرّاقات من الكفل، وكانت الريح مساعدة، فوردوا طويريج السّاعة ١١ من ذلك اليوم، وأُنزل العلم معه جماعة من الطلاب وأبناء المجتهدين والمتصرفون المستخدمون، وعطعط أمامهم النجفيون، ثم ساروا به تواً وقد تجمهر الناس إلى رحبة دار الحكومة وتكلّم الأعظمي، وقد وصل بعد القوم إلى طويريج محمّد فاضل باشا عن طريق البرية ومعه ٢٥٠ فارساً من مجاهدي بني حسن المجهزين، على أن يلتحق بهم بقيّة الفرسان منهم.

وفي يوم الثلاثاء ١٥ محرّم سنة ١٣٣٤هـ، اجتمع الناس في رحبة دار الحكومة في طويريج، وحضر العلماء وأبناء المجتهدين والطلاب ومحمّد باشا بالعلم العلوي وتكلّم في تقصير الناس وانقطاع أعذارهم شيخ الشريعة الأصفهاني ووعظ عظة حسنة.

ثم رقى المنبر السيّد محمّد ابن السيّد اليزدي وخطب القوم وبلّغ عن تأكيد وجوب الدفاع واستخص الحاضرين، قائلا:

أدعوكم فنادوني (لبيك) فنودي (لبيك لبيك من أطراف نجد)، وكان لخطبته تأثير بليغ. وفي عصر هذا اليوم ورد طويرج عن طريق البرية سعد الحاج راضي النجفي وأولاده الثلاثة وجماعة من المشمرت.

وفي يوم الأربعاء ١٦ أقلعت حرّاقات القوم من طويرج ناشرة القلاع، ولمّا صرنا بحيث لا نسمع وغر المدينة سمعنا صدى المدافع متنقلاً من ضفاف دجلة إلى ضفاف الفرات.

وفي السّاعة ١٠ من هذا اليوم في السدّة، وافترق القوم نازلين على عدوتي الفرات، وشاهدوا السدّة وبديع ما صنعت الهندسة العلمية الحديثة، ووقفوا باهتين معترفين بالجهل أمام أعظم آثار العلم والمعرفة التي ظهرت في العراق إلى الآن، وألقى في روعهم العجز عن مماتنة الأيدي التي قامت بهذه الأعمال.

ووصلت الينا ونحن في السدّة الأخبار الكثيرة تعرب عن انتصار العثمانيّين وظهورهم على الإنكليز ظهوراً عظيماً في حروب سلمان باك، والجزيرة التي بدأت في يوم ١١ محرّم سنة ١٣٣٤ هـ، منها كتاب ورد محمّد فاضل باشا تاريخه ١١ تشرين ٣٣١ [مارتي]، فيه:

أن العدو هجم بجميع قواه في جهة (سلمان باك) واستولى على عدّة من الآكام قرب (الدرعية)، غير أن الفيلق العثماني الموجود ثم دمرهم بدفاعه المجيد، واغتنم العثمانيون ٨ مدافع، وأسروا أكثر من ألفي جندي أرسلوا إلى المعسكر العام.

وقد قطع مظهر باشا مع المجاهدين الّذين بقيادته خط رجعة العدوّ من جميع الجهات، وتقهقروا بغير انتظام بداعي ردّ الهجوم عليهم من قبل الفيلق العثماني، وقد حوصروا باقين بلا ماء ولا زاد والعثمانيون يضربون في أقفيتهم متأثرين لهم بالمدافع والبنادق، أيضاً قطع خط رجعة البواخر المدرعة بإلقاءئ المخربات في دجلة، تدوم المبادرة بالمدافع إلى الآن وقد تقرر الهجوم العام ومن المحتمل أن يقع العدوّ بأسره أسيراً في أيدي العثمانيّين من شدّة العطش والجوع لأن هزيمته غير ممكنة.

وفي أثناء تقهقر الإنكليز أُسر مظهر باشا مع من يقودهم من العرب ألف جندي إنكليزي و٥٠٠ جريح أنقذوا في المراكب إلى بغداد.

أيضاً حوصرت المواقع المهمّة التي ركز عليها العدوّ رشاشاته ومدافعه بنيران مدافعنا الحامية وبقوى المجاهدين والجنود الوافرة.

وفي السدّة انتهت إلينا هذه البرقيّة، وتاريخها في ١٤-١٥ محرّم سنة ١٣٣٤هـ، نصّها:

(ما عدا الطيّارة الرابعة التي سقطت أسقطنا الطيّارة الخامسة للعدوّ، وأن اسود عساكرنا المظفرة المنسوبة للجناح الأيسر ضبطت مدفعين، وفرّ العدوُ بصورة غير

منتظمة وجنودنا تتأثره، وفي محاربة أمس خذل العدوّ جداً وتأثره المجاهدون، وقد أسرنا من العدوّ جمّاً غفيراً وقتلنا كذلك والتفضيلات ستعرض).

وفي يوم الخميس ١٧ محرّم فتحت بوجه حرّاقات القوم أبواب الحوض الصناعي المعدّ لمرور السّفن على كيفية هندسية بديعة، وهي أن تفتح تدريجياً حتّى يمتلئ الحوض ويوازي سطح ماء الفرات في جانب السدّة الثاني الّذي يراد الجواز إليه، وقد جازته الحرّاقات على تلك الصورة ومرّت إلى المسيب ووصلت إليها بُعيد الظهر، فأنزل العلم وحفَّ به العلماء والنجفيون واستقبلته بالسّلام فئة من الدرك، ثم سارت أمامه إلى البلدة وقد أقفلت أسواقها وخرج حملة السّلاح فيها يهزجون وكان استقبال أهل المسيب للعلم باهراً.

وفي يوم الجمعة ١٨ محرّم نودي في المسيب بالحضور للدعاء فأقفلت الأسواق عصراً، وفرش للنّاس على شاطئ الفرات في العدوة الشرقية قرب مخيم المجاهدين، وحضر المجتهدون وأولاد العلماء بالعلم واحتشد النّاس.

فقام الشيخ جواد الجواهري فيهم خطيباً فكان فيما قال:

أن صاحب هذا العلم فتح البصرة أولاً وإنّا سنفتحها بعلمه في الأخير، ثم رقى المنبر السيّد محمّد بن السيّد كاظم اليزدي وخطب ومن بعض قوله: أنه قد اتفقت لأهل العراق نعمة لم تتفق لاهل أي بلاد كانت ولكنها نعمة مجهولة القدر في ظهرانيهم وهي شرف الدفاع فأين المدافعون؟؟.

وقد بلغتنا، ونحن في المسيب، أنباء كثيرة عن انتصارات العثمانيّين، وفي هذا اليوم أي ١٨ وردت هذه البرقية مؤرخة ١٢ تشرين ونصها[1]:

(نهب مجاهدو العشائر معسكر الإنكليز العام واغتنم المجاهدون أسلحة كثيرة ومهمات وفيرة، وأخذ يرجع العدوّ متقهقراً ومندحراً ومغلوباً في استقامة الجزيرة على جانبي دجلة ولا زال جيشنا يداوم على تعقيبه بكمال الموفقية).

وفي هذا اليوم أيضاً وردت برقية ونحن في المسيب إلى قائد مجاهدي الفرات

(١) نشرت في (صدى الإسلام) العدد ١٠٦ الصادر في ١٩ محرّم ١٣٣٤هـ.

محمّد فاضل باشا من القائد العام نور الدين يستحثه فيها بالحركة إلى جهة الجزيرة للهجوم على العدوّ المتقهقر وكبس البغيلة، وفي هذه البرقية أن قائمقام مندلي يهجم بالمجاهدين على من بازائه من الأعداء، وكذلك قائم مقام بدرة مع مظهر بك يهاجمون الكوت، وكذلك متصرف الديوانية وعشائره، وقائم مقام السّماوة مع عجمى باشا يهاجمون الناصرية.

وفي ١٢ محرّم سنة ١٣٣٤هـ، تحمّل القوم في المركبات في المغرب بعد أن أنفذوا أزوادهم وأثقالهم قبل ذلك، وكانت الولاية أعدّت معدات الاحتفال بالقوم، ووضعت لذلك خطّة نشرتها الصحف السيّارة[1]، ومن عصر هذا اليوم - وهو يوم الاثنين - شرع النّاس يسيرون من الجانب الشرقي إلى الغربي زرافات ووحداناً وندبت الولاية للقيام باستقبال القوم لجنة من علماء دار السّلام ورجال الدين غير من ندبتهم جهة القيادة العمة من ضباط الفيلق لمثل تلك الغاية، وقد حضر للتحيّة ثلّة من الدرك والشرطة.

وفي السّاعة ٩ وصلت المركبات، في غرّتها مركبة (العلم) فاستقبله عامة النّاس، وحفت به الجماهير وبمن معه من العلماء والطلاب وساروا تواً إلى منزل من منازل محطة الخط البغدادي الكبير حيث استراحوا وتناولوا بعض المرطبات، ووفد عليهم ثم رئيس بلدية بغداد مندوباً عن الولاية فرحب بقدومهم.

ثم إنهم عادوا إلى المركبات فأوصلتهم إلى أول الحاضرة فأنزل العلم هناك ونشر مجرداً عن غشائه، وسار من خلفه لفيف العلماء والطالب بين تهليل المهللين وتكبير المكبّرين وعطعطة المعطعطين من المسلحين إلى مشرعة (النواب) في الجانب الغربي حيث أُعدّت الزوارق والعبّارات فعبرت بهم إلى المشرعة الثانية الموازية وهي مشرعة المدرسة الإعدادية العسكرية حيث كانت بانتظارهم الموسيقى العثماني وفئة من الدرك والجنود.

فلمّا صعد العلم وحاملوه صدحت الموسيقى وحيّتهم وحيّاهم الجند، ثم ساروا وسارت الموسيقى عازفة أمامهم بالتصفيق والترحيب، وتوجّهوا إلى دار الحكومة وقد

---

(١) في العدد ١٠٧ من (صدى الإسلام) تفاصيل (الخطّة التي اتخذتها الحكومة المؤيدة لأداء مراسم الاحترام والاستقبال لأولئك الأبطال).

تحشّد ألوف من النّاس، وحضر خلق من الأعيان وكبار المستخدمين المدنيّين والعسكريّين.

فلما أقبل اللّواء نزل معاون والي بغداد شفيق بك ولثمه، ولثمه النّاس، ثم أخذ العلماء والطلاب والمستخدمون مصافهم وساد السّكون هنيئة، فألقى الشيخ أحمد الشيخ داود دعاء أمّن عليه الحاضرون وقوبل بالتصفيق، ولما انتهى منه ترنمت الموسيقى ترنمة التحيّة، فهناك انتقل العلم والعلماء إلى بهو الولاية الكبير (الجمالي) فألقى المعاون خطبة بالتركية قال فيها:

(أن هذا العلم الشريف لم يخرج من النجف ولم يكد يتقدّم حتّى تأخّر العدوّ وفشل في هجومه الكبير على سلمان باك، ولم تكد تقع عليه عيني الآن حتّى تناولت برقية من القائد العام هذه السّاعة تشعر بوجوب تسريح عمال الكوت ومستخدميها).

ثم أنشد أحد كتّاب الفرس المدعو ميرزا على قصيدة فارسية مناسبة للحال، وخرج القوم من بهو الولاية إلى مقام قائد الجناح يوسف ضيا بك، ثم خرجوا من الجهة الثانية إلى ثكنة المشاة العسكرية فعزفت أمامهم الموسيقى وعادوا إلى المشرعة التي عبروا إليها فعبروا منها إلى الكرخ ومنه ركبوا إلى الكاظمية وقد خرج أهلها وأقفلت الأسواق، فنزلوا من المركبات وساروا تواً إلى المشهد وزاروا ثم خرجوا بعد أن أودعوا العلم داخل الروضة.

وقد كان ورود القوم على أثر انتهاء الحرب الخطيرة في ساحة سلمان باك وإنثناء الإنكليز عن بغداد وإخفاقهم في اختراق خطوط الدفاع العثمانية القوية، وقد وجدنا أن اليأس كان مستولياً على عامّة النّاس حتّى إنهم لم صدّقوا إلى ذلك الحين بانسحاب الإنكليز وتقهقرهم.

وقد بدأت هذه الحرب بالمناوشات منذ ١١ محرّم سنة ١٣٣٤هـ، بعد أن تقدم الإنكليز بجميع ما لديهم من القوى البريّة والنهريّة، وفي جملتها عشرات من السّفن البخارية الحربية والنقالة ومثلها من السّفن الشراعية، ويُخمن جنده الزاحف إذ ذاك بنيف وعشرين ألفاً مجهزين بأحدث الأسلحة والآلات كالطيّارات والبواخر والسيّارات المدرعة والمدافع المتنوعة لا سيّما الضخمة منها، والرشاشات.

أما الجنود العثمانية فكانت ثلاثين ألفاً أو أكثر قليلاً، لديها من المدافع نحو ١٠٠ مدفع، وقد أحفرت خنادقها في آكام المدائن وأطلالها حيث مشهد سلمان الفارسي، وقد بدأ هجوم الإنكليز الشديد يوم ١٤ محرّم سنة ١٣٣٤هـ، وجرت مبارزة هائلة بالمدافع أزعجت سكان بغداد وأزّقتهم حتّى لم تهوم أعين الكثيرين.

وقد دامت هذه الحرب المدهشة أربعة أيام بلياليها لم تفتأ فيها أفواه المدافع مندلعة، السن نيرانها الحامية من الجانبين، فكانت حرباً لم يشهد العراق مثلها في تاريخ حربه الحاضرة، وقلمّا شهد مثلها في تاريخ حروبه القديمة.

وإنّ حرباً تتجلى عن خمسة عشر ألف قتيل وجريح أو أكثر لهي حرب ضروس لا تقصر عن حروب ساحات أوروبا الشرقية والغربية الآن.

وقد استولى الإنكليز في هجماتهم الأولى على الخنادق الأمامية في سلمان بعد أن أبيد منهم الجميع الغفير، وركّزوا رشاشاتهم على سطح المشهد هناك، ثم أن فرقة لهم أرادت أن تعمل حركة التفاف حول بغداد والجند العثماني فصدّتها فرقة من الجند والمجاهدين يقودها عادل بك وذلك من جهة النهروان وبعقوبة.

ثم أن فرقة خليل باشا الحديثة الورود إلى العراق وقائدها محمّد عليّ بك أخذت على عهدتها مقابلة هجوم الإنكليز على الخنادق العثمانية بالمثل، وذلك بعد نقل القائد العام معسكره العام إلى ديالى وأصعاده بالمدافع الضخمة تقلّها بعض البواخر إلى ما يقارب بغداد خوفاً من إحاطة الإنكليز، وقد اشتدَّ الأمر يومئذٍ على العثمانيّين في بغداد وأعمالها وضواحيها وتهيأوا لمغادرة البلاد وعبأوا أزوادهم وأثقالهم ودواوينهم.

ثم أن فرقة خليل باشا المتقدمة هجمت مستقلّة واستلحمت وتغامست مع الجنود الإنكليزية بالسّلاح الأبيض، فكشفت الإنكليز عن مواقعهم وأورثتهم وهناً بيّنا عدلوا على أثره من التقدم إلى التقهقر، ولكنهم انسحبوا متقهقرين بغتة ليلة ١٨ محرّم سنة ١٣٣٤هـ، فهال القواد العثمانيّين ذلك ولم يصدّقوا وظنّوا أن تأخر الإنكليز لخديعة دبروها.

ثم برح الخفاء وظهر إنهم مخذولون فأفرغ ذلك في روع العثمانيّين، وقد هلكت من الجنود الإنكليز ألوف واغتنمت منهم أسلحة وأدوات كثيرة، وقد شاهدنا البنادق

الإنكليزية الكثيرة منتشرة في بغداد يحملها العرب المجاهدون والجنود، وكذلك القراطيس وقد دفن الإنكليز في أثناء هزيمتهم كثيراً من الأسلحة والأدوات بحث عنها العرب فأخذوها.

وعلى أثر نشوب الحرب أخذت المركبات براً والبواخر نهراً تحمل الجرحى العثمانيّين من ساحة الحرب من سلمان إلى بغداد، وأكثرهم من الأتراك أربوا على الثلاثة ألاف، غصّت بهم الجوامع والبيوت والمستشفيات وأكثر جروحهم خفيفة، وقد زارهم الأهلون وطيّبوهم وأهدوهم المآكل والفواكه والأفرشة وغير ذلك.

هذا وقد أخذ القائد العام يبرق بعد انتهاء المعركة بتفاصيلها وما نتج عنها من الزحف لاسترجاع البلاد المفتوحة.

ففي ١٩ محرّم سنة ١٣٣٤ هـ وردت هذه البرقية من المعسكر العام إلى بغداد وهي[1]:

(في نتيجة الحرب الشديدة التي دامت أربعة أيام بلياليها قد صار جيش العدوّ مغلوباً بعناية اللّه، واغتنمنا من العدوّ علماً كبيراً ورشاشات متعددة وذخائر حربية لا تعدّ وآلات وأدوات حربية ومدافع (طوبارلاق) مع عرباتها وآلاف من البنادق وأرزاقاً وأشياء متنوعة وحيوانات. وكذلك أسرنا مقداراً كبيراً من عسكر العدوّ وقد بلغت الطيّارات التي اغتنمناها في العدد أربعة، وعدا الموتور الحربي (حرّاقة) الّذي أغرقناه، وأورثت نيران مدفعيتنا الكبيرة سفينتين حربيتين للعدوّ خسائر فادحة. وقد امتلأ ميدان المحاربة بجثث خسائر العدوّ وحيواناته، وبلغت قتلى العدوّ ألفين والجرحى ثلاثة أضعاف هذا العدد، والبواخر مملؤة بالقتلى لنقلهم، وبين قتلى العدو قائد خيالته، وخسائرنا طفيفة بالنسبة إلى خسائر العدوّ وعدد الشهداء لا يتجاوز المائتين (لعلّه الألفين) وجيشنا المستعين باللّه يعقب العدوّ المهزوم، وقد أخذت العشائر والعربان غنائم كلية من العدو).

وفي ٢٠ محرّم سنة ١٣٣٤ هـ، وردت من القائد العام هذه البرقية[2]:

---

(١) نشرت في (صدى الإسلام) العدد ١٠٧.

(٢) نشرت في (صدى الإسلام) العدد ١٠٨.

تداوم طيّارتنا على الكشف، ويداوم جيشنا على تعقيب العدوّ الّذي هو في الرجعة منهزم، وبواسطة هجوم العشائر في هذا اليوم - نظنه يوم ١٩ - اغتنمت العشائر من العدوّ أسلحة كثيرة وأشياء متنوعة وذخائر عظيمة وأكثر من ١٠٠ بعير، وقد تصادمت قطعاتنا القائمة بالتعقيب مع مؤخرة العدوّ (دمدار) فنتجت بموفقيتنا، وقد اندفع العدو إلى الوراء نحو ٣٥ ك.م. ولم تقع منا ضايعاتنا.

أن موطورات العدوّ الفارّة والمايوسة ترمي نيرانها بلا تأثير على الأماكن المجاورة وخصوصاً على الجامع الشريف الّذي صادفته في طريقها، وتحقق أن خمس بواخر تجرّ كلّ واحدة منها جنيبتين قد نقلت أكثر من ثلاثة آلاف مجروح في اليوم الثاني عشر من الشهر الحالي - يصادف يوم ١٧ محرّم - فقط في أثناء محاربة الميدان، وقد استخبرنا بأن (قوقس) الموظف السياسي من جملة الجرحى، ولا زلنا نصادف في ميدان المحاربة وفي الطرق جرحى العدوّ المتروكين).

وفي هذا التاريخ المتقدم أنهى القائد العام بواسطة أسلاك التسار[1] ما نصّه:

---

(١) نشرت في صدى الإسلام العدد ١٠٨.

ويسمّي الشبيبي أسلاك التلفون هنا أسلاك التسار كما كان يسمّي التلفون (المسرة) حرصاً منه على استعمال الكلمات العربية محلّ الأجنبية، وقد ظلّ حريصاً على ذلك كلّ الوقت إلى حين وفاته، تدلّ على بعض ذلك بحوثه في مجمع اللّغة العربية في القاهرة، ففي بحثه (الألفاظ الأيوبية في كتاب تقويم النديم) في الدورة السّابعة عشر ١٩٥١/٥٠ يقول الشبيبي بعد ايراده لبعض المصطلحات الحرفية في كتاب في الفلاحة والزراعة وما يتصل بالملاحة، وفي الفاكهة والمأكول والمشروب، وفي البنائين وما يتصل بالبناء، وفي حرف الجوهريّين والمعدنيّين وفي الحرب والسّلاح، وفي الحيوان، وفي ألقاب الخدم... يقول الشبيبي بعد كلّ هذا:

(هذا طرف من الألفاظ والمصطلحات اللّغوية التي وجدتها في كتاب تقويم النديم ولم آت على كلّ ما يوجد في تضاعيف الكتاب من هذا القبيل، أو من الأوضاع اللّغوية التي كانت شائعة في عصر الدولة الأيوبية.

فالكتاب مفيد كلّ الفائدة لمن يعني بالبحث عن المصطلحات والألفاظ الحرفية في العربية الفصحى أو في اللّهجات العربية الشائعة في أقطار الشرق العربي الآن، ويستفيد منها مضافاً إلى ذلك من يعني بتاريخ العمران والحضارة في مصر الإسلامية).

وفي كلمته (فقه الأساليب) في الدورة ١٩ سنة ٥٢، يقول الشبيبي: (... ولماذا لا يكون لأساليب البيان فقه خاص كما هو الشأن في فقه الألفاظ اللّغوية.

فما هذه التراكيب والأساليب إلاّ هيئات أو صور وأحوال للمفردات والألفاظ اللّغوية، هجم الفساد على اللّغة، مادّة وهيئة وافراداً وجملة، ونطقاً وكتابة، فتولدت أساليب تُكتب، ولهجات تُلفظ لا هي أعجميّة ولا هي عربيّة، وفقه الأساليب فيما أرى - ضرب من ضروب فقه اللّغة، فأساليب البيان الأصيلة غير الأساليب المدخولة).

=

(كنّا أخلينا موضعنا حول (سلمان الفارسي) - رض - لإيجاب استعراض الجيش (مانورة) وكان الإنكليز قد دخلوا تربة الولي المشار إليه، ولمّا أشغلنا الموقع المذكور ...

وللشبيبي كراس أسماه (طريق تحصيل اللّغة) التقط فيه مفردات وتراكيب حصلت له نتيجة إكبابه على النظر في كتب الطبقة الاولى في العلم والأدب والتاريخ..: (ما يتعذر وجوده في القاموس، ولسان العرب، وتاج العروس، ولهذا السّر لم نجد صاحب القاموس مترسلاً أو أديباً يجيد الإنشاء وقرض الشعر كأنه غريب عن اللّسان... الخ) كما يقول الشبيبي في مقدمة الكراس.

وله كراس آخر صغير في نفس الغرض أسماه: (الفوائد والفصح الشوارد).

وفي كلمته (المصطلحات العلمية) في الدورة ١٩ أيضا يقول الشبيبي:

(عني المؤتمر في دوراته الثلاث الأخيرة بمناقشة مصطلحات علم الأحياء والزراعة والنبات، ولا انسى انني رغبت إلى اللّجان المعنيّة بهذه الشؤون أن تستأنس بما ورد في معجمات النبات التي وضعها أئمة اللّغة وعلماء النبات من العرب لنستغني بها عن المصطلحات الأعجمية، ولهذا الغرض عنيت بتعريف كتاب الدينوري في النبات في جلسة من جلسات المؤتمر في دورته السّابعة عشرة).

وفي هذه الكلمة عرّف الشبيبي بمعجم النبات للإدريسي: (... وإذا غلبت على كتاب؟ أبي حنيفة الدينوري صيغته اللّغوية فإن الصيغة العملية أو الفنية هي الغالبة على كتاب الإدريسي هذا إلى أنه كتاب لا ينظر له من ناحية العناية بالمقارنات اللّغوية، فهو يُسمي النبات والأغذية والحيوان والأحجار والمعادن بشتّى الأسماء من شتى اللّغات شرقية وغربية...) ثم ياتي على بعض النماذج من مواد المعجم المذكور.

وفي بحثه (تراثنا القديم من المصطلحات، مظانّه ومصادره) في الدورة الرابعة والعشرين يقول الشبيبي:

(للعرب تراثهم الضخم القيم من المصطلحات العلمية وغيرها ولتلك المصطلحات مصادرها ومراجعها بين مصنفات المصنفين...) ثم جاء في القسم الثاني من بحثه: (على معجم المصطلحات الواردة في كتاب الأنساب للسمعاني، وفي هذه المصطلحات مادة بلدانية ولغوية وعلمية وتاريخية غزيرة، ويستفاد من هذا الكتاب وأمثاله أن الانساب من فنون كتابة التاريخ عند المسلمين، وفي هذه المصطلحات المهنية والحرفية ما يمكن الاستفادة منه إطلاقه على ما يقابله من المصطلحات الأجنبية الحديثة...).

وفي (كلمة عامة عن مشكلة المصطلحات) ألقاها في جلسة الافتتاح لدورة الخامسة والعشرين يقول الشبيبي: (لا معنى لاقتباس المصطلحات الأعجمية الحديثة بدون قيد او شرط، نقول: لا معنى لذلك إلاّ العجز والتقصير، وإلاّ التبعية والتقليد).

وفي (الطب والمصطلحات الطبيّة) عرّف الشبيبي بكتاب (منهاج البيان) لابن جزلة وقد ألقي في الدورة الخامسة والعشرين أيضاً (وفي كتاب فصل عن الأنبذة وآخر عن المعادن، وعن النفط وطريقة تصفيته، ويلاحظ أنه من أقدم ما كتب في هذا الموضوع) كما يقول الشبيبي.

وفي كتابه (أصول ألفاظ اللّهجة العراقية) المطبوع في ١٩٥٦م، يرى الشبيبي: (ضرورة المحافظة على تراثنا اللّغوي، خصوصاً في تأليف الجملة وأساليب التعبير) و(العناية بتنمية اللّغة وتجديدها، وتكثير موادّها بطريق الاشتقاق والتعريب، وزحزحتها عن خطة الجمود في هذا الشأن، وذلك ليجد المتعلمون والدارسون والباحثون في العربية ما يجدونه في غيرها من اليسر والمرونة الضرورية للتعبير عن أدق الخواطر والآراء).

ثانياً شاهدنا بكمال النفرة والتلهف جثث (الترابدار) وخمسة من الخدم مضرّجة بالدماء في غرفة من غرف المسجد، ففهمنا أن الإنكليز عندما أشغلوا الموقع لم يلبثوا أن دخلوا المسجد الشريف وقتلوا أولئك الأبرياء المشتغلين بوظائفهم الدينية الّذين لا علاقة لهم بالدنيا ولا بالأحوال الحربية، أما هذه الجناية الإنكليزية فكما إنها تؤلم العالم الإسلامي وتستنفره فلا بدع إنها دناءة تستوجب اللّعن والتقبيح من قبل البشرية والإنسانية والتمدن، ولذلك أتمنى نشر هذه الفاجعة لتقف عليها أنظار العامة من النّاس).

قائد العراق نور الدين

وفي ٢١ محرّم سنة ١٣٣٤هـ، وردت من القائد العام هذه البرقية[1]:

(يداوم العدوّ المغلوب على الرجعة والانهزام، وقد تقدم أيضاً جيشنا ٣٠ ك.م. معقباً العدوّ، وقد أحرق العدوّ أرزاقه الكثيرة وترك في الطرق أشياءه المتنوعة، وقد أسرنا أيضاً في هذا اليوم عدّة أسرى منهم أحد موظفي التلغراف اللاّسلكي، وقد اغتنمنا ثلاث سفن للعدوّ مع أرزاقها، وقد ذهب قائد الجيش الإنكليزي إلى البصرة متأثراً من اندحار جيشه).

وفي ليلة الثلاثاء ٢٢ محرّم قدمت بغداد الباخرة () مشحونة بالغنائم المغتنمة من الإنكليز وفي جملتها كثير من البنادق والقراطيس، ومئات من صناديق القنابل الكبيرة وعدّة من المدافع والخيام وغير ذلك من الأدوات.

وفي يوم ٢٢ محرّم سنة ١٣٣٤هـ، أبرق القائد العام[2] ما نصّه:

(يداوم جيشنا بكمال الفعالية على تعقيب العدوّ المقهور المنهزم، وفي هذا اليوم - نظنّه يوم ٢١ - عملنا بموفقية مصادمات مع ساقة (دمدار) العدوّ وحرّاقاته، وأن العدوّ سعى إلى تهزيم جسه في اللّيل لكننا أغرقنا جسر العدوّ وأهلكنا محافظته وأخذنا

(١) نشرت في (صدى الإسلام) العدد ١٠٩.
(٢) نشرت في (صدى الإسلام) العدد ١١٠.

أيضاً مقداراً من الأسرى، واغتنمنا سفينة شراعية وجنيبة محملة بالأشياء والأرزاق والقنابل وماكنة كتابة.

وبنتيجة تعقباتنا ضدّ العدوّ جلس على الأرض مركبان حربيان للعدوّ فأهلكنا بنيراننا الشديدة قسماً أعظم من مرتبات المركبين، وفي أثناء دخول العساكر العثمانية أمس إلى الجزيرة قُرء الآذان المحمّدي تيمناً من منارة الجامع الشريف بالقصبة المذكورة فسجد المسلمون سجدة الشكران إلى جناب الحقّ مسرورين بانهزام الإنكليز الّذين حصلوا النفرة العامة في ظرف زمن قليل، وأنا أرجو من لطف الحقّ الموفقية بتبشير الإسلام بتخليص قصبة العزيزية غداً أيضاً وبقية البلاد الإسلامية).

وفي هذا اليوم ورد (بغداد) يحمل جرحى وأسلحة مغتنمة، وفي يوم ٢٣ ورد القطار من سامراء يحمل جنوداً عثمانية جديدة، وفيه زار محمّد بن السيّد كاظم اليزدي مستشفيات الهلال الأحمر في بغداد، وأهدي إلى الجرحى ١٥٠٠٠ لفافة دخان وسكريات، وفيه أبرق القائد العام ما نصه[1]:

(يفرّ العدوّ بصورة متضعضعة ومتشتتة ويداوم جيشنا على تعقيبه ليلاً ونهاراً، وأن فيلقنا الّذي استرد قصبة العزيزية في هذا اليوم - نظنه يوم ٢٢ - بعناية اللّه قد تقدّم إلى حذاء الرشادية، وأن الاغتيال الّذي أجريناه على مقر العدوّ (قراركاه) الكائن تحت حماية حرّاقاته (موتور) قد أجبر العدوّ على الفرار مقهوراً في اللّيل أيضاً، وقد صارت مقابلة العدوّ الضعيفة تجاه تعرضنا في ليلة أمس وهذه اللّيلة عقيمة بهمة وصولة جيشنا، ولم تقع منا ضايعات وللّه الحمد.

وبنتيجة تضيّقنا على العدوّ ليلة أمس خرّبنا واغتنمنا إحدى موتوراته، وقد ضبطنا جنيبة حديدية وسفينة أخرى مغروقة، وكان العدوّ محرقاً لما فيها من الأرزاق والذخائر الحربية.

أما ما تركه العدوّ من الأرزاق والذخائر الحربية في داخل قصبة العزيزية وجوارها فشئ كثير لا يحصى، ومحال تعيّين جنسها ومقدارها، وقد ملأت القصبة وضواحيها، متروكات العدوّ وأشياء الضباط الكثيرة والآلات وأدوات فنيّة وأوراق مهمّة.

---

(١) نشرت في (صدى الإسلام) العدد ١١١.

وهذا يدلّ على أن العدوّ قد انهزم انهزاماً كليّاً، وقد شوهد أن العدوّ رمى في دجلة أمام العزيزية الوفاً من صناديق الذخائر الحربية والأشياء الأخرى، ولأجل أن يستر الإنكليز هزيمتهم ويغفلوا الأهلين كانوا أعلنوا انعقاد متاركة، وهذا كذب صراح ودناءة لا تتنزل إليها حكومة ذات ناموس، على أن تعقيبات جيشنا تكذّب شايعاتهم، وتدلّ المستخبرات الأخيرة على أن ضائعات العدوّ أكثر من خمسة آلاف، وكان بين الضايعات كثير من الضباط والأفراد) في ١٨ تشرين ثاني سنة ١٣٣١هـ.

وفي يوم الخميس ٢٤ محرّم ورد قطار سامراء يحمل الجنود العثمانية عددها ألفان، وقد ورد في اليومين السّابقين أكثر من ذلك، وهذه الجنود لا تقيم في بغداد إلاّ ريثما تستريح فتحملها البواخر والسّفن إلى ساحة الحرب.

وفي هذا اليوم أطلق في بغداد رهائن العرب من شمر وزبيد والجبور وهم أولاد مشايخهم ارتهنتم الحكومة العثمانية عندها ليطمئن قلبها منهم، وفيه غادر بغداد مستخدمو الكوت بناء على قرب استرجاعها من الإنكليز.

وفي هذا اليوم نشرت برقية القائد العام الواردة من الشاعورة - موضع على نحو ٣ ساعات من جنوب العزيزية - بتاريخ ١٨ تشرين الثاني سنة ٣١ [مارتية] وهذا نصّها[1]:

(أن العدوّ الّذي لا زلنا نتعقبه أجبرناه اليوم على أن يتوقف ويحارب، وفي النتيجة اضطر أن يهرب بعد أن خسر خسائر فادحة وتكبد تلفات عظيمة، أما ضايعاتنا في هذه الحرب فعبارة عمّا يقرب من ١٠٠ جريح، وعدّة شهداء، وقد أسرنا من العدوّ قدر ٣٠٠ أسير اغلبهم من الإنكليز، ومنهم الضباط برتبة البينباشي والملازم واليوزباشي، وغنمنا أيضاً ثلاث جنائب وسفينة مشحونات بالأرزاق والذخائر الحربية، وغنمنا مدافع وعجلات مدافع وكثيراً من التجهيزات الحربية، وغنمنا أيضاً وللّه الحمد غانبوط (فاير كلاس) الّذي يسمّيه الأهلون (أبو السّلة) سالماً من العيوب، وغنمنا غانبوط (كمت) ولكن بعد أن دمرته نيراننا.

---

(١) نشرت في (صدى الإسلام) العدد ١١٢ وقد وردت فيها (فاير قلاس) محل (فاير كلوس).
هذا ويقول المرحوم العزاوي خطأ على ما اعتقد في (تاريخ العراق بين احتلالين) الجزء ٨ الصفحة ٢٨٩ ان المركب (فاير كلاس) سمي (سلمان باشا) واشار إلى مركب آخر يدعى بـ(ابي السّلة) او(سلمان باك).

أما المدافع والرشاشات التي في هذين الطرادين فعددها ١٧، ولهذين الغانبوطين الّذين هما واسطة حربية أهمية فوق العادة، ومأمول في القريب استعمال الغانبوط (فاير كلاس) ضد العدوّ، وأن الفليق المتحرك من بدرة قد ابتدأ متعرضاً بسفائن العدوّ وفصائله فيما بين كوت الإمارة والبغيلة، رغماً مما رماه العدوّ على هذا الفليق وهو ١٢٠ قنبلة لم تبلغ ضايعاتنا غير بضعة شهداء وجرحى.

وهذا الفليق صار مانعاً لقدوم مركبين من مراكب العدو إلى هذا الطرف فأجبرهما على العودة إلى كوت الإمارة، وقد أطلقنا اسم (سلمان باك) على غامبوط(فاير كلاس) الّذي اغتنمناه).

وفي يوم ٢٥ محرّم سنة ٣٤هـ، وردت آلاف من الجنود أكثرهم تركيّة، وفي هذا اليوم زار الأعظمية العلماء المجاهدين والطلاب وسواد النجفيّين بدعوة من بعض أعيان الأعظمية ودخلوا إلى المشهد الإمام أبي حنيفة، وتلا الشيخ جواد الجواهري ثم الدعاء.

ثم اجتمع القوم في فناء الجامع الّذي بإزاء المشهد، وتلا الشيخ رؤوف مدرس الاعظمية دعاء، ثم تكلّم الشيخ نعمان الأعظمي في إتحاد كلمة الطوائف الإسلامية، لا سيّما السنّة والشيعة، وألقى شاب من طلبة المدرسة (اخوت) الفارسيّة خطبة مناسبة بالتركية وانفض الجميع.

ولقد كانت زيارة أعلام الشيعة هذه الأعظمية وانبراؤهم فيها لتأليف القلوب أول زيارة في التاريخ وقعت من النوع بين الفريقين، وقد حفظ لهم الأعظميون هذه اليد وشكروهم على تشريف الأعظمية.

وقد فصلنا من الأعظمية إلى بغداد ومررنا في طريقنا إلى مستودع الطيّارات الانكليزية التي أسقطتها نيران العثمانيّين في العراق إلى الحضيض، رأينا منها أربع طيّارات مختلفة القطع والوضع، وإسقاط هذه الطيّارات تباعاً من الاتفاقات الغريبة في العراق التي حار لها عامة النّاس، وقد بلغ مجموع ما أسقطوه منها خمسة أصلحوا بعضها وأطاروه، فكانت أول طيّارة عثمانية حلّقت في سماء العراق في مثل اليوم ١٣ محرّم سنة ١٣٣٤هـ، وفي هذا اليوم الموافق ٢٠ تشرين الثاني سنة ٣٣١ [مارتي]،

أبرق القائد العام من (سادى) موضع على ساعات من جنوب البغيلة ما نصّه[1]:

(لا زال جيشنا يعقب العدوّ المنهزم المقهور، وبلطفه تعالى قد استرجعنا قصبة البغيلة أيضاً، وقد اغتنمنا من العدو جرارة (موركور) المسماة (السّاون) وجنيبة من جنائبه الحديدية حمولتها ٢٥٠ طناً وهما سالمتان حال كونهما مشحونتين بالأرزاق والذخائر الحربية الكبيرة، وأسرنا مقداراً آخر من الأسرى أيضاً فبلغ مجموع ما اسرنا ثمانية ضباط وخمسمائة وعشرين جندياً وقد... ثمانية خونة من تبعة الدولة العليّة رميّاً بالرصاص، وهم الخائنون الّذين تبيّن إنهم كانوا يخدمون العدوّ، قبضنا عليهم مع من قبضنا من الأسرى.

وأنا مرسل إلى بغداد الغامبوط الّذي اغتنمناه أمس من العدوّ وسميناه (سلمان باك) لإعمار قدره الّذي كانت مرمياتنا أعابته، أما فيلقنا المتقدّم إلى الأمام العازم على تطهير العراق من لوث الأعداء مستعيناً باللّه فأحواله الصحية جيّدة، ولم تضع منّا اليوم ضايعات).

وفي يوم ٢٦ محرّم سنة ١٣٣٤هـ، أبرق القائد العام ما نصّه[2]:

(دوام جيشنا اليوم أيضاً على العقيب فتقدّم إلى جوار الكوت، أما مفارزنا التي جاءت من بدرة إلى جوار شيخ سعد فقد منعت مرور بواخر العدوّ التي كانت تريد الرجعة، وكانت مشحونة بجرحى الإنكليز من أفراد وقواد.

وقد ثارت ضد العدوّ العشائر القاطنة في هذه الضواحي مع العشائر القادمة من أمكنة بعيدة، وقد غنمنا اليوم من العدوّ باخرة أخرى صغيرة سالمة من الأضرار، وأسرنا مقداراً آخر من العدوّ، وقبضنا على بقية الجسر الّذي عرضنا لكم اغتنامه سالفاً، ولا زلنا نصادف كثيراً من قتلى العدوّ، الّذين ألقوهم النهر، ويعترف الإنكليز أن خسائرهم في آخر حرب قد بلغت ستة آلاف جندي، أما نحن فلم تقع منا ضايعات هذا اليوم قط، ولله الحمد).

وفي يوم ٢٧ محرّم حمل القطار إلى بغداد أكثر من ثلاثة آلاف جندي معهم كثير من أشباه الضباط، وفيه بلغت المعونة المالية التي بدأوا يجبونها منذ أوائل محرّم

---

(١) نشرت في (صدى الإسلام) العدد ١١٣.

(٢) نشرت في (صدى الإسلام) العدد ١١٤.

٦٦٣٨ ليرة، وفيه أبرق القائد العام بتاريخ ٢١-٢٢ تشرين الثاني سنة ٣١ [مارتية] ما نصّه[1]:

(شرعنا بالتضيّق على فيلق العدوّ الّذي أجبرناه على التوقف، ولقد خرّبنا وأغرقنا حرّاقة (استمبوط) من حرّاقات العدوّ وسفائن عديدة له مشحونة بأرزاق واغتنمنا منه جنيبة فيها كثير من الآلات والأدوات الحربية وفيها طيّارتان، وبهذه الصورة بلغت ضايعات العدوّ الماديّة أكثر من ثلاثمائة ألف ليرة).

وفي عشية ٢٨ محرّم وكانت ليلة الاثنين، أُدخل إلى بغداد فريق من أسرى الجنود الانكليز في جملتهم ثمانية ضباط بيض الألوان، أما الجنود فمن السّمر، أغلبهم هنود، وجيء بهم من الباب الشرقي إلى ثكنة المشاة وهم أكثر من ٥٠٠ جندي.

وفي يوم الاثنين ٢٨ محرّم ورد على القطار الخاص إلى بغداد المشير (فوندر غولج باشا)[2] القائد الألماني الشهير الّذي تقرر من قبل نظارة الحربية العثمانية في قيادة الشرق العامة وقبض المضايق الشرقية، وقد وصل في منتصف النهار ومعه قائدان من أركان حربه، وقد استقبله على المحطّة كبار المستخدمين والضباط وأرباب الدواوين وطلبة المدارس العسكرية والمدينة والذكور والإناث، وأُطلق تحيّة له ٢١ مدفعاً، وكانت الجنود المستقبلة له نحو ألفين من الجنود الجديدة، وقد عبر من المحطّة إلى دار خاصة أُعدّت لإقامته.

وفيه أبرقت الشركة الملية عدّة برقيات عن الحرب العراقية إليك نصّها[3]:

(تعترف صحف الإنكليز باندحار جيشهم وانكسار شوكتهم في العراق، وتلتزم في مقالاتها أن ترسل الحكومة الإنكليزية مدداً لجيشها.

رسمي - أن العدوّ الذي حاول التخلّص بحماية غامبوطاته في تعقيب قطعاتنا إيّاه قد انقلبت كلّ تعرضاته إلى هزيمة مدهشة بفضل مهاجمات قطعاتنا الشديدة، وقد كان

---

(١) في (صدى الإسلام) العدد ١١٦ مقال بعنوان (حضرت غولج باشا) جاء على (تشريف) القائد هذا وعلى شيء من حياته.

(٢) نشرت في (صدى الإسلام) العدد ١١٦.

(٣) نشرت في (صدى الإسلام) العدد ١١٦.

تشبث العدوّ بمثل هذه الحركات في صباح ١٨ تشرين ثاني سبباً لتكبده الخسائر الفادحة وهلاك كثير من جنود العدوّ حتّى أنه اضطر أن يترك لنا مئات من الأسرى وغامبوطين وسفينة وجنيبتين مشحونات بالأرزاق، وعجلتين من عجلات المدافع، وكثيراً من التجهيزات الحربية، أما الأسرى الّذين أكثرهم من خاصة الإنكليز فيوجد بينهم بكباشي ويوزباشي وملازم طيّار.

أما الغامبوطان اللّذان اغتنمناها فهما من أقوى غامبوطات العدوّ، الأول يُسمّى (كومت) وهو يحمل عشرة مدافع، والثاني يسمّى (فاير كلاس) وهو يحمل عشرة ونصف وسبعة ونصف وثلاثة رشاشات أكثرها سالمة من الاضرار، وسنستعمل الغامبوط فاير كلاس ضد العدوّ، وأن قواتنا المتقدمة من شمالي كوت الامارة قد تعرّضت بجانب فصائل العدوّ المتقهقرة فتكبد العدوّ خسائر عظمى).

وفي هذا اليوم بلغت المعونة المالية في بغداد ٧٣٣٣ ليرة، وفي يوم ٢٧ محرّم أبرق العلماء المجاهدون من الكاظمية إلى طهران بوجوب اشتراك الدولة الفارسية بالحرب في الجانب العثمانيّين، وفي يوم ٢٧ وردت الحرّاقة التجارية (تكريت) من خطّة الحرب.

وفي يوم ٢٩ محرّم حمل القطار بضعة الآف من الجند كثير منهم سوريون، وفيه - موافقاً ٢٣-٢٤/ تشرين ثاني سنة ٣١ [مارتية] - أبرق القائد العام ما نصّه:

(أمس أصلينا ودمرنا العدوّ المحصور في الكوت وفي نتيجة هذا التضيّق اختلست الاستفادة من ظلمة الليل قوادهم ومأمورهم السّائرة وقسم من قواتهم فتقهقروا ليلة واضطرت خيالتهم وقسم آخر من قواتهم أيضاً إلى التقهقر اليوم.

ولقد دام تعرضنا ببقية قوى العدوّ الباقية في الكوت إلى اللّيل ولم نر - وللّه الحمد - من ضرر أبداً في مقابلة العدوّ الضعيفة العارية عن الأمل، وأنا آمل من لطف الحقّ سبحانه أن أبشركم قريباً باسترداد هذا الموقع أيضاً، ولقد أحرقنا سفينة شراعية للعدوّ واغتنمنا رشاشة أخرى).

وفيه بلغت المعونة المالية في بغداد ٩٠٠٠ ليرة، وفيه زار المارشال غولج باشا دار الحكومة فاستقبله معاون الوالي شفيق بك، وقائد الفيلق الثالث عشر يوسف ميتا،

ثم أعاد إليه الزيارة في غرفة الاستقبال المعاون مستصحباً لأركان الولاية ورؤساء المستخدمين، فعقبه قائد الفيلق وأركان العسكرية وقاداتها.

ولما انتهت زيارة المستخدمين المدنيّين والعسكريّين زاره أعضاء المجلس العمومي وهيئة البلدية العلماء الأشراف وأعيان المدينة وهيئات الجمعيات المختلفة.

وفيه وردت من العاصمة برقية رسمية بشان الحرب العراقية إليك وهي:

(أن العدو التعبان يجتمع في كوت العمارة، وقد اقتربت قطعاتنا في ٢٠ تشرين الثاني إلى كوت الإمارة وهي على بعد ساعتين من الكوت، وتجري قطعاتنا تضيّقاً شديداً على العدو من الغرب والشمال، وفي الجهة المقابلة لقصبة الكوت انسحبت مفارز العدوّ إلى مراكبها، وقد اغتنمنا من العدوّ مركباً سالماً مشحوناً بالذخائر الحربية بين كوت الإمارة و(باغ قلعة) وقد أسرنا مقداراً من العدوّ، ونصادف كثيراً من قتلى العدوّ المطروحين في النهر).

وفي سلخ محرّم سنة ١٣٣٤هـ، عصراً حمل القطار إلى بغداد أربع سيارات بعضها مدرعة وذخيرة، وبعض المدافع الجديدة، وقسماً من الجنود يظهر أنهم من أهل الجزيرة وديار بكر وربيعة، رأينا جماعة منهم بلا سلاح.

وفي عصر هذا اليوم وصلت الباخرة (خليفة)(١) من دار الحرب حاملة أعداد من

---

(١) وكلمة عن أول باخرة مخرت عباب الرافدين والبواخر التي تلت... من أجل أن نعمل نحن انفسنا على جعل هذين النهرين الخالدين طريقاً للسلام والملاحة، وسبيلاً إلى ازدهار الصناعة والزراعة والتجارة على طولهما، فهما يستحقان في الوقت الحاضر على الأقل أكثر من (يخت دجلة) و(زنوبة) والرحلات النهرية للتسلية والتنزه.
(تقدّم السفير البريطاني في الأستانة إلى الباب العالي طالباً إصدار فرمان بتسهيل الملاحة التجارية في نهر الفرات لربط الشرق بالغرب) وكان أن صدر فرمان عام ١٨٣٤م (وقد سمح بأن يستخدم الإنكليز باخرتين بقصد التجارة).. ويمضي الدكتور (نوار) إلى تأكيد دور المقاومة الشعبية على قدر ما تسمح به إمكانات التسليح الشعبي حينذاك، حفاظاً على مستقبل البلاد والإسلام، حينما تعرّضت الباخرة البريطانية الأولى (الفرات) إلى هجمات أهل الحلّة وعشيرة بني حكيم.
واذا كان هناك شيء من الحقيقة في تأكيد هذا الدور ودوافعه، فإن شيئاً من الحقيقة يكمن ايضا في أن مثل هذه المقاومة كان الهدف منها الاستيلاء على ما في السفينة من غنائم، إذ كيف يفسر الدكتور (نوّار) هجوم العشائر المتكرر على البواخر العثمانية نفسها بعد ذلك التاريخ، هذا إضافة إلى أن العشائر في العراق لم تكن يوماً ما تحت سيطرة الحكومة العثمانية إذ لم تتعد سيطرتها ابواب المدن، لذلك ما انفك والٍ يتابع آخر في غزو هذه العشيرة أو تلك اما جباية للضرائب أو توطيداً للأمن.
=

لنمض مع الدكتور نوار في بعثة الفرات الأولى:

(سارت الباخرة (الفرات) ومن ورائها (دجلة) بينما أخذ الفنيون يرسمون خريطة تفصيلية للنهر ويرصدون تياره وعمقه وما يصادفونه من عقبات طبيعية، ويدوّنون ما يلاحظونه على ضفة النهر من نبات ونشاط بشري ومستوى حضاري.... ولم تكد باخرتا البعثة تبتعدان عن دير الزور عدّة أميال حتّى هبّت عاصفة مفاجئة هوجاء أغرقت في الحال الباخرة (دجلة) ومعها الكثير من الخرائط والمعدّات والآلات العلمية الهامّة، فكان غرقها كارثة ديدة لها صداها فيما بعد... وعندما وصلت الباخرة (الفرات) إلى الحلّة كانت أنباؤها قد ملأت الأسماع.

وكان أهل الحلّة يدركون خطورة هذة البعثة على مستقبل البلاد والإسلام، فالحلّة مدينة كبيرة مرّت بتجارب كثيرة، فدبر أهلها مقاومة شعبية على قدر ما كانت تسمح به امكانات التسلح الشعبي حينذاك، وكان على رأس ما دبروه إغلاق النهر في وجه الباخرة فامتنعوا عن فتح الكوبرى معتقدين أنه حاجز يكفي لإرغامها على أن تعود من حيث أتت، ولكن الباخرة استمرت في طريقها وحطّمت الكوبرى واجتازته في هدوء، واقتربت الباخرة من الشاطئ وهددت المدينة بضربها إذا قاومت البعثة. على أن مقاومة عشيرة بني حكيم لبعثة الفرات يمكن أن نعتبرها المقاومة الأولى الجديّة التي صادفت البعثة، وكانت هذه العشيرة تنزل بمنطقة الخضرة، وقبل أن تصل الباخرة (الفرات) إلى هذه المنطقة كانت هذه العشيرة قد جمعت رجالها لوقف تقدم الباخرة، فتسلّح رجالها ببنادقهم القديمة ويسيوفهم اللاّمعة، واصطفوا قرب النهر واقاموا حاجزاً خشبياً من جذوع الأشجار والنخيل لمنع الباخرة من متابعة السير. وعندما اقتربت الباخرة منهم أخذوا يطلقون رصاص بنادقهم الضعيفة عليها فأطلقت الباخرة قنابلها عليهم فسببت بينهم خسائر فادحة في الأرواح. وكان لعشيرة بني حكيم قلعة قرب مجرى النهر حصنوها استعداداً لضرب الباخرة عند مرورها، فدارت معركة غير متكافئة بين رجال العشيرة ومدفعية الباخرة.).

لقد استهدفت بعثة الفرات الأولى بقيادة (جسني) ومساعده (لنج) توطيد السيطرة السياسية والتجارية لبريطانيا على العراق كطريق بديل إلى الهند، وكمورد من موارد الثروة ومن ثم جاءت البعثة الثانية بقيادة (لنج) سنة ١٨٣٩م وحلّت في العراق البواخر المدرعة بالمدفعية: نيتو كريس دجلة، كوميت، نمرود، إضافة إلى الباخرة الرائدة (الفرات)...

وبعد أن انتهى مسح النهرين العظيمين سحبت ثلاث من هذه البواخر لتحلّ محلّها بواخر تجارية... وأنشئ في بغداد (بيت لنج) وكيلاً للشركة الكبيرة (السّادة لنج للملاحة التجارية في دجلة والفرات) التي تأسست في لندن سنة ١٨٦٠م، والتي أنزلت أولى بواخرها (لندن) في دجلة، وتتابعت بواخرها الأخرى: بلوص لنج، خليفة، مجيدية، جلنار. وقد لعبت بعض هذه البواخر دوراً أساساً في الحملة البريطانية على العراق إبان الحرب العالمية الاولى، وكان أن تحولت من بواخر تجارية إلى بواخر حربية مجهزة بالمدافع، وقد اغتنم بعضها مثل كومت وجلنار من قبل الأتراك، وسيطر على القسم الأخر مثل (خليفة) و(مجيدية) لتقوم بنقل الجنود والأسلحة والمؤن والجرحى العثمانيّين بين بغداد وساحة الحرب كما يتضح من المذكرات.

إزاء نشاط الإنكليز السياسي والتجاري هذا في أواسط القرن الماضي تحرك الباب العالي باتجاه مضادٍ قدر الإمكان فأنشأ شركة ملاحة بخارية وطنية ووصلت الباخرتان (بغداد) و(البصرة) في ١٨٦١م، للعمل في دجلة والفرات كما أمر نامق باشا والي بغداد في ١٨٦٧م، ببناء ثلاث بواخر جديدة هي: الموصل، والرصافة، والفرات، واهتم مدحت باشا بعد ذلك اهتماماً كبيراً بحركة الملاحة النهرية والبحرية فاشترى بابل، وهو مركب جسيم بقوّة ٣٥٠ حصاناً وسعة ١٧٠٠ طناً، وفيه منام ٢٨٠ من الركاب، واشترى (نينوى) و(نجد) وأضيفت هذه إلى (آشور)..

وكانت هذه المراكب الأربعة الأخيرة تسير بين استانبول والعراق في كلّ ثلاثة أشهر، وتذهب مرّة إلى انكلترا، وكان هناك المركب (مسكنة) اشتغل مدّة في الفرات وهو المركب الوحيد الّذي كان عمل بين بغداد ومسكنة.

=

وبالتالي فلم تكن (بغداد) أول باخرة مخرت عباب دجلة -كما يقول المرحوم فؤاد جميل- وإنما فعلت ذلك الباخرة (الفرات) فقد تنقلت بين الفرات وشط العرب ودجلة خارقة بذلك فرمان ١٨٣٤م، الّذي خولها الملاحة في الفرات فقط.

راجع: (تاريخ العراق الحديث) للدكتور عبد العزيز سليمان نوّار، الفصل الخامس.

(رحلات إلى العراق) للسر واليس بيج، ترجمة المرحوم فؤاد جميل.

(تاريخ العراق بين احتلالين) الجزء السّابع ص٨٩ -١١١ للعزاوي.

وإضافة إلى «الحيتان» الإنكليزية والتركية آنذاك (وفي كانون الأول سنة ١٨٨٠م، صادفت الباخرة (بلوص) في (الغميجة) حوتاً يبلغ طولها ٤٨ قدماً على مقربة من مشهد العزير، وقد رماها الناس بعدّة طلقات بدون جدوى، وكانت قد قربت من الضفة القليلة الغور، فذهب الناس إليها في زوارق بخارية، ثم تحركت إلى أن غطست في مياه عميقة، وظلّت تجول، وتقذف المياه عالية في الهواء، وسُمع صوتها سكان مدينة العزير في اللّيل فظنوها باخرة، إلاّ إنهم لم يتبينوا أضواءها.

كذلك شاهدها النّاس في القرنة وهي تعود بسرعة حتّى إنها قلبت قارباً في النهر. وقد قتل الحوت في النهاية ريان الباخرة (مسكنة) المدعو محمّد، ونوتيتها قرب سدّ (أبو روبة). وتمكّن الربان من قطع ذيلها وجلبه إلى البصرة وكان طوله ١٢ قدماً).

•من مقال للأستاذ يعقوب سركيس في جريدة الأخبار (٢٩/١٠/١٩٤٣م،

عن الجزء الثامن من (تاريخ العراق بين احتلالين) ص٥٢: وعود على بدء.. عارض الشبيبي في جلستي المجلس النيابي التاسعة والأربعين، والسّادسة والخمسين، من الاجتماع الاعتيادي سنة ١٩٢٨م (.. ازدواجية استيفاء الرسوم من الزوارق البخارية والشراعية والسّفن الحمّالة أو الدوب، من قبل كلّ من دائرة الملاحة وأمانة العاصمة والبلديات وهي رسوم باهظة ومتنوعة... بعد أن ضعفت مهنة اصحابها وقلّت ارباحهم..). وكتب بعد ذلك (مشكلة الملاحة النهرية وتأثيرها على الحركة التجارية والاقتصادية في البلاد). كتب في عدد الزمان ٤٢٢٠ في ١ أيلول ١٩٥١م:

(أثار توقف الملاحة في القسم الأسفل من نهر دجلة طائفة من المصاعب والمشكلات، وألحق أضراراً لا يُستهان بها بمصالح المصدّرين وبأصحاب السّفن والزوارق النهرية، فما زال عدد كبير من السّفن والزوارق جانحا على الرمال بسبب الجفاف وتوزيع مياه النهر بين الترع والمشاريع الزراعية، صحيح أن الملاحة النهرية لم تعد ضامنة لنقل السّكان بالسّرعة المضمونة في القطر والسّيارات، وما من شك أن النّاس يفضلون الانتقال بأسرع وسائط النقل المذكورة، بيد أن الملاحة النهرية وخصوصاً في دجلة ما زالت تحافظ على مزيتها في نقل المحصولات الزراعية صيفاً وشتاءً من مراكز الإنتاج البعيدة عن متناول وسائط النقل الأخرى، وذلك لغرض التصدير والاستهلاك في شتى جهات البلاد، ثم أن وسائط الملاحة النهرية تقوم بنقل المحاصيل المذكورة للأغراض المشار إليها بكميات كبيرة وباجور تجارية متهاودة لا تنافسها أجور السّيارات والقطر الحديدية.

يعيش على هذه المهنة ألوف من النّاس في بغداد والبصرة وسائر المدن الواقعة على شواطئ دجلة، إن خبرة الملاّحين والنوتية والربابنة من العراقيّين لا تجارى في معرفة التيارات الكائنة بأنهارهم، وفي تحول المجاري وتخلخ الخلجان وتكون الجزر والرواسب الرملية أو الطينية، فهؤلاء الملاّحون العراقيون يعرفونها شبراً شبراً، ويهتدون إلى تلك الأعماق والجزر والتيارات على وجه لا يجاريهم فيه غيرهم. وأهل مكّة أدرى بشعابها.. كما يقال في الأمثال.

أن نهر دجلة كما لا يخفى ويليه نهر الفرات من أصلح الأنهار في العالم للملاحة، فكلّ واحد من هذين النهرين واسع المجرى غزير المادّة، والى هذه الملاحة في نهر دجلة مردّ أزدهار القرى والمدن على ضفتي هذا الوادي حيث لا يوجد أثر لسكك الحديد، ولا توجد طرق صالحة أو معبدّة تسلكها السّيارات.

كانت الملاحة ولم تزل منتظمة بين سامراء والبصرة، حيث انشئ عدد كبير من المضخات الزراعية ومن مشاريع الري، ولا جدال في أن العراقيين من أبرع الملاّحين في قيادة السّفن البخارية الحديثة التي تخمر بين بغداد والبصرة.

لسنا بحاجة إلى شرح قيمة هذه الطرق النهرية التجارية المهملة، ولا يوجد فيما نظن غفل أهله عن العناية به والاستفادة من مزاياه بل من منازهه وشواطئه الخضراء، وتنشيط حركة النقل والنزهة والرياضة فيه مثل نهر دجلة، فليس في بغداد نفسها طريق نهري عريض يطلّ على دجلة، وليس على ضفاف النهر مرافئ حديثة لرسوّ السفن، ولا سلالم للصعود والنزول، وليس في ضواحي بغداد مصائف، ولا ملاحة منظمة بين النواحي المذكورة وبين المدينة، وفي الإمكان أن نُنشيء في بعض ضواحي بغداد وغير مدينة من المدن العراقية الواقعة على شواطئ الأنهار، كالمسيب وسدّة الهندية، والكوت أحسن المصائف في العراق.

تتوقف الملاحة في مثل هذا الفصل من كلّ عام في دجلة، ويلحق بمصالح التجارة والتجار ما يلحق من الخسائر بسبب وقف الملاحة النهرية، ويطالب النّاس مديرية الري العامة ووزارة الموصلات والاشغال بكري المجاري وتطهيرها ورفع الرواسب عنها، لكنهم يضربون في حديد بارد لا يلين.

لقد تيسر منذ عهد بعيد حفر شط العرب ونهر (الروكة) وجعله صالحاً للملاحة، وذلك بواسطة الحفارات الآلية الحديثة، فها هي أعظم البوارج الحربية والسّفن التجارية الكبيرة تمخر عباب شط العرب، وترسو على محاذاة ميناء البصرة لإفراغ حمولتها وشحنها بالمنتجات العراقية المصدّرة إلى الخارج.

لماذا لا يعني المسؤولون والحالة هذه بإصلاح حوض النهر في دجلة وتطهيره وجعله صالحاً للملاحة، وإعداد الحفارات الآلية أو (الكراكات) التي طهر المهندسون بواسطتها شط العرب، وفي ذلك ما فيه من إنعاش الحركة التجارية وحركة النقل والملاحة في النهر المذكور، وتيسير الكسب والرزق لعدد كبير من النوتية والملاحين والربابنة العراقيّين العاطلين.

إن مهنة الملاحة النهرية يعيش عليها عدد كبير من أبناء هذه البلاد سائرة إلى الزوال كغيرها من المهن العراقية).

هذا ما قاله الشبيبي، وقد تحققت بعض أمانيه في إنشاء طريق نهري عريض يطلّ على دجلة في بغداد، ولم تتحقق جل أمانيه الأخرى أن لم يكد ينضب ماء الفرات، وتوشك ملايين الفلاحين على الهجرة.. كلّ ذلك لأن الآخرين عرباً وغير عرب، عرفوا كيف يستغلون غزارة المياه في الفرات فأعدوا العدّة ونفذوا المشاريع.

وبالتالي تطرّق الشبيبي إلى تراث العرب في مجال الملاحة البحرية، ومحاضرته (ثقافتنا البحرية وشهاب الدين أحمد بن ماجد) كانت المحاضرة التاسعة في سلسلة محاضرات الموسم الثقافي الخامس لمعارف الكويت، بدأ الموسم في ١٢-١-٥٩ وانتهى في ٢-٢-٥٩ في حين كان مقدراً له أن ينتهي في ١٨-٢-٥٩. هذا وقد سجل الشبيبي شيئاً من هذه المرحلة:

(في تمام السّاعة السّابعة والنصف من صباح يوم الأحد ٢٦ رجب سنة ١٣٧٨هـ ٨-٢-١٩٥٩م غادرنا بغداد من منزلنا في الكرادة الشرقية... هبطنا في مطار الكويت فوجدنا في استقبالنا عدداً غير قليل من الأصدقاء الكويتيين والعراقيين والمصريين، حيونا تحيّة جميلة ورحبوا بنا باسم الحكومة... وفي المساء زارنا السيّد عبد العزيز حسين مدير المعارف في الكويت، وأخبرنا بشيء كثير من الألم عن الأزمة القائمة بين الشعب والمسؤولين، وعن الإجراءات التي اتخذت في أبعاد بعض الشباب وفصلهم من وظائفهم فاضطر أن يقدم استقالته... وأعلمني السيّد درويش المقدادي معاون مدير معارف الكويت أن الأوامر قد صدرت بإغلاق النوادي ومنع الاجتماعات وتعطيل الصحف وإنهاء الموسم الثقافي حتّى إنهم أبرقوا إلى بعض المدعوين المصريين الّذين لم يحضروا بعدم حضورهم. ولم يستثن إلاّ كم، فإن الأمراء وافقوا على قدومكم ورحبوا بكم..) وبعد أن مكث الشبيبي عدّة أيام في الكويت رجع دون أن يلقي محاضرته تلك، وكتب إليه رئيس معارف الكويت عبد الله جابر الصباح (... وإذا فات أبناء الكويت أن يستمعوا لها فانه لن يفوتهم قراءتها في كتاب الموسم الثقافي لهذا العام، والاستفادة من غزير علمكم وعظيم بحثكم..). وقد نشر الكتاب وفيه نصّ المحاضرة، وعليه فلم يتغيّب الشبيبي عن شهود الموسم في الكويت كما جاء في الكتاب وإنما حالت (الظروف الطارئة) دون إلقاء المحاضرة.

الأسرى الإنكليز، شاهدنا فيهم من العرق الأبيض ثلاثة والبقية هنود سمر وزنوج سود، وفي هذه الباخرة أيضاً مئات من الجرحى العثمانيّين وزعوا على مستشفى المدرسة العسكرية الإعدادية ومستشفى المجيدية، وهما من جملة المستشفيات التي اتخذت على أثر الحرب العراقية لا سيّما حرب المدائن في محرّم، وهي دار السّفارة الإنكليزية، ومدرستا الاتحاد الإسرائيلي فيهما ٤٠٠ جريح أخلاهما حاخام اليهود لهذه الغاية وجهزوها ببعض الأغطية والأفرشة، والمدرسة الإعدادية العسكرية، ومستشفى المجيدية، وقصر كاظم باشا، ومكتب كوجك ضابطان، ومستشفى الغرباء[1].

---

(١) وشيئاً عن بعض هذة المستشفيات والمدارس التي أصبحت مستشفيات:
فمستشفى المجيدية وهي اليوم المستشفى الجمهوري، وكانت تدعى في العهد الأخير بخستخانة المجيدية (صدر الأمر من نظارة الداخلية العثمانية في تسليم الحديقة النجيبية (الحديقة البلدية) إلى الجهه العسكرية لإنشاء مستشفي دامت كذلك إلى احتلال بغداد).
وكان هناك مستشفيان للغرباء في بغداد، الأول: في الكرخ أسسه مدحت باشا، وإذ وجد(أن مدينة بغداد وإن كانت تحوي ما يزيد على ١٥٠ ألف نسمة وفيها غرباء وأجانب، ليس فيها مستشفى يلجأ إليها ولا طبيب ولا صيدلي...) (وفي عهد الوالي قدري باشا سنة ١٢٩٥هـ يقابلها سنة ١٨٧٨م قرر تعمير هذه المستشفى واصلاحها، وبعد ذلك في سنة ١٩٢٥م اتخذت مقراً للمجلس التأسيسي العراقي، وبعد ذلك أصبح مقراً لمجلس الأمة إلى أن أُعيدت بصفتها مستشفى الكرخ..).
والثاني مستشفى الغرباء في الرصافة: (جرى افتتاحه في يوم الخميس سنة ١٣١٨هـ – ١٩٠٠م فحضر الوالي نامق باشا الصغير، والمشير وجماعة من الأعيان والأشراف، وقرأ المرحوم الأستاذ محمّد فهمي المدرس محرر جريدة الزوراء الدعاء للسلطان ولوزرائه وللوالي، وقد غرست امامها حديقة غنّاء. انقلبت مستشفى للأمراض العقلية، والآن فيها بناية السّجن المركزي في بغداد).
راجع (تاريخ العراق بين احتلالين) الجزء السّابع ص١٩٩، والجزء الثامن ص١٢٤ و ١٤١، و(بغداد القديمة) ص٢٩ و٣٠.
والكتاب الأخير من تأليف عبد الكريم العلاّف، طبع سنة ١٩٦٠م، وكتب التصدير له الشبيبي وهو: (كتاب مصور ضمّ صفحات مطوية عن الحالة الاجتماعية من عهد الوالي مدحت باشا إلى عهد الاحتلال البريطاني) أما دار السّفارة الانكليزية - دار الاعتماد أو القنصلية كما كانت تُسمّى - فقد شطرت شطرين عند فتح (شارع النهر) أيام ناظم باشا، ويقول (ديفد فريزر) في كتابه (طريق مختصر إلى الهند):
بدأت العلاقات الرسمية مع بغداد منذ أيام نابليون عندما توقع أن تنتهي النشاطات الفرنسية باحتلال الهند، وقد عيّنت شركة الهند الشرقية مقيماً لها في بغداد، وصادق السّلطان على هذا التعيّين في أوائل القرن الماضي، من أجل أن يكون حلقه الوصل في سلسلة المواصلات البرية بين الهند وأوروبا، ومن اجل أن يخبر عن مكائد فرنسا في العراق، ولكن الحرب بيننا وتركيا أعقبت ذلك بعد فترة قصيرة، وقاسى المقيمان البريطانيان في كلّ من البصرة وبغداد من الإهانات والتجريح، وكان نتيجة ذلك تعهداً من باشا بغداد أكّد حقّ بريطانيا في الرفعة والأمن وبالتعويض الفوري عن التجريح، بعد عشر سنين حوصر المقيم البريطاني في بيته، وأجبر على مغادرة البلاد الأمر الّذي كلّف الباشا راسه، وأصبح الموقف البريطاني اقوى من أي وقت مضى، ومنذ ذلك الوقت أصبح جزء من المقيمية حرس هندي وسفينة مزودة بمدافع.... في =

...

سنة ١٨٨٠م انشأت روسيا قنصلية لها في بغداد وكذلك بقية الدول الأوربية، وكلّها كانت تنظر بعين الحسد إلى تجارتنا الّذي أوجد عام ١٧٩٨م: وصودق عليه من قبل السّلطان عام ١٨٠٢م).

وفي (بغداد القديمة) ص١٧٩- ١٨٠ عن القنصلية: (... لها ١٢ قوّاساً وعدد من الجنود المسلمين الهنود يبلغون ٦٠ جندياً. وكان تحت تصرف هذه القنصلية باخرة صغيرة يقال لها (كوميت) وأهل بغداد يسمونها (مركب الكمد) وكانت ملازمة لهذه القنصلية ليلاً ونهاراً).

وفي (رحلات... إلى العراق) ص٧٠: (.. وعلى الجانب الشرقي سلسلة من البيوت الواسعة تحلّ محلّ النخيل، ومن بينها دار المقيم البريطاني ودواوين الحكومة، وتمتدّ هذه حتّى جسر القوارب أيضاً، وكانت بواخر شركة (لنج) ترسو قرب (دائرة الكمرك) وبجانب بواخر الحكومة والسّفينة الحربية البريطانية (كوميت) التي كانت ترسو قبالة دار المقيم البريطاني) كان ذلك عام ١٨٨٨م، أما قبل ذلك فقد حلّ (جمس بكنغهام) ضيفاً على القنصل البريطاني (ريج) وزوجته، وكتب يصف بغداد والدار عام ١٨١٦م في (رحلتي إلى العراق) ص١٩٩ و٢٠٩ ترجمة سليم طه التكريتي:

(... كنا نشرف في مفتتح كلّ صباح على رؤية بغداد وكأنها أشبه منظراً بصورة الشيطان الأعرج في مدريد، حيث تظهر أمامنا كلّ عوائل بغداد على السّطوح المكشوفة التي تنام فيها، وتلك القريبة جداً من ناحيتنا وفي أوضاع هامة تماما!...

تتألف البناية التي تحتلها دار المستر (ريج) من عدّة مساكن تجتمع في دار واحدة، وتعدّ من أوسع المنازل في المدينة وأفضلها وأكثرها تأميناً للراحة، فهي تتألف من فنائين كبيرين يستخدم أحدهما بمثابة مأوى، لأنه يضم عدداً من الغرف والأورقة حواليه، وفيها شرفات مسوّرة معدّة للنوم أثناء اللّيل في الهواء الطلق، وعدد من الخلايا المحفورة داخل الأرض يطلقون عليها اسم السّراديب لتجنّب شدّة وقد الصيف أثناء النهار، بالاضافة إلى الاصطبلات والمطابخ والدوائر المختلفة الجيدة الفارهة.

وتقوم إلى جانب ديوان المستر (ريج) دائرة طبيب انكليزي وسكرتير ايطالي وعدد من الأدلاء أو المترجمين والقواصين والسّائسين والخدم، وجميع هؤلاء يشغلون دوائرهم الأصلية، ويمارسون أعمالاً متباينة كما هو الامر في الهند، وهم يتألفون من الأتراك والعرب والجيورجيين والفرس والهندوس، وهناك سرية من الجنود الهنود يؤلفون الحرس، وهم يؤدّون بأبوافهم وطبورهم نفس المعزوفات التي تؤدّى في المعسكر أو الحامية.

ولقد كان يقيم هنا قبلاً عدد من الجنود الخيالة الأوروبيّين، لكن عددهم تناقص، وكان يوجد على الدوام يخت كبير مريح معد للرحلات النهارية تحت إمرة نوتية من الهنود.

أما اصطبل الخيول فهو كبير ومختار، وكلّ شيء يخصّ المقيمية أُعدّ بحيث يثير انطباعاً بالاحترام في أذهان السّكان الّذين كانوا يشهدون الطريقة التي تدار الأمور فيها وتحظى بالتأييد، والحقّ يقال أن المستر ريج يعتبر بصفة شاملة أقوى رجل في بغداد. وأنه يأتي بعد الباشا مباشرة، وأن البعض يتساءل لم لا يقدم الباشا في أي وقت على تطوير مسلكه طبقاً لمقترحات المستر ريج ونصائحه بدلاً مما يرغب فيه مجلسه.).

وعلى الرغم من احتلال بريطانيا للعراق عام ١٩١٧م، تضائل شيئاً فشيئاً مجد دار الاعتماد، وكبر مجد الشعب وانتقلت تلك الدار من الرصافة إلى الكرخ، إلى قصر كاظم باشا صهر السّلطان عبد الحميد.

وفي (مباحث عراقية) القسم الثاني ص ٣٩٠: (... أن كاظم باشا كان قد جاء إلى بغداد في أيام السّلطان عبد الحميد، فبنى قصره في الربع الأخير من القرن التاسع عشر للميلاد، وكانت مغادرته بغداد بعيد إعلان المشروطية (الدستور في سنة ١٩٠٨) ثم توفي فأصبح القصر لورثته فاشتراه المهندس الفرنسي (فيولة) وغيره من أملاك بغداد لحساب أحد أصحاب رؤوس الأموال من الفرنسيين، ثم اشترته الحكومة البريطانية من هذا الفرنسي بعد انتهاء الحرب العامة في سنة ١٩١٤/١٨ بخمسين ألف باونا إنكليزياً على ما كان سمعته في ذلك الوقت).

هذا وقد (رفع قنصل روسيا في بغداد إلى قنصل جنرال) كما في (تاريخ العراق بين احتلالين) الجزء الثامن ص١٤١ نقلاً عن جريدة الزوراء العدد ١٩٠١ في ١٥/محرم ١٣١٩هـ.

ومن مذكرات الشبيبي: (في ٢٦ رمضان سنة ١٣٢٨ هـ تناول جري الروس في النجف الميرزا أبو القاسم رسالة مطولة من سفيرهم في بغداد (أرلبوف) فحواها إبلاغ الخراساني أن لا يصغي إلى أقوال الوشاة بشأن الروس التي تثيرها بعض الدول الأوربية المناوئة لروسيا فيعاضدها لغيف من الفرس، وإن إعلان تحريم الأمتعة الروسية قد تجيب عليه روسيا بالمثل في منع دخول الأمتعة الفارسية إلى بلدها فيقع الضرر الأكبر على إيران، فردّ على ذلك ولد الخراساني برسالة مطولة فنّد فيها أقوال السّفير).

وكتب الشبيبي بعد ذلك: (في يوم الخميس ١٦٠ سنة ١٣٢٩هـ، ورد النجف سفير روسيا المقيم في بغداد، ونزل على أبي القاسم الشيرواني الذي تقرر قبيل ذلك جرياً من الروس رسماً، وقد استأذن حال وروده على الأخوند الخراساني فلم يأذن له، قائلاً: ليكتب ما يريد فيجاب أما الملاقاة فلا! وقد تذرع بجماعة إلى مواجهة الأخوند فلم يجب، وفي ١٧ صفر غادر النجف إلى بغداد بعد أن أرسل إلى الأخوند في بعض الأسئلة فأجاب).

وكتبت لغة (لغة العرب) في الجزء الثاني الصادر في شعبان ١٣٢٩هـ - ١٩١١م، ص٧٧ تحت عنوان (الإسرائيليون في بغداد):

(للإسرائيليين في بغداد عدّة مدارس ومن جملتها مدرسة ثانوية أخرجت عدّة طلبة نجباء، وهي مدرسة التعاهد الإسرائيلي (اليانس) وتدرّس العلوم فيها باللّغة الفرنسية وهي أيضاً لغتها الرسمية، وقد وقع اليوم الخلاف بين الإسرائيليّين في إبقاء هذه اللّغة بمنزلة أصلية أو جعلها فرعية، فإن الجمعية الصهيونية تريد نزعها وإبدالها باللّغة العبرية، وجمعية التعاهد الإسرائيلي تقاوم هذا التغيير أشدّ المقاومة، وأخذت تجمع الإعانات لإبقاء الأمور على حالتها، وأخذت الجمعية الصهيونية تقاومها بأن شرعت هي أيضا تجمع المال لتغيّير هذا الأمر).

نايم ورجليك للشمس!!. على كلّ حال في سنة (١٢٩٣هـ) يقابلها سنة (١٨٧٦م) أسست جمعية الاتحاد الإسرائيلي ببغداد مدرسة للبنات أطلق عليها مدرسة التهذيب للبنات، وعيّنت لها مدّرسات ودامت إلى أن وقع الإحتلال البريطاني)، كما شيّد (اليعازار خضوري) مدرسة للإناث الإسرائيليات، وكان الانتهاء من تشييدها سنة ١٣٢٩هـ يقابلها سنة ١٩١١م، وأجريت مراسيم افتتاحها برعاية الوالي جمال باشا، وجعلها باسم قرينته لورا خضوري، ودامت حتّى احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني (راجع بغداد القديمة ص٢٨).

وبالتالي إذا كانت المدارس قد تحوّلت إلى مستشفيات في الحرب فكيف كانت في السلم؟ يقول الشبيبي في بحثه (وزراء العراق في القرن الثالث عشر للهجرة) المنشورة في جريدة العرب بتوقيع (ابن النجف) في أعدادها: ٣ و٤ و٥ و٦ و٨ و١١ و١٢:

(يمكننا إذا نظرنا إلى دار السّلام من بعض الوجوه، وإذا أضربنا عن بعض الظواهر التي لا تسمن ولا تغني فيها من جوع، أن نقول: أن سير العلم والأدب بين المسلمين فيها في القرن الماضي أفضل منه الآن، وإنّا لنرى أن اخفاقنا في التحصيل، وعقم الشكل الذي انتهينا إليه بعد إشادة هذه المدارس الجديدة (المكاتب) ينبعث عن أمور أهمها أمران:

١- التعليم بغير لغة البلاد.

٢- نقص التعليم فيه، بل فساده في ذاته، هذا مع العلم أن النفقات في سبيله أكثر مما كانت في القرن الماضي بكثير، وأن عناية وزراء العراق في ذلك القرن بالعلوم والآداب العربية لتكبر في عيوننا جداً إذا عادلناها بعناية أمثالهم الآن، فإن اولئك شيّدوا المدارس العربية الكبيرة، وأقاموا دور الكتب، ونشروا العطاء في المدرسين وحملة العلم، فبنى سليمان باشا القتيل غير معهد واحد للعلم، ومن ذلك مدرسته (السّليمانية).

وقد وضع عدّة كافية من الكتب. وأسنى أُعطيات أهل العلم والأدب، ونشطهم أيما تنشيط، وبنى وكليه أحمد الكهية مدرسته التي دعيت (الأحمدية) وقد اعتلى شأن العلم والأدب أكثر من ذلك أيام الوزير داود، فكان في بغداد على عهده ثمانية وعشرون معهداً كبيراً للتدريس، على كلّ معهد مدرّس خاص به يرتزق أكرهم من بيت مال العراقي.

ومن تلك المعاهد تسع مدارس عظيمة منها: مدرسة داود باشا، مدرسة بنت النقيب، مدرسة عليّ باشا، المدرسة العادلية الكبيرة، الأحمدية، الأعظمية، السّليمانية، القادريّة، ومنها تسع جوامع مثل: جامع الصباغين، وجامع داود باشا. جامعي حسين باشا العتيق والجديد، جامع الشيخ شهاب الدين، جامع الخلفاء، ومن ذلك إثنا عشر معهداً أخر بين بيت ورباط ومشهد ولي وما إلى ذلك.

ومن مشاهير المدرسين يومئذ: السيّد عبد الله الآلوسي، عبد الرحمن الروزبهاري، السيّد محمّد البرزنجي، الملاّ عبد الله الحيدري، السيّد محمود الآلوسي، الملاّ عليّ الموصلي، محمّد سعيد السويدي، عثمان بن سند البصري وغيرهم من العلماء والطلاب وهم كثيرون.

وهكذا قلّ عن الأدب أخذ أولئك الوزراء بضبعه، وجبروا وهن أهله، وكانوا يحاضرون أدباء العراق ويباسطونهم ويخوضون معهم كلّ حديث، ويقترحون عليهم ضروب الانشاء والانشاد، كلّ ذلك بهذه العربية الفصيحة، بل كانوا يهادونهم الكتب والآثار الأدبية، ولو ذهبنا إلى إيراد ما اتفق لهم من النوادر في هذا الباب لخرجنا عن المقصود، فكانت دار السّلام معاج العلماء والأدباء وذوي الحل والعقد من العرب وزعماء الإمارات العراقية، ونبغ من أهلها وغيرهم خلق في العلم والأدب والشعر والإنشاء والسياسة، وكفاك من شعراء ذلك القرن مثل الشيخ الكاظم، والشيخ محمّد رضا، والشيخ مسعود الأزريّين، والشيخ الصالح التميمي، وعبد الباقي العمري وآخرين من أسرته، والأخرس البغدادي، وعبد الغني جميل، وعبد الباقي كاتب الإنشاء وعشرات غير هؤلاء).

كان ذلك في القرن الثالث عشر، أما في القرن الرابع عشر للهجرة فيقول الشبيبي في الحلقة الرابعة من حلقات (في سبيل التربية والتعليم) والتي ظهرت في أعداد (الزمان): ٢٤٤٠، ٢٤٤٦، ٢٤٥٣، ٢٤٥٦، ٢٤٧٣، ٢٤٨٢، ٢٤٩٤، ٢٥٠١ الصادرة بين تشرين الأول وكانون الأول ١٩٤٥م.

(كانت مدارس العراق في آخر عصور الأتراك على نوعين: الأول مدارس الدولة أو المدارس الرسمية الحديثة، وهي مدارس كانت تركية لا يخفى لغة التعليم فيها حتّى ان قواعد اللّغة العربية كانت تدرّس بواسطة كتب تركية على شكل هزلي لا جدّي تقريباً، على ان هذه المدارس كان يتعلم الطلبة العراقيون فيها علوم الحضارة الحديثة وثقافة العصر، أما مناهجها فإنها غير منهاج المدارس التركية في الأستانة وأدرنة وأزمير، بيد أن عدد هذه المدارس كان قليلاً في العراق، لا يزيد مجموع المدارس البغدادية على الخمس في البلاد كلّها.

أما أهداف الدراسة فيها فكانت لا تعدو سدّ حاجة الدولة من ضباط وموظفين، هذا ما كانت عليه معاهد العلم التركية في البلاد إلى أن تخلّى عنها الأتراك وذلك في نهاية الحرب العامة الأولى، فالغيت المدارس المذكورة وأنشأت السّلطة البريطانية على أنقاضها المدارس الحديثة، وهي مدارس كانت العربية هي لغة التعليم فيها، كما أنها حذت حذو المدارس المصرية في المناهج، ثم تسلّم العراقيون بزعامة الملك فيصل زمام الحكم في البلاد وتسلّموا فيما تسلّموا إدارة المدارس المذكورة.

هكذا كانت مدارس الدولة في العراق، أما المدارس الشعبية: وهي النوع الثاني من المدارس التي أشرنا إليها كبعض المدارس في الموصل وبغداد والنجف والحلّة، فكانت العربية وحدها لغة التعليم فيها، ويدرس بموجب مناهج هذه المدارس علوم الأدب وعلوم اللّغة على شكل من الأشكال ضعيفة غالباً، ثم يشرعون في دراسة علوم الشريعة الإسلامية فروعاً وأصولاً، ومن ذلك علم الحديث والتفسير والفقه والأصول.

كان المدرسون والطلبة المنتمون إلى المدارس الشعبية على جهل مطبق بعلوم الحضارة وفنونها، وقد يعدّون تدريس دراسة علوم الحياة ضرباً من المروق. بل كانوا فوق ذلك غير ملمين

بتأريخهم وبما لسلفهم الصالح من ماض مجيد في تحصيل المعارف الإنسانية وفنونها، حتّى صاروا أساتذة الدنيا في تلقين الشرائع وتعليم العلوم والفنون....

أفضى هذا الجمود على تلك النظم القديمة بل أدّى هذا الضغط على الأفكار إلى ثورة فكرية عامّة في كلّ بلد عربي تكثر فيه هذه المدارس الشعبية، ولا غرابة في ذلك فإذا خرج الأمر عن حدّه انقلب إلى ضدّه، فتحامل طلاب الإصلاح والمشيرون على مناهج المدارس المذكورة ولكن بعضهم أسرف في الغلوّ أحياناً، ولم يفرّق في نقده أو في تحامله بين الغثّ والسّمين، أو بين اللّباب والقشور، فكلّ قديم عند القوم فاسد، وكلّ حديث عندهم صالح، حتّى أفضى هذا الغلوّ أحياناً إلى المروق والتحلل من العقائد السّامية أو من النظم الخلقية القويمة، والحقّ أن التبعة في ذلك لا يتحملها الناقدون المتحاملون وحدهم وإنما يشاطرهم في ذلك أولئك الجامدون المقصرون من زعماء المدرسة القديمة، وهم الزعماء الّذين أصرّوا على تمسكهم بالبالي القديم من التقاليد في عصر تطورت فيه كلّ مظاهر الحياة.

حسبنا من ضعف أسس تلك المدارس الشعبية وتداعيها وجوم رجالها وذهول قادتها عندما رأوا تهافت فتيانهم وفتياتهم على الانتماء إلى المعاهد الحديثة، معاهد المروق في رأيهم مؤثرين لها على تلك الحياة الآسنة في مدارسهم الأولى. وما ذلك لجمودهم فيما مضى وتقصيرهم في الإصلاح وغفلتهم عن السير بموجب سنن الحياة العامة التي تسيّر الكائنات، ومنها سنّة التطور - سنة الله في خلقه - ولن تجد لسنّة الله بديلاً.

كان في كبريات مدن العراق بالإضافة إلى المدارس المذكورة عدد من خزائن الكتب تشتمل على خيرة ما أُلّف من الأسفار في عصور الحضارة الإسلامية، وذلك في شتّى العلوم والفنون، إلاّ إنها خزائن كانت تفتقر إلى من يتعهدها بالتنسيق والترتيب ليستفيد منها المراجعون، فهي خزائن فعل بها الجمود فعله قبل ذلك بالمدارس الشعبية المذكورة.

يحسن بنا بعد أن وصفنا أنواع المدارس في العراق أن نلم ببعض الفوارق الجوهرية الكبرى بين هذه المدارس المتنوعة خصوصاً من حيث المقاصد والأهداف.

كان لطلبة المدارس في مدارسنا الشعبية القديمة على علاّتها حوافز تحفزهم إلى طلب العلم لذاته، والتنقيب عن الحقائق من أجل النفع العلمي واستنباط أحكام الشريعة التي يتوقف على استنباطها والتعامل بموجبها بقاء العمران وانتشار العدالة واستتباب النظام، فهي إذن أهداف سامية لا تشوبها قط شائبة من المنافع المادية وحدها، ولا تقترن أهداف المدارس الأخرى، أما مدارسنا الحديثة فهي على ما تمتاز به من مظاهر النشاط وروعة النظام لم تزل الحياة فيها مفتقرة إلى تلك الحوافز أو المثل العليا، ولا شك أن أهداف المدارس - مدارس الدولة عندنا كما هي الآن - اتكالية ضعيفة فإنها لا تعدو غالباً الانخراط في سلك الوظائف والحصول على مرتب ما من خزينة الدولة ليميت في صاحبه روح النشاط والاعتماد على النفس. ولذلك يقال على سبيل الفكاهة أن هدف الطلبة في المتوسطات أن يكونوا وزراء وأهداف الطلبة المدارس الإعدادية أن يكونوا من كبار الموظفين، أما هدف الطلبة الجامعيّين فهو البحث عن الوظيفة.

ولذلك نقول:

لا شك أن الحياة مع المثل العليا التي تمتاز بها مدرستنا القديمة أشرف وأهنأ وأجدى من الحياة، نحياها من أجل لذات مادية فانية أو أهداف ضئيلة، ومما تقدم يتضح أن العراق كبقية الأقطار العربية الأخرى لها تراث ثقافي عظيم وكنوز مما انتجته الحضارة الإسلامية، إلاّ إنها بحاجة إلى أيد لبقة وعقول كبيرة تتعهده بالإصلاح والتنسيق. وليس من الجائز - لا من ناحية التربية ولا من جهة التعليم - أن نهمل ذلك التراث الثمين، وأن تلغى نظم دراسات الشعبية ومناهجها بالمرّة لتنتقل بالبلاد فجأة إلى نظم أخرى تغايرها من كلّ الوجوه).

كان الشبيبي (في سبيل التربية والتعليم) ناقداً (لبعض نواحي الضعف الظاهرة في سياسة التربية والعليم عندنا) وعارضاً (للمعارف في العراق على عهدي الاحتلال والاستقلال، وليل

وفي هذا اليوم نشرت هذه البرقية مؤرخة بـ٢٤ تشرين الثاني سنة ٣١[1]:

(لا زلنا نتعقب الشرذمة الباقية، بقية السيوف، حيث أن العدوّ لم يتمكن أن يفرّ إلا بخيالته وجنوده الّذين هم من الإنكليز، أما الهنود فقد اضطر العدوّ أن يتركهم تحت ضغطنا ومحاصرتنا، ولقد غنمنا من فصيلة قول العدوّ الفارّة ٣٠٠ بعيراً وكثيراً من التجهيزات الحربية والأشياء المنوعة، أما بواخر العدوّ المتقهقرة وفصيلته التي في البرّ فلم تستطع المشي للرجعة إلاّ بادمة إطلاق المدافع والرشاشات على كلّ أطرافهم وأنحائهم لأن فصائل العشائر لا زالت مزعجة لهم بتعقباتها).

وفي اليوم الأول من صفر سنة ٣٣٤هـ، وردت كمية من الجنود، وفيه عند الغروب أقلعت الباخرة (خليفة) حاملة المشير (غولج باشا) وجماعة من الضباط وأركان الحرب وعدداً كبيراً من الجنود التركية الممتازة، وقد ودعت وداعاً حافلاً وعزفت لها الموسيقى، وفي هذه الباخرة سافر عمال الكوت ومستخدمو تلك الجهات، وأقلعت أيضا باخرة صغيرة مشحونة بالأمتعة والأزواد.

وفيه جاء في الرسميات التي تنشرها الشركة الوطنية عن الحرب العراقية ما نصّه[2]:

...

المربّين إلى الاحتكار والابتعاد عن النزعة الشعبية) ومتطرقاً إلى (التربية القومية وقادة الحركة العربية وبعث الشعور القومي ولمذهب الحصري في التربية) ومفرداً (فصلاً خاصاً للقول في أسس التعليم ومناهجه كما وضعت في تلك الأيام، وللألمام بأنواع المدارس ومناهج التربية والتعليم وذلك في الفترة التي سبقت عهد الاستقلال وإنشاء الحكم الذاتي في العراق) ومقارناً (بين الماضي والحاضر) ومجيباً على (ما هي التربية الروحية والتربية الخلقية) ومشيراً إلى (مناهج متعارضة بين الحصري وسمث) ومنوهاً بـ(لانبل سمث، وكلمة اليونان والعرب، والحضارة والإسراف بالملاذ، والأوربيين من أبناء الغرب والشمال).

وقد أثارت (في سبيل التربية والتعليم) المرحوم (أبا خلدون ساطع الحصري) فكتب عن(الوزير رضا الشبيبي) في الجزء الأول من (مذكراتي في العراق). وفي الوقت الّذي ارتفع الشبيبي بكتابته عن الحصري في حلقاته تلك هبط الحصري بكتابته عن الشبيبي، ولم يتكلم إلاّ بعد وفاته، وفي وقت كانت فيه الطائفية البغيضة وسياسة الدولة الرسمية جاهر وفخر بها عبد السّلام محمّد عارف، وكان الشبيبي - بهذا الشكل أو ذاك - ضحيتها، وهو الّذي عاش محارباً الطائفية والإقليمية والاستعمار إلى اليوم الّذي فارق فيه الحياة، وكانت مذكرته التي قدمها قبل وفاته في: ٢٦-١١-٦٦ إلى (البزاز) آخر ما رفع من احتجاج صارخ ضد الظلم والاستهتار وضد الطائفية، وقد حاول استغلالها لمصالحه الخاصة ولإثارة الطائفية نفر من الّذين كانوا يترددون على الشبيبي من الّذين لم يكونوا يترددون إلاّ أنه كان واعياً لمحاولات هؤلاء وأولئك المشبوهة.

(١) نشرت في (صدى الإسلام) العدد ١١٧ الصادر في يوم الخميس ١ صفر ٣٣٤-٢٦ تشرين ثان ٣٣١ [مارتية].

(٢) نشرت في (صدى الإسلام) العدد ١١٧ الصادر في يوم الخميس ١ صفر ٣٣٤-٢٦ تشرين ثان ٣٣١ [مارتية].

(رسمي - في ٢١ تشرين الثاني اقتربت كتائبنا من كوت الإمارة فكبدت في ٢١-٢٢ تشرين الثاني مواضع العدوّ في السّاحل الأيمن بفصائلها المكتشفة القويّة. وفي ٢٢ تشرين الثاني أصلينا مواضع العدوّ الكائنة في ضواحي القصبة، أما قواتنا التي زحفت نحو شرقي كوت الإمارة فقد أطلقت نيرانها على حرّاقتين (موتور) للعدوّ وثلاث بواخر من بواخره النقالة، فأحرقت منها (موتوراً) واغتنمت سفينة وأجبرت الأخريات على الفرار إلى كوت الإمارة، وعدا ذلك أيضا قد غنمنا في جوار كوت الإمارة جنيبتين وكان من جملة الغنائم في أحدهما طيّارتان وكثير من أدوات الطيّارة وآلاتها، فبلغ مجموع الطيّارات التي اغتنمناها من العدوّ في هذه السّاعة ست طيّارات، أما العدوّ المغلوب فلم تبق له حيلة سوى أن أطلق ٢١ مدفعاً في الضواحي الجنوبية ابتناء التمويه على من حوله ليوهمهم أنه انتصر زاعماً أن هذه المكيدة تكون سبباً لستر اندحاره وفشله).

وفاة الرشتي في النجف:

وفي غرّة صفر سنة ١٣٣٤هـ، توفي الشيخ محمّد عليّ الرشتي من أعيان علماء النجف المتاخرين.

بين النجفيّين وآل أبي حداري:

في غرّة صفر سنة ١٣٣٤هـ، اختصم أفراد آل أبي حداري من بني حسن مع جماعة من النجفيّين في الجسر في سوق هذه القرية، والسبب استبداد النجفيّين بضرائب البلدة وبنو حسن يدّعون الأولوية بذلك لأنه في ربوعها، وفي هذه الفتنة تبادلوا إطلاق النار فجرح من العشيرة أنفار وقتل من المشاهدة عبد لآل كمونة[1]، ثم تواردت نجدة كلّ من

---

(١) البو حداري: رئيسهم (عودة الزبالة). تسكن العشيرة على ضفتي نهر شط الكوفة، ولكن اكثرهم على الضفة اليسرى في هور الدخن فوق الكوفة - ٤٥٠ رجلاً عن (تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة) ص٧٥ و٧٦.

المشاهدة: النجفيون، نسبة إلى «المشهد» اسم من أسماء النجف، وعن كتاب النجف للشبيبي: (النجف هذا هو المنبسط الجميل الّذي يرى غربي الكوفة فتنبسط له النفس وينشرح الصدر. كان عربي الهواء، عذب الماء، أنيق الرياض، طيّب الأرياض، وهو وما يليه مغاني النعمان وآل المنذر في عهد النصرانية، ومعاهد العباسيّين وغيرهم في الإسلام، وفيه يومئذ وفي ما حوله عدد كبير من العيون والأنهار، والقصور والديارات، والإنصاب والعمارات، وفيه الحيرة البيضاء والبحيرة الزرقاء، ومن القصور الخورنق والسدير «قيل: أن السدير نهر لا قصر، وفي السّهل الّذي يلي خرائب الخورنق الآن آثار نهر سمعت من بعض العرب يقول ان السّدير»، وقصر ابي الخصيب، وقصر العدسيّين والقصر الأبيض، وقصر الطين، وقصور القادسية.

الطرفين وتكاثر الفريقان، واستمر إطلاق النّار برهة من الزمن في الأسواق، حتّى التجأ من اجتمع من أفراد هذه العشيرة إلى خان على الفرات فتسوّر عليهم المشاهدة ونقّبوا الحيطان فاضطروهم إلى التسليم وطلبوا أن يخرجوا بذمام النجفيّين فخرجوا.

ولمّا صاروا على الجسر رماهم جماعة من النجفيّين لم يعلموا بالذمام فأصيبوا من أصيب وفرّ من فرّ وائتمر القوم في معاقل الجسر، واستنجدوا قومهم فأنجدتهم أحياء النجف الأربعة، وأقفلت الأسواق في ٢ صفر في النجف، أنجدوهم بالسّلاح والرجال، وملئت معاقل الجسر والمعاقل في الطريق إلى النجف.

ثم تهادنوا بواسطة بعض العقلاء وانتهى الأمر بفوز النجفيّين وفشل العشائر، وقد ساعد المشاهدة من رؤساء بني حسن لفته آل شمخي بل هو المساعد الوحيد(١).

...

أرض الخورنق، والسّدير، وبارق، والقصر ذي الشرفات من سنداد، ومن الديارات: دير الأكيراح، دير هند الصغرى، دير الكبرى، دير عبد المسيح، دير علقمة، دير حنظلة، دير حنّة، دير الشاء، دير الجرعة، دير الحريق، دير ابن وضاح، دير ابن براق، ديارات الأساقف.
ومن العيون والينابيع: عين الرحبة أو القادسية، عين الرهيمة، عين النجف، عين الريض، عين الجمل، عين صيد، القطقطانة، عين الرهبان، وعيون أخرى كثيرة تعرف إلى الآن هي وطائفة من الآثار المتقدمة وغيرها: كالغري، والقائم المائل أو الحنانة «الغري واحد الغريّين وهم الطربالان المشهوران - معجم البلدان: ج٦/ص٢٨١ - ويقال للنجف الغري من جهة الغريّين، وموضعهما بظاهر البلد شمالاً عند مقام هود وصالح، وكان عليهما بناء إلى أواخر القرن الماضي ثم عفي وليس لهما اثر الآن».
قرب هذه الآثار خططت النجف ولم تلك شيئاً مذكوراً في صدر الإسلام ولا في دولة بني أمية، وإنما بدأت أيام العباسيّين في أواخر القرن الثالث للهجرة، واتسعت وعظم خطرها على عهد آل بويه، وتقدمت اكثر من ذلك أيام الأيلخانيّين. ولما كان فيها اكبر مشاهد الأئمة وكانت في ناحية بعيدة عن الفرات، وهي عرضة للغزاة لوقوعها في طفّ البادية، تعهدها الملوك والصدور وأكثرهم من الشيعة، واهتموا بإعمارها وتحصينها وجرّ المياه إليها، وترتيب النقباء فيها، سبق في كلّ ذلك آثار جليلة للعباسيّين، والبويهيّين، والسّلاجقة، والأيلخانيّين، والصفويّين، والقاجاريّين، هذا غير آحاد من ذوي الجاه والثروة الطائلة في الجهات تقدمها إلى النجف بأعمال جمّة يخطؤها الإحصاء. وأنا مورد في هذه الفصول إجمالي ذلك...).

(١) وعن (تقرير سري لدائرة الاستخبارات) ص٧٧ (لفتة الشمخي رئيس الجراح من أفخاذ بني الحسن يتبعه ٢٥٠٠ رجل، وكان من أحسن أصدقاء الإنكليز وأكثرهم نفوذاً بين شيوخ بني الحسن).
أما «الجسر، فقصبة الجسر آنذاك، وعن (تاريخ الكوفة) للبراقي ص٤٥٧ (... في سنة ١٣١٧هـ يوم الأحد الموافق للخامس والعشرين من شهر ذي الحجّة نصبوا الجسر على نهر الفرات...)، كان موقع هذا الجسر إلى الشمال قليلاً من الجسر الحديدي الحالي الّذي بني في منتصف الخمسينات.
وفي (العراق قديماً وحديثاً) للحسني الطبعة الثانية ١٩٥٦م، ص١٣٨: (وفي الجسر قصر فخم للعائلة المالكة تنزل فيه كلّما قصد الأضرحة المقدّسة في النجف وكربلاء للزيارة تتوفر فيه وسائل التبريد والتدفئة الحديثة، وتحيط به الرياض والغياض الكثيرة).
اصبح هذا القصر بعد ثورة تموز ١٩٥٨م، فندقاً من فنادق مصلحة المصايف والسّياحة يشكو من قليل من العناية وكثير من الإهمال.

٣١ [مارتية][1]:

(لا زالت قطعاتنا تضيّق بشدّة على العدوّ الّذي يدافع عن كوت الإمارة ولقد أتلفنا كثيراً من فصائل العدوّ التي حاولت أن تهرب، وغنمنا منهم ٣٠٠ بعير مع كلّ أسبابها، أما كتائبنا الزاحفة إلى الأمام من الجناح والمتقدمة إلى شيخ سعد فقد أشكلت الرجعة على العدوّ.

أن انتصارنا أوجب قلقاً خارقاً للعادة في انكلترة ولقد اعترفت كلّ صحف الإنكليز بأهمية فشلهم في العراق، وذكرت أن بين الجيش العثماني اليوم والفيلق العثماني في حرب البلقان فرقاً عظيماً، وتقول أن الفيلق العثماني الّذي سيحارب بنجاح في ثلاث جهات يجب أن ينظر بنظر الدقة والاهتمام).

وفي يوم ٥ صفر انتشر هذا البلاغ الرسمي[2]:

(أن قطعاتنا في الجبهة العراقية زحفت إلى الإمام من شمالي كوت الإمارة وغربيّه وتقرّبت مقداراً آخر من مواضع العدوّ، وأتلفت عدداً كبيراً من العدوّ الذي في السّاحل الأيمن من دجلة فأجبرته أن ينسحب إلى الكوت، وأشغلنا الجسر المنصوب على دجلة من الشرق، فمنعنا بعض قطعات العدوّ وغانبوطاته من الفرار وأجبرناهم على العودة إلى كوت الإمارة).

وفي ليلة ٦ صفر انتشر من إدارة (صدى الإسلام) نص هذا البلاغ[3]:

(من مستخبراتنا الموثوقة الخصوصية أن جندنا المنصور احتل عليّ الغربي، وشيخ سعد، ولا زالت كوت الإمارة تحت تضيّقنا ومحاصرتنا من كلّ جانب).

---

(١) نشر في (صدى الإسلام) العدد ١١٩ الصادر في يوم الأحد ٥ صفر ٣٣٤-٢٩ تشرين ثان ٣٣١، ولا ندري كيف كانت (الصدى) تضبط الأيام، فإذا كان ١ صفر هو يوم الخميس - الهامش ٣ - كيف أصبح ٥ صفر يوم الأحد؟!. ومع ذلك تكرر مثل هذا الشطط مرّة اخرى مع (الصدى). والى عهد الاحتلال البريطاني كان التقويم الرومي هو الّذي يستعمل مقابل التقويم الهجري في العراق، ومن ثم بدأ باستعمال التاريخ الميلادي الغريغوري الحديث بدل الرومي.

(٢) نشر في (صدى الإسلام) العدد ١٢٠.

(٣) نشر في (صدى الإسلام) العدد ١٢٠.

وفي صباح الثلاثاء ٦ صفر ورد إلى بغداد المركب الحربي المغتنم المدعو (سلمان باك) وهو في الإنكليزية (Fare Fly) وقد شاهدنا فيه غنيمة مهمّة، وهو مصفّح بالحديد، وفيه عدّة مدافع متقنة ورشاشات ترتقي إلى أكثر من عشرة، وفيه مرصد ومسلّة وآلة شعاع وغير ذلك.

وردت مع هذا المركب الباخرة (برهانية) من خطّة الحرب مقطورة إليها جنيبة وحرّاقات بخارية أخرى، وفيها وفي (برهانية) طائفة من الجرحى العثمانيّين عُدُّوا بالمئات، وُضع بعضهم في المستشفى الإسرائيلي، وبعض في قصر كاظم باشا وقد اتخذت أخيراً من جملة المستشفيات دار السّفارة الروسية على دجلة.

وفي يوم ٦ صفر فرّ من الكاظمية نحو ثلاثين من مجاهدي النجفيّين، وأثخنوا في طريق غير ناهجة إلى الفرات، فعدا عليهم فريق من زوبع وجرحوا جماعة منهم ثم، جرّدوهم السّلاح.

وفي ٧ صفر نشر هذا البلاغ الرسمي المؤرخ ٢٩ تشرين الثاني سنة ٣١ [مارتية][1]:

(نتيجة تعرضاتنا الشديدة احتللنا مواضع العدوّ الأمامية في كوت الإمارة، ودحرنا العدوّ إلى مواضعه الأصلية، وأتلفنا منه في هذا الحرب ما يربوا على ٧٠٠ قتيل، أما ضايعاتنا فأقلّ من ٢٠٠ بين شهيد وجريح).

وفي ٧ صفر يوم الأربعاء وردت من القائد العام هذه البرقية، مؤرخة ٢ كانون الأول سنة ٣١هـ، إليك هي[2]:

١- قسّمنا العدوّ إلى قسمين فقسم منه لا زلنا مشددين عليه في الضغط والتضيّق، والقسم الآخر لم نبرح معقبين له استقامة العمارة، وحاول موطوران للعدوّ أن يخرجا عن المحاصرة فأغرقنا أحدهما ومنعنا الآخر عن الخروج، وأخذنا مقداراً من الأسرى، وغنمنا ٦ زوارق مشحونة بالأدوات (كراسته). وقد أتلفنا من العدوّ في الأيام الأخيرة ما يربوا على ١٠٠٠ قتيل بفضل بسالة جندنا المنصور وصولته الشديدة المستمرة ليلاً ونهاراً.

---

(١) نشرت في (صدى الإسلام) العدد١٢٣.

(٢) نشرت في (صدى الإسلام) العدد١٢٣.

٢- كنت قد كتبت إلى (تاون زند) قائد الإنكليز المحصور في كوت الإمارة أن الحرب داخل القصبة وفي جوارها مخالفة للقواعد الدولية ومنافية لمقتضيات المدينة، وأن صيانة الأهلين الأبرياء المعصومين واجبة، فأجابني بالجواب الّذي أدرجت فقرة منه أدناه ليطّلع عليها أنظار انتباه العموم، وهو قوله: إنّا لا نرى الأهلين من العرب أبرياء معصومين).

وفي ٢٧ تشرين الثاني جاء عن الحرب العراقية في الرسميات من الأستانة[1]:

(لا زالت مقابلة نيران العدوّ لنا في كوت الإمارة من الجبهة العراقية آخذة بالضعف والاضمحلال يوماً فيوماً، ويتشبث العدوّ أحياناً بحركة الخروج، على أن قطعاتنا الباسلة تصدّه بعد أن تكبده التلفات، ولقد أصلحنا ٤ من الطيّارات التي اغتنمناها من العدوّ وها هي اليوم مستعملة ضدّه).

وفي ١ كانون الأول سنة ٣١ جاء: (لا نبأ جديد عن الجبهة العراقية).

ثم أن فشل الإنكليز هذا حمل العالم بأجمعه على الاستغراب، وقد تداولته الصحف الكبيرة المختلفة، وتكلّم الوزراء ورؤساء النظارات في المجالس النيابية عنه. وأغرب من ذلك أن الناس في العراق والأهلين الّذين ما زالوا ينتظرون نتيجة الحرب العراقية كان فريق منهم مصرّين على أن حرباً فاصلة تقع في محرّم هذا قبل أن تقع حروب سلمان باك بشهور، وكانوا يتكهنون بالانتصار العثماني كأنه من الأمور الحتمية قبل وقوعه.

سمعنا عنهم ذلك وشاهدنا القوم يلهجون به في ذي القعدة وذي الحجّة منتظرين محرّم الحرام، وزاد بعضهم فعيّن الأيام التي تقع فيها الحروب الفاصلة، وهي: أيام منتصف محرّم، ونطق بذلك تفصيلاً علويّ يقطن مع الشويلات من عشائر الغراف، كما رواه عنه يوسف الخير اللّه عقيد هذه العشيرة في أواخر ذي الحجّة، وكان في النجف، فكان ذلك كذلك وهو من الغرابة بمكان.

وفي يوم ٧ صفر أنقذوا أسرى الإنكليز جنودهم، مشاة إلى شمال العراق بطريق كردستان، وفي يوم ٨ صفر أقلعت الباخرة (برهانية) من بغداد إلى دار الحرب تقلّ

---

(١) نشرت في (صدى الإسلام) العدد ١٢٣.

بعض الجند والأدوات والمهمات، وقد قطرت إليها جنيبة وفيها سيارات عليها شارة الهلال الأحمر، وفيه أنفذوا فريقاً من المشاة على طريق البر إلى ساحة الحرب.

وفي يوم الجمعة ٩ صفر أوعزت حكومة بغداد بإخلاء القهوات الثلاث المطلّة على دجلة من الجانب الشرقي[١].

وفي ٩ صفر وردت ذخيرة مدفعية من القنابل الكبيرة وعدّة من المدافع، وفيه جاء عن الحرب العراقية في الشركة الوطنية[٢]:

(تنقص فعالية مدفعية العدوّ في العراق في جهة الكوت تجاه النيران مدافعنا الشديدة، ووصلت قطعاتنا لأقرب محلّ من مواقع العدوّ، الأصلية بتعرضاتنا المقرونة بالموفقية.

تنتقد الصحف الإنكليزية هزيمة الحملة الإنكليزية في العراق، وتكتب إنها شبيهة بماجريات حملة (جناق قلعة) وتقول الجرائد الألمانية: أن الهزيمة التي أصيب بها الإنكليز توجب تقلّص نفوذهم).

وجاء في الجرائد الإنكليزية عن حرب العراق ما نصه:

أعلنت نظارة الهند الإنكليزية بان جيوش المجاهدين هاجمت الإنكليز في العراق في اليوم ٢٢ من تشرين الثاني حساباً عربياً، وأنه نشبت بين الفريقين معركة دامت سحابة ذلك النهار، وأسفرت عن قتل ٢٠٠٠ من الإنكليز وجرح مثلهم، وأن الجيش الإسلامي هجم على الجيش الإنكليزي في ضفتي النهر في ليلة ٢٣ و٢٤ تشرين الثاني فاضطر الإنكليز للانسحاب والتقهقر).

---

(١) من القهوات المطلّة على الجانب الشرقي آنذاك: مقهى المميز، وكان هذا المقهى أو ما جاوره مباشرة موقع أول مقهى بني في بغداد سنة ٩٩٩هـ وكان يدعى قهوة (زنبور) سنة ١٢٤١هـ - ١٨٢٥م. ويقع (على رأس الجسر القديم، ويطلّ على نهر دجلة محاذياً لدائرة الكمرك والمكوس القديمة، وعلى الأغلب هو جناح من أجنحة مدرسة المستنصرية، ومنها: مقهى العنبار (في محلّة المصبغة) بجانب الرصافة ويتردد إليه ناس من طبقة التجار، ويعتبر هذا المقهى المقر التجاري يومذاك (كالبورصة) في هذه الأيام، لأن محلّة الرواق وخانات ومخازن الجملة قريبة من هذا المقهى، وأكثر رواده تجار اليهود الّذين بيدهم التجار يومذاك).

راجع مباحث عراقية القسم الثاني ص١٨٠، و(تاريخ العراق بين احتلالين) الجزء السّادس ص٢٩٢ و(بغداد القديمة) ص٦٠.

(٢) نشرت في (صدى الإسلام) العدد ١٢٤.

وفي يوم السبت ١٠ صفر سنة ١٣٣٤هـ، وردت صباحاً من دار الحرب الباخرة (حميدية) تقلّ طائفة كبيرة من الجرحى فيهم كثير من العرب وأهل بغداد وحواليها، وقد فرّقوا على المستشفيات التي من جملتها نزل عبد الأحد، ومن المستشفيات المتخذة أخيراً مدرسة الميدان الجديدة ومكتب النمونة في الكرخ، ومع هذه الباخرة بعض الجنائب.

وفي هذا اليوم عاد من دار الحرب القائد (غولج باشا) على سيارة خاصة تحمله ومن معه من الضباط وسواهم إلى بغداد، وفيه حضر المتصرّف (حمزة بك) إلى العلماء في الكاظمية، وشاورهم في الرواح إلى ايران لأن أخبارهم اضطربت في هذه الأيام لشدّة وطأة الروس فيهم وطلبهم إشراك الفرس بالحرب معهم، وهياج المتنورين من الفرس ومقاومتهم لمطالب الروس، ومراجعتهم لعلماء العراق واستغاثتهم بالقوّة، وقد اضطر العثمانيون على أثر ذلك على إرسال جنود وذخائر كثيرة في هذه الأيام إلى الحدود الفارسية من جهة العراق.

وفي يوم الأحد ١١ صفر عبرت الباخرة (حميدية) من رأس الجسر أربعة مدافع جديدة الورود من السّريعة الطلق مع مركباتها ومدفيتها وجملة من الفرسان إلى ثكنة المدفعية، وأنزلت ثم ليضم إليها المدافع المشهور (فاتح النهرين) المغتنم في وقعة الإنكليز الّذي جيء به للإصلاح، وذلك لتسير إلى إيران، وفي هذه الأيام سيّرت إلى ايران طائفة من جنود الفعلة وأرسلت مقادير من الدراهم.

وفي يوم ١١ زار (غولج باشا) وأركان حربة مستشفيات الجرحى في بغداد، وزار الطراد (سلمان باك) وفحصه وأخرجت له الأوراق والخرائط والخطط والدفاتر وبعض الأدوات الإنكليزية التي وجدت فيه، والمركب يومئذ يصلح في مشرع (السيّد سلطان عليّ).

وفي يوم الاثنين ١٢ صفر وردت من خطّة الحرب الباخرة (بغداد) تُقلّ ثلاثة طوابير من الجنود التركية التي أعيدت من هناك لترسل إلى بلاد فارس ومعها بعض المدافع، وقد أنزلت في المشهد الكيلاني.

وفي عصر هذا اليوم أقلعت الباخرة (حميدية) إلى المعسكر العام مشحونة جنداً وبعض السّلاح والكراع.

وفي ١٢ صفر، أو ٧ كانون، نشرت هذه البرقية الرسمية المؤرخة ٤-٥ سنة ١٣٣١ [مارتية]:

(نشبت في كوت الإمارة من الجهة العراقية حرب بين المدفعية المشاة بفاصله، وأن قطعاتنا التي قربت من بعض الأقسام لظفائر الأسلاك الدفاعية حول الموقع المستحكم وجدت ألغاماً برية كان قد أعدّها العدوّ ففجرتها وجعلتها عارية عن التأثير، ولقد غنمنا من العدوّ في ١ كانون أربع جنائب مشحونة بالأدوات (كراسته).

انتصار العراق وصحف النمسا:

جاء من الشركة الوطنية[1]:

(تعلق صحف فينا أهمية كبرى على انتصار جنودنا في العراق، وتقول أن هذا الانتصار قد أزال النفوذ الإنكليزي من مكانه الّذي أضحى متزلزلاً على أثر نتائج هزائم الإنكليز في الدردنيل، وإذا خسر الإنكليز في مصر أيضاً فسيقوم العالم الشرقي كلّه على الإنكليز).

من استخبارات الفيلق السّادس عن العراق:

(تورث نيران مدفعيتنا ومشاتنا قوى العدو الموجودة في الكوت الخسائر كلّ يوم، تخرّبت بنار مشاتنا آلة الاستخبارات بالأشعة (هه ليوستا). ارجع فيلق العراق موطوراً فيه قسم من قوى العدوّ بعد أن أصيب بالتلفات، وكان قد حاول الخروج من عليّ الغربي).

وفي ١٢ صفر نشرت إدارة (صدى الإسلام) من أخبارها الخصوصية[2]: (أن الإنكليز أخلوا جميع الحوانيت و(المغازات) الكائنة في الكوت فملأوها بجرحاهم، وأن (قوقس) المأمور السياسي قد انطرد وأبعد أبدياً بتهمة أنه كان سبباً لهزيمة الإنكليز).

---

(١) نشرت في (صدى الإسلام) العدد ١٢٦.

(٢) نشرت في صدى الإسلام العدد ١٢٧.

وفي يوم الثلاثاء ١٣ صفر أو ١٤ على الخلاف نشرت هذه البرقية الرسمية المؤرخة ٦كانون الأول سنة ٣١ [مارتية][1]:

(لا زالت قطعاتنا مستمرة في تخريبها لكلّ نوع من الموانع الفرعية التي رتّبها العدوّ أمام موقعه الأصلي في كوت الإمارة من الجبهة العراقية، ولم تبرح مدفعيتنا الضخمة قارعة ملاجئ العدوّ ومؤسساته في القصبة بصورة مؤثرة، ورجع العدوّ هنا على استعمال رصاص الـ(دوم دوم) والقذائف التي ترمى بالماكنة).

وفي يوم الثلاثاء ١٣ صفر حمل القطار كميّة (من الجنود، وفيه احتفل في بغداد احتفالاً عظيماً بالإنتصار العظيم الذي اتفق في جزيرة (غالليوى) ووردت البشارة به من ناظر الحربية وفصلته الشركة الوطنية، وذلك في الحرب التي بدأت منذ ليلة ٦ كانون الأول/ ٧ كانون الأول سنة ٣١هـ، فعطلت الدواوين واجتمع المهنئون في دار البلدية، ثم حضر (غولج باشا) ومعاون الوالي وقائد الفيلق إلى دار الحكومة واستعرضت الجنود وطلبة المكاتب وصدحت الموسيقى، ثم تكلّم (غولج باشا) في التحالف، تلا الشيخ أحمد الشيخ داود دعاء وأنيرت بغداد والبواخر الراسية في دجلة ليلة ١٤ صفر، وكان يوماً مشهوداً حتّى وزعت من نسخ البرقية الوطنية ٤٠٠٠ أو أكثر[2].

---

(١) نشرت في صدى الإسلام العدد ١٢٧.

(٢) نشرت في صدى الإسلام بعددها ١٢٨، الصادر في يوم الأربعاء: ١٥ صفر ٣٣٤-٩ كانون الأول ٣٣١ [مارتية] تحت عنوان: (الاحتفال بالنصر المبين):

ما يلي: (احتفل عصر أمس احتفالاً شائقاً على اثر البشارة الكبرى حول انتصارنا المبين في الدردنيل وقد ابتدأ الاحتفال باجتماع الوجهاء والموظفين في البلدية فساروا إلى دائرة الفليق الهمايوني فأقاموا في ردهة الاستقبال لأداء التبريكات للفليق الهمايوني المنصور، فشرّف حضرة المشير المفخم غولج باشا وأركان حربيته يحفّ به كلّ من عطوفة حضرة معاون الوالي شفيق بك افندي، ووكيل قائد الفيلق يوسف ضيا بك أفندي، وبعد أن أديرت كؤوس المسرّات تكلّم دولة المشير المفخم بما طربت له القلوب من التباشير عن نتيجة التحالف مع المانيا وحليفاتهما، وعن انتصار الدائم والفوز القطعي، ثم خرجوا إلى ظاهر الدائرة العسكرية، وهنا القى حضرة العالم الفاضل السيّد احمد أفندي آل الشيخ داود دعاءً بليغاً، وتكلّم دولة المشير المحترم بجمل ذهبية عن التحالف العثماني النمساوي المجرى البلغاري، فصدحت الموسيقى العسكرية بأنغام المتحالفين، وبعد ذلك ذهب الوجهاء والأعيان إلى مقام الولاية العالي لأداء التبريكات وتبادل نخب المسرّات، وهكذا انفض الاحتفال الّذي لم يبق فرد من اهالي بغداد إلاّ واشترك فيه، وكذلك طلبة المدارس وسائر الطبقات).

وفي يوم ١٤ صفر، سيّرت المدافع إلى إيران مع بعض الفرسان والجنود.

وفي ليلة الخميس ١٥ صفر سنة ٣٤هـ، توفي فجأة في الكاظمية الشيخ حسن عليّ القطيفي، من أعلام النجف المجاهدين بينما كان يحدّث أحد العلماء في مسألة الحركة إلى إيران وحملها على الجهاد، ويحثّهم بشدّة فاتكى ساكتاً، وكانت في يده لفافة فكان ذلك آخر العهد به، وقد شيّع تشييعاً عظيماً، وعطّلت الأسواق، ودفن في المشهد الكاظمي.

والشيخ حسن ممن امتحن في مسائل النجف الإسلامية الأخيرة، وله رسالة نشرها في وجوب الدفاع سنة ١٣٢٩هـ، إبان نشوب الحرب الطرابلسية، ومن جملة زملائه الّذين اشتهروا في هذا الشأن الشيخ عبد الكريم الجزائري وإخوته وجماعة من آله وآل السيّد صافي، كالسيّد محمّد رضا، والسيّد محمّد جعفر وإخوانهم، والشيخ محمّد جعفر الكاظمي، والسيّد حسين الحمامي، ومنهم: الشيخ باقر حيدر المتوفى سنة ١٣٣٣هـ، والشيخ عليّ الطريحي، والشيخ عبد الحسين مطر، والشيخ هادي، والشيخ محسن الجواهريان، والشيخ كاظم سبتي، والشيخ مهدي أسد الله، وجعفر بحر العلوم، وكثيرون أمثالهم من العرب والفرس من[1]... في هذا الأمر واشتهروا أيضاً في.. الشيخ محمّد

---

(١) وردت فراغاً في الأصل، وقد تكون (ومن الّذين امتحنوا في هذا الأمر واشتهروا في هذا الشأن) عطفاً على ما سبق، والقطيفي كما يقول الشبيبي في محلٍّ آخر هو:

(الشيخ حسن عليّ عبد الله آل بدر القطيفي، سمع من الآقا رضا الهمداني مدّة، ثم اختص بالإمام الخراساني وسمع منه وتخرّج به، واشتهر أخيراً بالذبّ عنه وبالدعوة إلى ما دعا إليه، وأعان على اليزدي وامتحن في المسائل الإسلامية الأخيرة في النجف والخارج، وعاد إلى القطيف بعد وفاة الخراساني وغادرها إلى الهند لما هجم عليها ابن سعود، وعاد إلى النجف سنة ١٣٣٢هـ مصراً على مطالبه. وقد فصل مجاهداً إلى بغداد في محرّم سنة ١٣٣٤هـ، مع من فصل يومئذ من علماء النجف، وتوفي فجأة في ليلة الخميس ١٥ صفر سنة ١٣٣٤هـ في الكاظمية وهو يتحدث في مسألة فارس الإسلامية وحملها على الجهاد، ودفن في المشهد الكاظمي.

صنّف: (روح النجاة) مختصر نجاة العباد، طبق فتاوى الإمام الخراساني طبع سنة ١٣٢٨هـ في بغداد، (دعوة الموحدين إلى حماية الدين) رسالة كتبها أيام تجريد إيطاليا بعوثها على طرابلس الغرب، فرغ منها في ٢٥ شوال سنة ١٣٢٩هـ وطبعت في ذي القعدة من هذه السنة في النجف في مطبعة حبل المتين).

وأما الشيخ عليّ الطريحي فقد:

(قرأ على الشيخ محمّد حسين الكاظمي، وسمع من الشيخ محمّد طه وهو فتىً يدّعي الاجتهاد، وكان يتفيى على رايه، وله رسالة عملية، وكان من المنابذين للسيّد اليزدي يقع فيه علناً... وكان من زعماء الدعوة إلى الجهاد والدفاع، وقد ساءت حاله أخيراً وهجره الناس، توفي في ١٩ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، وحمل إلى النجف).

=

وللشبيبي: (الطريحيون من اقدم أسر النجف وأشهرها وأكثرها عدد رجال علم وصلاح.. وسُمّوا بجدهم طريح النجفي، وأشهر أعلام هذه الأسرة الشيخ فخر الدين بن احمد بن طريح الفقيه المحدّث، والعالم اللّغوي، الأديب صاحب التواليف، ولد في النجف وفيها درس ثم دخل بلاد فارس ينتجع العلم، وطافها واقام فيها مدّة وهو يروي عن مشايخه الذين لقيهم عن البهائي..).

والبهائي كما يحدثنا الشبيبي أيضاً: (هو الشيخ بهاء الدين محمّد بن الحسين الحارثي العاملي، ولد في بعلبك سنة ٩٥٢هـ وتوفي في أصفهان سنة ١٠٣٠هـ، من أكبر أئمة العلم والدين، وأشهر أعلام الفضل، شيخ الإسلام في أصفهان عاصمة الصفوية على عهد الشاه عباس الشهير المتوفى سنة ١٠٣٧هـ.... ومن غريب حال هذا الإمام (رحمه الله) أنه لم يستكبر أن يدخل في أمم وأشياع مختلفة، متغلغلاً مع النّاس في كثير من الأراء والمقالات، وسبيله في ذلك سبيل المستقلّ الفكر الّذي يريد أن يصل جهده إلى الحقيقة بنفسه لا بالّذين يؤجرون أنفسهم إليها، وقد نعى عليه كثير من الحشوية المقلدين الّذين يخاطبهم بمثل قوله:

ايّها القوم الأولى في المدرسه كلّما حصلتموه وسوسه..)

وبعد مدّة طويلة من كتابته هذه ألقى الشبيبي محاضرة عن البهائي في النجف يوم الأحد ٢٧-١٠-٥٧ وذلك في افتتاح الموسم الثقافي لمنتدى النشر، جاء أولها:

(هذه الرسالة أفردتها لترجمة الإمام بهاء الدين العاملي، فقد استدعى نظري وأنا أتفصح مختلف الأسفار والتصانيف لتقييد ما يتصل منها بتاريخ الفلسفة الإسلامية ان جملة من كتب الشيخ بهاء الدين العاملي (رحمه الله) حافلة بفوائد وشوارد فلسفية مضافاً إلى بحوثه الأخرى في الرياضيات والفلك، فرأيت من حقّ هذا الإمام الفذّ أن تفرد له ترجمة، وأن تكون ترجمة واسعة على قدر الإمكان..)

تكلّم الشبيبي في محاضرته هذه عن قدر (مولد الشيخ ونشأته ودراسته، أخلاقه، مركزه في الدولة، حديث الأجيال عنه تلامذته، مصنفاته) هذا وقد نشرت سلسلة (الكتاب الصادرة عن مكتبة الإمام الحسن في الكاظمية، في عددها الأول من المجلد الأول، مستلاً من رسالة الشبيبي هذه بعنوان (مصنفات الإمام العاملي).

أما عن بعض مختلف الأسفار والتصانيف وما يتصل منها بتاريخ الفلسفة الإسلامية التي أشار إليها الشبيبي في أول رسالته عن العاملي، فقد لخص شيئا منها في كتابه: (تراثنا الفلسفي وحاجته إلى النقد والتحميص) الّذي صدر عن المجمع العلمي العراقي بمناسبة انعقاد دورة مجمع اللّغة العربية الثانية والثلاثين في بغداد عام ١٩٦٥م. وحين بدأت التدخلات الحكومية آنذاك لاستغلال هذه الدورة للدعاية عارض الشبيبي بحزم وقدم استقالته من رئاسة المجمع العلمي العراقي، وغادر إلى الأردن يوم الجمعة ١٩-١١-٦٥، دون حضور هذه الدورة التي دعا إليها وعمل من أجل انجاحها بكلّ جوارحه، وعليه فلم تكن استقالة الشبيبي لأسباب خاصة كما جاء في نصّها الرسمي، وإنما كانت احتجاجاً صارخاً آخر أعقب مذكرته في ٢٨-١٠-٦٥. جاء في مسودة الاستقالة الأولى التي عدل عن تقديمها الشبيبي، وهناك اكثر من مسودة:

(عملاً بأحكام قانون المجمع العلمي العراقي التي تنصّ على إستقلاله التام، واستنكاراً لمحاولات التدخل بشؤونه، وزجّه في خدمة الأغراض السيّاسية، قرر رئيس المجمع العلمي العراقي المذكور الاستقالة من منصب رياسة المجمع).

ولعل آخر احتجاج للشبيبي في مسيرة نضاله عبر ثمانية عقود وفاته فجأة بعد يوم من عودته من الأردن، وذلك فجر الجمعة ٢٦-١١-٦٥.. وكان آخر ما كتب:

(الخميس ٢٥-١١-٦٥ في تمام السّاعة الحادية عشرة والربع، دعينا إلى أخذ مقاعدنا في الطائرة السعودية من طراز ( ) وهي الطائرة التي أقلّتنا من بغداد إلى عمان لشهود الاحتفال بيوم الإسراء والمعراج، وكانت الطائرة عائدة من المدينة المنورة، وبعد ذلك بقليل دوّت محركات طائرتنا ثم انطلقت من مطار عمان على. وفي تمام السّاعة الثانية بعد الظهر كنا نطير على

حسين الحلّي، والسيّد محسن القزويني، والشيخ جعفر البديري، والشيخ محمّد حرز، والشيخ عبد النبيّ مظفر، والشيخ حسن صاحب الجواهر، والشيخ محسن الحسّاني.

وجماعة غيرهم من طلاب العرب والعجم، جرى بينهم النزاع وطال الجدال بينهم في مسألة الجهاد، واشتهرت على الألسن كلمة صاحب الجواهر في وضع هذا السؤال: هل هذه الحرب عن ملك أو دين؟! وهي مما تمسك به القسم الأخير.

وقد لقنوها ولقنوا العامة أمثالها من الكلمات الإقناعية البسيطة التي تتمكن في نفوس العوام، على أنه قد ظهر في العوام جماعة تحزّب كلّ منهم إلى فريق واشتهروا بالحماسة واللّهفة كلّ على طريقه.

وفي ليلة ١٦ صفر عاد قسم من مجاهدي النجف، وفي يوم ١٦ صفر أيضاً غادر بغداد فريق من الجند إلى بلاد إيران.

صميدع:

في يوم ١٦ صفر سنة ١٣٣٤هـ، جيء بجنازة صميدع رئيس بني حسن، ودفن في صفّة المشهد العلوي بهدوء وسكون.

عودة المجاهدين:

في يوم ١٧ صفر عاد النجفيون الّذين ذهبوا للجهاد وقد وصلوا إلى بغداد وتظاهروا وأطلقوا النار.

وفي عصر يوم السبت ١٧ صفر سنة ١٣٣٤هـ، استعرضت في دجلة وجربت المدرعة المغتنمة المسمّاة (سلمان باك) بعد إصلاحها، فسارت في الوادي وحيّاها الأهلون والطلاب والضباط وكبار المستخدمين على عدوتي دجلة. وفيه ورد من الشركة الوطنية عن حرب العراق ما نصّه(١):

...

وادي الفرات الحبيب وهو يتمعج تمعج الأفعوان، ومنه حلقنا على مطار بغداد حيث حضر عدد غير قليل من الأصدقاء والأخوان، وبعد أن شكرناهم وسلّمنا عليهم اتجهنا إلى المنزل والحمد لله، وكانت رحلة الطائر هادئة والجوّ صحواً من عمان إلى بغداد، وقد استغرقت الرحلة الجوية من عمان إلى بغداد ساعتين فقط.

وألقت عصاها واستقرّ بها النّوى كما قرّ عيناً بالإيّاب المسافرُ

(١) نشر في (صدى الإسلام) العدد ١٣٠ الصادر في ١٨ صفر ٣٣٤-١٢ كانون الأول ٣٣١ [مارتية].

(يظهر الإنكليز بأنهم خسروا في سلمان باك ٤٧٠٠ جندي، غير أن هذا المقدار هو أقلّ من الحقيقة بكثير، فإن الإنكليز ملأوا معظم بواخرهم بالجرحى في أثناء رجعتهم، وأحرقوا كثيراً منهم، وهذا ما يدلّ على أن خسائرهم أكثر من ذلك المقدار).

قلنا: قد أخرج أثر تقهقر الإنكليز وانكشافهم عن المدائن وانجلاء المعركة طابوران من طوابير الفعلة رتبوا في مواراة قتلى الجانبين، ذكر غير واحد منهم إنهم واروا نحو ٥٠٠٠ جثة من الجنود الإنكليزية، ونحو ٢٠٠٠ من جنود العثمانية، وكانت الأرض مغطاة بالأشلاء عدّة أميال، وكانوا يستروحونها من مساف بعيدة.

ولما تأثرتهم الجنود العثمانية أرادوا الثبات في العزيزية والمدافعة، إذ أن فيها معسكرهم العام وذخائرهم وأزوادهم فثبتوا، وواقعهم الجيش العثماني في (الحميدية) على سويعات من العزيزية ونشبت ثم حرب طاحنة.

وانهزم الإنكليز أيضاً بعد مقتلة عظيمة منهم ومن العثمانيّين، واستأسر منهم في هذا الموضع مئات من الجنود وطائفة من ضباط، واغتنم الركبان فاير كلاص أو سلمان باك و(كمد) فالتجأ الإنكليز إلى مبارحة معسكرهم العام، وأحرقوا مستودعين من مستودعات ذخائرهم لا سيّما القذائف والقنابل، واستولى العرب على مستودعين آخرين لم يتمكّن القوم من إحراقهما، واغتنم الجنود أيضاً غنائم كثيرة، ولم تقع في أثناء التأثر أكبر من هذه الواقعة إلى الكوت.

وفي ليلة ١٨ صفر غادر الكاظمية بقية أهل النجف من المسلحين، وفي يوم الأحد ١٨ صفر أقلع المركب (بغداد) إلى دار الحرب مقطورة إليه جنيبة وهو مشحون بالجند والذخائر، وفيه قصد جماعة أولاد المجتهدين من الكاظمية بغداد مدعوين، وتوجّهوا رأساً إلى دار الحكومة وتفاوضوا مع معاون الوالي في مسائل إيران.

وفيه جاء من الشركة الوطنية في الرسميات ما نصّه[1]:

(أغرقت نيران مدافعنا موطورين للعدوّ في كوت الإمارة من الجبهة العراقية وأورثنا انفجاراً في موطور آخر له على أثر الإصابة التامة، وفي ٧ كانون الأول اقتربت

(١) نشر في (صدى الإسلام) العدد ١٣١.

كلّ كتائبنا الكائنة في الجبهة الشمالية من ظفائر العدوّ الحديدية).

وفيه ورد على القطار ٤٠ ضابطاً من ضباط الاحتياط، وفي ليلة الاثنين ١٩ صفر سنة ٣٤هـ، وردت من دار الحرب الباخرة خليفة وفيها بعض الأسرى والمدافع الحربية، حاملة مئات من الجرحى ومن المستشفيات الجديدة المتخذة لهم (دار النواب).

وفي يوم الاثنين هذا عادت الباخرة إلى دار الحرب وفيه أقلعت المدرعة (سلمان باك) بعد أن أصلحت بين الترحيب والتصفيق وعزفت لها الموسيقى.

قائد العراق العام:

قالت جريدة (تسوير أفكار) بعد أن أطرت هذا القائد" في حسن دفاعه عن بغداد، وضربه الإنكليز في سلمان باك الضربة القاضية حتّى ألجأتهم إلى أن يتقهقروا ٣٠٠٠ كيلو متر.

(ولد الميرالاي نور الدين بك شبل المرحوم المشير إبراهيم باشا قائد طرابلس الغرب ووالي بروسة سنة ١٢٩١هـ، فدخل المدرسة الإعدادية فيها، وأكمل دروسه الحربية في مدرسة الأستانة الكبرى، ونشأ فيها ضابطاً من ضباط المشاة برتبة ملازم ثان، فداوم في دائرة الفيلق الأول، وفي سنة ١٣١٣هـ صار ياوراً لحضرة مشير الما بين الهمايوني المرحوم عثمان باشا الغازي فرافقه إلى سلانيك.

وحينما عاد إلى الأستانة تعيّن ياوراً لجلالة السّلطان، ثم صار مأمورا بمعيّة والده حينما بقي زهاء عامين موظفا في سيروز وحواليها مع قائدية الفرقة التاسعة، ولما تعيّن والده مشيراً للفيلق الثالث الهمايوني سنة ٣١٢هـ، بقي مرافقاً لوالده في سلانيك، ثم صار قائم مقام لقضاء (مقرى كوى) بعد الدستور وانتقل منها إلى (قرى كليا) بوظيفة قائد آلاي، ثم سافر إلى اليمن مع آلايه، وهناك وجهت إليه قائدية الفرقة اليمانية فتقلّب في وظائف مختلفة في اليمن زهاء عامين، وحينما عاد إلى القسطنطينية ذهب إلى أدرنة برتبة قائد فرقة، وبعد ذلك بحين تعيّن قائداً عاماً للعراق مع وظيفة الولاية في بغداد).

---

(١) نشر في (صدى الإسلام) العدد ١٣٢، وقد عرَّب المقال عن التركية إبراهيم حلمي عمر، كان من كتّاب ومحرري (الصدى) النشطين وكانت (تسوير أفكار) الصادرة في الأستانة قد صدّرت المقال بتصوير القائد المعظم، فأحبت صدى الإسلام اقتباسه وتعريبه تذكاراً لما لدولة هذا المجاهد الكبير من الصحائف البيض في تاريخ العراق.

وفي يوم الثلاثاء ٢٠ صفر وردت من دار الحرب الباخرة (برهانية) تمل طائفة كبيرة من الجرحى عدواً بالمئات، وفيه غادر بغداد المشير غولج باشا إلى إيران على سيارة خاصة له، وبارحت بغداد عدّة مركبات إلى تلك الجهات مشحونة ذخائر ومؤن وأسلحة لحساب ألمانيا.

وفي يوم الأربعاء ٢١ صفر نشر عن وضعية الإنكليز في الكوت[1]:

(أن العدوّ الموجودة في الكوت يعطي كلّ يوم قرصين من الخبز فأنزلها من (٥) أيام إلى قرص، وفي المباني المختلفة في الكوت ثلاثة آلاف جريح من العدوّ، وهؤلاء قد صاروا جرحى بعد المحاصرة، وبقيت عقيمة تشبثات العدوّ بخصوص جلب الحنطة، وحال العدوّ من المهمات سيئة كحاله من حيث (المعيشة) وأشعر من القائد العام عن المراكب الحربية المغتنمة في (لقطنية) على ساعة ونصف من شمال العزيزية، وهي: الغامبوط (كمد) الغامبوط (ولايحة) الغمبوط رقم، غامبوط (شيطان أنساون).

وفي عصر هذا اليوم حمل القطار خمسة مدافع جديدة من عيار ٧٢ مع ذخيرة لها، ومعها طائفة من الجنود والفرسان.

وفي هذا اليوم - أي الأربعاء - ورد ومن شعبة الاستخبارات الجيش السّادس الهمايوني ما نصّه[2]:

١ - لا زلنا نتناول النيران مع العدوّ في كوت الإمارة ليلاً بفواصل تتخللّها.

٢ - صار في ظرف آخر أربعة وعشرين ساعة ٢٨ جريحاً وثلاثة شهداء.

٣- اليوم زحف من كلّ ساحل من السّاحلين ثلثة بلوكات من خيالة العدوّ في عليّ الغربي ثم عادوا.

وفي ليلة الخميس أقلعت إلى دار الحرب الباخرة (خليفة) تقلّ طائفة من الجنود المشاة منهم أو أكثرهم من العراقيّين.

وفي يوم الجمعة ٢٣ صفر حمل القطار سبع طيّارين للطيّارات المغتنمة.

---

(١) نشر في (صدى الإسلام) العدد ١٣٤ عن مستخبراتها الخصوصية.

(٢) نشر في (صدى الإسلام) العدد ١٣٥.

وفي يوم السبت ٢٤ صفر وردت من دار الحرب الباخرة (حميدية) تقلّ أكثر من ١٠٠ جريحاً مقطورة إليها جنيبة نقل عربات، وأعمدة وأسلاك برقية مغتنمة، وفيه عصراً أقلعت الباخرة (برهانية) إلى ساحة الحرب بالجند والذخائر، أما غولج فقد عاد إلى بغداد يوم ٢١ صفر.

ومن البرقيات المتأخرة الورود عن الجبهة العراقية المؤرخة ٣٠ تشرين الثاني الواردة ١٦ كانون الأول هذه البرقية[1]:

(أشغلنا موقع شيخ سعد الكائن على استقامة رجعة العدوّ وشرقي كوت الإمارة، وقد أغرقت نيراننا موطوراً حربياً وبضع جنائب للعدوّ في كوت الإمارة).

أيضاً بتاريخ ١٣ كانون الأول:

(رسمي قد أحطنا من جميع الجهات بقوات العدوّ المتضايقة والمحصورة في الكوت من جبهة العراق، ونحن نطلق النيران المؤثرة على مواضع العدوّ وعلى أنواع مستودعات في القصبة.)

وفي يوم ٢٦ صفر ورد القطار يحمل عدّة منافع.

وفي يوم ٢٧ و٢٨ صفر سنة ١٣٣٤هـ، نشبت حرب عظيمة بين العثمانيّين والإنكليز، بين الشيخ سعد وعليّ الغربي، انكشف فيها الإنكليز إلى علي، الغربي بعد مقتلة عظيمة.

وفي ليلة ٢٨ صفر وردت من ساحة الحرب باخرة كبيرة تحمل عدداً من مرضى الجند وجرحاهم.

وفي يوم الخميس ٢٩ كان القطار رائحاً غادياً يحمل الجند من سامراء، قيل أنه حمل طابورين قيل أكثر.

وفي يوم الخميس هذا أيضاً حمل القطار عدّة بطاريات، قيل بعضها من الطراز الضخم ١٥٢ سنتيم ونصف، وقيل أيضاً أربع طيّارات مع لوازمها.

وفي يوم ١٥ - ١٦ كانون الأول سنة ٣١ [مارتية][2].

---

(١) نشر في (صدى الإسلام) العدد ١٣٦.

(٢) نشر في (صدى الإسلام) العدد ١٣٧.

(رسمي. حاولت مفرزة العدو المركّبة من رشاشتين مع مقدار من الخيالة تحت حماية موطورين المجيء من عليّ الغربي شرقي كوت الإمارة إلى إمداد الكوت، ولكن هذه المفرزة اندحرت متقهقرة إلى جهة عليّ الغربي).

وفي يوم الجمعة ١ ربيع الأول سنة ٣٤هـ، حمل القطار من سامراء عدّة مدافع ضخمة وجواميس وذخيرة وغير ذلك.

خروج الإنكليز إلى الغراف:

في مثل اليوم ١ ربيع الأول سنة ١٣٣٤هـ، أخرج الإنكليز فئة من جندهم من الناصرية إلى الغراف، فيهم مدفعية ومشاة وفرسان وعسكروا شرقي السويق، وقد كان في الشطرة مظهر بك القائد المعروف، وقد ندب العشائر معه لا سيّما خيون العبودة، وكانت الطلائع تخرج من الطرفين ولم يكن في الشطرة جند.

ثم أن الإنكليز أعادوا بعض مشاتهم ومدفعيتهم إلى الناصرية وبقي الفرسان، وقد ذكروا أن مظهر بك كتب على مجيء الجنود، وذكروا أن جند الإنكليز بلغ مع النجدة الواردة أخيرا نحو ٦٠٠٠، وقد شوهد إنهم يمهدون الطريق إلى الغراف ويمدّون أسلاك البرق، وقد عقدوا في الناصرية جسراً من السّفن.

وفي ليلة السبت ٢ ربيع الأول سنة ٣٤هـ، ورد مكتوبجي الولاية إلى الكاظمية للمداولة مع العلماء وأولاد المجتهدين في أمر الحركة إلى إيران، وقد اشتدّت المذاكرة بهذا الشأن في الأيام الأخيرة.

ومما ذكره المكتوبجي بصفة رسمية أن القائد العام نور الدين فصل في هذه الأيام بالقسم الأعظم من الجنود إلى (شيخ سعد) لاتقاء النجدة الواردة إلى الإنكليز هذا مع إبقاء الكوت تحت الحصار.

حينما دارت المذاكرات في غرفة العوام الإنكليزية عن انكسار الجيش الإنكليزي جوار سلمان باك، صرح اللّورد (كروو) أن الجنرال (تاونسيند) قائد الحملة الإنكليزية في العراق لم يدخل الحرب بفرقة عسكرية فقط كما يزعم البعض، بل أنه اختار الحرب بقوّة أعظم من ذلك، ثم صرح أيضاً أن المتخصصين الحربيّين الإنكليز كانوا

يعتقدون ويصرحون أن تلك القوات كافية لمقاومة الجيش العثماني، وليس صحيحاً أن الجنرال (تاونسيند) كان أقدم على التقدم إلى بغداد من تلقاء نفسه بل الاستعداد لهذا الأمر كان محلّ عناية الإنكليز منذ شهور، ولو كانت بغداد مأخوذة بسرعة لكانت تصبح حادثة عسكرية وسياسية كبرى في وقت واحد، ولا يمكن تخطئة قادتنا وجندنا عن فشلهم في إحتلال بغداد، لأن تفوق الجيش العثماني وتسليحه بأحدث الأسلحة الحربية كان قد جعل تلك الوظيفة ثقيلة جداً على عاتق جيشنا، وأن انتخاب النهر والانسحاب إلى موضع حصين كان عين الإصابة.

وعلى إثره نهض اللّورد (رايدنهم) فقال: أن أسباب الانكسار منبعثة عن إعطاء الحرية للقائد، وعن عدم وقوف (تاونسند) على قوّة العدوّ كما هي عادتنا في أكثر الجبهات، ثم قال: أنه قد تكون هناك أسباب سياسية لهذا الركض في ذلك الصقع البعيد إلاّ أنه لا يستطيع أن يرى له أسباباً حربية.

وقد قال المحرر (المورتنغ بوست) العسكري أثناء بحثه عن إنكسار الإنكليز في العراق ما يلي:

(بديهي أن الجيش العثماني اليوم من حيث التسلح والاستعداد هو غيره في حرب البلقان، فتركيا الآن تحارب ببسالة في ثلاث ساحات عظيمة، وهي: ساحات القوقاس، والدردنيل، والعراق، وعلى الرغم من تكاثر المفادة نراها تقيم القوى العظيمة في سوريا، وتبعث المدد أثر المدد إلى العراق وجدير بالتقدير والإمعان هذا التقدير العجيب الّذي أظهرته تركيا بالنسبة إلى سنة ١٩١٢م، وعلى هذه الصورة يتضح أننا نتحرك بحماقة وصلف في شأن تقدير منابع قوّة العدوّ، وكان لنا من الحملة في العراق غاية سياسية أساسية، غير أن الانكسار في سلمان باك جاء في زمن حرج لا سيّما والحالة في البلقان تستدعي تقديم ضحايا كثيرة، ونحن واثقون أن قائد قطعاتنا في العراق إذا يصل إليه المدد قد لا يكون معرضاً لهزيمة كبرى أيضاً).

معرّبة عن (طنين) في (الصدى)[1]

(١) نشر في (صدى الإسلام) العدد ١٤٢.

وفي يوم السبت ٢ ربيع الأول سنة ٣٤هـ، بلغت المعونة المالية في بغداد ١٠٣٠٣ ليرة و٢٠١٢٨ غرشاً و١٠ بارات، قيل أن البغداديّين سيتبرعون بنحو هذا المقدار في هذه الأيام[١].

---

(١) يقول يعقوب سركيس في بحث له عن: (بعض النقود العثمانية في العراق) نشر في مجلة غرفة تجارة بغداد ص٢٩٥ الجزء ٤ من السنة ٤-١٩٤١م، كما نشر في (مباحث عراقية) القسم الثاني ص١٧١- ١٧٩:
(... كانت الحكومة تتعامل بالليرة، وهي ذهبية وإذا ما أريد وصفها قيل لها تارة مجيدية وتارة عثمانية، وبالمجيدي وهو فضي حين ضربها لهما باعتبار الليرة مائة غرش وباعتبار المجيدي عشرين غرشاً... وبعد زمن غيّرت الحكومة اعتبار المجيدي فاعتبرته تسعة عشر قرشاً لسقوط قيمة الفضة... أما الأهلون فقد كانت النقود عندهم لا تستقر على قاعدة واحدة فكانت بين صعود ونزول لوجود أنواع من النقود العثمانية القديمة، «وكان يقال لها مغشوشة لكثرة ما فيها من مادة غير فضيّة، ومن النقود الأجنبية في أيديهم... وكنا نحن الأهلين نضيف أحياناً إلى هذا الغرش (غرش الحكومة وغرشنا) لفظة صاغ للتمييز بينه وبين ما كنّا نسميّه في المعاملات الصغيرة غرشاً. وهذا الغرش الأخير إذا ما أردنا وصفه قلنا: غرشاً رائجاً، وهو ربع الغرش الصاغ، باعتبار الليرة مائة وثمانية غروش... وكان الناس في البصرة يقولون لهذا الغرش الرائج: «قتليك» أو: «متاليك» أما في لواء المنتفك فكان يقال له وركة...)
وفي الهامش: (وقد وجدت في دفتر حساب لفتح الله عبود فقرة مدونة في سنة ١٨٧٠م، يفهم منها صريحاً أنه كان يقال غرش جرك للجزء الواحد من خمسمائة جزء من الليرة...)
وعن وثيقة مؤرخة في سنة ١٠٩٤هـ — ١٦٨٢م، وجد المرحوم سركيس أن:
العباسي = ٢ شاهي ونصف الشاهي.
الغرش = ٨ شاهيات = ٨ بغداديات = ١٦٠ أقجة.
الشاهي = ٥ بارات.
البارة = ٤ أقجة.
وكان الشاهي يسمّى بغدادي، لأنه يُضرب في بغداد ووزنه درهم.
ولم يكن غرش ذلك الزمان غرش عهد العثماني بعد ضرب الليرة العثمانية الذهبية في زمن السلطان عبد المجيد (جلوسه في سنة ١٢٥٥هـ — ١٨٣٩م).
ويقول العلاّف في (بغداد القديمة) ص١٧٢ و١٧٣: (أن الحكومة العثمانية كانت موافقة على تداول العملة الأجنبية والإيرانية وهي (قران) ويسمّونه (أم قمري) وأم ست فلوس، وتسمّى (بيجوة) و(شاهية) وهي من النحاس، والعملة الإنكليزية (روبيه) الهندية فقط.... وفي سنة ١٣٣١هـ يقابلها ١٩١٣م أيام الوالي حسين جلال بك وردت أوراق نقدية عثمانية للتداول بها... وكان مصير هذه النقود التدهور الفظيع، ولذلك ساءت الحالة في بغداد... وقبضت الحكومة قبل احتلال بغداد على عدد من اليهود ونكلّت بهم سراً تنكيلاً شنيعاً، وجدلت أنوفهم، وقطعت آذانهم، وسملت عيونهم، ثم وضعتهم في أكياس وألقتهم في نهر دجلة، ومهما كان ظلم العثمانيّين لليهود إبان الحرب فانهم قد استفادوا من تجارتهم فائدة عظيمة، وأثرى كثيرون منهم، لأن مقاليد التجارة بيدهم كانت مخازنهم مشحونة بضائع وارتفعت الأسعار إرتفاعاً هائلاً).
وفي رحلتي إلى العراق ص٨٦ و٨٧ عن (مشكلات العملة في بغداد):
(وثمة نوع آخر من المتاعب تجبّه المسافر إن حلّ في بغداد، أعني ما إتصل بالعملة، تدلك ان في هذه المدينة منها ضروباً واشكالاً، ولم يكن أحد ليطمئن إليها أو يتعامل بها إن استطاع الحصول على (روبيات) أو (آنات) أو (جنيهات) سبيلاً، وتلاعب بشؤون (العملة) هذه باشا أثر باشا، فأصابوا من جراء ذلك نجحاً وربحاً، يضاف إلى لك كلّه ان بعض المتلاعبين إشتروا من (اصطنبول) وغيرها عملات قديمة، مطموسة المعالم، وجاءوا بها إلى بغداد، وبعلم من =

وفي يوم السبت هذا وردت عصراً هذه البرقيات الرسمية عن الجبهة العراقية[1].

من شعبة الاستخبارات للفيلق السّادس في ٢٦ كانون الأول سنة ٣١ [مارتية]، :

(لا زالت انتصاراتنا متوالية في الجبهة العراقية، حاربت العدوّ ململمتنا العراقية في ٢٤ كانون الأول بين الشيخ سعد وعليّ الغربي، فدامت الحرب كلّ النهار، ثم انجلت عن اضطرار العدو إلى التقهقر بعد أن نابته ضايعات كليّة، وقد امتازت هجماتنا بالبسالة في هذه الحرب امتيازاً خاصاً بها.

وفي ٢٥ كانون الأول كرر العدوّ تعرّضه بصورة أشدّ من الأولى، ودامت الحرب إلى منتصف اللّيل، على أن هذه الحرب أيضاً انجلت عن فشل العدوّ واندحاره، حتّى أن ضايعات العدوّ في هذا اليوم فقط قد بـ ٣٠٠٠ نسمة، أما تشبث العدوّ المحصور في كوت الإمارة بحركات الخروج فقد بقيت عقيمة بعد أن كبدناه خسائر جمّة.)

التبليغ الرسمي من حضرة القائد العام للعراق وحواليه[2]:

١- لازلنا مستمرين في التضيّيق على العدوّ المحصور في كوت الإمارة، ولا زال العدوّ المحصور متضاعفاً وهنه وضعفه يوماً فيوماً.

٢- حاول الإنكليز أن يرفعوا الحصار عن كوت الإمارة، أو يوصلوا الأرزاق والذخائر الحربية إلى المحصورين، فحشّدوا قواهم في ضواحي عليّ الغربي وأرادوا أن يزحفوا إلى الأمام بحرّاقاتهم وبواخرهم النقالة وزهاء ٤٠ سفينة من سفائن الأرزاق، وكانت إذ ذاك قوانا المحتشدة في جوار الشيخ سعد تقابلهم وتصدّهم، ولما حاول العدوّ أن يتقدم اليوم - يوم ٣٠ صفر أو ١ ربيع الأول - نشبت حرب شعواء (ميدان محاربة سي) شرقي الشيخ سعد، انجلت عن إندحار العدوّ وفشله، وتكبده

...

سلطانها وجعلوها في أيدي الناس متداولة، والفقراء هم الخاسرون في مثل هذه الأفاعيل أولاً، وكانت (الروبية) و(الجنيه) غير معترف بهما، لكن التجار لم يكونوا يتعاملون بغيرهما أو يتخذون عنهما بديلاً... وفي يوم ما كانت العملة التركية على شيء من الشح فحمل ذلك فريقاً من التجار البلديّين على استخدام معدنين بريطانيّين، فضربت لهم (المجيدي)... وحكومة بغداد تنظر إلى ما كانوا يصنعون دهشة حيرى).

(١) نشرت في (صدى الإسلام) العدد ١٤٣ الصادر في ٣ ربيع الأول ١٣٣٤هـ ٢٧ كانون الأول ٣٣١ [مارتية].

(٢) نشرت في (صدى الإسلام) العدد ١٤٣ الصادر في ٣ ربيع الأول ١٣٣٤-٢٧ كانون الأول ٣٣١ [مارتية].

الخسائر الجمّة، والضايعات العظيمة، ولقد أجبرنا العدوّ على التقهقر ببواخره الحربية وسفائنه النقالة أيضاً، أما ضايعاتنا في هذه الحرب فقليلة جداً ولله الحمد).

وفي يوم الأحد ٣ ربيع الأول سنة ٣٤هـ، وردت من ساحة الحرب الباخرة (برهانية) حاملة نحو ٦٠ جريحاً و١٥٠ عليلا، وثلاثة من جند الإنكليز، وقد ذكر بعض الإثبات الّذين فيها، أن القسم الأكبر من الفيلق تقدم إلى جهة شيخ سعد على عدوتي دجلة، وقد تكلفوا نقل السّفن الشراعية من شماله إلى جنوبه براً، فأنزلت إلى النهر لنقل الأثقال، وذكروا أن الإنكليز أخلوا في بعض هجمات الجنود العثمانية (قلعة الخضيري) المشهورة، وكان الإنكليز قد لغموها فأطلقوا الألغام ونجحوا شيئاً، فأخلاها العثمانيون وصارت في ميدان الحرب.

أما القوّة التي اتجهت نحو الغربي هذه الأيام فنحو عشرين ألف جندياً و٥٠٠٠ من العرب المجاهدين من ربيعة وزبيد، و٣٠ مدفعاً، وذكروا أن الأمير أمير ربيعة هجم على قلعة الماكنة في الجانب الغربي من الكوت، وتضعضع الإنكليز فيها، وأن الحرب دائمة ليلاً ونهاراً منذ أول الحصار، وأن العشائر الّذين في جهة عليّ الغربي بقيادة محمّد باشا الداغستاني ومعهم الهجّانة، وهم أصحاب وقعة (المصندق) وأن مظهر بك ترتب قائداً في العراق، وقد توجّه ووصل الشطرة.

وفي يوم الأحد ٣ ربيع الأول سنة ٣٤هـ، أقلعت الباخرة (حميدية) من بغداد مشحونة جنداً ومدافع وذخيرة، من جملتها نحو ٨٠٠٠ صندوق من القراطيس، وقبلها أقلعت باخرة، وكانت أثقال هذه الجنود تمرّ إلى الكوت براً بطريق البغيلة.

أما هزيمة سلمان فقد فعل الأعراب أفاعيل عجيبة، وذلك إنهم احتوشوا الفيلق الإنكليزي المتقهقر على ضفتي دجلة، وكان المشاة الإنكليز على العدوة الغربية تقاربهم سبع بواخر، عمد العرب إلى ذلك من شقق سحيقة وهم ألوف، وقد عجّلوا بانفلال القوم بحينه، فتأثروا الجيوش الإنكليزية ولازموها ليلاً ونهاراً يرامونها، وقد تخلّص الفيلق الإنكيزي منهم، ومن إقلاقهم إيّاه بإلقائه الغنائم لهم فكانت تشغلهم عنه، وقد غنم العرب غنائم لا تقدر مما تعمّد الإنكليز تركه لم عدا ما أخذوه، وقد قُتل

منهم من جراء ذلك أي في أثناء تأثرهم الإنكليز نحو ٤٥٠ قتيلاً، وقتلوا من الإنكليز عدداً كثيراً[1].

وقد ذكر الجنديان الفارّان إلى المعسكر العثماني في شيخ سعد الّذين جيئ بهما إلى بغداد في ٣ ربيع الأول، أنهما من الجنود الإنكليزية الجديدة التي جاءت نجدة لجيشهم في العراق، وأن عددهم ١٢٠٠٠ وأنهم جاءوا من مصر، وأن قسماً منهم أُرسل إلى ناصرية المنتفق لتقوية من فيها من الإنكليز.

وفي ليلة الأحد ٤ ربيع الأول سنة ٣٤هـ، وردت إلى بغداد تسعة أطواق من الموصل مارّة بسامراء، فيها ٨ رشاشات و٨ مدافع من نوع أبوس عيار ٧٢ سنتيم مع ذخائر ومعها مدفعيتها، وكان على كلّ طوق خيمة مضروبة على المدفع، وقد أخرجت بآلة جرّ الثقيل من دار المكس لثقلها.

وفي صباح الاثنين ٤ ربيع الأول نادى المنادى من قبل الحكومة بالاجتماع للدعاء على أثر ورود البشارة بتطهير ساحة البحر في الدردنيل، فاجتمع النّاس في دار الحكومة وتليت الأدعية والخطب، وعزفت الموسيقى مدّة، واستعرض الجنود وطلبة المكاتب إلى آخر النهار.

وقد دعا حاخام اليهود في هذا اليوم الأمة الإسرائيلية، فاجتمعوا وتكاثفوا في التوراة حتّى سقط طاق منها، وتليت الأدعية هناك، وقد أقفلت الأسواق، وكان هذا

---

(١) وفي هزيمة سلمان واثناء التراجع إلى الكوت فقد الإنكليز شيطان وكوميت وفاير فلاي وغيرها من الحرّاقات والجنائب، ومن ثم استعاد الإنكليز قبل دخول بغداد فاير فلاي ليحرقها ويغرقها إلى الأبد ثوار العشرين في شط الكوفة، حيث كانت تعبث وتحمي القوة البريطانية المتحصنة في أسواقها.

يقول ولسن: (استمر التراجع... وتم دخول الكوت.. وقد سبق الأتراك بمسافة، ولم يكن غير العرب من مهاجمين لنا، ضايقونا وأنهكوا بغاراتهم المتكررة الأرتال المنسحبة، ناهبين وقاتلين أولئك الّذين تاهوا وتشرّدوا في الظلام، ومزعجين سيارات الإسعاف المتنقلة، كلّما سنحت فرصة ما، لقد أرهقت مسيرة الأربعة والأربعين ميلاً هذه والتي قطعت في ست وثلاثين ساعة بلا ماء ولا طعام كافيّين، أرهقت جنودنا جميعهم إرهاقاً تاماً).

راجع (الحقائق الناصعة) الجزء الأول ص٢٣٨ و(الثورة العراقية الكبرى) ص١٣٣ للحسني و(بين ولائين) الجزء الأول ص٨٨ - ٨٩، والظاهر انّ (فاير فلاي) هي نفس (فاير كلاص) و(ابو السلة) و(سلمان باك).

اليوم تاريخياً قلّما شوهد نظيره في دار السّلام، وقد كان ذهب معاون الوالي إلى جامع الأحمدية وتلى لدعاء هناك.

وفي نحو يوم ٦ ربيع الأول سنة ٣٤هـ، ورد الأمر بصرف القائد العام نور الدين عن القيادة وعن ولاية بغداد، وأقيم مقامة خليل بك خال ناظر الخزينة وقائد فرقة أزمير التي أبلت بلاءً حسناً في وقعة سلمان، وقد عُرف نور الدين بالأناة والبرودة الممزوجة بشيءٍ من الرهبة، ومما يذكره عنه العراقيون إقدامه على شنق عشرات من الجنود، وإهانته لكثير من الضباط.

وفي هذه الأيام عاد غولج باشا من حدود إيران، وفصل إلى الكوت، وفيها حمل القطار من سامراء ١٩٠٠ جندياً، ويقال أن في سامراء ١٠٠٠٠ من الجنود.

وفي العدد ١٥٢ من (صدى الإسلام) المؤرخ ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٣٤هـ، نشرت مقالة تركية عنوانها (محاصرة الكوت) ملخصها:

بعد أن نشبت حرب (تل السّور) الشعواء على الإنكليز ما ثبتوا أن لاذوا بكوت الإمارة، أن قائد الإنكليز الجنرال (تاون زند) حلم أن لا يبرح من مكانه حتّى يأتيه المدد من زملائه، أما نحن فلو كنّا في على شاكلتهم لرضينا بتضحية النزر اليسير من قواتنا، ولأحرقنا بنيراننا القصبة ومن فيها، ولكنّا افتكرنا بأبناء جلدتنا، فعزمنا على صدّ أي قوّة كانت من قوات العدوّ والتي تحاول أن تتقدم لإنقاذ المحصورين، هذه الخطة هي التي ألجأتنا أن نتذرع بالصبر ونحاصر الكوت نهراً وبراً منذ ١٨ تشرين الثاني حتّى اليوم، وننتظر طلب الأعداء للأمان صاغرين، بلى إنهم أرسلوا شرذمة لإنقاذ محصوريهم بينما تنازل قسم منهم في الكوت إلى التغذي بآخر برذون كانوا يركبونه، وإطلاق آخر رصاصة يعتصمون بها، وتجرأوا على الزحف والتقدم لاستخلاص من أصبح منهم على شفا جرف الهلاك في الكوت، كما صرحت شركة روتر، غير أن الفرقة الإنكليزية التي حاولت التقدّم فاجأها العثمانيون أمام الشيخ سعد، وأنزلت عليها الضربة الثانية التي لا يقصر عن ضربة تل السّور، على أن القسم الأعظم من الّذين محقوا في هذا الحرب هم الإنكليز الزرق العيون، الحمر الخدود، لا السّحب الوجوه من الهندوس).

حمّى كربلاء:

ما زالت هذه الحمى على فتكها في كربلاء، وقد زاد سواد المهاجرين من هذه البلدة، وفأل الناس لها بالخراب، وقد اشتدّ المرض وكثرت الوفيات في صفر سنة ١٣٣٤هـ. وقد مررنا على كربلاء واردين في بغداد في يوم ٧ ربيع الأول فوجدنا جوّها كدراً ومناخها وبيلاً، والمستنقعات الخبيثة الرائحة محيطة بها، ورأينا وجوه أهلها حائلة كأنها وجوه الأموات، فأين يمرّ الغريب يستوحش لتلك المناظر الكاسفة، حتّى البساتين لأنها استحالت مستنقعات، وقد قال لنا أحد سكانها: أنه قد أحصينا من أُصيب في الحمّى فلم يُعرف أحد سَلِم فيها إلاّ واحد فقط، أي أن إحصاء السالمين أقرب وأسهل من إحصاء المصابين لكثرتهم، وتقدّر الوفيات بربع أهل البلدة أو اكثر من ذلك، وقد سدّ آنئذ نهر الحسينية خوفاً من زيادة تبطح المياه.

وقد زادت وفشا فتكها في ربيع الأول سنة ١٣٣٤هـ، وقد ذكر بعض ثقاتها أن مجموعة الوفيات فيها بلغ: ٤٠٠٠٠ ألفاً، أي نصف سكانها أو أكثر، لأن الإحصاء أثبت أن نفوس الكربلائيّين ٧٥٠٠٠ نسمة.

في يوم الجمعة ١٥ ربيع الأول، اشتدّت وطأة البرد اشتداداً يقلّ اتفاقه في العراق ونزل برد قليل، وكان في كربلاء أكثر، وقد مات كثيرون رفقاً.

عن المتغلّبين في النجف:

من جملة ما لاحظناه من أحوالهم: أن كثير من ذوي المهن والحرف والتجارة والزراعة منهم تركوا أعمالهم، وعوّلوا في الارتزاق على السّلاح والقوّة وتأليف العصابات.

المتغلّبون أيضاً:

في أوائل ربيع الاول سنة ١٣٣٤هـ، بدأ المتغلّبون بحرث مقابر أهل السنّة خارج النجف مما يلي السكّة وطمّها، وهدم القباب والحيطان فيها وشرعوا يقيمون على أنقاضها البنايات والانزال، لزعمهم أن الحكومة العثمانية فعلت مثل ذلك في مقابر الشيعة الموازية لمقبرة السنّة هذه، وذلك على عهد استعمال بهيج بك المعروف، فأنه أراد إنشاء مدرسة عالية في النجف فجبى لها المعاون ووضع الضرائب في أواسط سنة ١٣٣٢هـ، حتّى صحّ لها مال كثير.

وقد أحتفل بوضع الحجر الأول من أساسها في شوال سنة ١٣٣٢هـ، على أنقاض كثير من قبور الشيعة، وقد نقض لها قسم من الجبل المنقاد مع الخط في طريق الكوفة، فساء ذلك العامة وشحذ ألسنتهم، وقد جرى العمل في المدرسة إلى ذي الحجّة سنة ١٣٣٣هـ، فأنجزت أو كادت على الطراز الحديث، وقد حقد الجمهور ذلك على الحكومة، فلمّا كانت فتنة ٨ رجب سنة ١٣٣٣هـ، شعثوا المدرسة، وفي هذه الأيام حرثوا قبور القوم وأنشأوا إزاء المدرسة ما أنشأوه.

غرائب المتغلّبين في النجف:

في يوم الأحد ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٣٤هـ، نودي في البلد صباحاً من قبل الشيوخ المتغلّبين بوجوب إنارة المدينة للكرامة التي إدعوها لصاحب المشهد، وهي أن قائداً عثمانياً فصل إلى النجف بعدّة كبيرة من الجنود لتقليم أظافر المتغلّبين فأصيب في الطريق في المسيب، وقيل في المحمودية، وقتل الكثير من الجنود، وتكسرت المدافع، وقد انيرت البلدة، وتظاهر المسلحون وأطلقوا النار.

أمور يضحك السّفهاء منها ... ويبكي من عواقبها الحكيم

غرائب المتغلّبين:

وفي يوم ١٠ ربيع الأول ٣٤هـ، وهو اليوم الّذي أناروا فيه البلدة للكرامة المزعومة هجم بعض السّواد على دار الحكومة، وأدموا بعض أفراد الدرك وشتموا المستخدمين، وفي هذه الأيام أعلنوا سبّ الصحابة وما زالوا يشركون طلاب العلم وعامّة الفقراء بأعمالهم، أو هم يحاولون ذلك.

وأنّى يكون كأنهم يريدون أن يقولوا: أن المصيبة إذا عمّت هانت.

وفي منتصف ربيع الأول سنة ٣٤هـ، بلغ مجموع ما تبرع به البغداديون في اللّجنة المنعقدة تحت رياسة شفيق بك، وقيل الوالي للهلال الأحمر نحو ثلاثة عشر ألف ليرة.

وفي هذه الأيام توالت الأمطار عدّة أيام، ونزل الثلج، وفاضت دجلة، ثم هبطت بمقدار ذراع يوم الجمعة والسبت ١٥و١٦ ربيع الأول ٣٤هـ.

وفي ٧- ٨ كانون الثاني سنة ٣١ [مارتية]، الموافق ١٧ ربيع الأول سنة ٣٤هـ، نشرت رياسة أركان حرب الفيلق السّادس عن حرب العراق ما نصّه[١]:

(أن القوات التي سقناها في استقامة الشيخ سعد نشبت مصادمات بين مفارزها الإمامية وبين قوات العدوّ، والتي فهم إنها جاءت لمحاولة رفع الحصار عن كوت الإمارة، أما المصادمات فقد إنجلت عن نجاح مفارزها في إيقاف فليق الإنكليز، ويستدل عن عدم جرأة الإنكليز على التقرب من مواضعنا منذ إسبوع، إنهم نابتهم تلفات عظيمة وخسائر فادحة في هذه الحرب، وعلى كلّ حال فإن استبسال قطعاتنا وحماسهم قد زلزلا معنوية العدوّ، بدليل ما جاء في بلاغ الانكليز الرسمي من أن قائد فيلق الإنكليز الجنرال (نيقسون) أصبح مقدراً لشدّة بأس فيلقنا العثماني، ومعترفاً ببسالة جنودنا الأبطال، فإستقال من منصبه وعيّن مكانه الجنرال (بره يلاق).

وجاء في البلاغ الرسمي المؤرخ ١٠ كانون الثاني الموافق ١٨ ربيع الأول سنة ٣٤هـ[٢]:

(نشبت حرب قطعية يوم ٨ كانون الثاني سنة ٣١هـ، بين قواتنا الزاحفة إلى الإمام على استقامة الشيخ سعد، وبين فيلق الإنكليز الّذي جاء محاولاً رفع الحصار على كوت الإمارة.

قذف الإنكليز في ٧ كانون الثاني على مواضعنا زهاء عشرة آلاف مرمياً من مرميات المدافع المختلفة الطراز استحضاراً للهجوم.

وفي ٨ كانون الثاني بذلت مدفعيتهم كلّ ما في وسعها من الشدّة، فشرعوا بالتعرّض بموضعنا في نتيجة الحرب التي دامت ٦ ساعات، دحرنا بعون الله تعالى قوات العدوّ بتعرضنا المقابل، وانتصرنا عليهم، وغنمنا كثيراً من أسلحتهم ومهماتهم، السّاحة التي أمام موضعنا مملوءة بأجساد العدوّ، أما ضايعاتنا فهي ولله الحمد كواحد من العشرة بالنسبة لضايعات العدوّ.

---

(١) نشرت في (صدى الإسلام) العدد ١٥٥، الصادر يوم الأحد ١٨ ربيع الأول ١٣٣٤هـ -١٠ كانون الثاني ١٣٣١ [مارتية].

(٢) نشر في (صدى الإسلام) العدد ١٥٧.

وفي يوم ٩ كانون الثاني طلب قائد فيلق الإنكليز المتاركة فما بخلنا بهذه المساعدة التي ما طأطأ الإنكليز رؤوسهم لاقتراحها حتّى اليوم في جبهة من جبهات الحرب إلاّ في هذه المرّة، بل منحناها إيّاهم وألقينا على أدعياء خدمة المدنية من الإنكليز درساً إنسانياً آخر، وبهذه الوسيلة عُدَّ أمام الموضع ألف ومائة قتيل من الإنكليز ودفن، محاصرة كوت الإمارة مستمرة.

أن قوات العدوّ المؤلّفة من الصنوف المختلفة التي كانت زاحفة من طريق الناصرية على استقامة المنتفك اضطرت إلى الفرار على أثر تعرض مجاهدينا الشديد، وقد اغتنمنا من العدوّ كثيراً من الإبل، وزهاء ٤٠٠ خيمة ولوازم ومهمّات أخرى).

وجاء في الشركة الوطنية في أوائل كانون الثاني سنة ٣١ [مارتية] (١):

(تقول الصحف الإنكليزية أثناء إيضاحها لحادثة العراق: أن قد نشبت حرب بين بعض القوات العثمانيةو والجنرال (ديمه ر) المأمور بنجدة المحصورين في الكوت فانجلت الحرب عن تكبد الإنكليز لضايعات جسيمة، ولهذا ما أمكنهم أن يزحفوا إلى الأمام، فعليه إرسال الانكليز النجدة لمحصوريهم في الكوت أصبح كأنه من المحالات.

وقال وزير هند ستان (تشمبرلن) في غرفة: العوام إنهم قد عيّنوا الجنرال (له بك) قائداً لجيش الإنكليز في الجزيرة، وأن الحركات التي أجرتها الكتائب الإنكليزية في الجزيرة ما اقترنت بالنجاح، فما أنتجت النتائج المطلوبة، ولهذا لم تتمكن الكتائب المذكورة من التقدم).

وجاء من شعبة استخبارات الجيش السّادس بتاريخ ١٢ كانون الثاني سنة ٣٣١ [مارتية](٢):

(أن مقدار قتلى العدوّ ليس ألف ومائة، بل تبيّن أنه ثلاثة آلاف، تلف من العدوّ ١٧ قتيلاً وكثير من الفرسان وحيوانات المكارة ليلة ٥-٦ من الشهر الحالي في الحملة التي كبسنا بها معسكره الكائن في جوار الناصرية).

---

(١) نشر متأخراً في العدد ١٥٨.

(٢) نشر في العدد ١٥٨.

وفي هذه الأيام تحقق انسحاب الفيلق العثماني إلى مدحي، وأن مقدمة الجيش ممتدة إلى (العورة) وأن الإنكليز دمروا قصبة الشيخ سعد تدميراً واحتلّوها، وأن أهلها غادروها إلى الحيّ، وأن سائر العشائر ترفعت بعيداً عن ساحة القتال، وأن الإنكليز وجهوا قوى جسيمة إلى هذه الجهات، وأن المجاهدين من العرب انهزموا على أثر حملة الإنكليز الشديدة من شيخ سعد، وكذلك انسحب الأتراك إلى السن، وقيل إنهم تركوا ٤ مدافع ومئات من الأسرى.

الإنكليز في الغراف:

في يوم الثلاثاء ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٣٤هـ، ورد نقلة الشطرة (الجنّازة) إلى النجف بعدّة من شهداء خفاجة، وذلك أن الإنكليز اعتقدوا التقدم إلى الغراف فخرجوا من الناصرية في أول ربيع الأول أو في أواخر صفر ٤٠٠٠ جندياً، وتقدّموا إلى (باهيزة) وهي من حدود آل ازريق وخفاجة، فمهدوا الطريق ووصلوها إلى الناصرية بسلك برقي وحملوا إليها الذخيرة.

وفي يوم ١٥ ربيع الأول تقدّموا من (باهيزة) يريدون السّويق بـ٢٥٠٠ من جنودهم ليفعلوا مثل ما فعلوا في الطريق الأولى، وكان معهم جماعة من زعماء خفاجة القريبة إلى الناصرية كسالم آل وشطب وغيرهما، فلما وصلوا (العكسة) وهي على نصف ساعة من جنوب السّويق وجدوا جماعات من خفاجة ناشرين ألويتهم يعملون على الأنهار، وبينهم جنازة يشيعونها بإطلاق النار، فلم يشاءوا التقدّم إلاّ بأن يطوى القوم ألويتهم ويلقوا أسلحتهم.

وتردد في ذلك بين الفريقين زعماء خفاجة الّذين مع الإنكليز، فأصرّ الخفاجيون على الوقوف بوجوه الإنكليز ولعنوهم، وكان مع المترددين بعض من يُحسن العربية من الإنكليز فهددهم فقتلوه وأطلقوا النار، فبادرتهم الجنود الإنكليزية بإطلاق المدافع ونشبت الحرب، وكمن العرب في الأنهار، وتسامعت خفاجة وغيرها ثم حملوا على الإنكليز فكشفوهم.

دامت الحرب ٣ ساعات وانجلت عن إنهزام الإنكليز إلى (باهيزة) والعرب يتأثرونهم حتّى حصروهم فيها، وقد قتل من الإنكليز ٢٥٠ وأسر أربعة من البيض، وغنم العرب كثيراً من الأسلحة، وقتل من خفاجة ٣٥ وجرح ثمانون.

وأجمع العراقيون بعد ذلك على مقاومة الإنكليز، ووردت مقاتلتهم من حدود القلعة إلى الشطرة، ويقال أن الإنكليز لما خرجوا من الناصرية كتبوا إلى زعماء القبائل في الغراف: إنّا قادمون إلى الغراف، فمن كان معنا فنعمت ومن لم يكن فليبد لنا صفحته، فأجاب القوم: إنّا لا نصير مع الإنكليز ما دامت الراية الإسلامية ثابتة مع العثمانيّين.

أيضاً الإنكليز في الغراف:

في يوم ١٩ ربيع الأول سنة ٣٤هـ، تناولنا كتاباً من الشطرة فيه: أن حالة العشائر في الغراف تبدّلت على أثر انهزام الإنكليز في وقائع المدائن، وتحالفوا على مقاومة الإنكليز فيما لو أرادوا التقدم إلى الشطرة لا سيّما خفاجة والعبودة وكذلك بنو زيد وآل أبي سعد.

وفي مثل يوم ٨ ربيع الأول بدأ القائد الإنكليزي وحاكم الناصرية السّياسي (هاملتن) بالتقدم إلى الشطرة، معهم بعض الجهلة الّذين ضمنوا لهم عدم معارضة العشائر، ونزلوا في حدود خفاجة في مكان يدعى (البطنجة).

فلما أرادوا التقدم من البطنجة متوجهين إلى الشطرة عارضتهم خفاجة تنفيذاً للمعاهدة مع العبودة، وقابلوا الجنود الإنكليز بإطلاق النار فأطلقوا عليها المدافع من الساعة ٣ من نهار الجمعة ١٥ ربيع الأول إلى السّاعة ١٢.

وقد انهزم الإنكليز من محل سويج الدجة إلى البطنجة، وكانوا ٣ آلاف بين مشاة وفرسان مع خمسة مدافع وأربعة رشاشات، وتلف منهم شطر عظيم، فمن القتلى ٢٥٠ ومن الجرحى ٢٠٠ وترك من السّلاح، وقد هبّت على أثر سماع صدى المدافع فريق من العبودة وبني زيد وآل أبي سعد لنجدة إخوانهم، وصمم الجميع على الزحف على الإنكليز ومواقعتهم إذ ذاك.

عن الشركة الوطنية العثمانية[1]:

١٢-١٣ كانون الثاني سنة ٣١ [مارتية]:

(تدوم المحاربات الموقعية في كوت الإمارة وان القوات الإنكليزية القادمة من استقامة عليّ الغربي تعرّضت بموضعنا (شلاجة) على ساحلي دجلة وشرقي كوت الإمارة تحت

---

(١) نشر في العدد ١٦٠.

حماية حرّاق لهم، فدامت الحرب ٦ ساعات وقد اندفع جميع تعرّض العدوّ بالتعرّض المقابل الّذي أجريناه، وقد خسر الإنكليز ٣٠٠٠ قتيلاً في ميدان الحرب، وأسرنا يوزباشياً إنكليزياً ومقداراً من الجنود الإنكليزية، وخسائرنا قليلة جداً بالنسبة إلى خسائر العدوّ.

وقد طلب القائد الإنكليزي الجنرال (ايلمه رك) متاركة يوم واحد لدفن القتلى فتفضلنا عليه بالقبول، وقد عرفنا من استجواب الأسرى أن العدوّ خسر ٣٠٠٠ بين قتيل وجريح في المحاربات الأولى في جوار الشيخ سعد، وذاك عدا ضايعاته في هذه الحرب، وقد هجمنا على القوّة الإنكليزية الأخرى التي حاولت التقدم من استقامة المتفك، فأجبرنا العدوّ على الرجعة فانهزم مخذولاً تاركاً مائة قتيل من جنده وأثقاله من الخيام والجمال الكثيرة).

الصحف الانكليزية وحملة العراق عن الشركة العثمانية[1]:

١٣ كانون:

تكتب الصحف الإنكليزية التفصيلات عن الحرب في وادي دجلة، فتقول: أن طغيان دجلة وحدوث الزوابع الشديدة أشكلت الحركات الحربية، وبما أن أراضي الجزيرة مستوية وخالية من الآكام فلم تساعد على إنشاء المتاريس، ولهذا تكبد الإنكليز خسائر مدهشة في مهاجمات الجبهة الإنكليزية.

١٣ - ١٥ كانون الثاني[2]:

(إن العدوّ الّذي تكبد التلفات العظيمة في حرب الفلاحية لم يبد بعد حراكاً، وقد جرت في الكوت مبارزة بين المدفعية بفاصلة، وأن الكبس الّذي أجريناه على معسكر العدوّ في القرب من القورنة ليلة ٥ كانون الثاني اقترن بالنجاح، فأتلفنا فيه مقداراً من جند العدوّ وحيواناته، ولم ينزل الثلج ويشتدّ البرد في هذه السّاعة إلاّ نادراً).

١٥ كانون الثاني[3]:

(العدوّ مشتغل بالتحكيم في منعطف الفلاحية من الجبهة العراقية، وتجري المناوشات الطفيفة بين المدفعية أحياناً، لا تبدل في كوت الإمارة).

---

(١) نشر في العدد ١٦٠.
(٢) نشر في العدد ١٦١.
(٣) نشر في العدد ١٦٤.

بلاغ رسمي: يعترف الجنرال (لاكه) بان الانكليز قد تكبدوا ضايعات جسيمة الى آخر درجة بسبب مخالفة الهواء لهم في المحاربة الشديدة التي وقعت في العراق يوم ٢٢ من الشهر الحالي غربي الناصرية.

شهيد من الهند في العراق[١]:

عن الشركة الوطنية - تاريخ ١٨ كانون الثاني سنة ٣١هـ:

(أن قائد مجاهدي الهنود وأحد أعضاء لجنة الأخوة الإسلامية في الهند، الميرزا عبد القيوم استشهد في ساحة العراق على أثر ما أبرزه من خوارق البسالة في السيوحية، كان في العاصمة إلى أن أشهر الجهاد فذهب بهم إلى السّويس، وقام بواجبات الجهاد، وفي الأزمنة الأخيرة أخذ على عاتقه قيادة مجاهدي الهنود في ساحة العراق).

قتل في النجف:

في ليلة ٢٩ ربيع الأول سنة ٣٤هـ قتل ليلاً أحد الخبازين في السّوق الكبير، رماه النواطير على ما ذكروا.

حوادث المتغلّبين:

في مستهلّ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ حدثت وحشة بين زعماء الرماحية، وتسابَّ إثنان منهم وهما عباس العليّ وبرشاوي، ووصل قوم الثاني وجماعته إلى الجعارة طالبين مواقعة رماحية النجف، فانبرى بقيّة الزعماء وهم عطية أولئك.

وفي ربيع الثاني نفسه عاد الشيوخ وتظاهر المسلحون وأطلقوا النار، والسيّد مهدي وسواهما لاصلاح ذات البين، وذهبوا إلى الجعارة فارجعوا أولئك.

وفي ربيع الثاني نفسه عاد الشيوخ وتظاهر المسلحون وأطلقوا النار.

تبليغ رسمي في ٢٣ كانون الثاني سنة٣١ [مارتية][٢]:

(العدوّ الّذي حاول أن يتقدم بقسم من قواته من الفلاحية في الجبهة العراقية إلى مواقعه القديمة على أثر مقابلتنا له).

---

(١) نشر في العدد ١٦٧ من صدى الإسلام.

(٢) نشر في العدد ١٦٧.

الأوراق المالية والنقد الذهبي[1]:

في ٤ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، نشر القائد غولج باشا بياناً بأن لا فرق بين الأوراق المالية والنقد الذهبي بتوقيع (قائد الجيش السّادس غولج) فعُلم من هذا أن القيادة في العراق رُدّت إلى (غولج) بعد (نور الدين) لا إلى(خليل) وإنما هذا رئيس أركان الحرب في الفيلق.

في جبهة العراق - ١٦ كانون الثاني سنة ٣١ [مارتية]:

(لا تبدّل مهم في الجبهة العراقية، وقد ألقينا مفرزة العدوّ المؤلّفة من ١٦ نفساً في كمين جوار الفلاحية فأتلفناها كلها، وفي هذه الأنحاء اغتنم المجاهدون ألف بعير عائدة للعدوّ).

ساحة العراق [في] ٢٤ كانون الثاني سنة ٣١ [مارتية] - ٤ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ:

(إن حالة فرقة الإنكليز المحصورة في كوت الإمارة وخيمة، كما أن المحاربات لا زالت منجليةً عن فشل الإنكليز).

دعوة إلى الجنديّة:

وفي أوائل ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، دعي أبناء السّابعة عشر، والثامنة عشر من أهل بغداد وما إليها من الأعمار القريبة إلى الجنديّة، ولم يجب هذه الدعوة أهل الحلّة والمشاهد وبلاد الفرات الأخرى، وقد فرّ كثير من فتيان بغداد ملتجئين إلى النجف من ذلك.

---

(١) نشرت صدى الإسلام بعددها ١٦٩ الصادر يوم الثلاثاء ٤ ربيع الثاني١٣٣٤-١٦ كانون الثاني ١٣٣١ [مارتية]، نصّ البيان كما يلي:

(تفضلّ بتبليغه من قبل مقام قائد الجيش السّادس الهمايوني العالي:

لا فرق بالثمن بين السّكة الذهبية وبين الأوراق النقدية المتداولة في المملكة، وقد استخبرت انه يوجد من يسعى في السّوق لتبديل الأوراق النقدية إلى ليرات ذهبية، وان هناك من يستنكف عن قبول الأوراق النقدية في البيع والشراء، وهذه الأحوال مخلّة بشرف الحكومة العثمانية واعتبارها، وبناءً، عليه فأبين أن الّذين يشتغلون بتحويل الأوراق النقدية وتبديلها بالذهب، والّذين لا يعدّون الأوراق المالية كالسّكة الذهبية في الأخذ والعطاء سأحيلهم إلى الديوان العرفي في الحال).

قائد الجيش السّادس

(غولج)

النخجواني:

في يوم الخميس ٦ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، توفي الشيخ محمّد عليّ النخجواني المعروف في كربلاء، وهو ممن صدره الزمان في هذه الأيام، سمع من السيّد حسين الترك(١)، والكاظمي، ومن الأيرواني(٢)، والشرابياني، وصنّف كتاب (الدعوة الحسينية) طُبع في الهند، وغير ذلك من الكتابات، وكانت له حلقة في بعض المساجد وإمامة في

---

(١) والسيّد حسين الترك - كما يحدّثنا الشبيبي في مجموعة صغيرة له تضم أساساً تراجم بعض الاعلام، وتقع في ٧١ صفحة بحجم ١١×١٧ ÷ ٢/١ سم تقريباً - هو: (السيّد حسين التبريزي الكوه كمرئي - كوه كمر من أعمال تبريز - النجفي الإمام، أحد أعيان علماء النجف ومدرسيّها، وله في الأصول باع طويل، أخذ مدّة عن شريف العلماء المازندراني، وصاحب الضوابط، ثم سكن النجف وأخذ عن صاحب الجواهر، ثم عن الشيخ مرتضى، ثم انقطع إلى التدريس في الجامع الهندي، وكان عيّ البيان، وقُلّدَ في سائر بلاد العجم والقوقاس بعد وفاة الأنصاري، وجلبت إليه الأموال، وكان لسخائه تمرّ عليه الأموال وهي منطلقة إلى الفقراء والمحاويج، قائلاً: لا يضمنّي والمال بيت.

أخذ عنه الشرابياني والمامقاني وكانا يعيدان درسه، ومات عقيماً مفلوجاً ظهر السبت ٢٣ رجب سنة ١٢٩٩هـ، ودفن في مقبرة مشيّدة له في محلّة العمارة).

(٢) أما الأيرواني فهو: (محمّد بن محمّد باقر الأيرواني النجفي، الإمام الكبير، والمدرسّ الشهير، انتهى أمر التقليد إليه في ايران وأذربيجان والقوقاس بعد السيّد حسين الترك الكوه كمري، خرج إلى العراق بقصد التحصيل شاباً مراهقاً، قرأ في الفقه أربع سنوات على صاحب الضوابط في كربلاء، ثم أقام في النجف فأخذ فيها عن الشيخ حسن والشيخ محمّد حسن صاحب الجواهر في الفقه..... انفرد بالتدريس بعد أخذ الإجازة من أستاذيه الأخيرين، وكان يدرّس الفقه صباح كلّ يوم، والأصول ليلاً في مسجد الشيخ الطوسي، يختلف إلى مجلس درسه المئات، وكان حسن البيان، طلق اللّسان، خشن الصوت، صنّف في الفقه والأصول كتباً ورسائل كثيرة، منها: تعليقه على فرائد الأصول لأستاذه، حاشية على تفسير البيضاوي، ورسالة في الإستصحاب، واخرى في اصل البراءة، وثالثة في التعادل والتراجيح.

ومن آثاره مدرسة كبيرة في النجف، توفي يوم الخميس الثالث من ربيع الأول سنة ١٣٠٦هـ، ودُفن في مدرسته، وله أولاد).

وعن مدرسة الأيرواني - كما يقول الشبيبي أيضاً في بعض ما كان يجمعه من معلومات عن المدارس لكتاب النجف - (انشأ الطبقة السّفلى الفاضل الأيرواني الشهير، وهي ٥ حجرات طولاً في عرض حجرتين، أنفق عليها الحاج هاشم السّلماسي، وفيها مما يلي الباب مقبرة الشيخ الأيرواني، وأنفق على الطبقة العليا الفاضل الشرابياني، والمدرسة كائنة في شارع من شقّ الحويش، مادّتها الجصّ والطابوق، تولاّها اولاد الفاضل الحاج ملاّ أحمد الكوزه كناني المعروف، ثم لمّا توفي سنة ١٣٢٠هـ، تولاّها صهره على ابنته الشيخ عبد الله المامقاني نجل الشيخ حسن المامقاني الشهير).

نكتفي بهذا القدر في هذا المجال، إذ قد يدفعنا الإستطراد هنا إلى نقل الكثير مما كتب الشبيبي لتعلّق الأحداث والأعلام ببعضهما.

المشهد العلوي، قلّده جماعة من عوامٍّ تركستان، وكان كبير الجثة، عظيم كور العمامة والخلقة، ومن اكبر القوام على المصلحين، وحُمل إلى النجف فدُفن يوم السبت ٨ ربيع الثاني في حجرة من حجر الصحن مما يلي الباب الطوسي.

عن الشركة المالية بتاريخ ٢٦كانون الثاني سنة ٣٣ [مارتية]:

(أعلنت الحكومة الإنكليزية رسماً، بأنه قد قُتل في المحاربات التي وقعت بجوار كوت العمارة ١٨ قائداً إنكليزيا، كلّ منهم قائد الاي).

الإنكليز وعشائر الغراف:

وفي يوم الأحد ٩ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، ورد النقلة من الغراف إلى النجف بكثير ممن رمي في جنائزهم من الشهداء، وذلك أن عشائر الغراف على أثر تقدّم الإنكليز ومواقعة خفاجة لهم وردّهم ايّاهم في ربيع الأول أجمعوا على مقاومة الإنكليز ولو لم ينجدهم القائد العام بالجنود، غير انه قد أرسلت إليهم من الكوت نحو ٢٠٠ صندوق من القراطيس، وبثّ فيهم مظهر باشا العطاء، وذلك منذ منتصف ربيع الأول سنة ٣٤هـ.

وقد اجتمع على ذلك أهل الغراف من حدود قلعة سكر إلى قريب الناصرية، وفيهم الشويلات، وبنو ركاب، وكانوا ينتظرون تقدّم الإنكليز المعسكرين في(البطنجة).

وفي يوم ٢ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، بلغهم أن الإنكليز قوضوا مضاربهم يريدون الناصرية، وكان القوم على رابطة مع خفاجة أن يرموا الإنكليز إذا فعلوا ذلك، فرموهم ونشبت الحرب وأعمل الإنكليز مدافعهم، فتسامع العبودة وبقيّة العرب فهبّوا إلى مواقعة الإنكليز وتكاثروا عليهم وهم يقاتلون متقهقرين إلى الناصرية، وقد اضطروهم إلى التوقف فأباتوهم بالعراء ليلة ٣ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، والحرب دائمة.

وقد اشترك فيها آل ازيرق وخفاجة الّذين في ظهر الإنكليز، وكانوا يظنون أنهم أمنوا غائلتهم، وفي يوم ٣ربيع الثاني طارد العرب الإنكليز إلى أن أدخلوهم الناصرية ضاربين في أقفيتهم، وقد قُتل منهم خلق كثير، واغتنمت غنائم وافرة، وأسر العرب جماعة، وقُتل من العرب كثير أيضاً لا سيّما من خفاجة وآل ازيرق، وذهب جماعة من معاريف العبودة منهم عسكر آل منجل وغيره، وجرح كاظم العليّ من أنجاد الشطرة.

وقد بدأت الحرب في(البطنجة) ثم في(باهيزة) وكان الإنكليز قد عملوا لهم عدة خطوط من الخنادق في الطريق، ولمّا تسامع أهل المجرة بهذه الحادثة بدت عليهم إمارة الثورة، وجرحوا القبطان(ايدي)[1]، عامل سوق الشيوخ، فجرّد الإنكليز على

---

(١) وفي أخريات أيام حياته سجّل الشبيبي على بعض الأوراق وعلى بعض أغلفة الرسائل والأضابير شيئاً من ذكرياته وملاحظاته التي أراد لها أن تضاف هي أو مضامينها إلى ترجمة حياته التي أعدّها للطبع، لقد اختلطت تلك الذكريات والملاحظات بهموم الشبيبي الخاصة والعامّة الأخرى، فألقى كلّ ذلك ضوءاً على ما شغل بال الشبيبي تلك الأيام.
هذا ولم تحتو الترجمة التي نشرت في عددي جريدة الثورة ٣٥٣و٣٥٤ السنة الثانية، شيئاً من هذه الملاحظات على الرغم من أنها جاءت بالشكل الأخير كما جاء في المقدمة.
وبعد: كان(لأيدي) نصيب من تلك الملاحظات، فقد التقى بالشبيبي بعد عودة الأخير من سورية عام ١٩٢٠م، يقول الشبيبي:
(ومن النوادر في تلك الفترة، وكنا ذات يوم نتمشى أنا ورشيد الخوجة في ساحة (السّراي)، وذلك في اليوم الثاني أو الثالث لوصولنا إلى بغداد، فأقبل علينا(الماجور أيدي). وهو ضابط في مصلحة استخبارات الجيش المحتل، عيّن حاكماً في المنتفك، وبعد التعارف والمجاملات، قال: إني معنيّ بجمع الأمثال الريفية التي تدور على ألسنة الريفيّين في العراق، وتحدّث اليّ بحديث يدل على خبث وغرض، قائلاً: إن معاني هذه الأمثال تغمض عليّ أحياناً، ومن ذلك قولهم: (من المومن بالك ومن السيّد احفظ عيالك) ولا يخفى مغزى التمثل بهذا المثل في ذلك الحين، فقلت لرشيد الخوجة: لم يجد هذا الخبيث مثلاً يسألني عنه إلاّ هذا المثل، وكان كغيره من الضباط البريطانيين في ذلك الحين ساخطاً يتميّز غيظاً على الثورة وما منيت به بريطانيا بسببها من الأضرار والخسارة الباهظة).
وصل الشبيبي بغداد من دمشق الشام يوم الأحد ١٠ربيع الأول ١٣٣٩هـ - ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٠م، بعد أن قطع(بادية الشام التي تعرف بالسّماوة إلى ضفاف الفرات في مراحل تعدّ ستّاً وعشرين مرحلة ماراً بفلوات موحشة ووديان شاسعة). كما يحدّثنا هو في كتابه (رحلة في بادية السّماوة).
وكان رفيق رحلته هذه رشيد الخوجة، تكلّم عنه الشبيبي في الصفحات د، ٢٠، ٢٤، ٢٥، ٢٦من (الرحلة)، وقد عيّن رشيد الخوجة فيما بعد أول متصرف لبغداد بعد تأليف الوزارة النقيبة الأولى كما أخبرتنا بذلك جريدة العراق بعددها ١٦٥ الصادر في ٥ ربيع الثاني ١٣٣٩هـ -١٥ كانون الأول ١٩٢٠م.
وقد رحبت جريدة (الاستقلال) بعددها (١٨) الصادر في ٢٤ ربيع الأول ١٣٣٩هـ —٥كانون الأول ١٩٢٠م، بقدوم الشبيبي قائلة:
(إن العراق في نهضته الوطنية مدين إلى الشبيبية النجفية الحرّة. وبالأخص آل الشبيبي الّذين أوقفوا أرواحهم إلى خدمة البلاد غير مبالين بالمصائب التي اعترتهم، وإذا كان آل الشبيبي هم في مقدمة الأسر النجفية السّاعية للحصول على الاستقلال، فان حضرة شاعر العراق الأكبر محمّد رضا الشبيبي هو في مقدمة أسرة الشبيبي الكريمة، وأن جريدة الاستقلال ترحب بقدوم حضرة الوطني الكريم من البلاد السّورية).
لم يترك الشبيبي بغداد بعد وصوله إليها إلى النجف على الرغم من شوقه وحنينه إلى أهله هناك. وقلقهم عليه هنا، وظلّ لأكثر من شهر ينتظر وصول أخيه محمّد جعفر الّذي نفي إلى هنجام فيمن نفي من رجالات الثورة العراقية الكبرى.
كتب إلى والده في ٦ ربيع الثاني ١٣٣٩هـ-١٦ كانون الأول ١٩٢٠م:
(أقبل أقدام سيّدي الوالد أطال الله تعالى بقاءه آمين. أما بعد، السّلام عليكم والشوق إليكم، فنحن نحمد الله على كلّ حال. وقد وصلت كتبكم الأخيرة فتلوناها مسرورين بسلامتكم فالحمد لله على ذلك، ولكن ساءنا تشويشكم من إجمال عبارة الأخ محمّد عليّ عن وصولي، فانه إنما كتب ذلك =

اعتماداً على الكتب الكثيرة التي كتبها إليكم وأولها، كتاب مع الشيخ عليّ زاهد، وكتب غيره مع غيره، هذا عدا التلغراف الّذي أرسله السيّد محمّد إلى السيّد جعفر الحكيم ثاني يوم وصوله من طرفكم. الحاصل نحن ما قصرّنا عن تعريفكم تفصيلاً لتكونوا مطمئنين كلّ الاطمئنان عنّي فانّي في غاية القرار لا أحتاج إلاّ إلى لقائكم إن شاء الله يكون قريباً، ولا إلى وصول الأخ محمّد جعفر الّذي ننتظر برقيته بالحركة إلى بغداد يوماً فيوماً، وهو سبب تعطيلي الأكبر في بغداد، وإلاّ فانّي لا أستطيع وصف الشوق اليكم، هذا ما لزم بيانه. من المحتمل أني أتوجه قبل وصول الأخ إذا تأخر قليلاً ولا أظنه، لأن الجرائد نشرت أمس قرار الحكومة بإعادته هو واثنين من رفاقه عجلّ الله ذلك. هذا ما لزم بيانه ولازم تعرّفونا على الاتصال عن أحوالكم مع السّلام على الإخوان والأحباب كافّة، وأُقبّل سيّدتي الوالدة ووجوه الأولاد خصوصاً رشاد، وأيادي الأعمام والخالات والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

ثم كتب بعد ذلك في ١٠ ربيع الثاني:

(أُقبّل أقدام سيّدي الوالد أطال الله بقاءه آمين. السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فقد عرفنّاكم في الأسبوع الماضي مكرراً، ومع ذلك فقد أخبرني غير واحد من القادمين من طرفكم أنكم في فكر والحال انه لا داعي لذلك أبداً. أما الأخ جعفر فلا نزال نحن بانتظاره لانهم ابرقوا على إعادته هو وبعض رفاقه، والجميع بانتظارهم ولولا ذلك لما تأخرت عن الحضور طرفة عين. وقد وردت في هذا الأسبوع كتب من الأخ في الشطرة، ومن محمّد حسين وغيرهما بعد أن بلغهم وصولي وقد أجبناهم أمس، هذا ما لزم بيانه، ولازم تعرّفونا عن أحوالكم تفصيلاً: وأُقبّل أقدام سيّدتي الوالدة ووجوه الأولاد جمعنا الله بهم قريباً، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

أما الأخ فهو الشيخ باقر الشبيبي، وأما محمّد حسين فهو الحاج محمّد حسين الشعرباف من أعز وأخلص أصدقاء الشبيبي، وفي تلك الفترة قابل الشبيبي المس(بل) فكتبت إلى والدها بعد ذلك في ٤كانون الأول ١٩٢٠م-٢٣ ربيع الأول ١٣٣٩هـ.

(تمّت لي زيارة من رجل ممتع جداً، هو السيّد محمّد رضا الشبيبي، وقد عرفته في عام ١٩١٨م، ومن ثم انطلق فجأة (لا أدري لماذا أبداً) إلى الحجاز وسورية حيث كتب مقالات عنيفة ضد بريطانيا في الصحف المحلية، مديناً الطريقة التي تحكم بها هذه البلاد، لقد خابت آماله كثيراً للطريقة التي رضخ بها السّوريون للفرنسيين، وكانت إدانته لهم أول دليل لي ثابت للنجاح الّذي يحرزه الفرنسيون والّذي يظهر أنه أكبر مما توقعت.

وعلى كلّ فقد عاد محمّد رضا ليقول أنه متأكد من أن ما نعمله هنا صحيح، وهو رجل معروف وصاحب قلم مبرز، ومن الجائز أن يكون مفيداً إذا ما عمل معنا بصدق، مجازفاً بأن يدعى رجلاً إنكليزياً من قبل المتطرفين). راجع الصفحة ١٨٩ من كتاب(جرترود بل. من أوراقها الشخصية الجزء الثاني) طبع هذا الكتاب بالإنكليزية لأول مرّة سنة ١٩٦١م، وهو من تأليف اليزابث بوركون.

لا أشك في أن الشبيبي كرر مطالبة العراقيين بالاستقلال كما فعل بوجه ممثل الحاكم السّياسي من قبل، وأيّد تنصيب فيصل ملكاً على العراق، ولكن على أساس خدمة البلاد والاستماع إلى نصح المخلصين من أبنائها، كما بيّن لزملائه في(تقريره الوجيز) فيما بعد، وطالب بإطلاق سراح المعتقلين في هنجام ومنهم أخوه محمّد جعفر، وإذا كانت المس بل تدّعي أن الشبيبي متأكد من صحة ما تعمله السّياسة البريطانية في العراق آنذاك فليس ذلك أكثر من قناعة المستر ولسن والمستر هيث اليوم مثلاً من أنهما يعملان لحلّ قضية فلسطين بما يتفق وأماني الفلسطينيين! وعمّا قريب قد تطلع علينا مذكرات هذين الرجلين لنقول أن فلاناً من رجال القضية الفلسطينية المعروف بصلابة مواقفه كان متأكداً من صحة عملهما في سبيل حلّ القضية الفلسطينية!!

لنترك المس بل وما تقول، فقد سبق وان ردّ عليها باقر الشبيبي حين ظهرت ترجمة مذكراتها لأول مرّة في جريدة البلاد سنة ١٩٣٠م.

(حكام) فاعلي ذلك بعثة فهزموها.

وفي يوم الاثنين ١٠ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، أشعرت حكومة النجف بقرب إنشاء جناح للجيش العراقي في الفرات تحت قيادة القائم مقام (حامد بك).

الإنكليز وعشائر الغراف أيضاً:

في ٩ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، ورد إلى السيّد محمّد باقر الشاه عبد العظيمي في النجف كتاب من الشطرة بتاريخ ٤ ربيع الثاني، بتوقيع (عبد المطّلب) و(حاج حسن السّعيدي) فيه تفصيل الحادثة الأخيرة، واليك ما فيه والعهدة على راويه:

بعد السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نبدي إليكم ونبشركم بنصر المسلمين، عندكم معلوم صار شهر جناب الأخ خيون جمع العبودة بأسرهم وكوانيغهم وهم نزول بسويج الطبرية، وعرّفناكم سابقاً بالمحاربة التي وقعت والموفقية فيها لخيون، وفي نهار أمس يوم الاثنين ٣ الجارى(ربيع الثاني سنة ٣٤ [مارتية]) عند طلوع الشمس وقعت المحاربة بين المسلمين والكافرين في موقع يقال له (البطنجة) عن مركز الناصرية ثلاث ساعات، وكانت قوة العدوّ ٦٠٠٠ مع ستّ طواب سريع العطش وثمان طواب مطر اللّوز، ومع ذلك هجم خيون بجميع عشائره ومع خفاجة على الكافر في استحكاماته التي أعدّها لحفظ عساكره، وكان أمام الاستحكام من أربع جوانبه أرض بسيطة لا فيها نهر ولا ربوة يتستر فيها الإنسان عن نيران المدافع والمترليوز، ولكن هذه اللّيوث الضواري وضعت أيديها على سلاحها وهجمت عليها تلك الهجمة اللّطيفة التي أيّدت الدين وغسلت عن العرب درن العار الّذي تجلببوه، فجعل يقذف عليهم تلك المدافع بأسرها بومبار ومان، والمترليوز يمطر عليهم فلم يتقهقروا، فترك استحكاماته وانسحب متقهقراً خلفه والمدافع تقذف عليهم وهم يقتلون منه ويأسرون من الصبح إلى مغيب الشمس، حتّى أدخلوه الناصرية، فترك في الأرض من قتلاه ما يزيد على ألف قتيل، غير الذين حملهم ومن خيله أكثر من ٣٠٠ فرسا قتلاً، ونحن والله وفقنا عليهم وهم عراة على وجه الأرض وكلّهم نصارى غير مطهرين وهم هندو مع سوجر.

ومختصراً من البطنجة إلى الناصرية تمشي على جثث قتلى من الكافرين، واغتنمنا منه تفك ما يزيد على ١٥٠٠ ومهمّات وذخائر وأباعر وخيل وأشياء كثيرة ولله الحمد، واستشهد من المسلمين ما يقرب من ٤٥ نفر للجميع، عدا المصاويب والمفقود من أصحاب خيون المعروفين، عسكر المنجل، ومصيوب كاظم العليّ أغا، وإنشاء الله صوابه سهل، والكافر الآن محاصر بالناصرية.

واليوم ٤ ربيع الثاني جناب القائم مقام خيون بك كتب رسماً إلى قومندان العمومي بالكوت يخبره بالقضية ويطلب منه طواب لأجل أخذ الناصرية، وإنشاء الله على طبة الطواب إلى الشطرة يصير الهجوم على الناصرية حيث جميع عشائر الغراف فازعين، ولكن لم يشتركوا جميعاً في هذه المحاربة المقدّسة سوى خفاجة والعبودة من الصبح إلى السّاعة ١٠، وبالعشرة لحقت الشويلات واصحاب يوسف وعاركوا معهم، وآل ازيرج لمّا إنكسر العدوّ متقهقراً عنهم تبعوا المجاهدين في محاربة العدوّ فالشويلات وآل إزيرج العصر طاحوا للعرك، وأما بنو زيد وآل أبو سعد، وقراغوال، وبني رجاب، والطوقية، وخويلد، وحجام وغيرهم وما لحقوا على العرك يصير معلومكم ونسألكم الدعاء.

نفوذ العلماء إلى دار الحرب:

وفي أواخر ربيع الأول سنة ٣٤هـ، كان القائد في الكوت خليل بك أبرق إلى معاون ولاية بغداد بلزوم نفوذ العلماء صحبة العلم الحيدري إلى دار الحرب للمذاكرة بشؤون ايران والعراق أياماً معدودة، وقد ذكر القائد أنه أعدّ أسباب الراحة من مضارب وسواها.

وفي يوم الثلاثاء ١١ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، فصل العلماء من بغداد إلى دار الحرب على باخرة خاصة وهي برهانية، وردت برسمهم حاملين اللّواء العلوي، وردت بذلك برقية.

البلاغ الرسمي في ٢٩-٣٠ كانون الثاني سنة ٢١ [مارتية]:

إن المجاهدين والعشائر المنسوبة إلى جيش الفرات قد تعرّضت بمقرّ العدوّ الكائن في(بطنجة) فاقترن تعرضنا بالنجاح، فطاردنا العدوّ إلى الناصرية، وقد دامت الحرب طوال ذلك اليوم، وأن الأراضي التي تبلغ مسافتها ٦ ساعات قد صارت مملوءة بأجساد العدوّ وجثث حيواناته، وقد أخذنا منه كثيراً من الأسرى، واغتنمنا مقداراً كبيراً من الذخائر والأسلحة والحيوانات، وإلى الآن قد استطعنا أن نعدّ ٥٠٠ قتيلاً من الأعداء، أما ضايعاتنا

فقليلة جداً، وأن حركات عشائرنا ومجاهدينا الدينية والوطنية جديرة بالتعظيم والتقدير، وقد أظهرت بسالة فائقة كلّ من عشائر الأزيرج، وخفاجة، وحجام، وآل حسن.

رسمي ٢٩-٣١ كانون الثاني سنة ٣١ [مارتية]:

تبودلت النيران بفاصلة بين المدفعية والمشاة في الجبهة العراقية، أما قوّة العدوّ التي حاولت أن تزحف إلى الإمام من الشاطئ الأيمن فقد اضطرت أن تتقهقر إلى مواضعها الأصليّة بعد حرب دامت ساعتين، لا تبدّل في كوت الإمارة.

وجاء في آخر مذكرة حربيّة للإنكليز ما مؤداه، أن مخالفة الهواء حالت بين فيلق الإنكليز في العراق وبين الزحف إلى الإمام، وأن الجيوش العثمانية متمكنون في مواضع حصينة جداً يستحيل إخراجهم منها، وأن حركة الإحاطة التي تشبث بها الإنكليز أصبحت عقيمة تجاه استبسال العثمانيّين.

إن طلعتنا الكشافة المرسلة باستقامة الشيخ سعد قد خرّبت خطوط العدوّ في هذا الجوار، وأجبرت نيراننا موطوراً للعدوّ على الرجعة، ولم تقع حادثة في الفلاحية وكوت الإمارة غير نيران المدفع بفاصلة.

وفي صباح ٢٥ كانون الثاني، تعرّضت مفاوزنا المركّبة من المجاهدين بمعسكر العدوّ الكائن غربي القرنة، ودامت الحروب إلى اللّيل، وقد أسفرت عن فشل العدوّ فاغتنم المجاهدون ذخائر وفيرة وأسلحة كثيرة وحيوانات، ومقداراً من الأسرى.

البلاغ الرسمي من المعسكر العثماني العام:

أطلقت طيّارة لنا - في ٣ شباط سنة ٣١ [مارتية]، في جبهة العراق ١٢ قنبلة بنجاح على مواقع مدفعية الأعداء في كوت الإمارة، وقد فهم من الترصد أن إحدى القنابل أحدثت تأثيراً مهمّاً.

الشركة الوطنية عن العراق:

في ٥ - ٦ شباط، سنة ٣١ الموافق ١٤-١٥ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، ، رسمي-: حصلت مبارزة شديدة بين المدفعية في كوت الإمارة من جبهة العراق، وقد اضطر العدوّ الّذي حاول أن يزحف إلى الإمام من ساحل دجلة الأيمن في منطقة الفلاحية إلى التقهقر والاندحار عبر حرب دامت ثلاث ساعات، فأخذت كتائبنا تتعقّب الخط

الثاني، وقد فرّ العدوّ بعد أن خسر أكثر من ثلاثين قتيلاً في المصادمة التي نشبت مع بلوك الفرسان.

البلاغ الرسمي:

في ٧ شباط سنة ٣١، الموافق ١٦ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ.

استأسرنا من العدوّ ١٩ أسيرا في محاربة البطنجة، ووجد بين أجساد القتلى ٣٧ ضابطاً قتيلاً، وقد طردنا أقسام العدوّ التي حاولت أن تتقرب إلى صفوفنا في الفلاحية، وتركت عند إندحارها ٣٢ قتيلاً.

برقية ابن اليزدي إلى أبيه بتاريخ: ٨/٦ شباط سنة ٣١:

وصلنا عصر الخميس في ١٣ ربيع الثاني إلى القراركاه، فسرّنا كثيراً ما شاهدنا من كرم أخلاق القائد العام المظفر خليل بك، وقد أبصرنا بعيوننا من قوّة الجند وكثرتهم وحسن انتظامهم ما أنعش الآمال، وأحيا الرجاء، وجعلنا على ثقة بلطفه تعالى في النصر الباهر.

محمّد نجل حجّة الإسلام الطباطبائي

في العدد ١٨٣ من(صدى الإسلام) برقيّة من الشهرستاني نصّها:

(في ثالث شباط بالعلم الحيدري الشريف مع الوفد العلمي النجفي زرنا معسكر الإسلام المحيط بالكوت، فشكرنا من صميم القلب شجاعة عسكرنا الأبطال، ومفاداتهم في استرجاع أراضينا المغصوبة، وبهمّة قائدهم الغيور البطل الجسور نادرة الأيام حضرة خليل بك القائد العام، وحقّاً نقول أن الهيئة العسكرية لم تكن حتّى اليوم في العراق بهذا الانتظام والترتيب، مستحضرة للقوى التمنعية حسب القانون الإلهي: ﴿وَأَعِدّوا لَهُمْ مَا إِسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ﴾، فالمنتظر سرعة محو الأعداء بعون الله تعالى).

أعمال المتغلّبين:

في منتصف ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، أقفل الملاّ شاكر الشهير أبواب القيصرية، قيصريّة الخيّاطين مدعياً أنها ملكه، وأن الأيدي التي تداولتها من عشرات السّنين تداولتها، فلم يعارضه أحد ووعده المستأجرون أن يراجعوه في الإجازة، وكذلك فعل قبل هذا عبد الله الرويشدي، فانتزع دارين في محلّة البراق من أيدي آل الشيخ زين العابدين الحائري، وانتزع الروازق دورا أخرى في شقّ المشراق.

تطور أحوال المتغلّبين في النجف:

إن أحوال أهل النجف تغيّرت على أثر تغلّبهم على العثمانيّين واستبدادهم بأمر البلدة وبعض أعمالها، ووضعهم الضرائب والطوق، وإحداثهم الوضائع واستيفاءها، وقد قلنا أن النجفيّين تغيّرت أزياؤهم ونبراتهم ولهجاتهم بمن نزح إليهم من سكان سواد العراق، وفي سواد العراق كثير من النجفيّين الّذين اختلطوا بأهله.

ومن العادات السّوادية التي اعتادوها تظاهرهم في المآتم والأعراس، وخروج الجموع مسلّحين معطعطين مطلقين للنيران، وقد اعتادت الآذان على صفير الرصاص، فلا يفزع له أحد إذ انه قلّما ينقضي يوم دون أن تطلق فيه مئات، وأحياناً ألوف من العيارات النارية لدواع مختلفة.

ومن العادات العربية التي اتخذوها تعويلهم على عقد المؤتمرات، وهم يسمّون المؤتمر (عمرة)، في نوادي الرؤساء إذا حدث ما يوجب ذلك فيقررون ثَمَّ ما يلزم، وقد عقدوا مؤتمرات كثيرة على أثر الاختلافات بينهم أو بينهم وبين طوائف الفرات، ومن عادتهم إذا انفض المؤتمر أن يتظاهروا ويطلقوا النار، فعلوا ذلك غير مرّة، ومن عاداتهم اتخاذهم المطابخ العامة ودور الضيافات على نحو ما عند أهل البادية، وكثيراً ما ائتمروا في دار خازن المشهد الغروي.

فتيان المتغلّبين وأنجادهم:

اشتهر جماعة في هذه الفترة بالنجدة والإقدام واطراح المبالاة منهم:

١ - كريم بن سعد، وهو ركن من أركان الفتيان المتغلّبين، وأوّل من أبدى صفحته للحكومة العثمانية، وهاجم الجنود العثمانية وله سوابق كثيرة.

٢ - كاظم الصبّي، وهو رأس عصابة معروفة كان في سقي الفرات، وله فعائل كثيرة من مهاجمات القرى والبلدان وقطع الطرق صيّرته من مشاهير أنجاد العراق، وقد استخدمه العثمانيون أخيراً إتقاء بوادره، وقد ورد النجف يوم الواقعة وهاجم الثكنة العسكرية فاستسلمت له، واشتهر أيضاً بالسّخاء والفتوّة، وله في النجف مضيف وهو مخزن الجنود العثمانية الّذي إحتله.

٣- تركي بن عطيّة، وهو من الفتيان الأنجاد، وممن تأبّى وتمنّع على العثمانيّين غير مرّة، وشغب عليهم كثيراً، واضطر إلى الجلاء طويلاً، وعاشر البدو، وسجن مع أبيه في بغداد، وأطلق في السنين الأخيرة.

٤- السيّد هادي الرفيعي، وفي أهله سدانة المشهد العلويّ، وكان أبوه السيّد موسى الرفيعي موسراً، وله ضيعة على الفرات أمام مشهد الكفل، غير أن السيّد هادي وضع يده في مال أبيه فأتلف أكثره، وقد أشتهر في وقائع جمّة، وعرف بالتهور والتسكّر، وهو مخشي البادرة وله نادٍ في البراق.

٥- عبد الله الرويشدي، من أنجاد الشمرت، وآل الرويشدي معروفون فيهم، وهو من أكبر مقاومي العثمانيّين، وله حراسة شقّ المشراق وعدّة من الأسواق، وقد احتل دور الخطيب.

٦- عباس عليّ الرماحي، وهو شيخ طائفة الرماحية في شقّ البراق، جرئ اليد واللّسان، وهو ممن يوادع العثمانيّين، وفي غرّة من يجيب دعوتهم، فعل ذلك أحياناً، وقد شهد معارك الشعيبة، وشهدتها أمه معه وهي من دواهي النّسوة تخاطب الرجال وتحضر الأندية، وله نادٍ عامر في البراق.

ومن قبيل استئثارهم أنهم اختصّوا بأخذ الضرائب والمكوس، ولم يخرج منهم للعثمانيّين شيء حتّى أن تفاريق المستخدمين في النجف والشرطة ترد من بغداد.

المتغلّبون في النجف:

وفي هذه الأيام تجددت الوحشة بين بني حسن وأهل مشهد من أجل الاستبداد بالمكوس، وصارت السّفن لا تصعد في الفرات إلاّ بخفير من طائفة إلى طائفة، وهي لا تنحدر إلاّ كذلك منذ مدّة، والخفير يستأجر.

في ١١ربيع الثاني أعلن النجفيون أنهم لا يلتزمون بما يصعد في الفرات، وتظاهروا على بني حسن وغير ذلك.

في يوم الأحد ١٦ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، نودي من قبل بعض المتغلّبين باتخاذ عامة الناس للسّلاح، فمن لا يجد يقتني ومن لا يقدر أن يقتني يقتني له ذووه وإلاّ

فيعاقَب، وقد بُلِّغ بذلك كثير من البيوت.

وزاد في هـذه الأيـام الاسـتهزاء بالانتـصارات العثمانيـة، ومزقـت الإعلانـات السلطانية التي تعلّق موقعة بتوقيع اليوزباشي(أمين أفندي) وكيل قائم قام، وكثر ارتياد النّاس للنجف للتجارة وللاحتماء بها من وجه الحكومة، وتم أخذ النجفيّين للضرائب التي أحدثوها ووضعوها على الصادرات والواردات في النجف وإليها مما لم يعهد له مثيل من قبل، وقد وضعوا على كلّ رزمة تدخل أو تخرج خمسة قروش صحيحة، وعلى الحمل ربع ذلك.

سوق السّلاح في النجف:

أقيم في عهد المتغلّبين سوق للسّلاح عظيم في النجف، تُجلب إليه البنادق الإنكليزية والألمانية مما حصل عليه العرب من الجيشين والمتحاربين، وكذلك أنواع كثيرة من البنادق حملتها إلى النجف القوافل النجدية، فكانت النجف تُقصد لابتياع السّلاح، وقد أقبل النّاس على ابتياعه على أثر إعلان المتغلّبين التسلّح العام.

الجيش الفراتي:

وفي يوم الأحد ١٦ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، فصلت من بغداد مقدمة الجيش الفراتي قاصدة الحلّة، وهي طابوران من الفرسان مع أربع مدافع كبيرة تسحبها الجواميس، وسوف ينفذ في أثرها الجيش الفراتي على أن تكون نقطة اجتماعية في الحلّة ومنها يوغل في ديار الفرات، وقد فصل من بغداد للالتحاق بجناح الفرات والغراف جماعة من أهل العلم في مقدمتهم السيّد عليّ التبريزي المعروف.

وفي يوم الاثنين ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٣٤هـ حمل النقلة من جهة الكوت جنائز جماعة من المجاهدين العرب إلى النجف، فيهم شيخ قبيلة المقاصيص جدّوع، وجماعة من عرب عفك من ربع مهدي الفاضل، وفيهم أيضا(سليمون) الكردي البطل المشهور في العراق، كان منذ مدّة في هذه الديار أحد الذعار وقطّاع الطرق الأنجاد المشهورين، وله مواقف ووقائع كثيرة، وقد تنسك وترك الشرّ أخيراً، وسكن البغيلة، ولمّا أعلنت الحرب تطوع في جملة المجاهدين، وحضر عدّة وقائع وأبلى هو وأولاده الّذين درّبهم وهم أطفال

على خوض غمرات الحرب بلاءً حسناً في الشعيبة، وقد استقبل نعشه جمع من النجفيّين إلى الكوفة وتظاهروا له وأطلقوا النيران ودفن في المشهد العلوي، والواقعة التي قتل فيها(سليمون) وقعت يوم ١٣ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ بين الطلائع.

وقد ظهر أن الإنكليز كبسوا من بني لام بين عليّ خان، وبيت عليّ الموسى في الغريبة، ودمروهم بنيران المدافع والبنادق، فقتل منهم خلق وأسروا طائفة من النّساء، تركوهن عندهم أيّاما كما فعلوا غير مرّة مع العرب المنابذين لهم طلباً للنكاية الشديدة فيهم بالتعرّض للأعراض، وقد ارتفع العرب بأهلهم من حدود الكوت إلى قرب عليّ الغربي، موغلين في الشرق في حدود الجبال، وعادت هذه الربوع بوراً لا زراعة فيها في هذا العام.

ذيول معركة البطنجة:

ورد عن هذه المعركة كتاب للشيخ محمّد الطليحاوي من أبيه الشيخ حسن من خفاجة، إليك ما فيه بعد إصلاحه:

وبعد فأما إخوتك فسالمون إلاّ إبن أخنف استشهد، قتلى الإنكليز ألفان ودحروه(طيروه) من حجرة السّالم إلى الناصرية واغتنموا ٢٠٠٠ بندقية غير الأرزاق والخيل التي أخذها من الإنكليز خفاجة والعبوده وبنو زيد وآل إزيرج الّذين على سكّة الناصرية، وهذه هي المعركة الثانية في ٣ ربيع الثاني، قتلى الشيعة فيها مائتان، وأخذنا منهم ٢٠٠ أسيراً سلّمناهم للحكومة فسرّت بهذا الفعل، ثم حوصر الإنكليز بالناصرية في استحكاماته.

الإمضاء

حسن آل عويد

كتاب ثان عنها:

من فهد آل مدوح إلى الشيخ محمّد الزيادي إليك ما فيه بعد إصلاحه:

من طرف معركة الكافر الثانية أول سبب فيها الزيادات وآل شاطي، أخذناه من قلعة السّالم للمركز خفاجة وآل إزيرج، قتلاه ألفان وأسراه ٤٠٠ والبنادق ما لها عدد وكذلك الخيل، جرحانا(الزيادات) ١٧ وهم جيدون. أبوك بيوم المعركة ضرر بخيل الفرسان، سيّد عليّ وفهد هجما على المدفع.

وفي يوم ١٨ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، تقدمت طليعة من فرسان الإنكليز من النّاصرية إلى ربوع آل أزيرج فواقعها القوم وطاردوها من آل أبي حميرة إلى الناصرية، وعلى أثر ذلك طلب آل أزيرج من خفاجة والعبودة النّزول معهم ومقاربة النّاصرية، فتقدّمت خفاجة بفساطيطها(كوانيع) إلى البطنجة حيث معسكر آل أزيرج، وتقدّمت العبودة بفساطيطها إليهم، أما بني ركاب والشويلات وقراغول فسينزلون السّويق.

جسر بغداد:

وفي يوم الثلاثاء ١٨ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، نصب جسر بغداد الجديد الّذي بدأ العمل به منذ شهور، وكلّف ٢٨٠٠ ليرة، وذلك بعد أن بقيت بغداد بلا جسر نحو سنة.

كان مجموع ما نشرته الصحف البغدادية إلى منتصف ربيع الأول سنة ٣٤هـ، من تبرعات البغداديّين إلى الهلال الأحمر ١٣٠٠٠ ليرة، وقد اكتتب جماعة من سراة بغداد بمشاهرة تبلغ نحو ألف ليرة يقومون بتسديدها ما دامت الحرب لجمعية الهلال الأحمر.

وفي يوم الخميس ٢٠ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، وردت برقيات إلى النجف من العلماء وأولاد المجتهدين يصفون ما لاقوه من العناية والحفاوة، ويشكرون فيها القائد العام خليل بك، ويعجبون بقوّة بأس الجنود العثمانيون واجتهادها في المرابطة، ويشير بعضهم إلى قرب تسليم الكوت.

وفي يوم الجمعة ٢١ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، وردت مقدمة الجيش الفراتي إلى الحلّة فاستقبلها الأهلون.

وفي يوم ٢٣ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ وردت برقيات من العلماء الموجودين في المعسكر العام تعرب عن انهم غادروه بطلب من القائد العام، بعض عائداً إلى الكاظمية وآخرون إلى جهة المتفق والغراف، وفيه وردت كتب من بعضهم تاريخها ١٩، يظهر منها نشوب حرب يوم ١٧ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، وقد دامت ولكن إمارات النّصر مع العثمانيّين.

وفي يوم ٢٥ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، وردت الباخرة(حميدية) تقلّ طائفة من العلماء النجفيّين الّذين زادوا المعسكر العام.

وفي يوم الخميس ٢٧ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، وردت برقية من القائد العام ووالي

بغداد خليل بك إلى اليزدي فيها شكر مساعي العلماء، وتمنّيه أن يقتدي بهم سائر النجفيّين، فان الوقت وقت تقدّر فيه الأعمال.

وفي يوم السبت ٢٩ ربيع الثاني، إنحدر السيّد عليّ التبريزي وجماعة من أهل العلم إلى الفرات داعياً للعشائر في الفرات والغراف.

وفي أواخر ربيع الثاني سنة ٣٤هـ اضطربت بغداد ونواحيها على أثر انسحاب العثمانيّين والألمان من كرمنشاه، وتقدّم الروس إلى التخوم العثمانية، شاع ذلك في العراق، وسقطت على أثر ذلك قيمة الأوراق المالية العثمانية في بغداد، وامتنع الصيارفة من أخذها حتّى نشر غولج باشا بياناً يطمئن فيه الصيارفة، ويرفع عنهم التكليف بقبولها على كلّ حال، وكان انسحاب العثمانيّين وتقدّم الروس إلى كرمنشاه في ١٥ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ أو نحو ذلك.

وفي يوم الأحد سلخ ربيع الثاني سنة ٣٤هـ، دعا السيّد اليزدي زعماء المتغلّبين، فاجتمعوا متظاهرين في المدرسة الكبيرة، وتلا خازن المشهد عليهم برقية القائد العام، ثم تكلّم اليزدي وألزمهم بإعادة ما للحكومة العثمانية إليها، ووعدهم إن هم فعلوا ذلك يجلب العفو العام عن القوم.

منادي المتغلّبين:

في يوم الاثنين ١ ج الأولى سنة ٣٤هـ، نادى المنادي من قبل مشايخ المتغلّبين في النجف بترك التعرّض للعثمانيّين والطعن فيهم، ومن فعل ذلك سيق إلى بغداد.

الحروب العظيمة:

وفي يوم ٨ جمادى الأولى سنة ٣٤هـ، ورد النقلة من ناحية الكوت، ووردت الكتب أيضاً بوقوع الحروب العظيمة التي هاجم فيها الإنكليز مواقع العثمانيّين لرفع الحصار عن الكوت، وقد فشلوا واندحروا تاركين أسرى وقتلى وغنائم كثيرة، وأخبروا عن شهادة محمّد فاضل باشا الطاغستاني الفريق الشهير وقائد المجاهدين في العراق.

معركة أول جمادى الأولى:

تحقق أن الإنكليز هجموا بقوّة عظيمة جداً في هذه الحروب، وكان هجومهم أولاً على الفلاحية في ضفة دجلة الشرقية، فلم يعملوا شيئاً ثم عبروا إلى الجهة الغربية وبيّتوا المجاهدين، وأطلّوا عليهم عند الفجر وضايقوهم مفاجئين لهم بإطلاق النار،

فجفل العرب وطاردهم الإنكليز على ما يقال حتّى أوردوهم الغراف، وهمز خلق من مجاهدي العرب جيادهم فخاضوا النهر وغرق جماعة بخيلهم، ثم نازلهم الأتراك ونشبت الحرب بين الفريقين ٧ ساعات، إنهزم في نتيجتها الإنكليز تاركين ألوفاً من القتلى قدروا بخمسة آلاف وأكثر، ومن الغنائم شيئاً عظيماً.

وتوفي في جملة المجاهدين محمّد فاضل باشا، اعتلى متن فرسه تثبيتاً للخاملين من المجاهدين، وأخطأت رجله الركاب فسقط ميّتاً، وقيل أنه كان شاكياً فلما دهمهم العدوّ وانكشف أصحابه اخذ يلطم رأسه غيرة حتّى توفي بعارض نوازل.

السيّد محمّد اليزدي:

في يوم الجمعة ١٢ جمادى الأولى سنة ٣٤هـ، توفي السيّد محمّد إبن السيّد كاظم اليزدي في الكاظمين بالمحرقة، وقد مرض ١١ يوماً، وحمل إلى النجف ودفن يوم الأحد ١٤ جمادى في الإيوان الكبير بظهر جامع عمران.

وكان سفير أبيه ومعتمده ولسانه في كثير من الوقائع، وقد أخرجه إلى الأهواز سنة ١٣٣٣هـ، وإلى بغداد والكوت سنة ١٣٣٤هـ، داعياً عرب العراق إلى الدفاع. وكان عارفاً بآداب العربية يخطب فيها، وقد نال وسام مكافأة على دعوته وحسن مساعيه في الأهواز، فهو أفضل ولد اليزدي، وقد اقتنى خزانة كتب حسنة وله تآليف.

وفي يوم الجمعة ١٢ جمادى الأولى سنة ٣٤هـ، وصل إلى النجف فلّ المجاهدين الفرس الّذين فرّوا إلى العراق على أثر تقدّم الروس، منهم: السيّد محمّد إبن السيّد صادق الشهير، وابن الميرزا حبيب الله الشيرازي، وقد دخل بغداد منهم كثير ذلك ما توفر.

وقد ورد أيضاً جماعة من الجنود الفرس المجاهدين وضباطهم إلى النجف في منتصف ج الأولى سنة ٣٤هـ، ثم من بعد ذلك، وفيهم جماعة من الأكراد، ومن جملة الواردين ملاّ حسين الكاشي الفاتك الفارسي الشهير وولده.

النجفيون وبنو حسن:

في أوائل جمادى الأولى سنة ٣٤هـ، تجددت الوحشة بين أهل النجف وبين عشائر الكوفة من بني حسن المطالبين بردّ بلد الجسر إليهم، وفي ٢ جمادى الأولى بلغ

النجفيّين استنفار الشيخ علوان رئيس بني حسن لمن حول الجسر ودعوتهم للهجوم عليه واستخلاصه من أيدي النجفيّين، فهاج المتغلّبون في النجف وماجوا وتظاهروا وأخذوا مسالحهم بين النجف والكوفة.

وفي يوم الأربعاء ٣ جمادى الأولى سنة ٣٤هـ، تقدّمت جموع النجفيّين من الأحياء الأربعة إلى الكوفة لنجدة من فيها، وأخرجوا كثيراً من بنادق الذخيرة والقراطيس، وخرجوا باستظهار واستعداد عظيم، وقد أنهوهم أكثر من ثلاثة آلاف رام، أما بنو حسن فكانوا قد عبروا الفرات بقدمين، وقد ملكوا مسجد السّهلة وجماعة العجم والمقالع والأنقاض بين المسجدين، والنجفيّون في نفس الجسر، وفي مسجد الكوفة، وفي المخافر بين النجف والكوفة.

وفي عصر هذا اليوم السّاعة ١١ تعاطوا إطلاق النار، وجرح أحد أفراد الدرك ممن خرجوا مع النجفيّين مجاراة لهم وانقطع الطريق، وقد قام النجفيّون المتخلفون على حراسة السّور من جميع جهاته، ومنعوا النّاس من الخروج وذلك في ليلة الخميس ٤ ج الأولى سنة ١٣٣٤ هـ، وكان لهم دوي وجلبة عظيمة على الأبراج، وفي هذه اللّيلة، وردت بعض الإمداد إلى النجف من الجعارة.

وقد اشتدّت الحرب بين الطرفين في الكوفة، وتقدم بنو حسن وتكاثروا، ومنهم آل أبي حدارى، وآل مواش، وآل دهيم، وآل أبي نعمان، وآل عزيب، والحواتم، وهجموا هجوماً كبيراً وأوغلوا في نهر الهندية وبستان آل شمسة، وتقدّموا فيه هاجمين حتّى قاربوا السّوق، فدافعهم النجفيّون دفاعاً شديداً، وقتلوا منهم مقتلةً.

دام ذلك إلى عشية الجمعة، فكشفوهم عن مواقعهم التي احتلوها، وتقهقر بنو حسن تاركين عدداً، من جثث قتلاهم عدا من تمكّنوا من نقله، ونشبت الحرب إلى ضحوة يوم الخميس ٤ جمادى الأولى سنة ٣٤هـ، ونقل في صباح هذا اليوم إلى الظهر نحو ١٥ بين قتيل وجريح، حملوهم إلى النجف، وفي عداد القتلى محمود بن محمّد مطر العكاشي، وحمزة سدر، ومطرود المعمار، وأحد آل أبي عامر، ومن الجرحى: حسن شبادة، والسيّد عيسى رعد، والسيّد حساني جريو، وهادي بن حسن الأعسم، وعزيز الأعسم.

وفي هذا اليوم ورد مدد من الجعارة، وفيه أخرج النجفيّون أحد المدافع القديمة الموجودة في الثكنة العسكرية، عملوا له عجلات وجربوه خارج البلدة، ولمّا شاهد بنو حسن شدّة نكاية أهل النجف فيهم طلبوا الهدنة إلى ثلاثة أيام فلم يجبهم النجفيّون، ودام تعاطي إطلاق النار بعد ظهر هذا اليوم بخفّة، واستعمل النجفيّون المدفع القديم فأطلقوه على موقع للعشائر في ضفة الجسر الشرقية يعرف بقصر آغا مهدي، وبقيت تتوافى الإمداد للنجفيّين من البحر والجعارة والمحاجير طول الخميس ٤ج الأولى.

وبالجملة تبيّن في هذا اليوم ظهور النجفيّين في هذه الحرب على العشائر المتقدمة، وهي العشائر التي يطلق عليها جميعاً(الجراح) وشيخهم لفتة آل شمخي، وودّ أي.

ومما فعله النجفيّون مما يعدّ من قبيل الانتصار لهم استيلاؤهم على القريشيات وصرفهم جماعتهم ونهب متاعهم لأنهم تظاهروا لبني حسن، وكذلك قصدوا جماعة العجم ومن فيها من(البلوش) فقتلوا أحد أعيانهم وخضعوا لهم، فعل ذلك كاظم الصبّي الّذي حمدت مواقفه هذه المرّة.

وقد غادر بنو حسن المهاجمون جهات الكوفة منكوبين، وعبرت جموعهم إلى الجانب الشرقي من الفرات، ودعا رؤسائهم خازن المشهد فذهب وذهب معه قائم قام النجف بهجت أفندي وقائد الدرك أمين أفندي، واجتمعوا في قصر آل الخازن على الفرات بالتاجية للمذاكرة.

وفي ليلة الجمعة ٥ جمادى الأولى سنة ٣٤هـ، قام النجفيّون أيضاً على حراسة السّور، في يوم الجمعة بطل تعاطي النار الشديد، لأن بني حسن قد عبروا كما تقدّم غير أن الإمداد ظلّت تتوافى إلى النجف هذا اليوم، ولا تبقى إلاّ ريثما تتظاهر وتتناول ما يسدّ الرمق، فتذهب إلى الكوفة، وقد وردت بعد الظهر هذا اليوم يوم الجمعة ثمانية أعلام لأهل النخل والحيرة، عقيدهم السيّد هادي زوين، وتظاهروا مظاهرة عظيمة هزّت البلدة في رحبة دار الحكومة في النجف، وكانت لهم هيئة.

وقد تاه النجفيّون بظفرهم هذا، وحدّثوا أنفسهم بقصد أعدائهم وغزوهم في عقر دارهم لاسيّما بعد أن رأوا كثرة إمدادهم، فقد بقيت تتوارد كلّ يوم الجمعة، وهزيعاً من

ليلة السبت، وقد بلغت الجموع الواردة من الشامية والمشخاب والخرم والجعارة وغيرها نحو ٤٠ جمعاً معقوداً عليها مثلها من الأعلام، وحزر الرماة الموجودة في الكوفة من النجفيّين وأحلافهم بأربعة آلاف أو يزيدون، هذا إلى يوم الجمعة.

وفي عصر هذا اليوم خرج السيّد كاظم اليزدي، ومعه السيّد نور السيّد عزيز، وجماعة إلى الجسر بطلب من بعض التجار، وفي صباح يوم السبت إلى ما بعد الظهر تواردت جموع كثيرة من الأمداد منهم اللّهيبات في خمسة أعلام، هذا والمناوشة الخفيفة بين بعض المخافر والمواقع بين الطرفين بقيت جارية إلى عصر هذا اليوم.

وقد شرع النجفيّون المحاربون بعد نشوب الحرب وموافاة الأمداد باستيفاء المعاون والضرائب من تجار النجف وملاّكها، وباعتها لسدّ نفقات الحرب، وشعر النّاس بثقل وطأتهم من ذلك، وقد أُحصيت الأعلام فكانت ١٢٠ علماً، وقدّر عدد الرماة من النجفيّين وأحلافهم إلى يوم الأحد ٧ جمادى الأولى سنة ٣٤هـ، بـ ٥٠٠٠، وقد استعرضوا هذا اليوم في ظهر الكوفة، واختلف الرواة في قتلى بني حسن، فأنهاهم بعض إلى العشرات، والمحقق أنهم ١٤ قتيلاً عدا الجرحى وهم كثيرون، وقد اغتنم النجفيّون ثلاثة أعلام من بني حسن، وعبر إلى الجانب الشرقي من الفرات من كانت إقامتهم في الجانب الغربي خوفاً من النجفيّين، وهربوا أمتعتهم وأزوادهم من فرات الكوفة إلى العباسيات.

وعلم أن القائمين بالهجوم على الجسر من بني حسن هم أهل(الثلث) أي من تجمعهم كلمة(الجراح) لأن بني حسن ثلاثة أثلاث، وفي يوم الأحد هذا تذوكر بالصلح في الجسر وأصر عليه اليزدي، كتب بذلك كتاباً إلى علوان الحاج سعدون عقيد عامة بني حسن، وتقدّم إلى النجفيّين بالاقتياد لبني حسن متبرعاً ببعض الدية.

وفي يوم الاثنين ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٣٤هـ ورد الكوفة على النجفيّين مرزوق العواد رئيس العوابد بطائفة من قومه، وهو من بني حسن المنشقين على(علوان)، ومجيئه ظهراً للنجفيّين من الأمور المهمّة، غير أنه أشار عليهم بالصلح. هذا والمناوشة والمنابثة دائمة إلى هذا اليوم، وقد قتل وجرح فيها جماعة من الأبرياء

نساءً ورجالاً وأطفالاً، ويقال أن مجموع من جرح وقتل من النجف والجسر في تقرير المدعي العام ٢١ إلى هذا اليوم، أما قتلى بني حسن فقد تأكد أنهم ١٤، وجرحاهم ٢٥. وقد بالغ النّاس في جمعية النجفيّين وأعوانهم في الكوفة، فقالوا أنها ١٠٠٠٠ أو أكثر، وقد هيئت لهم المطابخ العامة في مسجدي السّهلة والكوفة والخان الكبير، وفي كثير من دور الجسر والخانات فيه، وقيل أن المطبوخ برسمهم من الأرز تناران في اليوم عدا التمر واللّحم وغير ذلك، ولم يعهد في تاريخ النجفيّين مثل هذا الاجتماع الكثيف، ولا استجاب لهم من قبل هؤلاء الناس.

وفي يوم الثلاثاء ٩ جمادى الأولى سنة ٣٤هـ، وردت خمسة أو ستّة جموع من الرماحية إلى النجف، وفي صباح هذا اليوم عبرت جموع من بني حسن إلى الجانب الغربي من الفرات للمرّة الثانية، وفيه عاد السيّد اليزدي من الجسر بلا أن يعقد صلحاً، فعاد إليه أهل الجسر وحملوه على الذهاب إلى الجسر، وفيه وصل علوان الحاج سعدون وأقام في الجانب الشرقي من الكوفة.

وفي هذا اليوم قتلت إمرأة في الجسر، وفي السّاعة ١٠ من هذا اليوم عادت فنشّبت الحرب بين أهل النجف وبني حسن الّذين عبروا من جديد، وذلك في جهة السّهلة، ودام تعاطي إطلاق النار بشدّة إلى العشيّة وفيها انتهى، واضطربت النجف أشدّ الاضطراب، وتجمهر الناس على العادة خارج البلدة، وقام النجفيّون في ليلة الأربعاء على السّور، وفي الساعة ٤ من هذه اللّيلة جيء بعدّة قتلى وجرحى إلى النجف من الواقعة الأخيرة، وانكشف أن قتلى أهل النجف وجرحاهم نحو ١١، ومن جملة القتلى: حسون بن علوان الدعومي وآخر من الدعوم، وثالث من اللّهيبات وجرحى منهم، ومن القتلى إبن لطف آغا من أهل الجعارة، ومن الجرحى أحد آل الشمس في النجف وغير هؤلاء، وجرحى بني حسن إثنان في هذه الواقعة من الحواتم. هذا وقد كتب علوان عقيد بني حسن إلى اليزدي بأن حدود بني حسن التي يطالبون بها إلى (الكرى) فيدخل الجسر والكوفة في ربوعهم، وذلك في يوم الثلاثاء ٩ جمادى الأولى سنة ٣٤هـ.

وفي يوم الأربعاء ١٠ جمادى الأولى، كثرت مغادرة أهل الجسر لجسرهم بأمتعتهم خوفاً من النهب، غادروه إلى النجف، وفي هذا اليوم جرت المذاكرة بالصلح في التاجية بين مندوبي المشاهدة، وهم خازن المشهد السيّد محمّد حسن والسيّد نور وغيرهما، عبروا إلى التاجية لمشاهدة علوان.

وفي صبيحة الخميس ١١ جمادى الأولى، تم الصلح بين بني حسن وبين المشاهدة، واستوثق كلّ فريق من الآخر على صيانة الطرق، وعلى أن يكون عايد الجسر والكوفة وما يرتفع فيها من المال مناصفة بين الفرقين، ويقيم في الجسر قيّمان من قبلهما يتسلّمان العايدات، وعلى أن يكون القتلى قتيلاً بقتيل قصاصاً والزائد يقاد له ويودى.

وفي ضحى هذا اليوم غادرت الجسر الجموع التي فيه من النجفيّين وأحلافهم ووصلت إلى النجف منها ٦٢ راية معدودة متظاهرين يطلقون النار، حتّى دخلوا إلى المشهد على الترتيب، وهم من أهل القصور والجعارة وأعمالها والشامية، هذا عدا الرايات التي فصلت إلى ربوعها من الكوفة، ثم انكشف تغلّب علوان وبني حسن على الجسر وما فيه ومن فيه كأن لم تكن الشروط الماضية، ولعلّها لم تكن في الحقيقة.

قتلى بني حسن وجرحاهم:

تحقق أن قتلى بني حسن في الواقعة المتقدّمة ١٩، أكثرهم من آل مواش، وأما جرحاهم فأكثر من ذلك، وفي القتلى إثنان من أولاد الزعماء، وهما: عبد الكريم إبن شيخ وآخر.

عباس الحاج طينة:

وفي ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٣٤هـ، توفي عباس الحاج طينة، من زعماء الجسر ورؤساء ألبو عامر وحلفاء بني حسن، وحمل إلى النجف وشيّعه المسلحون وتظاهروا وأطلقوا النار بجموع كثيرة في المشهد.

وفي يوم الجمعة ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٣٤هـ، واقع آل أبي حميرة وآل أبي ناصر فئة من فرسان الإنكليز في (الفوزية) بظهر الناصرية، فقتلوا منهم وأضطروهم إلى الانهزام، وفي هذه الأيام عسكر أكثر خفاجة وبني زيد وآل أبي سعد والعبودة في البطنجة على أن تلتحق بهم بقيّة القبائل.

وفي يوم ٢٣ جمادى الأولى سنة ٣٤هـ، أبحر موتور إنكليزي من الناصرية إلى البصرة يقلّ بعض مشايخ عشائر المجرة، فاضطربت أحوال تلك العشائر وشرعوا في المؤامرات، وفي يوم ٢٥ أطلق من موطور ٢٥ قذيفة على عشيرة العساكرة، غير متمكن من إخراج جندٍ إلى الخارج.

وقد جاء غير كتاب من جهة الغراف والمجرة، فيه: أن قتلى الإنكليز في معركة(البطنجة) ألفا نسمة، وقد نقلوا من الجرحى ما يملأ ١٤ بلماً إلى البصرة.

وفي منتصف جمادى الأولى ورد العراق ابن الرشيد مع عدد كبير من قومه ورجاله، وفي أواخر هذا الشهر جاءت الأخبار بأنه ورد الخميسية للإمتياز، وأنه يريد غزو أعراض البصرة. وفيه انتقل عجمي من العين وحطّ قبالة الناصرية على ٦ ساعات منها، وفيه انسحب الروس إلى كرمانشاه.

وفي ٣ ج الثانية و٤و٥و٦و٧ وقعت ونشبت الحروب الطاحنة شرقي الكوت في جهة الفلاحية، وكان الهجوم من الإنكليز، وقد صدّوا في كلّ هجماتهم وأسقطت لهم طيّارتان، وأصيبت حرّاقة حربية، وقد انكشفت هذه الحرب عن ترك الإنكليز ٥٠٠٠ نسمة قتلى عدا الجرحى، وهم ضعفا هذا العدد، وأخذ العثمانيون منهم أسرى في جملتهم ضابط.

حروب دجلة:

إن حرب دجلة المتقدّمة نشبت من يوم ٢٤ مارت سنة ١٣٣٢ [مارتية]، بجهة السن وشرقيه، والمدحي والفلاحية، واستقامت خمسة أيام لا تفتر مدافعها.

وبالجملة أول الحرب يوم ٢٤ وآخرها ٢٩ منه، وقد غرق فيها موطور للعدوّ واغتنمت منه كثير من البنادق والذخائر، وقد ترك ١٥ ألفاً بين قتيل وجريح.

وفي يوم ٤ ج الأخرى سنة ٣٤هـ، تقدم موطوران للإنكليز من جهة الحمّار، وقابلا(بدر الرميض) فأطلقا عليه ٤٢ قذيفة لم تؤثر إلا في جدار قلعة لهم، فترفّع هو وقومه عن داره تلك، وصمموا على مقاومة جيش الإنكليز إن جاءهم، ويقولون إنه يريد أن ينفذ من طريق بدر إلى الغراف.

وقعة ٢٤ مارت:

هي الواقعة ١٢ التي نشبت بعد حصار الكوت، وقد انجلت على ما في كتب الغراف عن ٥٠٠٠ قتيل من الإنكليز، وعن عشرات من الأسرى، وهم ثمانون فيهم كثير من البيض، وعن غرق باخرة كبيرة قرب جنديل، وعن إسقاط طيّارتين، وعن اغتنام أسلحة كثيرة بحيث سمع من مشاهد أنها مائة وخمسون حمل بندقية، وأما الخراطيش فقناطير مقنطرة.

الحرب دائمة:

وفي ١١ ج الثانية سنة ٣٤هـ، عاد الناس إلى سماع أصوات المدافع في جهة الكوت، مما يدل على نشوب حرب ثانية، وفي الأخبار أنه نشبت حرب عظيمة، ثم وردت البرقيات بأن العدوّ هجم في ٤ نيسان بخمس كتائب (آلايات) على مواضع العثمانيّين في الفلاحية، وبعد حرب دامت مدّة ردّ على الأعقاب تاركاً ألفي قتيل وضعفهم جرحى.

وفي ٥ نيسان كرر هجومه بثلاث كتائب، فانكسر وأخذ العثمانيون من الإنكليز ١٠٠٠ أسير و١٣ رشاشاً، ولم تتفق أخت هذه النتيجة في حرب من الحروب مرّة واحدة للعثمانيّين.

غولج باشا:

في ١٦ جمادى الثانية بعد الظهر، مات غولج في بغداد بذات الرئة التي لزمته ١٠ أيام، ودفن في الثكنة العسكرية وأبّنه الضباط العثمانيون والألمان.

وفي يوم ١٤ ج الأخرى سنة ٣٤هـ، تواقع الحميدات ما بينهم، وسقط بينهم عشرات من القتلى والجرحى، وجيء بالأولين إلى النجف وهم ١٧، وكذلك تواقع آل إبراهيم ما بينهم، وجيء بقتلاهم إلى النجف.

وفي يوم الثلاثاء ١٥ ج الثانية سنة ٣٤هـ، ورد النجف خيون آل عبيد عميد العبودة وقائم مقام قضاء الشطرة، مارّاً بالحلّة فكربلاء ومعه سرية من فرسان قومه، وقد أصحبه العثمانيون بعشرة نفرٍ من الدرك، وفي الاثنين ٢١ عاد بعد أن احتفل به النجفيّون ورفعوا منه وفُعِل له ما لم يُفعل لأميرٍ أو كبيرٍ من قبل.

وفي يوم الخميس ١٧ ج الثانية سنة ٣٤هـ تناوش آل جميل من بني حسن مع أهل كربلاء وقتل جماعة، وفي هذا اليوم نشبت الحرب بين اليسار وآل فتلة في المهناوية نزاعاً على الأرض.

فتنة كربلاء:

وقد عظمت فتنة كربلاء التي بدأت يوم الخميس ١٧ بقيت إلى الاثنين، ونشبت الحرب بين المقيمين في كربلاء وبين العرب من أهلها، (وهم اتباع آل كمونة) فصار أفراد الدرك من جهة وأهل كربلاء معهم بعض عشائرهم من آل مسعود وغيرهم في الجهة الأخرى.

وذلك أن قائد الدرك رآهم متظاهرين يطلقون النار، فطلب من عميدهم فخري الحاج مهدي كمونة منعهم وأخذ أسلحتهم فلم يفعل، وخرج فأمر الدرك بإطلاق النار عليه ففعلوا ذلك وفعل جماعته مثل ذلك، وقُتل جماعة من الفرقين، قيل ثلاثون وقيل أكثر، وسخّر الثائرون مخفراً أسروا من فيه من الجند وقتلوا بعضهم، وانقطع الطريق بين كربلاء والنجف كما انقطع في فتنة النجفيّين وبني حسن.

وفي هذه الأيام كانت جموع أهل الهندية ترصد بعضها بعضاً، وفتنت الحلّة، وتألّب أهل الشامية بعضهم على بعض، كآل إبراهيم وآل فتلة وآل شبل والغزالات وأهل النخل، وما زالوا متظاهرين وانقطعت السّبل وعما الخوف والقلق.

واقعة كربلاء:

قتل فيها من الكربلائيّين أربعون، ومن الجند ثمانية ومثلهم جرحى، ثقيلة جراحهم، ثم وردت المسيب نجدة إلى الجند من بغداد فرضخ القوم لحكومة كربلاء وأصطلحوا على ما قيل.

حروب نيسان سنة ٣٢ عن البلاغات الرسمية:

٤ نيسان:

في صباح يوم ٤نيسان تعرّض العدوّ بمواضعنا المتقدمة بخمسة ألوية، وفي بادئ الأمر أشغل قسماً من المواضع المذكورة، ثم قويّنا في الحال قطعاتنا، وتعرّضنا تعرّضاً مقابلاً دام ٨ ساعات رغماً عن ألوف نيران مدفعية العدوّ بحراً وبراً، فتقدمت جيوشنا

وطردت العدوّ بالسّلاح الأبيض والقذائف، ففر إلى وراء واغتنمنا منه كثيراً من الأسلحة، و١٣ رشاشة، وقد ترك العدوّ في خنادقنا فقط وأمامها أكثر من ألفي قتيل فضايعاته بين مقتول ومجروح خمسة أو ستّة آلاف.

٦ نيسان:

وفي صباح اليوم ٦ من نيسان تعرّض العدوّ بثلاثة ألوية ليستخلص ما أشغلناه أولاً من خنادق (بيت عيسى) فطردناهم، وتركوا قتلى كثيرةً واغتنمنا منهم رشاشة، وعلى هذا ففي مدّة يومين حصلت بأيدينا من العدوّ ١٦ رشاشة.

٩ نيسان:

هجم العدوّ هذا الصباح على الفلاحية بأربعة ألوية بعد أن أطلق استحضاراً للهجوم من البرّ والنهر ٤٠٠٠٠ قنبلة، غير أن جيوشنا كانت تنتظر مكافحته بالسّلاح الأبيض، وحين قربت مشاة العدو، إلى موضعنا نازلنها جيوشنا فلم يرجع نفر واحد من العدوّ صحيحا إلى الوراء، أحصينا أمام خنادقنا فقط ١٥٠٠ قتيل، وضايعاته العمومية أكثر من ثلاثة آلاف، طلب العدوّ الهدنة لجمع القتلى فأعطي ذلك، ضايعاتنا نسبة إلى ضايعات العدوّ قليلة.

١٢ نيسان:

أراد العدوّ في جبهة الفلاحية أن يستفيد من ظلمة اللّيل فهرّب مركباً مشحوناً بالميرة إلى كوت الإمارة، وقد أطلقنا عليه نيران المدافع والبنادق حين مرّ من خطّ دفاعنا، فاضطررناه إلى الوقوف بعد فقد ربّانه وطائفة من نوتيته، وقد اغتنمنا هذا المركب واسمه (جولناري) مع حمولته، وهي ٢٠٠ طن من الأرزاق المتنوعة، وأسرنا بقيّة نوتيته، وفي المركب أيضا كم رشاش، وستستعمل بعد جزوى من التعمير.

والظاهر أن هذه الحرب قد بدأت يوم ١٥ ج الثانية سنة ٣٤هـ، وهو الموافق ٤ نيسان.

تسخير الكوت:

سخّرت الجيوش العثمانية الكوت في السّاعة ٩ من يوم الخميس ٢٤ جمادى الآخرة سنة ٣٤هـ، بعد حصار دام خمسة أشهر تماماً، لأن حصاره بدأ في يوم ٢٠

محرّم هذه السّنة، وبعد أن جرّد الإنكليز إمداداً عظيمة لانجاد المحصورين من بني جلدتهم فيه، وقد نشبت حروب طاحنة، وحملوا على العثمانيّين أكثر من ١٢ مرّة حملات منكرة صغيرة وكبيرة، قتل وجرح فيها عشرات الألوف منهم فما أغنوا فتيلاً، وقد أسر العثمانيون جميع الجنود المحصورة وهي ألوف، واغتنموا من المدافع والرشاشات والبنادق مقداراً جليلاً في الجلالة، وقد أنيرت مدن العراق وتظاهر الأهلون لهذا الظهور العظيم.

تسليم كوت الإمارة:

البلاغ الرسمي الّذي نشر في بغداد يوم السبت ٢٦ ج الثانية سنة ٣٤هـ:

بعون عناية الحقّ والباري توفقنا إلى إسقاط كوت الامارة بعد حصار دام ٤ أشهر و٢٣ يوماً، ففي تشرين الثاني الماضي كنّا أجبرنا في حرب سلمان باك جيش الجنرال طاونسند على الرجعة، وبواسطة التعقيبات السّريعة التي أجريناها عليه أجبرناه إلى حرب أخرى في جوار العزيزية، وبعد ذلك اضطر للالتجاء إلى كوت الامارة المستحكم مع جيشه البالغ عشرين ألف جندياً، وقد أرسلت حكومة إنكلترا جيشا سيّاراً لرفع الحصار وقوّته على التمادي، فجرت بينه وبين جيشنا المنصور سبع حروب كبرى ميدانية، دام بعضها أيّاماً وكثير من الحروب الصغيرة، وفي جميعها كان النصر حليف السيّف العثماني القاطع، وبمهاجمات كثيرة نقص عدد جيش طاونسند المحصور من عشرين ألفاً إلى ١٣٣٠٠ فنحن الآن نعيش في هذا اليوم المسعود، حيث سلّم فيه هؤلاء كأُسراء حرب.

وكيل قائد الجيش السّادس

المير لواء خليل

حصار كوت الامارة:

عن مقال لأحد الضباط الأطباء في العراق مختصراً:

(في ٢٣ تشرين الثاني أقمنا الحصار على الجيش الإنكليزي الراجع إلى كوت الامارة بعد انهزامه في سلمان باك، ولكي يجعل الجنرال طاونسند انكلترة ذات علاقة بأمور العراق، ولكي يرتفع الحصار أرسلت حكومة إنكلترا في ثلاث دفعات نحو مائة

ألف جندياً تحت قيادة الجنرال (نيكسون) والجنرال(أيلمر) والجنرال (مون) ومنذ ٢٣ كانون الأول إلى ٩ نيسان وقعت سبع حروب كبرى وكثير من الحروب الصغيرة في مواقع وروابي (شيخ سعد) و(وادي كَلال) و(زمزير) و(بيت عيسى) و(أبتر) و(سابس) و(الفلاحية) فكانت النتيجة فيها أن انهزم العدوّ مخذولاً تاركاً ٣٢ ألف قتيل، فاضطر الإنكليز المحصورون في الكوت وهم ١٣٥٠٠ جندي إلى التسليم، غير أن تاريخ حرب حصار كوت الامارة هو شيء لم يسبق له مثيل، لأنه لم يكن اصلاء الكوت ممكناً لوجود الأهلين المنسوبين إلى المحاصرين، وعلى الرغم من شدّة نيران مدفعية الجيوش القادمة لإنقاذ المحصورين التي لم يشاهد مثلها من قبل، وعلى الرغم من حرب أربعة ملايين ونصف مليون(ايشرلين) أصيب الإنكليز من هزيمة إلى أخرى، واضطر المحصورون إلى التسليم من الجوع، . ويمكن القول أن عدم موفقية الإنكليز في الكوت هي فاتحة اندراس الفخفخة(الإنكليزية).

الغنائم في الكوت:

أتلف الإنكليز بالماء والنار أكثر ما يمكن أن يغتنمه العثمانيون منهم، والأرض خارج الكوت مغطاة إلى عدّة أميال بالأمتعة والآلات والأسلحة والمدافع في الشوارع مخرّبة بالقذائف أو بنيران المدافع نفسها، والبنادق في الخنادق موقدة، وبعض الخنادق مملؤة بالحراب، وأخرى بالسّروج وغيرها بغيرها، وقد احترق الجميع عدا ما ألقي في النهر من الرشاشات وقنابل المدافع والبنادق وغيرها من الآلات والأدوات مما لا يقع تحت حساب، ويغوص الغواصون فيستخرجون كثيراً من هذه الأشياء، ومن جملة ذلك ٦ طيّارات و٧ سيّارات ونحو ٦٠ مدفعاً عدا الرشاشات الملقاة في دجلة و٣ بواخر و٤٣ سفينة شراعية وقد اغتنم من البنادق الصحيحة ٢٠٠٠٠ بندقيّة أو أقل.

الأسرى:

عدد	
٢٧٧	ضباط من الإنكليز
٢٠٤	ضباط من الهنود

٢٩٨٠	جند إنكليزي
٦٨٧٠	جند هندي
٣٠١٧	جند مختلف الأصل والجنس.
١٣٣٤٨	
٥	قوّاد
١٣٣٥٣	

وقد جيء بهؤلاء إلى بغداد، ثم سيقوا إلى شمال العراق للاشتغال بالخطّ الحديدي.

وقد جاء في البرقيات العثمانية أن أكبر عامل في حمل(طاونسند) على التسليم وإلقاء السّلاح هو الجوع ونفاد الطعام، فكان يتبلغ بما لديه من الطعام تبلغاً، وينتظر مجيئه من بلاد الروس، وكان مع ذلك يلح على القائد (أيلمر) مراراً بأن يزحف بجيشه على مراكزنا لينقذه من الحصار، فكان(أيلمر) يحاول ذلك لكن نردّه خاسراً في كلّ حملة يحملها، ولما يئس جيش(أيلمر) من نتيجة هجومه علينا شرعت طيّاراته تلقي أكياس الدقيق على المحصورين، فلم تلبث طيّاراتنا أن نارتها واحدة وأسقطتها.

ثم حاول جيش أيلمر ايصال المؤن إلى المحصورين تحت جنح الظلام بباخرة لهم فأسرناها أيضاً.

ولمّا يئس(طاونسند) من النجاة بعد كلّ ما بذله من المساعي اقترح على العثمانيّين مسألة إعطائهم(المليون ليرة) فردوا عليه: إنّا لم نحارب للمال مثل إنكلترا، وإنّما لاعلاء شأن الدين والوطن، عندها عرف طاونسند أنه لم يبق لديه إلاّ التسليم فسلّم مع جيشه، وكان مجموع الأسرى ١٣٨٥٦ منهم ٥ قواد و٢٧٧ ضابطاً إنكليزياً و٢٧٤ ضابطاً هندياً و١٣٣٠٠ جندي.

البَرَد الهائل:

مرّت ليلة الاثنين ٧ ج الثانية سنة ١٣٣٤هـ، ببرق ورعد ومطر يسكن مرّة ويشتدُّ أخرى، وفي عصر يوم الاثنين في السّاعة العاشرة مطرت وتساقط بَرَد قدر البندق وأكبر، وكثر في نظر النّاس لأنهم قلّما شهدوا مثله، وسكنت دون الغروب.

وفي مغرب ليلة الثلاثاء ٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٤هـ، اكفهر الجو وارتفع سحاب مظلم من ناحية الشرق أولاً وهو برق مرعد بلا فاصلة، وارتفعت بعد المغرب بقليل من جهة الشمال الغربي سحابة كدرة عظيمة اغبرّ لها الأفق تحدوها ريح عاصف لها دويٌّ شديد فهطلت مطراً كأفواه القرب، وحصبت بَرَداً متراكماً متراكباً مثل الجوزة وأكبر وأصغر بشدّة لم يعهد لها مثيل حتّى وجم الناس لشدّة وقعه على الأرض، واستشعروا الخوف وكثر البكاء.

وكانت الدنيا مظلمة، غير أن البرق يضيء ما حولنا فيرينا الأرض مغطاة بطبقة من ناصع البَرَد الأبيض، دام ذلك نحو ٥٠ دقيقة وهو زمان كبير على المطر في الربيع، فخرّت السّقوف، وجرت الميازيب، وسالت الطرق حتّى صارت مخاضة واحدة، ولم يتمكن الناس من الوصول إلى بيوتهم إلاّ بالتشمير والتحفي وخوض المياه، وكان الماء بارداً يكاد يهرأ الأرجل لأنه ذوب بَرَد.

وانقطع التهطال عند الساعة الثانية من تلك اللّيلة، وبقيت الميازيب تجري بعد انقطاعه ثلث ساعة تقريباً، ثم سكنت الحال شيئاً، وعادت من السّاعة الثانية ونصف فأمطرت من غير بَرَد، ودام الحال كذلك إلى نهاية السّاعة الثالثة وفيها انجلت السّماء إلاّ عن القزع المتفرّق، وقد تحجّر البرد وتدملك، وتحصلت منه قوالب كبيرة لم تذب طوال يوم الثلاثاء ٨ ج الثانية.

ومن الغريب أن هذا البرد لم يقع في الكوفة وعند عشائر الفرات ولا في الجعارة وإلا لهلك النّاس، وإنما اتفق أكثره في البرية وفي النجف وفي بحيرة النجف فأتلف أغلب الخضر والمباقل الموجودة فيها. وقد مضى أكثر يوم الثلاثاء والسّماء متلبدة بالغيوم، وفي السّاعة ١١ منه علت الريح واشتدّ البرق والرعد ومطرت بلا برد ٤٠ دقيقة، وعادت في الساعة الواحدة ونصف من ليلة الأربعاء ٩ جمادى الثانية فمطرت واشتدّ مطرها على رأس الاثنين كما لو كان مطر شتاء بلا فرق وسكن على رأس ٢٠ دقيقة من الاثنين.

وقد بقي البرد متماسكاً إلى يوم الأربعاء ٩ ج الثانية، وقتل به بعض الطيور والحيوانات، وتلايم به نهر النجف، وفي يوم الخميس ١٠ ج٢ أصبحت السّماء متلبدة

بالغيوم ومطرت على رأس السّاعة ٨.

المطر في النجف:

دام يوم الخميس ١٠ ج الثانية سنة ٣٤هـ، متلبداً بالغيوم كما مرّ وكذلك ليلة الجمعة ١١ من الشهر، وكذلك يوم الجمعة مع رذاذ من حين لآخر، وفي صباح هذا اليوم اشتدّ الهواء وعصف حتّى سقطت كثير من الشرافات والأبنية، وقتل بعض الأولاد، وأهل النجف يشربون ماء الأودية والغيطان إلى هذا اليوم.

وفي ليلة السبت ١٢ ج الثانية أبرقت وأرعدت بشدّة وأمطرت مطراً أجرى الميازيب.

بحيرة النجف:

في ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٤هـ، انفتق حاجز(القرنة) المعروف بين بحيرة النجف والشنافية فعبر الماء إلى الأولى، وظهر في بحر النجف في منتصف الشهر المذكور جدول جارٍ منه إلى منتهى البحر من الشمال حيث يملأ الأودية والغيطان فملأها وغمر رقعة واسعة قرب(رأس الماي) شمالا إلى (جماعة الشوافع) جنوباً. وفي أول رجب سنة ٣٤هـ، نفذ ماؤه إلى بعض بساتين البحر المذكور ولا يزال آخذاً بالزيادة، وقد أعدّ بعضهم الحراريق لركوبه.

تواتر الأمطار وكثرة المياه:

منذ يوم السبت ٢٥ جمادى الأولى غامت السّماء وانبعث الهواء شرقيّاً خمسة أيّام قلّما مرّ يوم أو ليلة بدون رذاذ، وفي مغرب ليلة السبت ٣ رجب سنة ٣٤هـ، ارتفعت سحابة من ناحية القبلة فما زالت حتّى انبسطت في سماء النجف مع رعد وبرق عظيمين، وهطلت على رأس الثالثة من اللّيل ثلاثين دقيقة هطلاً عظيماً فجرت الميازيب ثم سكنت، وبقي الرعد برهة ثم أقلعت.

أما المياه فقد طغى واديا دجلة والفرات وتبطحت مياه الأول في الجزيرة (ما بين النهرين)، وهو ما يسمّونه (موحان)، وقد كان (موحان) في السنة الماضية ايضاً، وهم يقولون إذا جاء (ماحت الجزيرة).

أما الفرات فقد انفتقت منه أسداد كثيرة لعظم فيضانه حتّى قيل أنه أعظم فيضاناً من ماء السنة السّابقة، وقد تبطحت مياهه في الطفوف وغرق سواد الكوفة وكثير من الضياع في أواخر جمادى الآخرة، ودخل الماء بحر النجف.

الطاعون الدملي:

ظهر خفيفاً جداً في سواد الفرات من الحلّة والكوفة وما إليها، وفي النجف في أوائل جمادى الثانية ١٣٣٤هـ، وفي نيف وعشرين منه بان واشتهر في الجسر، وفي يوم الخميس ٢٤ جمادى الثانية سنة ٣٤هـ، مات فيه آخوند عليّ التاجر المعروف.

آل فتلة وبنو حسن:

في غرّة رجب سنة ١٣٣٤هـ، جيء بجنازة قطران بن جلوب عقيد آل فتلة في الهندية قتيلاً في معركة عظيمة نشبت بينهم وبين بني حسن وجليحة قرب طويريج في يوم ٢٩ جمادى الثانية سنة ٣٤هـ، وقد قتل فيها خلق من جليحة وبني حسن، وظهر آل فتلة ودخلوا طويرج وقد تقدّمت على أثر ذلك الأعداد لبني حسن من إخوانهم في الكوفة والحرب دائمة.

قتلى أهل الهندية:

قتل في معركة ٢٩ ج ٢ سنة ٣٤هـ، من آل فتلة نحو ١٠ وفقد من بني حسن سبعون وقيل أكثر، وجد منهم قتلى ٣٠ أكثرهم في شط(عبد عونيات) وكانوا المغلوبين.

آل فتلة وبنو حسن:

عزم بنو حسن بعد إيقاع آل فتلة بهم على الثأر لأنفسهم، وجمعوا جموعهم من فرات الكوفة إلى الهندية على قصد آل فتلة في ديارهم، وتردد بين الفريقين جماعة مصلحين فلم يقبل بنو حسن ورئيساهم عمران وعلوان إبنا الحاج سعدون.

وفي يوم الخميس ١٥ رجب سنة ٣٤هـ، واقعوا آل فتلة وضايقوهم من غير جهة حتّى حصروهم في قلاعهم، فأحرق بنو حسن وأتباعهم بيوت القوم وهي علامة الظهور والغلبة عندهم، فخضع آل فتلة وسلّموا لبني حسن ثم اصطلحوا. أما القتلى فيقال انهم من الفرقين شبه أربعين، وبولغ في جرحى بني حسن.

فتنة كربلاء الثانية:

في يوم الخميس ٨ رجب ٣٤هـ، فُتنت كربلاء فتنتها الثانية، وقد ظهرت منذ ١٧ ج الثانية، حين تناوش الدرك مع أهل البلدة، وكان المتصرف حمزة بك طلب أمداداً من بغداد فجاء طابور ومدفعان، وطلب تفرق الثائرين وتسليم أسلحتهم فلم يفعلوا خوفاً من وجود الجند، لكنهم طلبوا اعادة الجنود، وظلّ الفريقان متحصنين إلى ٦ رجب، وفيه أنذر المتصرف أهل المحلّة التي تحصّن فيها القوم بالانتقال.

وفي الخميس ٨ رجب نشبت الحرب وأطلقت المدافع، كما أنها نشبت في مثل هذا اليوم من هذا الشهر في العام الماضي في النجف، وقد ذهبت من النجفيّين إمداد كثيرة إلى أهل كربلاء، جهزهم محمّد عليّ كمونة زعيم الكربلائيّين الّذي حضر إلى النجف في منتصف ج الثانية سنة ٣٤هـ، بعد إيكاله تدبير الفتنة إلى أخيه فخري كمونة، وقد نشبت ثلاثة أيام متوالية.

وفي يوم السبت ١٠ رجب أطلق الكربلائيون بعض الاسداد جنوب البلدة قرب القصر الهندي على المدينة الجديدة فدخل بعض شوارعها وانتقل عنها الجند، وذلك على الظاهر من ضيق حيلة الكربلائيّين.

وفي صباح الأحد ١١ رجب وردت مركبة من كربلاء إلى النجف تحمل بعض جرحى النجفيّين وشاع على أثرها أن الثوار هم المتغلّبون وهاج النجفيّون وتظاهروا وهجموا على دار الحكومة وأهانوا المستخدمين وجرّدوا بعض ذوي الأوسمة من أوسمتهم، وطالت ألسنة العامة على من يسمونهم(المشروطيّين) وسبّوهم وتهددوهم إلى غير ذلك حتّى نودي من قبل المتغلّبين بالكفّ عن ذلك.

وفي يوم الأربعاء ١٤ رجب وردت إلى النجف مركبتان من كربلاء حمل من فيهما الرفوع التي رفعها أهل كربلاء إلى علماء النجف طالبين الوساطة في حسم مادّة الفتنة، وفي الرفوع أختام كثيرة من المعممين وغيرهم، وقد عظموا الواقعة وذكروا ما نال البلدة من الغريق والحريق والتخريب بالديناميت والمدافع، ثم كثرة القتلى، وهم يطلبون مفاوضة القائد العام في إرسال لجنة للتحقيق صوناً للبقيّة الباقية في البلاد،

وقالوا أن الجند انسحب إلى المسيب على اثر إطلاق الماء على كربلاء.

في يوم ١٢ من رجب سنة ٣٤هـ، وفي يوم الجمعة ١٦ رجب سنة ٣٤هـ، ورد المشاهدة ومعهم أحمالهم من المنهوبات التي نهبت من أهل كربلاء لاسيّما من الفرس والسدنة لأن السّدنة من حزب العثمانيّين، وقد أراد المفسدون أن يكبّروا هذه المسألة فيجعلوها بين السنّة والشيعة وضايقوا بعض العلماء على ذلك فلم يتم لهم ما أرادوه، ولم يُعرف مقدار القتلى في هذه الواقعة إلاّ انهم كثيرون لاسيّما من الأبرياء.

قتلى كربلاء:

لم يُقتل في واقعة كربلاء الأخيرة من الجند إلاّ جماعة لا يبلغون العشرة، أما قتلى الأهلين - وكثير منهم قتل خطأ - فقد ذكروا أنهم أربوا على المائتين فيهم الأطفال والنساء على ما قيل، وانتشل بعضهم من تحت الردم الّذي تركته المتفرقعات والمدافع.

وقد صوّر الكربلائيون بعض جثث القتلى وبعض مناظر الواقعة وعرضوه على علماء النجف وبعض أهلها ممن يظنون فيهم ممالاتهم على تلك الأعمال، ويحكي الناس أن كربلاء خرّبت وعفّت محاسنها لاسيّما بعد الغرق، ومما أسف له العارفون احتراق مكتبة السيّد عبد الحسين خازن المشهد الحسيني وهي من دور الكتب الشهيرة في العراق الغنية بالآثار، وقد استغرقت المياه البلدة الجديدة حتّى جرت فيها الحرائق الكبيرة إلى ما يقارب البلد العتيق، وفي كلّ يوم ينقض قسم من الدور وبذلك يقدّر لكربلاء الخراب.

الثوار في النجف وكربلاء:

كان ورود أنور باشا إلى العراق على أثر حادثة كربلاء وانسحاب الجند والمستخدمين منها، فأبرق السيّد كاظم اليزدي إليه من النجف في شأن أهل البلديون، وفي يوم السبت ٢٤ رجب سنة ٣٤هـ، وردت برقية من أنور باشا يجيبه فيها: بأن أهل النجف وكربلاء خرجوا على الحكومة وانهم عصاة، وأنه قد أمر والي الولاية وقائد جيوشها بالرفق بالفقراء والعلماء حين المجازاة، وقد بلغ الجهل والقحة بأهل النجف إن لم يشعروا بهذا الخطر فتراهم لاهين ساهين يضحكون من هذه الأمور.

النجف:

كان السيّد كاظم اليزدي على أثر إنهاء واقعة كربلاء وورود ناظر الحربية أنور باشا إلى بغداد يوم ١٨ رجب سنة ٣٤هـ، أبرق إليه يسترعي نظره إلى الحادثة فأبرق إليه ما نصّه:

(فحرمى قوناع إدارة تلغراف الحلّة نرسله إلى سيّد محمّد كاظم الطباطبائي نجيبكم عن تلغرافكم المرسل إلينا بأن أهالي النجف وكربلاء خرجوا على الحكومة وانه عاملين مخالفة لرضاء الله ورسوله، ونظراً لحرصنا على الحالة الإسلامية وحقن الدماء واحترامنا للمجاهدين وعلماء الدين، ورأفة الحكومة بفقراء المحلّين، وشفقتنا عليهم صدر أمرنا لدولة والي الولاية وقائد جيشها بتمام الرفق عند التعقيب وترتيب المجازاة).

١٢مايس

صهر السّلطنة ووكيل الخليفة الأعظم

في قيادة الجيوش الإسلامية ناظر الحربية

أنور

كربلاء:

وفي يوم ٢٥ رجب سنة ٣٤هـ، وردت كربلاء اللّجنة التي أنفذت من قبل الولاية لمفاوضة الكربلائيّين، وأكثرها من علماء الشيعة وفيهم السيّد مهدي السيّد حيدر، والشيخ محمّد رضا بن الشيخ محمّد تقي الشيرازي، والشيخ عبد الكريم الجزائري، وفيهم الشيخ عبد الحميد خازن مشهد الكاظمين، وحلمي بك معتمد القائد خليل باشا، وحاجب من حجّاب خليل باشا، وقد ائتمروا غير مرّة، فاظهر أهل كربلاء الطاعة التامة وانهم ينتظرون عودة حكومتهم غير مشترطين شرطاً، وأبدوا أن سبب الفتنة المتصرف حمزة بك، والقائد عليّ أفندي، ونعمان أفندي الأعظمي، وقالوا: نخشى من أن يسمم هؤلاء أفكار الحكومة، فأجابهم حلمي بك بأني قد اطلعت على أشياء كدرت وجداني في المسألة، فلا يجدي ما يقول هؤلاء أبداً، وستبقى اللّجنة إلى ورود الجند والمستخدمين الجدد إلى كربلاء.

فتيان المتغلبين:

كثر الموتان في هؤلاء أثر عودتهم من كربلاء وقد ذهبوا منجدين لأهلها في آخر رجب وأوائل شعبان، وقد علقت بهم كلّهم حمّى كربلاء الخبيثة، ففي يوم ١١ شعبان

مات ابن الحاج حسون شربة، وفي يوم الخميس ١٣ شعبان مات السيّد هادي إبن السيّد موسى الرفيعي.

وفي ١٤ شعبان قتل عباس إدريس الأعرج الشقي المشهور وجماعة غير هؤلاء.

الموقف بعد تسخير الكوت:

نقل العثمانيون بعد تسخيرهم الكوت طائفة من قواهم إلى العجم، وأخليت مواقع السن المهمة من قبل الطرفين، وانتقل الجند العثماني إلى عدوة الغراف الغربية، وبقي الإنكليز متبعثرين يناوشهم طائفة من المجاهدين، ناوشوهم غير مرّة لاسيّما في يوم ٢٤ و٢٥ رجب، فقد وقعت مصادمة بين فرقة لاهور الإنكليزية وبين المجاهدين من عشائر قصاب، واغتنموا كثيراً من المركبات وسواها، وفي ١٠ شعبان سنة ٣٤هـ، ورد من ناحية قيادة الكوت هذا البلاغ:

أطلقنا نيران مدفعيتنا الضخمة المؤثرة على مواضع العدوّ المختلفة بعد ظهر أمس في جهة الفلاحية فقابلتنا مدفعية العدوّ بادئ بدء، وبعد قليل من الزمن أسكتنا كافة مدافعه ووجهنا نيراننا على مواضع أُخر.

انغلقت جبخانه مدافع الحرّاقتين(غامبوط) اللّتين للعدوّ ولم تستطيعا الفرار فتمزقنا تماماً، وكان هناك ثلاث سفائن كبيرة تحمل مهمات المدفعية فأصابتها نيراننا وأحرقت حال كونها منحدرة بقوّة تيار الماء نحو الشيخ سعد، أحرقنا ٤ مستودعات لذخيرة العدوّ في برّ الجانب الأيمن وقد شوهد انفجار كبير من مرميات المدافع في الهواء، وكانت الانفجارات مدهشة بحيث كأنها قد أحدثت بركاناً وقد أحرقت مرميات مدافع العدوّ المتفجرة في مستودعهم مقرّ طابور للعدوّ وخرّبته تماماً، أوقعت الخسائر العظيمة في معسكر آخر للعدوّ.

وفي هذه الأيام ورد الأمير ابن الرشيد طفوف العراق وشارف الخميسية فاضطرب لذلك الإنكليز، ونقلوا أكثر جنودهم من الناصرية إلى الخميسية، وأنشأوا خطاً عسكرياً فيها إلى ما يقارب طف البصرة، وفي مثل يوم ٩ شعبان أباد مجاهدو العرب مفرزة للعدوّ مؤلفة من ٤٠٠ نفر في الغبيشية عن بكرة أبيها.

وفي ١١ شعبان ورد هذا البلاغ:

إن آلاي خيالة الإنكليز الّذي كان يحاول الوصول لجوار قلعة الشيخ قصاب منذ عدّة أيام قد صار عرضة لمجاهدينا فغلبناه وفرّ منهزماً بعد أن أعطى ضايعات كليّة، فاغتنمنا ٢٦ حيواناً منهم، وفي الوقت نفسه كبس مجاهدونا مقر عسكرهم وأخذوا مقداراً من الأرزاق، شوهدت من طيّارتنا أمس(١٠ شعبان) أنقاض حرّاقات(غامبوطات) العدوّ التي دمرناها وأحرقناها بنيران مدافعنا.

وفي هذه الأيام وقعت حروب ومناوشات بين الروس والعثمانيّين في شمال العراق، فاندحر الروس من أمام خانقين إلى وراء قصر شيرين، واحتللنا هذا المكان، وكذلك ظفرنا بالروس في حدود الموصل وقريباً مما هناك.

الموقف الأخير:

لم يحدث في العراق بعد سقوط الكوت إلى أواسط رمضان سنة ٣٤هـ، شيء جدير بالذكر عدا تقهقر الروس إلى حدود العجم، وقد تعقبهم الجيش العثماني والمجاهدون إلى أن احتلوا كرمانشاه يوم ١٨ حزيران سنة ٣٢ [مارتية]، ودخلها خليل باشا.

أما في جهة الكوت فلم تحدث إلاّ مصادمات بين الطلائع وبين المجاهدين وسرايا الإنكليز، وقد كثر غزو العرب لمعسكر الإنكليز، وتوترت العلاقة في منتصف شعبان بين الإنكليز وعشائر المجرة، وانسحب الإنكليز بأمر القائدة الجديدة التي وردت إلى الناصرية إلى الخميسية ولم تبق إلاّ شر ذمة منهم في الناصرية، وكثرت سطوات العرب عليهم ونهبوا كثيراً من ذخائرهم وآلاتهم.

سامي بك:

وفي يوم السبت ١٥ رمضان سنة ٣٤هـ، وصل وكيل المتصرف الجديد سامي بك إلى كربلاء، ومعه قائد الموقع وعدد من الدرك على أن يتلوه تدريجاً بقيّة المستخدمين.

واقعة في كربلاء:

في صباح الاثنين ١٧ رمضان سنة ٣٤هـ، قارب كربلاء بعض عشائر المسعود فخرج أهلها إليهم فخدعهم العرب وتقهقروا، وتبعهم القوم حتّى كرّوا عليهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة على ما يقال.

واقعة النجف:

في ليلة الأربعاء، ١٨ رمضان، تناوش آل عدوة وآل أبي شبع مع جماعة من بيت أبي الخل في الجهة الغربية من المشهد، وتعاطوا إطلاق العيارات فقتل ثلاثة من بيت أبي الخل واثنان من الآخرين، وجرح بعض الأبرياء ممن لا دخل لهم في الواقعة، وقتلى آل أبي الخل يوسف، ومحمّد، والعبد عنبر، وقتيلا آل أبي شبع مهدي وابن خنجر.

وفي يوم ١٥ رمضان سنة ٣٤هـ، وصل النجف السيّد باني من البكتاشية ومعه الدفتور مظفر بك البكتاشي أيضاً، واجتمعوا بالنجفيّين ونصحوهم وطلبوا إليهم التنازل عن شؤون الحكومة، واجتمعوا بهم غير مرّة في دار خازن المشهد على ذلك، واتفق أن النجفيّين شجرت بينهم أشياء ولّدت البغضاء من بعضهم على بعض طمعاً في المال، فرأى كبارهم أن يتداركوا الأمر ويتخلّوا عن موارد المال طوعاً خوفاً من أن يفعلوا كرها.

وطلبوا إزاء ذلك من المندوبين العفو العام من الملك وإلغاء التكليف بالنفير العام، وأخذوا وحُلِّفوا على ذلك داخل المشهد.

وفي ٢٤ رمضان سنة ٣٤هـ، نادى المنادي من قبل المشايخ بالتخلي للعثمانيّين عن مصادر الأموال والمكوس وبأن لا يعارض أحد الجند لو أتى، ولقد تخلّوا فعلاً عن نحر القصابية، ويقال أنهم يتخلّون عن الترابية ومكس الخضروات متى وردهم العفو.

وفي أوائل شوال سنة ٣٤هـ، وقع شجار في المعسكر العام العراقي بين الجنود العرب والترك، بدأ أولاً بين الضباط وسرى إلى الجنود، قيل سقط عنه كثير من القتلى، ثم حضر القائد العام خليل باشا وأصلح ذات البين.

وفي يوم ١٤ شوال سنة ٣٤هـ، وصلت بواخر الإنكليز المصفحة وبعض موطوراتهم الحربية إلى النخل(العين) تجاه بلدة الخضر، فأصلته ومن فيه ناراً حامية، وقد قابلها المجاهدون من(الجوابر) فقتل منهم مقتلة، وذهب كثير من الأطفال والنساء والأبرياء بحيث عدّ مجموع القتلى ١٠٠ وأكثر، وحملت كثير من جنائزهم إلى النجف في يوم ١٨ من الشهر المذكور.

وفي يوم الخميس ١٦ شوال قتل محمود العبايجي ابن عمّه مجيد العبايجي، رماه بطلقتين من مسدسه ضحىً في الصحن، فتوفي في صباح اليوم الثاني.

وفي يوم ٢٤ شوال تنازل المتغلّبون في النجف عن قلمي المخضرات والدفنية للمستخدمين من العثمانيّين على ما يقال.

وفي يوم ٢٥ عصراً مرّت من شطّ أبي شورة عدّة سفن تحمل المدافع والرشاشات إلى جهة السّماوة، فعارضها بعض آل دهيم وأطلق عليهم الجند الرشاش ففرّوا.

الوباء في النجف:

في أواخر شهر رمضان وأوائل شوال سنة ٣٣٤هـ، عاد الوباء فظهر في النجف ولكنه خفيف، وقد مات فيه ليلة العيد عباس بن أبي جبك من أهل المشراق. وفي ٣ شوال مات فيه عبد الحسن الرماحي، وفي ٥ شوال مات حسن شباده، ومات كثير من النساء والأولاد وغير المعروفين، وقد فشا الوباء في الأبيض وفيما يسمّونه(الدهلة) حتى أغلق بيوتاً هناك على ما يقال، وظهر أيضاً في كثير من قرى سواد العراق ومدنه، أبقي له أثر في النجف إلى أواخر شوال سنة ٣٤هـ، وقد عوفي كثير ممن أصيب فيه.

خزاعة وأهل المشخاب:

ما زالت خزاعة تطالب بربوعها القديمة في الجعارة والمشخاب حتّى هاجموا في اواخر شوال سنة ٣٤هـ، آل إبراهيم في مفتتح المشخاب من الجنوب فكشفوهم وملكوا معاقلهم، ثم هاجموا آل زياد فظهروا عليهم، وقتل من الطرفين مقتلة، وهم يتأهبون الآن لمهاجمة آل فتلة في صميم المشخاب، وقد اضطربوا لذلك وراجعوهم في الصلح ولكن خزاعة على ما يقال تشتط في الشروط.

وفي يوم الجمعة ٣ ذي القعدة راجع رؤساء النجف السيّد اليزدي في الخروج إلى المشخاب واصلاح ذات البين، وفي يوم الأحد ٤ ذي القعدة سنة ١٣٣٤هـ، هاجم أهل النخل حلفاء آل فتلة ومعهم الغزالات معاقل آل شطفان من فتلة المشخاب، معتمدين على من في الشامية من الخزاعل، ولم يعلموا أن القوم أرضاهم من أهل المشخاب الأصفر الرنّان وذهبوا بسلام، وبدأ إطلاق النار في السّاعة السّابعة من ظهر ذلك اليوم

وصُلي بوطيس الحرب أهل النخل والغزالات وآل شبل فانهزموا، وقد قتل منهم نحو عشرين وجرح سبعون، سيّما من اللّهيبات، وظهر آل فتلة ولكن قتل منهم ١٤ وجرح كثير.

بنو حسن وآل فتلة في الهندية:

ما زالت مؤتمرات بني حسن تنعقد برئاسة زعيمهم علوان للانتقام من آل فتلة في الهندية منذ أوائل شوال سنة ٣٤هـ، وذلك لاشراك الجراح، وقد نفر في أواخر شوال جيش الجراح والهور من الحميدات والعوابد وسواهم إلى الهندية، وفي يوم الاثنين ٥ ذي القعدة هجم العوابد والحميدات تحت رئاسة مرزوق العواد الشهير على بعض قلاع قريط، فسقط منهم عشرون قتيلاً بل أكثر، وعشرات من الجرحى، وذكروا أنهم ملكوا بعض القلاع والخرب دائمة.

وفي ١٣ ذق سنة ٣٤هـ، وقبله وبعده إلى منتصف الشهر، حدثت مناوشات بين الإنكليز والمجاهدين من آل إزريق فشل فيها الإنكليز بعد أن استشهد من المجاهدين جماعة على الخور المشهور.

واقعة العين:

ارتكب الإنكليز من الفظائع في واقعة العين ما حيّر أولي الألباب، فقد قتلوا العجّز والنساء والأطفال والحيوانات والطيور وعامة ما يتنفس، بعد أن جاسوا خلال الديار ونسفوا كثيراً منها بالديناميت بما فيها، وقد سبوا جملة من النساء والغريب أن هذا وقع كلّه بعد تسليم أهالي العين وبليدة الخضر، ورفعهم أعلام الأمان فما أعظم هذا الغدر! وقد أسروا محمّد آل عجيرب رئيس الجوابر بعد أن ظن بالإنكليز خيراً، فمنع قومه من مقاومتهم، هذا وأما الجيش الّذي جهزه الإنكليز من جهة البرّ قاصدين معسكر عجمي، وأكثرهم من عرب الظفير أحلاف الإنكليز وسواهم، فقد فتك بهم المجاهدون وهزموهم وطاردوهم إلى قريب الدراجي، فلما علم الإنكليز ما حل بهم انصرفوا من العين.

عرب المنتفق والإنكليز:

عن كتاب لنا تاريخه ١٤ ذي القعدة سنة ٣٤هـ:

يوم السبت الموافق لليوم العاشر من هذا الشهر، خرج الإنكليز من الناصرية على عادتهم، ولكن بما ينيف على ألفي جندي مشاةً وفرساناً، تصحبهم بطارية واحدة من

المدافع وعدد غير قليل من الرشاشات، وكان خروجهم قبل طلوع الشمس. وتعرّضوا من ذلك الحين بالقبائل المجاورة للناصرية من آل إزيرق، وكان الهدف الخاص لنيران العدوّ طائفة (آل سهلان)، وقد واقعته هذه الطائفة ولاحمته وأشتدّ إطلاق النار منه بلا جدوى، وعاد إلى الناصرية مخذولاً مطارداً، وقد دامت هذه المناوشة لا بل الصدمة الصغيرة ٥ ساعات ختمت بفشل الأعداء، أما خسارة القبيلة المتطوعة فإنها شهيد واحد لا غير.

الصدمة الكبرى:

وفي يوم الاثنين الموافق لليوم الثاني عشر من الشهر أيضاً، جمع العدوّ قواه وخرج صبيحة ذلك اليوم بجنوده الكثيفة ومدافعه الضخمة وأنواع آلات النار ووسائل الخراب والدمار، وقد ملأت جنوده السّهول، وتمكّنت من مخافر المجاهدين ومتاريسهم، وتسللت ممتدة من الناصرية إلى السّديناوية، وعكفت قطعات الأعداء الجرّارة متقدمة إلى الأمام، وكان عدد القطعات ثلاثاً، وعدد مجموع الجند يربو على ١٠٠٠٠ جندي، أما المجاهدون فكانوا على غير عدّة كاملة واستعداد تام.

فبدأت مدفعيات الأعداء تطلق قنابلها وترمي حممها من ٦ بطريات وبعد برهة لا تقلّ عن ساعتين تهافتت القنابل من كلّ صوب وأوب، والعدوّ آخذ بالتقدم وقد أسقط قلعة آل مونّس (طائفة من الحسينات) وجعل فيها ١١ مدفعاً، وتقدم إلى طائفة آل أبي جمعة من قبيلة السّهلان فأضرم فيها النار.

وهناك استبسل أهل تلك الطائفة وثبتوا في مواقعهم غير مبالين بالموت ولا حاسبين للقذائف الهائلة حساباً قط، ولا ونوا عن دفاعهم العجيب حتّى كشفوا الإنكليز إلى القلعة المحتلة واسترجعوا حيّهم المحترق.

وأما بقية القبائل فحدّث ولا حرج عن ثباتهم ودفاعهم في مواقعهم، أما الحسينات وثلّة من السّهلان فانهم هجموا على قلعة آل مونس السّابقة واشترك معهم قسم كبير من آل إبراهيم، فناضلوا حتّى استعادوا القلعة وعندها انسحبت جيوش الأعداء برمتها من كلّ المواقع، وعادت إلى الناصرية تجرّ ذيل الخيبة والخسران، وقد تأثرها مجاهدونا الأبطال إلى حيث سور المدينة، وأخذت مدفعيات البلد تطلق القذائف لمنع العرب من تسلق السّور ودخول البلد.

جرى كلّ ذلك وأكثر القبائل لم يشترك في هذه الحرب الميدانية المدهشة لبعد منازلهم، أما خفاجة فما حارب منها إلاّ الأفخاذ القريبة من الميدان: كآل شمخي، والزيادات، والطلاحبة، وأما بقيتهم كآل عبد السيّد وغيرهم فانهم وصلوا الميدان عند انتهاء الحرب، وأما العبودة، وبنو زيد الدكة، وبنو زيد البدعة، وآل أبي سعد، فلم يلحقوا لبعد المسافة.

دامت هذه الحرب الميدانية ٩ ساعات لم يفترّ في خلالها إطلاق النار ثانية قط، وبالجملة أن هذه الحروب من أكبر الحروب التي جرت في العراق، ويعترف متطوعونا ببطولة أعدائهم وبسالتهم، وقد حافظوا خطّ رجعتهم بحامية المدينة ومدافع موطوراتهم، ويقد أبطالنا امتداد الميدان بساعة ونصف.

أما خسائر العدوّ فما أُحصي لها عدد وعلى الأخص قتلاه، وحتّى السّاعة لم ينكشف ما تلف منه، ولكن جملة أنقال اتفقت على أن قتلاه فقط تربو على ٧٠٠ وأما جرحاه فشيء كثير، وأما خسائرنا فكانت قليلة نظراً لخسائر العدوّ الفادحة والشهداء لا يزيد عددهم على ١٠٠ شهيد، وجرحانا مثل شهدائنا، وغنائمنا من العدوّ جملة بنادق ورشاش واحد وكثير من النظارات والبرانيط والسّاعات، وعثر في المعركة على ضابطين قتيلين من العدوّ تخلّفا في الميدان في جملة من تخلّف من قتلاهم.

وجاء في البلاغ الرسمي المؤرخ ٣٠ اغستوس سنة ٣٣٢ [مارتية] عن هذه الواقعة ما نصّه:

خرج العدوّ من الناصرية في ٢٧ اغستوس بقوّة مركّبة من ٤ توابير من المشاة وألف من الخيالة المتكونين من عسكره ومن العشائر، وكتلة متشكلة من ثمانية مدافع ومقدار من المدافع ذات الماكنة.

ورامت هذه القوّة التقدّم على عشيرة السّهيلات (السّهلان) وكتلة بحماية مدافع الاستحكامات تشبثت بالتقدّم على البو حمزة (البو حميرة) وحينما جرى التقدّم تعرّضت به عشيرة السّهيلات والبو إبراهيم والعساكر والبو زيرج، من جميع الجهات، ودام هذا التعرّض خمس ساعات، وفي الأخير فرّ العدوّ إلى الناصرية، ومن شدّة

تعقيبات العشائر استطاع العدوّ أن يثبت في استحكاماته الواقعة في أطراف الناصرية، وفي الحقيقة أن ما ضاع منّا لم يتحقق غير أن ضايعات العدوّ أكثر من ضايعاتنا.

في ساحة الدجلة:

وفي البلاغ المتقدّم:

تعرّضت العشائر القاطنة في جوار العمارة على نادي ضباط الإنكليز هناك، وذلك في ١٢ اغسطوس فقتلوا ثلاثة أنفار وجرحوا إثنين، إن الخطّ الضيّق(ده فويل) الّذي تشبث بإنشائه العدوّ في جوار شطرة العمارة قد خرّبت العشائر قسما وسرقوا حديده.

طيّارة معادية:

وفي يوم ١٠ ذي الحجّة سنة ٣٤هـ، حلّقت في سماء الشطرة طيارة إنكليزية آتية من جهة الناصرية، وألقت سبع قنابل انفجرت منها اثنتان فقط في بعض الدور والمحال دون أن تحدث ضرراً في النفوس.

الطيّارات في الغراف:

كثر في محرّم سنة ٣٥هـ، جولان الطيّارات في سماء الغراف ففي صباح السبت ٢١ محرّم سنة ٣٥هـ، حلّقت في سماء البدعة طيّارتان، إحداهما من الطراز الكبير وألقتا أربع قنابل على(الصديفة) لم تؤثر شيئاً ثم عرّجت الظهيرة على الشطرة.

وفي يوم الجمعة ٢٧ محرّم سنة ٣٥هـ، مرّت على الشطرة طيّارتان عثمانيتان آتيتان من الحيّ ووجهتهما الناصرية، فألقتا عدّة قنابل على المعسكر الإنكليزي وتواترت الأنباء بأنهما قتلتا أربعة أنفار وضابطاً وعدّة أفرس، وقد قطعت المسافة بين الناصرية والشطرة ذهاباً وإياباً في ساعة، وعادتا إلى الحيّ في صباح ذلك اليوم.

وفي صباح الأحد ٢٩ محرّم سنة ٣٥هـ، ظهرت في سماء البدعة طيّارة إنكليزية كبيرة وجهتها الصديفة، فألقت قنبلتين إنفجرتا ولم تؤثرا شيئاً وأخرتين لم تنفجرا.

جولة في تلو:

وفي عصر الخميس ١٨ صفر ركبت إلى مشاهدة تلو(تلعو) وآثارها، وكنّا ثمانية خيالة، والمسافة إلى أطلال تلعو من الشط قراب ساعة، وتجولنا في الآثار نحو ذلك ونحن على ظهور الخيل.

حادثة الفيحاء:

تحشّد بعض قوانا العثمانية في المسيب وذلك في أواخر العشر الأول من المحرّم، وكانت قوّة مرهبة من حيث العدّة والعدد، وشاع أنها (حملة الفرات)، وقد حضر لترتيبها في المسيب قائد الفيلق السّادس، وأسند قيادة الحملة إلى القائم مقام(عاكف بك) فجهزوا عشرات من السّفن الشراعية لنقل الجنود إلى الحلّة، ففتحوا السدّ وجرى الماء في نهر الحلّة، ومخرت السّفن حتّى رست على مقربة من المدينة، فعندها اجتمع الحليّون على اختلاف طبقاتهم، وخطب فيهم آل القزويني خطاباً الجأوهم فيه إلى الإخلاد إلى الطاعة وإظهار شعار الطاعة للحكومة، فألّفوا موكباً عظيما لا يأتي عليه الحصر، وقصدوا المعسكر بحالة مرضية وآل القزويني في طليعتهم.

ولما وصلوا المعسكر تكلّم عميدهم بما يقتضي واعتذروا عمّا فات من الجنايات فلم يجب القائد، وبهت الموكب كأنهم شعروا بالخطر وقد أحاط الجند بكلّ أفراد الموكب إحاطة تامة، ومنعوا من العود إلى المدينة، وبعد برهة جرى القبض على الكبار والأعيان وأطلق سراح الباقي فاضطرب القوم من جرّاء هذه الحركة وأي اضطراب، فنهض أحد الأعيان، ولعلّه السيّد محمّد عليّ القزويني، وكلّم القائد بشأن تلك الحركة فأجابه: إن أهل الحلّة قوم متمردون على الحكومة، وقد عرفوا قبل اليوم بأنهم عصاة جناة - يشير إلى الحادثة التي هجم فيها أهل الحلّة على دار الحكومة لإنقاذ بعض رجالهم وذلك في أوائل محرّم وقد نهبوا في هذه الحادثة بعض الذخائر، وطالت أيديهم إلى غير ذلك - وإنّا نريد الدخول إلى المدينة وضبطها وتخريب ملاجئ الأشقياء، وقد أبقيتكم ودائع عندي حتّى تدرك ما نريد فان تعرّض المفسدون للجنود فما يجري عليهم سيجري عليكم بشدة!.

ونادى القائد رئيس البلدية وأصحبه طائفة من الجند أمره بإيصالها إلى الثكنة ففعل، وعاد فأصحبه طائفة أخرى للاستيلاء على المستحكمات ففعل، وهكذا يفعل في كل وقعة حتّى تغلغل الجند في كلّ أحياء المدينة، فبدأ بتخريب الاستحكامات ونقض المنازل العالية، وشعر الناس بالخطر الكبير، فهرب من تمكّن من الهرب وبقي من بقى عرضة للنار الحامية.

ولما تم الأمر للقائد بتلك الصورة أمر المدفعية فأطلقت المدافع على ثلاثة أحياء من المدينة، الطاق، الجبران، الجامعين وفتكت مقذوفاتها، كما فتك الرمي العام، بكثير من النفوس وحلّقت إصابات نارها عشرة أشخاص، وقبض عاكف بك على أقطاب المدينة وفيهم بعض زعماء الثورة وعددهم ١٧، فأعدمهم شنقاً - وقد جاء بعدهم أن قتل رمياً بالرصاص نحو ٥٠ من الفارّين أو أكثر - منهم محيّ الدّين وولده، وأمين علوش، ومحمّد صالح مهدي، ومهدي النقشبندي، وغير هؤلاء من الوجوه والأعيان، ثم جرى القبض على البلط الفارّين من الجندية فدفعوا إلى بغداد مئات مئات ومنها إلى الأستانة، ونقل كثير من أموال التجار إلى بغداد.

هذا وأما ثوار النجف فان مظاهرتهم القاسية جارية ضد الحكومة بكلّ شدّة من دون تبصر ولا روية، وذلك على أثر حدوث حادثة الحلّة، وقد كاتب زعماء الثوار في النجف عامة رؤساء العشائر في الغرّاف والفرات، وحضر إلى النجف زعماء الخزاعل، منهم: محمّد بن عبطان، وسلمان بن ظاهر، وكذلك زعماء آل شبل، والغزالات، وآل فتلة وائتمروا فيما ذا يتخذون فيما لو قصدت الجنود المنصورة النجف.

وقد تجرأ بعض الزعماء في النجف فأشار، بل أصر، على قصد الحلّة إلى غير ذلك من الغرائب، وقد بدأت الهجرة من النجف، ثم توجّه جماعة من المسلحين قاصدين الحلّة واندس فيهم خلق من صعاليك العرب وعشائر الفرات، وعبروا الفرات ووصلوا الطهمازية فعسكروا فيها، ثم تقدموا إلى خنادق الجنود بظاهر الحلّة فتناوشوا معهم، وذلك في يوم ١٨ صفر سنة ٣٥هـ، داموا على ذلك أياماً، وعلى أثره عاد الجند الذاهب إلى الديوانية في يوم ١٩ إلى الحلّة وقد تعرّض له في الذهاب والإياب بعض الأعراب ففتك بهم.

وقيل أن النجفيّين تمكنوا إلى ولوج الحلّة ثم ضايقهم الجند فتركوا أعلامهم وانهزموا، وذلك مما زاد النجف إضطرابا وبلبالاً وجعل الأبرياء من أهلها يحسبون ألف حساب، وقد قُتل في الواقعة وجرح جماعة من النجفيّين، وبلغت الحال في النجف أن غادرها جميع الموظفين من العثمانيّين، فأقاموا في الجسر وخلت محلاّتهم الرسمية.

وبينا النجفيون في هذا ومثله وإذا ببرقية من القائد العام تعرب عن مسامحتهم والمساهلة معهم، بل مع جميع أهل الحواضر والبوادي إن هم اشتغلوا بشأنهم ولم يتعرّضوا للجند ولرجال الحكومة، وقد نشرت البرقية في عامة أعمال بغداد ولكن المقصود منها أهل النجف ثم أهل كربلاء، وكان ورودها على أثر زحف الإنكليز على شط الغراف وعبوره في منتصف صفر سنة ٣٥هـ، واليك نصّها:

٤كانون -:بعد أن أجرينا التأديبات للعصاة الّذين هم قابلوا إجراءات الحكومة، تعرّض بعض السرسرية للعسكر الّذي أراد أن يتوجه إلى الناصرية لأجل مقصد عسكري، وهم سيلقون جزاءهم اللاّئق بهم.

وأما أهل النجف وكربلاء فإنّا نعدّ كأن لم تكن مصادمتهم التي وقعت في السنين السّابقة، ولا نعاقب من كان يدخل منهم في تلك الوقعات، ولا نجري بحقّه حركة تأديبية أبداً، وقد بينت ذلك لوكلائهم الّذين زاروني سابقاً، وبلغتهم أن قولي هذا عائد إلى عفو جميع القباحات السّابقة، فمن اليوم وصاعداً كلّ من اشتغل بشغله من أهل القصبات والعشائر وحافظ صداقته إلى الدولة فإني أكرر قولي بأن لا أُجري بحقّه التأديبات القانونية ولا الحركات العسكرية إلاّ من تعرّض للحكومة والعسكر، وتطور بطور يخالف حركاتهم من أهل القصبات والعشائر فيعلم أنهم ليسوا لائقين للشفقة، وأنّي أجازيهم بأشدّ صورة فينبغي إعلان ذلك رسمياً بكلّ محلٍّ، وقد بلغنا ذلك إلى قومندان فرقة الفرات ومتصرفي كربلاء والديوانية ومعاون ولاية بغداد.

خليل قائد الجيش السّادس

بقيّة عن الحلّة:

فصل الجند من المسيب يوم ١٧ محرّم سنة ٣٥هـ، إلى الحلّة ومعه نحو ٥٠٠ فارس من العرب، أي عرب نواحي الحلّة حضروا لاستقباله، وبات الجند في محلٍّ يدعى(الخواص) على بعد ستة أميال من البلدة، ومنه كتب قائد الجند عاكف بك إلى أهل الحلّة بالخروج إليه إن كانوا طائعين، فخرج أكثر أهل المدينة فأحاط بهم بعض الجند إلى أن حضر القائد فسلّم وردّوا عليه وأبدوا الطاعة، وكان خروجهم واستقبالهم

إلى نهر التاجية، ثم سأل القائد عن بعض الرؤساء الّذين لم يحضروا، فقيل إنهم غائبون، ثم أمر أن ينقسم الناس حسب محلاّتهم فانقسموا خمسة أقسام، فسأل عن أهالي باقي المحلات فأجابوا بان لا نعلم سبب تأخيرهم، وقد أوقفوا في المحلّ المذكور (التاجية) أربع ساعات، ثم أمر أن يدخل أربعة توابير من الجند إلى الحلّة ليكونوا في الحصون والاستحكامات بدعوى إعادة الأمن إلى نصابه، وحينئذ أمر بإطلاق الناس ثم دخل القائد مع فريق من الجند إلى الحلّة وأخذ باقي العسكر أطرافها.

وكان دخولهم إليها يوم ١٨ محرّم، فزاره الرؤساء مظهرين له الطاعة والخضوع، وفي يوم ١٩ أمر بإحضار جميع الرؤساء للمذاكرة في دار الحكومة، فلمّا حضروا أحاط بهم الجند وأمر بحبسهم، ثم صار يخرج واحداً بعد آخر، وأمر بوضع المشانق فشنق ١٥ شخصاً من الرؤساء في ذلك اليوم، وسجن بعض آل القزويني وبات الناس ليلة ٢٠ محرّم في غاية الهلع والفزع، وصاروا يجتمعون ٧٠و٨٠ و١٠٠ مسلحين ومعهم عيالهم، ويهجمون على العساكر المحافظة في بعض جهات المدينة وينجون بأنفسهم وعيالهم.

وفي يوم ٢٠ محرّم أمر القائد رجال المدفعية والمشاة بتخريب أربع محلاّت من الحلّة ونسفها برمتها وهي: الجامعين، الطاق، الجبران، الوردية فأطلقت عليها نيران المدفعية وقذفت الطيّارة عليها قنابلها حتّى صارت خراباً وأنقاضاً.

وفي يوم ٢١ سخرت الحكومة النّاس وأعطتهم الآلات لتخريب دور الرؤساء، وفي يوم ٢٢ محرّم أمر القائد بتسليم كلّ من حضر من أبناء العشرين إلى ٥٠ للجندية، وفي يوم ٢٣ محرّم صار الناس يفزعون زرافات زرافات إلى محل الحكومة إجابة لدعوة التجنيد.

وفي برقية من القائد العام أنه بلغ إلى يوم ١٨ كانون سنة ٣٢ [مارتية] هـ عدد من شنق في الحلّة ١٢٦، وعدد القتلى ١٣٠٠ وعدد الدور التي نقضت ١٥٠٠، وعدد من القي القبض عليه من البلط والبقايا ٣٥٠، وعدد العيلات التي غرّبت ٩٠ عيلة.

الشيخ الحولاوي:

مات الشيخ محمّد جواد الحولاوي ضحى يوم الثلاثاء ١٩ ربيع الثاني سنة ٣٥هـ، في النجف ودفن في أحد أيوانات الجهة القبلية من المشهد العلويّ.

خازن المشهد العلويّ:

جيء بنعش السيّد محمد حسن الرفيعي خازن المشهد من بغداد ضحى يوم الأربعاء ٢٨ ربيع الثاني سنة ٣٥هـ، وكان قد غادر النجف للتدواي من علّته وهي البول السّكري على ما قيل، فمات في الكاظمين ليلة الاثنين ٢٦ من هذا الشهر، ودفن في مقبرتهم المعروفة في المشهد، وترشح ولده السيّد أحمد إلى سدّ فراغه من بعده في السّدانة.

الخزانة العلويّة:

وصل كاتب الأوقاف إلى النجف مساء اليوم التاسع والعشرين من ربيع الثاني سنة ٣٥هـ، وختم الخزانة العلويّة.

العثمانيون والإنكليز:

في يوم الخميس ١٤ ج الأولى سنة ٣٥هـ، أصدر معاون والي بغداد ممدوح بك أمره القاضي بانسحاب عمال جميع أعمال الفرات إلى الرضوانية، وفي يوم الأحد ١٧ ج الأولى سنة ٣٥هـ، غادر النجف عمالها العثمانيون وقد أنصفهم الثوار في الجملة، فودّعوهم بتأثر حسن، ولكن بني حسن أي الحواتم منهم - سلبوا عمال الكوفة في الفرات وشرطتها وأرتكبوا معهم كلّ مكروه.

وفي ١٩ منه وصل النجف نبأ سقوط بغداد، وفي يوم الثلاثاء ٢٦ منه وصل كربلاء ليلاً ضابط إنكليزي وتناجى مع فخري الكربلائي، وكرّ راجعاً في ليلته.

وفي عين ذلك اليوم وصل كربلاء ضابط هندي مع اثنين من البغداديّين ومهمتهم تعرّف حالة القوم، وأمس وصل هذان الرجلان إلى النجف يحملان الكتب إلى بعض الأعيان والثوار، وعلى أثر ذلك - أي في سلخ هذا الشهر - غادر النجف إلى بغداد عطية أبو كَلل، ولا يزال الطريق ما بين بغداد هذه الأنحاء بل بين بغداد وضواحيها غير مأمون، ثم توجّه إلى بغداد من مشايخ الثوار كسعد وكاظم وقد أغدق الإنكليز عليهم المال الأحمر وقرّبوهم.

النجف والإنكليز:

في ١٦ ج الثانية سنة ٣٥هـ، ورد النجف من بغداد بطريق كربلاء الكابتن ينك والكابتن سميث من ضباط الإنكليز معهما عطية أبو كَلل - وهو أحظى ثوار النجف عند الإنكليز - وقد استقبلهما المسلّحون، وهذه الغثراء وتظاهروا وأطلقوا لهما النار مما لم ينتظر بعضه.

وقد نزلا على عطية المذكور وزارهما زعماء المتغلّبين ثم ردّا بعد ذلك عليهم الزيارة، وزارا أيضاً بعض البيوت الشهيرة في النجف مثل بيت الشيخ جعفر، وبيت الشيخ راضي، بيت الجواهر، بيت الخراساني، وسواهم، وقد طلب بعض النجفيّين منهم مطالب وعدوهم بإنجازها إلى حين، وفي ٢٢ ج الثانية غادرا النجف إلى بغداد بطريق الكوفة فالسدّة، ومعهما عطية، ثم تبعه بدعوة منه بعض النجفيّين، وقد تكاثر في هذه الأيام ورود دعاة الإنكليز.

معرض الاستخبارات الإنكليزي:

في يوم الثلاثاء ٢٩ج الثانية سنة ٣٥هـ، فتح في النجف معرض الاستخبارات الإنكليزي، فكانت ترسل إليه المناشير والجرائد على الاتصال، ومدير هذا المعرض الميرزا أحمد الكربلائي.

المعممون والإنكليز:

وفي التاريخ المذكور وصلت كتب المرخص السياسي العام من قبل الإنكليز في بغداد السّر برسي كوكس إلى طائفة من المعممين في النجف، وفي صدر كلّ كتاب اضمامة من الأوراق المالية يذكر في كتابه أنها(إمداد لمعيشتهم موقتاً) فلم يقبلها، وردّها الشيخ جعفر البديري، والشيخ عليّ حمود، والشيخ محمّد نجف، والشيخ عليّ الشيخ محمّد رضا، والشيخ جعفر، والشيخ عبد الحسن على ما شاع، أما قيمة الأوراق المذكورة فخمسون ليرة إنكليزية، وكان الإنكليز قد أنفذوا قبل ذلك إلى السيّد اليزدي، والشيخ فتح الله الأصفهاني، لكلّ مائة وخمسين فردّاها.

المتغلبون:

في ضحى اليوم ٢٩ ج الثانية سنة ٣٥هـ، تناوش أفراد من الرماحية مع مثلهم من الشمرت عند الباب الكبير، فجرح من كلّ رجل وتفرّقوا ولكن البلد هاجت وماجت وأقفلت الأسواق وتحصّن الفريقان ثم اصطلحوا.

عطيّة أبو كَلل:

عاد عطية أبو كَلل وأولاده ومن معه من النجفيّين من بغداد يوم الثلاثاء ١٦ رجب سنة ٣٥هـ، وكان قد صحب الضابطين الإنكليزيين، وقد ظهر أن عطية المذكور أحظى زعماء المتغلّبين وآثرهم عند الإنكليز، وأنه كان يراسلهم ويقوم بقضاء بعض مهماتهم منذ احتلالهم البصرة بل قبل ذلك، فلذلك قدّموه وأسنوا عطاءه.

وقد أثرى هذا الرجل بعد ثورة النجف وتجر تجارة كبيرة بما تحصل له من أموال الإنكليز وغيرها، لاسيّما وأن هؤلاء كانوا يسهلون السبيل لعماله في التجارة ويعطونهم الجوازات التجارية مجانا، وقد بلغ من حظوته عندهم أن حقد عليه بعض أضرابه من النجفيّين.

الثوّار والتجارة:

زاول كثير من الثوار وزعماؤهم التجارة وأقبلوا عليها إقبالاً ظاهراً خصوصاً وقد رأوا ما رأوا من تسامح الإنكليز معهم، وإعطائهم أحياناً بل غالباً الجوازات التجارية مجاناً - وهي مورد ثروة كبيرة - فكانوا ينحدرون إلى البصرة ويصعدون منها بالبضائع المتنوعة إلى أعالي الفرات، فلذلك حصلوا على ثروة طائلة.

الإنكليز والنجفيون:

اصبح النجفيون بعد أن ذاقوا لذّة الاستبداد والاستقلال لا يسمحون بالانقياد لاحد، ففي يوم الجمعة ١٩ رجب سنة ٣٥هـ، نشر بيان إنكليزي فيه(أنه يلزم إلى ١٥ يوماً تسليم جميع ما يوجد من السّلاح الإنكليزي وحمله إلى حاكم المسيب الإنكليزي) وعلى أثر ذلك ائتمر المتغلّبون، وفي يوم الاثنين ٢٢ رجب سنة ٣٥هـ، نشر إعلان نجفي فيه(إنّا معاشر أهل النجف لا نسلّم السّلاح وإن لمثل ذلك قاومنا الأتراك فلا نلقي الأسلحة).

الإنكليز والنجفيون:

وردت النجف عصر يوم السبت ٢٧ رجب سنة ٣٥هـ، أربع سيارات تقلّ ناظر مالية بغداد من الإنكليز، ورونالد ستورس السكرتير الشرقي لدار حمايتهم في مصر ومعهما بعض الأعوان والجنود من الإنكليز والهنود، ونزلوا على آل الخازن - الكليتدار - وقد ظهر أن مهمتهم الوقوف على ما يرتفع من جباية النجف وأطرافها والمحاسبة عليه، سألوا عن ذلك شيوخ المتغلّبين مطالبين بما يأخذونه، وكذلك طلبوا من الخازن تنقيح قائمة في ارتفاعات أحباس المشهد العلوي وأوقافه ونفقاته على راس كل شهر، فلم يحصلوا إلاّ على الوعد بالإجابة من الجميع.

ثم انهم من الغد توجهوا إلى الجسر وقابلوا علوان الحاج سعدون عقيد بني حسن، وطلبوا إليه ما تقدم فوعدهم.

وفي عصر هذا اليوم زار الإنكليزيان اليزدي في داره بالنجف خاليّين به، واجتمعا به ليلاً أيضاً ولا يُعلم ما دار بينهم تماماً غير أنه شاع أنهم عرضوا عليه مبلغاً من الدراهم امتنع من أخذها، وقد حمل هؤلاء قدراً جسيما من الدراهم ناوين توزيعه على جماعة المتعممين المتصدّرين في النجف، ولكنّهم كانوا يرسلون بعض أعوانهم إلى القوم طالبين بإلحاح أن يزورهم المعممون، ولو بان يتنازل الإنكليز إلى زيارتهم أولاً فما أجاب أحد من المعممين إلى ذلك، ولا وصل إليهم أحد إلاّ رؤساء المتغلّبين، ولم يجدوا عناية بهم تستحق توزيع ما معهم من النقود.

وكانت معهم أوراق أرادوا ختمها من المعممين الّذين يصطنعونهم، بعضها في الأوقاف وتعيّين الولي عليها وغير هذا فلم يتهيأ لهم ما أرادوا، وقد غادروا النجف صبيحة الاثنين ٢٩ رجب سنة ٣٥هـ، ومنها إلى الحلّة إلى المسيّب.

حروب العراق:

ملخصة بتصرف عن البلاغ الإنكليزي المنشور في جريدة الأوقاف البصرية عدد ٦٠ من المجلد ١٨:

دخل الإنكليز بغداد يوم ١١ آذار سنة ١٧ أو ١٦، جمادى الأولى سنة ٣٥هـ، وظهر أن لهم أربعة مطالب بعد تمام سقوط بغداد أولها اقتفاء العثمانيّين على دجلة،

ثانيها الاستيلاء على مقدمة الخط الحديدي في سامراء، ثالثها معارضة الفيلق العثماني الثالث عشر الّذي كان يرتد إلى العراق أمام الروسيّين في همدان.

فتوجهت بعض كتائبهم إلى الفرات واستعدّ قسم منهم للتقدم إلى خانقين وقطع الطريق على القوّة المنسحبة أمام القوزاق على الحدود الفارسية.

وفي ١٩ آذار احتل الصف المتوجّه إلى الفرات قرية الفلوجة ولم يتمكن من اللّحاق بالقوّة العثمانية المنسحبة من السّماوة ولكنه تناوش مع مؤخرتها، وبذلك انقطعت المواصلات العثمانية بالفرات الأسفل، غير أن أقرب حامية لهم في أعلى النهر هي الآن في الرمادي الواقعة على بعد ٢٥ ميلاً فوق الفلوجة.

وقد عجّ العثمانيون في تفريق الأراضي بين الصقلاوية ودجلة، حيث فجّروا السدّ في اللّحظة التي علموا فيها أن الإنكليز دخلوا بغداد، وسالت المياه على بحيرة أمركوف الصواب - عقرقوف - وأغرقت الأراضي الواقعة بينها وبين السدّ الّذي يحمي خط السّكة الحديدية وضواحي بغداد على ضفة دجلة الغربية، ولكن هذا السدّ منه المياه من تبطحها وزيادة على ذلك، فان مياه النهر منخفضة هذا العام على خلاف العادة، وقد كانت الأحوال الجوية والنهرية مساعدة للإنكليز أثناء زحفهم على بغداد، وعكس ما كانت عليه في السنة الماضية أثناء محاولة إنقاذ الكوت.

وفي ١٤ آذار (١٩ج١) احتل الإنكليز محطة مشيدي - الصواب المشاهدة - بعد قتال عنيف صارت حراس الإنكليز الأمامية على أثره على خط السّكة الحديدية، غير أن العثمانيّين كانوا يحشّدون جنودهم على الضفة اليسرى ليحولوا الإنكليز عن مقاصدهم، وأن أمكنهم يردّون قواهم التي كانت تهدد خط السّكة الحديدية الأمامية.

وفي ١٥ آذار(٢٠ج١) توجهت إحدى كتائب الإنكليز لتقابل الفيلق الثالث عشر العثماني الّذي كان منسحباً أمام القوازق في طريق خانقين على الحدود الفارسية، وفي يوم ١٨ منه(٢٣ج١) استولى الإنكليز على بعقوبة، وفي ٢٣ منه(٢٨ج١) انجلى العثمانيون عن مواقعهم في شهربان، وفي ٢٦ منه(٢ج٢) اشتبك الإنكليز مع العثمانيّين على مرتفع جبل حمرين وكانت قوّة العثمانيّين كبيرة فرابطوا أمام الإنكليز - والظاهر

انهم هزموهم أولاً - وكمن فريق منهم قرب(دلي عباس)، وعلى هذا أمكنهم عبور ديالى ومرورهم بين الجنود الإنكليزية والروسية التي كانت تهددهم بالانقضاض عليهم.

وكانت هذه القوّة العثمانية مؤلّفة من قسمين أحدهما الفيلق الثامن عشر على جانبي دجلة مع فيلق جديد من الموصل، وثانيهما الفيلق الثالث عشر بين كفري (كورى) وديالى.

وفي هذه الأثناء وصل الإنكليز متقدمين إلى دلتاوه التي يقترب فيها نهرا دجلة وديالى إلى أن يصيرا على بعد ٩ أميال، ودلتاوه على بعد ٣٥ ميل من شمالي بغداد.

وفي ٢٩ آذار(٥ج٢) قام الإنكليز بحركة حربية في دوكامه(كذا) على ضفة دجلة اليسرى، فانسحب العثمانيون إلى الوراء على جانبي نهر العظيم، ثم إن الفيلق الثالث العثماني بعبوره نهر ديالى أمكنه أن يتخذ خطّة الهجوم، وبدلاً من أن ينسحب إلى الموصل على طريق كفري - كما كان ينتظر الإنكليز - اندفع هذا الفيلق إلى الجنوب الشرقي من دلي عباس بمهمة مبيدة للفصل بين صفوف الإنكليز، والغرض من ذلك تعطيل أو تأخير تقدم صفوفهم على دجلة.

فاستدعى الإنكليز مددهم وأسفرت النتيجة عن وقوع معارك فاصلة في يوم ١١و١٢و١٣ نيسان سنة ١٧(١٨و١٩و٢٠ج٢) فارتد الفيلق العثماني من مواقعة المتوالية بين شط العظيم ونهر ديالى للمرّة الثانية إلى مرتفع جبل حمرين.

وفي يوم ٦ نيسان (١٣ج٢) احتل الإنكليز سميكة، وفي يوم ٨ نيسان (١٥ج٢) احتلوا محطة بلد، وفي ٩ منه (١٦ج٢) صاروا في هارب(كذا ولعلّه في حربه).

وفي يوم ١٦ منه(٢٣ج٢) صاروا على المرتفع عند الخبن على بعد ميل ونصف من الموقع العثماني الّذي يحمي وراءه محطة اسطبلات.

وفي يوم ٢١و٢٢ منه (٢٨و٢٩ج٢) بعد معركتين شديدتين في جنوب وشمالي اسطبلات انسحب الفيلق الثامن العثماني واستولى الإنكليز على سامرا، وهي آخر هذا الفرع من سكّة حديد بغداد، وفي الوقت نفسه تقدّم صفّ الإنكليز على الضفة اليسرى في يوم ١٨ نيسان(٢٥ج٢) على شط العظيم.

وبعد ذلك حاول الفيلق الثالث عشر العثماني هجوماً جديداً بجرأة عظيمة لتخليص سامرا، وبعد مسير خارق للعادة ماراً بكاراتيب(لعله قره تبه) خرج من مضيق دميركابو - دمير قبو - الّذي ينبع عنده نهر العظيم من التلال وسار نحو الجنوب جند الميمنة الإنكليزية، فاشتبك معهم في معركة عند تلول النار وعاد شمالاً إلى أعالي نهر العظيم، ودامت مناوشة الإنكليز لهذا الفيلق إلى ٢٤ نيسان(١ رجب) ولكن العثمانيّين جمعوا شملهم لمعركة فاصلة في ٣٠ نيسان(٧رجب) عادوا على أثرها إلى تلال جبل حمرين التي خرجوا منها بعد يومين، وارتد الفيلق الثامن عشر إلى تكريت ولم تزل السّفن القليلة الباقية للعثمانيّين في أعلى النهر.

وعلى ذلك فقد اشتبك الإنكليز أثناء شهر نيسان ثلاث مرّات مع الفيلق العثماني، وخمس مرّات مع الفيلق الثامن عشر، مرتدين إلى الوراء مسافة ٦٠ ميلاً. وقد ذكر الإنكليز في بلاغهم هذا أنهم أخذوا أثناء هذا الشهر على ضفتي دجلة ٣٠٠٠ أسير و١٦ مدفعاً وكمية وافرة من الذخيرة والأدوات الحربية، وذكروا أن بعض جنودهم تحارب من ١٣ كانون الأول أي منذ تقدمهم الأول.

ثورة النجف:

تناولت هذه الثورة الصحف والبرقيات ونشرتها بعض الدول في مناشير خاصة متخذيها حجة في إيغار الصدور على الأتراك، وقد جسمها بعض الكتاب وكبرها عما كانت.

وجاء في(المقطم) عدد ٨٦٤٣المؤرخ ١٥ اغسطوس ١٧و٢٧شوال سنة ٣٥ [مارتية]، مقالة عنوانها (الاتحاديون في العراق) بتوقيع (ابن العراق) تناول كاتبها هياج بعض أنحاء العراق على الأتراك فقال:

أما الثورة فقد حدثت قبل كلّ مكان في النجف الأشرف قبل سنتين تقريباً، وكان أهل النجف في أول الأمر من أكبر الناصرين للاتحاديّين، وذلك أن علماءهم لم يكونوا يعرفون حقيقة القوم فخطبوا في الناس يحضونهم على مساعدة الاتحاديّين، فساعدوهم بتجهيز جموع عديدة من العشائر والأهلين، وسلّحوهم بالبنادق السّريعة، وألحقوهم بجنود الاتحاديّين التي تحشدت في (الشعيبة) ولكن قواد الجيش أساءوا

معاملة هؤلاء فأجاعوهم وأهانوهم، فقفل أكثرهم عائدين لبلادهم يذمون سيرة الاتحاديين.

وزاد الطين بلّة قائمقام النجف - وهو يومئذ بهيج بك المشهور - كان يدخل الحضرة مع كلبه ويقول حين يخاطب أشراف النجف: أن كلبي هذا أشرف منكم، وكان يشتمهم في وجوههم وينتقصهم قدرهم ويسلبهم أموالهم باسم إعانة الحرب، ويرسل بالاشتراك مع القائد العسكري عدداً من رجال الضبط إلى بيوت القوم فيكشفون وجوه النساء بحجّة إنهم يتحرون الفارّين من الجيش، ويتلمسون صدورهن حتّى استفحل الأمر، وأخذ عدد من العذارى النجفيات يقصصن ذوائبهن ويرسلنها إلى رؤساء العرب!! كما هي العادة حين الدعوة إلى حماية الأعراض إلى أن آل الأمر إلى طرد الموظفين من تلك البقعة المباركة التي هي بمثابة مدرسة عظيمة لأبناء الشيعة في العالم.

خازن المشهد العلويّ:

توفي السيّد أحمد بن السيّد محمّد حسن الرفيعي خازن المشهد العلويّ ضحىً يوم الثلاثاء ٩ ذي القعدة سنة ١٣٣٥هـ، بالنزلة القلبية، ودفن في المشهد إلى جنب أبيه.

عامل النجف من قبل الإنكليز:

كان قدوم حميد خان ابن الحاج أسد خان إلى النجف صباح الخميس ١١ ذي القعدة، وجلس في دار الحكومة لأول مرّة يوم السبت ١٣ ذي القعدة، متقلداً لحكومة النجف من قبل الإنكليز في بغداد على أن يؤازره زعماء المتغلّبين، وفي أصيل الجمعة ١٢ ذق ورد من الإنكليز؟.

المكتب العلوي:

انحلت هذه المدرسة في أوائل ذي الحجّة سنة ٣٥هـ، وغادر النجف مديرها المشهور الشيخ عبد الكريم البوشهري.

بحيرة النجف:

جف ماء هذه البحيرة تماماً في أواخر سنة ١٣٣٥هـ، و(تبلور) فصار ملحاً قسم كبير منه واصطادوا من هذه البحيرة في أخريات أيامها مقادير كبيرة من السّمك، وأما الملح فيعرض كالتراب، وفي كلّ يوم تجلب مقادير وافرة تباع بسعر تافه.

الإنكليز في قضائي النجف والشامية:

رتّب الإنكليز على حكومة الشامية والنجف ضابطاً إنكليزياً اسمه الكبتن بلفور، على أن يقيم في أبي صخير(حاكم عسكري)، وقد ورد إلى هذه الأطراف ووصل النجف في ١٧ محرّم سنة ٣٦هـ، ثم انحدر إلى السّماوة.

الغلاء في العراق:

لما أعلن النفير العام في أوائل رمضان سنة ١٣٣٢هـ، شوهد مرّة واحدة هبوط الأسعار سيّما أسعار الحبوب حتّى أنها كانت تعرض في الأسواق عرض التراب فلا يسومها أحد.

وبيعت يومئذ وزنة الشعير في بعض النواحي بخمس غروش، ووزنة الحنطة بمجيدين ونصف مجيدي، ومن الدهن في ١٨ بشلكاً وقس على ذلك، ومما زاد طين الرخاء بلّة جودة المواسم في عامي النفير العام الأولين، فكانت أهراء الحبوب وأنابيرها غاصّة بها في جميع أنحاء العراق، وخاصة في العراقين، حتّى أن الحكومة العثمانية وضعت يدها على مقدار خطير منها يكاد يمون العراقيّين كلّهم لو أُحسن القيام عليه.

وفي مقابلة ذلك اختفت وزويت النقود في عام النفير العام الأول حتى صار من النادر رؤية الدنانير الحمر - اللّيرات - وبقي الحال كذلك زهاء سنة.

ثم لما احتل الإنكليز البصرة في أول محرّم سنة ٣٣هـ، تغيرت الحال فيها وكثرت النقود وارتفعت الأسعار تدريجاً، وصار الإنكليز يجهزون كثيراً من ذخيرة العراق إلى البحر لرخصها، إلى أن شعر الناس بارتفاع الأثمان وغلاء الأسعار، ولكن في حدود ولاية البصرة حيث لا يتجاوزها الإنكليز، وكان الحال على عكس ذلك في ولاية بغداد، وكان الإنكليز كلّما تقدّموا شبراً في العراق وتغلغلوا فيه تزداد كمية النقود لأن جنودهم وعمّالهم ينفقون عن سعة، خصوصاً وهم لم يحلموا في ديارهم بمثل هذا الرخاء والنعيم، والعراقيون من الجهة الأخرى لم يتوقعوا هذه الثروة واليسار - وإن كانا وبالاً عليهم - هذا فضلاً عن أن الإنكليز ومستخدميهم السياسيّين كانوا ينثرون الأصفر الرنّان على قبائل العرب وزعمائهم لأغراض معلومة.

وفي أثناء ذلك نقصت كمية البضائع الأوروبية المخزونة في بغداد وأعالي العراق فاضطر العراقيون إلى استجلابها من البصرة والهند، ونشطت الحركة التجارية بين العرب في العراق والبلاد التي لا تزال عثمانية، وبين الولاية المحتلة فارتفعت الأسعار شيئاً ما في ولاية بغداد في منتصف سنة ٣٣٤هـ، ولكنها في الولاية المحتلة كانت أضعاف ذلك.

وصار ثمن ما يباع في نص دينار سنة١٣٣٢هـ، ديناراً كاملاً هذه السنة(سنة ٣٤هـ) في بغداد، وما زالت الأسعار تترقى تدريجاً تبعاً لتغلغل الإنكليز وبذلهم للأموال فكانت الأجلاب، سيّما أجلاب الأطعمة، تتراكم عليهم من ولاية بغداد التي لا تزال عثمانية، ولكنها عثمانية بالاسم في جهات الفرات، وهو واسطة النقل يومئذ بين البصرة وبغداد، وكان ذلك سبب تنفس الأسعار في العراق بعد خمودها على أثر النفير العام.

رداءة موسم سنة ٣٣٥هـ:

وجاءت سنة ١٣٣٥هـ، والأسعار، أي أسعار الحبوب ومواد المعيشة خاصة، آخذة بالترقي التدريجي، وجاء موسم هذه السنة ضغثاً على أبالة لقلّة الأمطار وانخفاض منسوب مياه دجلة والفرات مما قلّ نظيره، حتّى لحق الشوب غلاّت هذه السنة فأثّر ذلك فيها كمّاً وكيفاً، حتى أن كثيراً من مزارع الأرز بارت بالمرّة مثل المشخاب والمجرة وعليهما معول أهل سقي الفرات.

وبالجملة ساء موسم زراعة هذه السنة الصيفية والشتوية لقلّة المياه والمدود والفيوض العادية في الشتاء والربيع، وصار ثمن وزنة الحنطة والناس على شرف حصادها نحو عشر مجيديات.

أثر سقوط بغداد في الغلاء الفاحش:

وسقطت بغداد في ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥هـ، أو في أوائل ربيع هذه السنة، وقد آن موسم الحصاد، ولما شرع في الحصاد ابتاع الإنكليز أكثر غلاّت فرات الحلّة - وعليه معوّل سقي الفرات - بأثمان باهظة.

وكانت بغداد قد فرغت من الحبوب وضويقت من هذه الجهة في أواخر وجود العثمانيّين فيها، فلمّا سقطت أقبل التجار على جلب الحبوب إلى بغداد من الفرات عدا

ما يبتاعه الإنكليز لهم خاصة، ولم يكن ما يجلب إلى بغداد يفي بمن فيها، ولكن الأسعار لم تكن فاحشة أي كانت سعر وزنة الحنطة في أثناء الحصاد وبعده قليلاً يتراوح بين الاثنتي عشر والأربعة عشر مجيدي في بغداد، وأما في الفرات وسقيه فكان يتراوح بين الثمان إلى عشر مجيديات.

أشهر بغداد الأخيرة والضيق فيها:

وما جاءت أشهر هذه السنة الأخيره أي شهر شوال وذي القعدة وذي الحجّة من سنة ٣٥هـ - حتى أخذت حلقات المحنة تشتدّ في بغداد من قلّة الحبوب، واضطرب حبل الأمن بين بغداد والمسيب - وهي الطريق التي منها تجلب الحبوب إلى بغداد - وخرجت خروج العرب على القوافل، ولا أرب لهم إلاّ نهب أحمال الأطعمة فنهبوا كثيراً حتّى كادت تنقطع السّابلة، مما أدى إلى اشتداد الأزمة في بغداد، وارتفعت أسعار الحبوب في هذه الأشهر على التوالي حتّى بلغت أوقية الخبز في الشهر الأخير منها ٢٤ غرشاً مما لم يعهد له مثيل في بغداد، فضجّ الأهون وعجّوا بالشكوى إلى الإنكليز، وبعد اللتيا والتي فتحوا في جانبي بغداد محلّين يبيعون فيهما الحنطة والشعير إلى الأهلين بأثمان متوسطة، ولكن الضيق بقي على أشدّه إذ لا تكفي بغداد إلاّ محالّ كثيرة من هذا القبيل.

سنة ١٣٣٦هـ التهديد بالمجاعة:

بلغ السيل الزبى والحزام الطبيّين في أواخر ذي الحجّة سنة ٣٥هـ، في بغداد حين صارت أوقية الخبز في روبية، وطالما تعسّر حصولها مع ذلك، فانكفأ التجار من بغداد إلى سقي الفرات يطلبون التمر والحبوب، فكأنما أضرموا في هذه الأرجاء ناراً حامية.

ففي أوائل محرّم سنة ١٣٣٦هـ، بلغ تغار الحنطة في النجف وكربلاء والكوفة ثمانين ليرة وكذلك الأرز، أما الشعير والتمر فبلغ تغارهما أربعين ليرة، وهو شيء لا يعرف في تاريخ هذه البلاد، فذعر الناس من ذلك وأصبحوا يتحدّثون بالمجاعة، أما الأسعار في بغداد يومئذٍ فأغلى مما ذكرنا عن النجف، إذ قد بلغت وزنة الحنطة فيها نحو ٤٠ مجيدي، بل بلغ ثمن تغار الحنطة في بغداد في منتصف محرّم سنة ٣٦هـ (١٢٠) ليرة، فتظاهر الناس في غير مكان ومدينة شاكين إلى مستخدمي الإنكليز.

الغلاء:

ما زالت هذه المحنة تتضاخم في العراق سيّما في ولاية بغداد، وقد بلغت حقّة الحنطة في محرّم سنة ٣٦هـ، ببغداد مجيدين وأقلّ منها قليلاً التمر والشعير، ومع ذلك لا توجد العين في بغداد ونواحيها إلاّ بشقّ الأنفس، وبلغ تغار الحنطة في النجف وما إليها مائة ليرة عين، فاضطرب الجمهور وظهرت الكآبة والكرب على الوجوه، وعرضت المواشي بكثرة للبيع، ولذلك لم يرتفع سعر اللّحوم والأسمان ارتفاعا يذكر، وسبب كثير من الدواب، وبيع في النجف حمار بأوقية من الشعير، وبيع تغار الدنان بعشرين ليرة.

وفي أول صفر سنة ١٣٣٦هـ، بلغ تغار الحنطة في النجف مائة وعشرين ليرة ومثلها التمن، وبلغ الشعير نحو سبعين ليرة، وتألفت لجنة من التجار لشراء الشعير وبيعه بثمن الأصل أي بلا ربح على الفقراء.

الإنكليز والغلاء:

لم يبق ريب عند عامة الناس أن سبب الغلاء الفاحش هو طلب الإنكليز الحثيث للحبوب وشرائها بأي ثمن كانت بقطع النظر عن حاجة أهل العراق، وما زال عمال الإنكليز يتكاثرون وهم بجرّ الحقائب بالذهب الأحمر فيبذله بلا حساب في شراء الحبوب، وشاع أن العرب قتلوا جماعة منهم.

***

(٢)

مذكرات
الشيخ محمد رضا الشبيبي
ثورة النجف
ضد الاستعمار البريطاني
١٩١٨م / ١٣٣٦هـ

العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي

تمهيد

بقلم الأستاذ: أسعد محمد رضا الشبيبي

تهدّم السور الذي أحاط بالنجف يوماً ما، وشهد ثورة أهلها ضد الإنكليز في عام ٦ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ١٩ مارت ١٩١٨، كما شهد من قبل ذلك ثورة أهلها ضد العثمانيين ومقاومتهم للغزاة من البادية، بل ثوراتهم وقيام بعضهم على بعض في مرات غير قليلة. ولم تعد تلك المحال أو الشقوق الأربعة من النجف، وهي شق الحويش وشق العمارة وشق البراق وشق المشراق... لم تعد كما كانت من قبل حين تزعم كلاً منها قوم متغلبون «اشتهروا بالنجدة والإقدام واطراح المبالاة»(١).. بالمغالاة في كل هذا حتى ليصل إلى حد الظلم، وبالاعتدال فيه حتى ليصل إلى حد المسألة فالاستسلام.

لقد مات أبطال تلك الثورة ضد الإنكليز، وشاب صبيانها، وليس لدى أطفالها سوى الذكريات الباهتة، وقليل من خلفوا لنا حقائق ثابتة عما جرى في تلك الفترات من نضال العراقيين، ومنهم النجفيون، ضد المحتلين والغزاة الأجانب.

أما نحن الذين ولدنا فيما بعد، وشهدنا غيرها من الثورات والهزّات في النجف وسواها من مدن العراق، وفي البلاد العربية بل في العالم، فليس لنا إلاّ أن نقرأ ماكتب من عاش تلك الأيام، وعرف وسبر غور أحداثها.

كان الشبيبي واحداً من هؤلاء، سال قلمه فياضاً في تصوير أحداث فترة من أخطر الفترات التي مرّ بها العراق والأمة العربية، وذلك قبيل تحرر هذه البلاد من السيطرة العثمانية وحين «اتجه الناس اتجاهاً جديداً لم يسبق له مثيل، ومالوا إلى الاهتمام بمظاهر التقدم والرقي على اختلافها، وذلك بمجرد إعلان الدستور في الدولة العثمانية

---

(١) من مجموعة الشبيبي.. «أسعد».

سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م، ولقد امتاز العصر المذكور بكونه عصر اليقظة في الفكر والشعور، تفنن الخيال العربي فيه في التعبير عن هواجس النفوس الطامحة إلى مجاراة الأمم الناهضة، الراغبة في التخلص من عوامل الضعف والانحلال»(١) . جرى قلم الشبيبي في ذلك إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ودخول البلاد العربية ومنها العراق تحت سيطرة الاحتلال الانكليزي والفرنسي، ومن ثم تحررها جزئياً أو كلياً من هذه السيطرة الاستعمارية، كما هو معروف من خلال نشاطات الشبيبي السياسية والأدبية، قبل وبعد تأسيس الحكم الوطني في العراق، وحتى سنوات حياته الأخيرة.

إنني لعلى يقين من الشبيبي كان سيرجع إلى هذه الأحداث المنشورة في هذه (الصفحات المطوية)، وإلى غيرها من الانطباعات والآراء والملاحظات التي تركها مخطوطة عن النجف وحياتها، قبيل وبعيد إبان سيطرة أهلها مابين الاحتلال العثماني والإنكليزي في العقد الثاني من هذا القرن، وكذلك عن انطباعاته ومذكراته عن المجتمع العراقي الحديث التي سجلها هي الأخرى مخطوطة في نفس المجموعة، أقول: كان الشبيبي سيرجع إلى هذا فيما لو تسنى له ذلك، من أجل أن يتحقق منه مرّة أخرى -على عادته في كل أمر خطير- فيضيف إليه أو يحذف منه، وليطبعه بخلاصة تجارب سنين حبالى بشتى الآلام والآمال، وما كان ذلك ليغير بأي حال من الأحوال من جوهر وحقيقة تلك الأحوال، ولا من رأي الشبيبي فيها على العموم.

أما أنا فما عليَّ إلاّ أن أجمع جُلَّ ما كتب الشبيبي أو كله، نشر أم لم ينشر، منسقاً إياه بالطريقة التي أعتقد أنها أقرب إلى رغبته، محققاً قدر الإمكان وناشراً له بعد ذلك، لكي يكون في مستقبل الأيام مصدراً من مصادر التاريخ الموثوق بها.

إن هذه الصفحات (الصفحات المطوية من ثورة النجف ضد الإنكليز) هي فصل من فصول «كتاب النجف» الذي أقوم بجمع مواده الآن من كل ما ترك الشبيبي من الانطباعات والآراء والملاحظات التي أشرت إليها عن النجف، حيث ولد عام ١٣٠٦هـ وحيث عاش أيام صباه وشبابه، وحيث تعلّم وعلّم، وحيث ساهم في الحياة

(١) من مقدمة الشبيبي لديوانه/ الصفحة ج، د.

السياسية والأدبية مساهمة فعالة حتى هاجر إلى بغداد، ولما يزل في خضم تلك الحياة، واستقر فيها في العشرينات.

يشتمل «كتاب النجف» على ما كتب الشبيبي في تأريخها، وفي عمارتها وفي آثارها وأديرتها، وأنهارها وسدنتها ونقبائها، والغزوات التي تعرضت لها، وفي مكتباتها وفي رجال العلم والأدب فيها وفي ثوراتها وحياتها الاجتماعية أيام عاش فيها... ولقد استقى مؤلف كتاب «ماضي النجف وحاضرها» المرحوم الشيخ جعفر محبوبة كثيراً وكثيراً من المعلومات الموجودة في كتابه مما كتب الشبيبي نفسه.. أشار الشيخ المذكور إلى ذلك في بعض المواقف، ولم يشر في البعض الآخر مع الأسف.. ومن يقرأ مقدمة الشبيبي للجزء الثاني من كتاب «ماضي النجف وحاضرها» يشعر بهذه الحقيقة كل الشعور، دون أن يتعرض لها الشبيبي بشكل مباشر على الإطلاق، وليس من الصدف أن الشبيبي نفسه أراد يوماً أن يكون كتابه بنفس الاسم أي «ماضي النجف وحاضرها» من قبل أن يفكر بذلك الشيخ محبوبة!

وبالتالي فمن المناسب أن تتقدم هذه (الصفحات المطوية) مقدمة الشبيبي لقصيدته «ثورة على الأتراك» أو «شكوى وعتاب»(١) مشيرين في الوقت نفسه على أن أسلوب الشبيبي في الكتابة أسلوب عربي صحيح متين، يستعمل فيه من التعابير ما لم يصطلح الناس إلاّ على عكسه اليوم، فالعصابة لدى الشبيبي ليست عصابة من اللصوص، وهي لاتتحمل المعنى الأمريكي لهذه الكلمة.. وكذلك تعبير أصحاب السوابق فهو تعبير لايأتلف والمفهوم المفهوم هذه الأيام.

تحية وألف تحية إلى ثوار النجف.. إلى ثوار العراق.. إلى كل الثوار في العالم..

أسعد الشبيبي

---

(١) ديوان الشبيبي ص٢٦.

تقديم

ثورة على الأتراك:

من أهم حوادث العراق الأخيرة ثورة النجفيين على العثمانيين التي انتهت بطردهم من النجف، وبسقوط هيبتهم وضعف شأنهم في عامة البلاد، لاسيما سقي الفرات، ولم يقتصر تأثيرها من هذا القبيل على القطر العراقي حتى تجاوز إلى غيره من الأقطار، فقد انتشرت في النجف في أخريات جمادى الثانية سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م، أو لمرور شهر على واقعة الشعيبة رِقاعٌ على مناهضة الحكومة، وحادثة الحلة في منتصف شوال سنة ١٣٣٣هـ وحادثة الحكومة العثمانية، فاهتم لها أولياء الأمور في بغداد، وجرّدوا إلى النجف بعثاً مؤلفاً من ألف من المشاة والفرسان بقيادة (عزت بك)، ففر المشاغبون عند وصوله إلى السواد، وهم عصابة يتألف معظمها من البلط (الفارين من الجندية) وفي الهزيع الأخير من ليلة السبت ٨ رجب سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م عادوا فنفذوا إلى البلدة من السور، انضم إليهم طائفة من البلديين، فنشب في الصباح الثاني بينهم وبين الحامية العثمانية قتال شديد، دام إلى عصر الاثنين ١٠ رجب سنة ١٣٣٣هـ. وفيه أذعنت الحامية وجردت من السلاح بعد فقدانها جماعة منها فيهم بعض الضباط، وطلب القائد والقائمقام (بهيج بك) والمستخدمون الأمان، فأمنهم وأخرجهم به خازن المشهد وبعض الأماثل والصدور، ثم اضرمت النار في دور الحكومة، ونهبت أمتعة المستخدمين، وتسلّم النجفيون منذ ذلك اليوم أزمة الحكم في البلدة، وما كفى ذلك حتى صاروا يعملون على تقويض أركان الحكومة العثمانية في العراق، فكان لهم ضلع في أكثر الحوادث التي حدثت بعد ذلك، وأريد بها طرد الأتراك كحادثة كربلاء الأولى في منتصف شعبان سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م، وكارثة الحلة في منتصف شوال سنة ١٣٣٣هـ، وحادثة كربلاء الثانية في ٧رجب ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م هلك فيها خلق كثير، وأشرفت البلدة على الخراب، إلى غير ذلك، ومازال النجفيون يحكمون أنفسهم بأنفسهم سنتين كاملتين، حتى حاولوا أخيراً ألا يفسحوا بينهم مجالاً للإنكليز، كما اتفق

لهم مع الأتراك، فقاموا بثورتهم الخطيرة على الإنكليز التي افتتحت بقتل (الكابتن مارشل) حاكم المدينة صباح الثلاثاء ٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م فحوصرت النجف خمسة وأربعين يوماً بجيش إنكليزي جرّار، تبودل إطلاق النار بينه وبين النجفيين أكثر تلك الأيام، إلى أن تم للإنكليز إمساك السواد الأعظم من القوم، وعوقب نحو مائتين منهم بالشنق والنفي والتغريب»[1].

(١) مقدمة الشبيبي لقصيدته: «ثورة على الأتراك أو شكوى وعتاب»، ديوانه ص٢٦-٢٧.

نصّ المذكرات

الثورة على الإنكليز في النجف

ثار أهل النجف على الإنكليز ضحى يوم الثلاثاء ٤ صفر سنة ١٣٣٦/ ١٩تشرين الثاني ١٩١٧- وتجمهروا أمام السراي نساء ورجالاً، وتظاهروا بالسلاح ونهبوا السراي، وأهانوا المستخدمين وأطلقوا المساجين. وتفصيل ذلك أن الكابتن بلفور عامل الإنكليز على الشامية والنجف ورد من أبي صخير، وصادف وروده ورود المايجر باولي عامل كربلاء فأرسلا في طلب زعماء المتغلبين إلى السراي وحضر منهم عطية أبو گلل وكاظم الصبي فطالبهما وبقية الشيوخ برد منهوبات ركب عنزة الذين خصّهم الإنگليز بالإمتيار، في النجف في أوائل محرم فمنعهم عامة النجفيين والفقراء من الامتيار ونهبت بعض أمتعتهم إذ ذاك، فتتصل المذكوران من ذلك وتقدما بالأعذار، والإنگليزي يرعد ويزبد ويتوعّد ويتهدّد، وقد زبرهما وسبهما وأهانهما بضروب من الإهانات حتى اضطرهما إلى مقابلته بالمنكر، فانتهراه وسبّاه وهدّداه، ثم نادى عطية أبو گلل بالحرس الأهلي -الشبانة- أن يتفرقوا فتفرقوا، وأشار إلى المسلّحين وغيرهم أن يهجموا على دار الحكومة ففعلوا، وتجمهور الفقراء حينئذٍ بيد الإنگليز وعجّل حاكم كربلاء بالفرار إليها على سيارته، وأخذ بلفور بحماية المسلحين إلى دار حميد خان وكيل الإنگليز في النجف وهو خائف نادم على مافرط منه.

الثورة في أبي صخير والجسر:

وفي هذا اليوم سرت الثورة من النجف إلى أطرافها، فهجم جماعة من النجفيين وغيرهم على السراي في أبي صخير، وطردوا القائمقام والحرس، ونهبوا الأثاث والرياش والأموال وجميع ما في السراي وما حوله من النفط الكثير،

وفيه: جاء بنو حسن إلى الجسر بالسلاح وأقفلت الأسواق، وأرادوا الهجوم على السراي إلاّ أنهم اكتفوا بأخذ ألف ليرة من قائمقام الجسر وتركوه، وقد شعث السراي أيضاً في أبي صخير وهدم من بعض الجهات.

الأُبيض والخرم:

وثار أيضاً أهل الأُبيض والخرم على من عندهم من المستخدمين، وأهانوهم ونهبوهم وثارت أماكن أخرى.

اهتمام اليزدي وبطانة اليزدي بالإصلاح:

اهتمت بطانة السيد كاظم اليزدي أيضاً بإصلاح ما شجر بين النجفيين والإنكليز.

وفي عصر يوم الثورة ذهب الكابتن بلفور إلى السيد اليزدي وخلا به في داره.

وفي اليوم الثاني توسط أعوان اليزدي فجمعوا بين بلفور والنجفيين، ويجب أن نذكر هنا أن الإنكليز منذ أن احتلوا بغداد أخذوا يبالغون في العناية باليزدي وكلّما زار أحد منهم النجف أظهر أن من أعظم مهماته لقاء السيد كاظم، فيزورونه في داره. وفي آخر محرم سنة ٣٦/ الأسبوع الثاني من تشرين الثاني ١٩١٧- وصل إلى النجف عامل الكاظمية الإنكليزي مارشال، وذاع أنه موفد من قبل حكام بغداد لإبلاغ اليزدي سلام الملك -جورج- وقد أبلغ الإنكليز فيما أبلغوه إلى اليزدي أنهم مأمورون بإنفاذ أوآمره ونواهيه وأنهم طوع إشارته إذا أشار، ولما علم الناس ذلك تهافت الزعماء الذين نكبهم الإنكليز في العراق وحدودها من العرب والعجم، وأعلنوا جلاءهم، يطلبون شفاعته، فكان اليزدي يشير على بعض أعوانه فيكتبون إلى ـكوكس- الحاكم الملكي العام في العراق، وقد أجابهم غير مرّة إلى ما يطلبون، وإلى نتيجة وساطة بطانة اليزدي فقد نادى المنادي في النجف ثاني يوم الثورة بأن الإنكليز عفوا عن النجفيين.

وكان الإنكليز قبضوا في -شفاثا- على جماعة من أهل النجف، في جملتهم ابن عطية أبي گلل أطلقوهم بكتابة من اليزدي في ذلك.

إعلان الإنكليز في النجف:

أعلن مستخدموا الإنكليز في النجف يوم الأحد ١٠ صفر سنة ٣٦/ ٢٥ تشرين الثاني ١٩١٧ بأن حكومة بغداد الإنكليزية منعت جلب الغلات من الفرات إلى جهات بغداد، وأنها سوف تجلب الحبوب من جهة الحلة والهندية إلى النجف والكوفة.

بعد الثورة:

قطعت الطرق واضطرب حبل الأمن فيما بعد ثورة النجف وأطرافها على الإنكليز وخرجت خروج العرب على طول الفرات وكثر السلب والنهب والقتل.

تراخي الأسعار:

ولكن أسعار الغلّات والحبوب والتمور تراخت في الجملة، فهبط تغار الحنطة في منتصف صفر سنة ٣٣٦ من ١٢٠ ليرة إلى ١٠٠ليرة بل أقل وكذلك التمن، وهبط التمر أي تغاره إلى ٣٨ ليرة كل ذلك بفضل ثورة النجف.

كوكس حاكم العراق العام في النجف:

وصل كوكس أو السير برسي كوكس حاكم العراق العام إلى النجف عصر الثلاثاء ١٩ صفر سنة ١٣٣٦ / ٤ك / ١٩١٧م، ومعه جماعة من ضباط الإنكليز عن طريق الفرات، وقد ظهرت قبيل وصوله في سماء النجف طيارة إنكليزية، وحامت على البلدة ذاهبة جائية، ثم عادت أدراجها، وذلك نحو الساعة ٨ عربية من ذلك اليوم، وقد قيل: إنها جاءت لإرهاب أهل النجف أو لاستكشاف حالهم من العصيان أو الطاعة، وكانت منخفضة غير ملحقة في الجو حتى رُئي ربّانها وراصدها واضحين. ومن الغريب أن عمّال الإنكليز في النجف قرّبوا لكوكس القرابين وذبحوا الذبائح تحت أقدامه، وقد ذهب توّاً إلى دار حميد خان وكيل الإنكليز في النجف، وعاد بع الغروب إلى الجسر، وزار اليزدي في الكوفة قبل رواحه إلى النجف وبعده وخلا به وزار شيخ الشريعة الأصبهاني المعروف بـ-شريعة- وكان مريضاً في داره بالنجف.

برسي كوكس في مهمته:

لايخفى أن الإنكليز شرعوا يلقون القبض على من له زعامة وكلمة نافذة في قومه من أهل العراق، وقد فعلوا هذه الآونة ذلك بجماعة من هذا القبيل في بغداد والكاظمين وكربلاء وسواها، ولما ثارت النجف علموا أن نصيبها يجب أن يكون أكبر من سواها في ذلك. فقدم كوكس لهذه الغاية معتمداً على دهائه وعلى تأثير طيارته التي أرسلها قبل ذلك، ولما وصل الكوفة أرسل على زعماء المتغلبين والنجفيين يطلب مقابلتهم في الكوفة

فأحسّوا بالشر، فاعتذر بعضهم، وأجابه آخرون لم يقبض عليهم ليتسنى له القبض على الجميع في المقابلة الأخيرة التي أعدها لهم في الكوفة. ولا يخفى أن كوكس لم يقم في النجف أكثر من ساعتين، وعاد إلى الكوفة بعد أن أخذ على الزعماء أن يحضروا في الغد إلى الكوفة للمذاكرة... فلم يجيبوه ولم يذهبوا في الغد إلى الكوفة، مع الإصرار الشديد عليهم من بعض أعوان الإنكليز، كمحمد حسين خان معاون كوكس، وكان أشد القوم امتناعاً المدعو عطية أبو گلل، وقد طلب بعض المتغلبين أن يحضروا وإن تخلف الآخرون، فقيل لهم: إن المقصود حضور الجميع فلم يذهب إلى مقابلة كوكس أحد، وعاد هو إلى بغداد في ذلك اليوم من دون أن تنطلي حيلته على النجفيين.

كوكس والعمائم:

قابل كوكس في دار نائب الإنكليز في النجف جماعة من أرباب العمائم منهم - المقّسمون- وهم الذين كانوا يتقاضون راتباً من -الخيرية الهندية- على يد الإنكليز ومنهم غير هؤلاء من أهل الدعوى والجميع اغتنموا زيارته فرصة لما عسى أن ينفحهم به من الدراهم على عادته معهم... ولكنهم -حفظهم الله- تظاهروا بالشكوى من الغلاء عن لسان الفقراء والمجاورين وطلبوا إسعافهم. ثم في منتصف ربيع الأول سنة ٣٦ شرع عمال الإنكليز بتوزيع الخبز على المحاويج..

طيارة ثانية في سماء النجف:

حلّقت طيارة ثانية أكبر من الأولى في سماء النجف عند الساعة ٩ من يوم الخميس ٢٠ صفر سنة ٣٦/ ٦كانون الأول ١٩١٧ ولكنها كانت مرتفعة ولم يرمها أحد، إلاّ أنها أكدت شبهة «قطع المناسبات» بين النجفيين والإنكليز.

وفاة التبريزي:

توفي السيد علي التبريزي الملقب -الداماد- بالسكتة عصر الخميس ٢٠ صفر سنة ٣٦.

النجفيون والإنكليز:

لما فشل كوكس في مهمته أخبر اليزدي في الجسر بأنه مجّهز إلى النجف والفرات حملة عسكرية.

وفي أوائل ربيع الأول سنة ٣٦ - أوائل الأسبوع الثالث ك١ ١٩١٧ - وصلت إلى الكفل طلائع جيش إنكليزي يقرب من الخمسمائة.. عسكروا وشرعوا يعقرون كثيراً من النخيل، وشوهدوا يعقدون جسراً، ورُئي أيضاً جماعة من القوات يرتادون مواقع لعسكرهم قريباً من كري سعدة تشرف على برية النجف.

الإنكليز في الكوفة:

وردت جسر الكوفة عصر الأربعاء ١٩ ربيع الأول سنة ٣٦/ ٢ك ١٩١٨ - مقدمة جيش إنكليزي وشوهدت بعض الخيام أيضاً بظاهر السهلة، ثم علم أنهم عسكروا في - شريعة التبن - من شرائع فرات الكوفة.

النجفيون والإنكليز:

لازالت الصلات متوترة بين الإنكليز وجماعة من المتغلبين في النجف، ومازالت كتب الحاكم السياسي العام تتوارد على بعضهم بالشخوص إلى بغداد، وقد تغيّر الرأي العام، وانقلب على الإنكليز، وصار الجمهور والسواد الأعظم يتذمّرون من حكومتهم، ويتعجبون من خيبة الآمال التي عقدوها عليهم، وقد راجع كثير من النجفيين -عجمي باشا- وذهب إليه وفد منهم حاملاً كتب كثيرة تتضمن الشكر على ذلك، وكثرت المراجعات بين الفريقين بهذا الشأن، وكثرت يومئذ المناشير السرية والعلنية في النجف ضد الإنكليز.

تراخي الأسعار:

هطلت الأمطار هطلاناً عظيماً عاماً في العراق أول ربيع الأول سنة ٣٦ وظلت السماء متلبدة بالغيوم أكثر هذا الشهر، ولا تخلو كثيراً من الأيام عن قطقط ورذاذ، فتراخت الأسعار وهبط ثمن وزنة الحنطة الجيدة من ٦ ليرات إلى ٤ وقس التمر والشعير على ذلك، ثم هطلت الأمطار أيضاً في منتصف الشهر المذكور فصاعداً، ومنهم من ينسب تراخي الأسعار إلى ثورة النجف وإعراض الإنكليز عن ابتياع الغلات.

الإنكليز في النجف والفرات:

مازالت الذخائر والمؤن تصل إلى الجسر والكفل تباعاً، وكذلك الجنود إلى أوآخر ربيع الأول سنة ٣٦ وربما جاز بعض الضباط إلى النجف على السيارات.

وفي يوم الأربعاء ٢٦ ربيع الأول سنة ٣٦/ ٩ كانون الثاني ١٩١٨ -وصلت إلى النجف- مس جرترود بل- معاونة الحاكم السياسي العام واجتمعت بالنجفيين.

الشغب في السماوة:

من آثار ثورة النجف سريان الشغب في السماوة، وتقسم أهلها وتناوشوا، وانهزم مستخدم الإنكليز فيها، واضطر الإنكليز إلى إرسال جند وبواخر حربية لإصلاح الحال في السماوة وما فوقها إلى الشنافية.

واقعة بين النجفيين والإنكليز:

ظهرت ضحى يوم السبت ٢٩ ربيع الأول سنة ٣٦/ ١٢ك٢ ١٩١٨ - سرية كبيرة، أو زهاء ثلاثمائة من فرسان الإنكليز في ظاهر النجف مما يلي الكوفة، متظاهرين بالمسير حول النجف فنفر النجفيون واضطرب الناس وأقفلت الأسواق. ولما صار الإنكليز غربي السور في البحر أطلق النجفيون عليهم النار بشدّة، فقتل منهم ثلاثة وتقهقروا على أثر ذلك مسرعين، وعادوا من حيث أتوا، ثم أن النجفيين تحالفوا وتظاهروا بالسلاح وأطلقوا النيران، وظلوا متظاهرين إلى يوم الاثنين غرة ربيع الثاني سنة ٣٦.

وفي ضحى هذا اليوم ظهرت في سماء النجف طيارة إنكليزية فلم يتردد النجفيون في إصلائها ناراً حامية.

وفيه ذهب إلى مقابلة الإنكليز في الجسر جماعة من شيوخ المتغلبين في الحويش والمشراق والبراق، منهم السيد مهدي السيد سلمان، وسعد، وتبعهم الصبي، بدعوة من الإنكليز، فتظاهروا بالطاعة التامة، فانفرد عطية بالإصرار على عدم مقابلة الإنكليز ومواجهتهم كأن القوم أسلموه. ومنع حمل السلاح في النجف، وضاق الأمر بعطية، فخرج من النجف ليلة الخميس ٤ ربيع الثاني سنة ٣٦/ ١٧ ك٢ ١٩١٨- وخرج معه كريم بن سعد في جماعة من رفاقهما ونزلوا -الرهيمة(١)- ثم فارقها عطية بجماعته ظاعناً في بلاد العرب.

---

(١) الحقيقة ان كريماً لم يخرج مع عطية، وانما خرج بعده بأيام والتحق به في البادية. وقد ذهب عطية إلى وادي «ابو حسان» ٤٠ ميلاً غرب النجف في البادية، ثم إلى وادي «بربير» ولم يذهب إلى الرهيمة، كما أعلمني بذلك علي حبيبان الذي كان قد خرج مع عطية ضمن عدد من اتباعه «الأسدي».

وفي يوم السبت ٦ ربيع الثاني سنة ٣٦/ ١٩ ك٢ ١٩١٨ - أبلغ قائد الإنكليز العام أعيان النجفيين الصفح عمّا جناه عطية وعامة النجفيين، وطلب إليهم الكتابة إلى عطية بالعودة إلى النجف، فأبرق الأعيان إلى عطية بذلك. وفي هذه الأيام بثّ الإنكليز سراياهم وخيلهم في حافة بلاد العرب مما يلي النجف وكربلاء إلى الشنافية، وظهرت فرسانهم في -القايم-(١) و -الرهيمة- وغير ذلك، وفيها شرعوا يعدون الحفائر والخنادق لهم بين الكوفة والنجف قريباً من كري سعدة، ثم عسكر فريق من جيشهم، ثم ظهر أن غرضهم حصار النجف، لكن بقية رؤساء المتغلبين كالسيد مهدي وسعد والصبي وسواهم تظاهروا بالطاعة التامة للإنكليز.

وفي يوم الأربعاء ٩ ربيع الثاني سنة ٣٦/ ٢٣ ك٢ ١٩١٨ - أشخصوهم إلى الجسر، وطلبوا إليهم أن يجمع النجفيون خمسمائة بندقية أو ألف وخمسمائة ليرة، ويسلّموها للإنكليز غرامة عن رمي الطائرة وقتل الجنود، وطلبوا أيضاً إحضار كريم بن سعد، وتغريم عطية ٣ آلاف ليرة، وقالوا: إذا لم تجمع خمسمائة بندقية فإن قائد الفرات يضرب الحصار على النجف ويقطع عنها الماء والمؤونة.

وفي ضحى الأربعاء ١٦ ربيع الثاني سنة ٣٦/ ٣٠ك٢ ١٩١٨ -كان موعد تسليم الغرامة أي الخمسمائة بندقية للإنكليز، فحملها زعماء المتغلبين وسلموهم إياها في الجسر، ولما فحصها الإنكليز وتبيّن أن بعضها من الجنس الرديء العتيق ضربوا على النجفيين غرامة أخرى قدرها ٣٢٥٠ روبية فحملت إليهم في اليوم التالي يوم الخميس.

وفي ضحى الجمعة ١٨ ربيع الثاني سنة ٣٦/ ١ شباط ١٩١٨ -ردّ النجف عاملها الإنكليزي الذي تقرر ترتيبه عليها ومعه أفراد من الأعوان واسمه الكابتن -مارشال-.

وفي يوم الأحد ٢٠ ربيع الثاني سنة ٣٦ حلّقت في سماء النجف الطيارات الإنكليزية، وظهرت أربع دفعات.

وفي يوم الثلاثاء ٢٢ ربيع الثاني سنة ٣٦ وردت شرذمة من الجنود الإنكليز.

وفي يوم الخميس ٢٤ ربيع الثاني سنة ٣٦/ ٧شباط ١٩١٨ -أعلن حاكم العراق العام نفي عطية أبي گلل وكريم بن سعد وحظر إيواءهما.

---

(١) القايم: قرية صغيرة تقع بالقرب من مرقد عبد الله ابو نجم في منخفض الشنافية.

وفي غرة جمادىٰ الأولى سنة ٣٦ تمّ مدّ السلك البرقي إلى النجف.

وفي يوم الخميس ٢ جمادى الأولى سنة ٣٦ رفع العلم الإنكليزي على خان عطية في النجف، وفيه وردت شرذمة من الجنود الهندية ووصلت جنود كثيرة إلى الجسر من بغداد بطريق الكفل والحلة، ثم ورد على أثر ذلك الجنود الفرس والأكراد المتزيين زي العثمانيين.

الثورة العظمى في النجف:

لم يكن يتصور أحد بعد أن انتظم الأمر للإنكليز في النجف على ماقدمناه أن تتجدد فيها ثورة أخطر من الأولى بما لايقاس، فقد توهم أكثر الناس أن تغلب النجفيين وتغطرسهم وتطلعهم إلى الثورة كل ذلك قطع دابره وأصبح في خبر كان، والظاهر أن مديري هذه الحركة الأخيرة عصابة عقدت النية على ذلك، منذ أول دخول الإنكليز إلى النجف، في أول فرصة تحين لكن لم يكن ينتظر وقوعها قطعاً في الوقت الذي وقعت فيه، إذ الناس ساكنون مطمئنون وأعراب السواد وزوّار النجف من كل فج عميق يدخلونها أفواجاً لتمضية ليلة الانقلاب الربيعي أو دخول الشمس في برج الحمل - دخول السنة- على عادة قديمة جرت للناس في ذاك.

ففي صباح الثلاثاء ٦ جمادىٰ الثانية سنة ٣٦/ ١٩ آذار ١٩١٨ -تقدم إلى دار الإمارة في النجف -وهي خان عطية الذي احتله الإنكليز -بقصد احتلاله جماعة من العصابة المذكورة يقودهم الحاج نجم المعروف بالسوابق. وقد ذكر هو أنهم باتوا ليلة ذلك اليوم في المقابر، وكانوا أربعين أو شبيهاً بهذا العدد، فلما أدوا فريضة الصبح تقدموا إلاّ أن بعضهم شرعوا يتسللون وهو يحرضهم فما وصل -الخان إلاّ عشرة أو أكثر قليلاً[1] من مجموع الأربعين متزيّين بزي الشرطة الأهلية التي ألفها الإنكليز في

---

(١) الصحيح أن الذين وصلوا الخان ودخلوه هم سبعة وعشرون، كما أعلمني بذلك أحدهم هو عودة الشكري، وهو حي يرزق في الخامسة والسبعين من عمره المديد الآن، وذكر لي أسماءهم وهم: الحاج نجم البقال وعودة الشكري وعبد حميمة ومجيد دعيبل وجودي ناجي ومحسن أبو غنيم والسيد جاسم طبار الهوه وصادق الأديب وحميد عيسى حبيبان وحسين كنو ومطرود الجعباوي وهادي الحسن الحداد والسيد جبر (ابن أخت الحاج نجم) والسيد حمد (ابن بنت الحاج نجم) ومحمد الصنم وعبود صخيلة وحبيب العامري وسعدون العامري وعبد عويد العامري وخطار العبد وحميد أبو السبزي وعبد الحمامجي وحبيب (صانع السيد منصور الرفيعي) وكريم الطيار النداف وحسين كور (الملقب حسين الدب) ومشكور بن بجاي العامري والسيد مهدي حمادي. «الأسدي».

العراق -الشبانة-. ولما قاربوا الحارس على باب الخان سألهم فقالوا -شبانة- نريد مقابلة الحاكم، ولعله ارتاب في أمرهم إذ شاهد بعضهم يحشون البندقيات فهمّ بهم، فحينئذٍ أطلقوا عليه النار وقتلوه، وسمع الكابتن مارشال حاكم النجف صفير الرصاص من مكانه فخرج مصوّباً مسدسه مطلقاً له، فأطلق عليه النار القاتلة بعد أن جرح هو أحد أفراد العصابة المسمى -صادق الأديب- ولما صرع مارشال خرج مهندس الهندية وهو من ضباط الإنكليز أيضاً فجرحوه، وتسامع الجنود فنفروا وتكاثروا يطلقون النار على النجفيين المهاجمين فعاد النجفيون أدراجهم بعد أن فقدوا اثنين من عصابتهم(١)، وأطلقت الجنود الهندية ناراً شديدة من الخان على المدينة على أثر الحادثة جرح بسببها جماعة ممن لادخل له في الأمر، وأخذ شرطة الإنكليز من الأكراد والفرس حذرهم داخل النجف، وقد وصل على أثر ذلك الكابتن بلفور حاكم الشامية في الجسر في ثلّة من الفرسان طوّق بهم النجف، وأعلن الحصار ومنع الخروج والدخول إلى أن ينتهي التحقيق، وأوجست العصابة النجفية بالشر وهي داخل المدينة فقتلوا اثنين أيضاً من شرطة الإنكليز في سوق المشراق، وأطلقوا النار على الفرسان خارج السور(٢)،

---

(١) تفصيل الواقعة، كما أوضحه لي عودة الشكري المشترك معهم في الهجوم، أن المهاجمين عندما تركوا الخان لم يقتل منهم سوى واحد فقط، هو حسين كنو، وقد ترك في الخان بعد أخذ سلاحه. كما أصيب حميد حبيبان في كعب رجله. وحبيب صانع السيد منصور وعبد الحمامجي الذي أصيب بصلية رشاش في كتفه، وكانت فيه حوالي أحد عشر رصاصة غير مميتة. وقد شفي فعلاً بعد إخراج الرصاص وسفر إلى سمربور في الهند بعد المحاكمات، وهناك قتل القتلة الشنيعة. كما شدخ السيد عودة الشكري نفسه في رأسه شدخاً خفيفاً. هؤلاء كل الذين قتلوا أو أصيبوا في الخان عند الهجوم. وعندما خرج الجميع من الخان متجهين نحو المدينة قابلهم الشبانة محمد ثالثة قادماً من بيته عند سماع الرصاص في الخان، فأطلق عليهم الرصاص من بندقيته فجرح صادق الأديب وتوفي متأثراً بجراحه بعد ثلاثة أيام. «الأسدي».

(٢) الحقيقة كما فصلها لي بعض المهاجمين أنفسهم، هي أن الثوار المهاجمين عندما خرجوا من الخان ذهبوا إلى بيوتهم أو محال عملهم، كأن لم يكن هناك شيء، وقد فتح رئيسهم الحاج نجم البقال حانوته وجعل ينده بالمجاهيل الذين قاموا بهذه الفعلة الشنعاء. وذلك ليوهموا الإنكليز ورؤساء النجف بأن الهجوم كان من خارج النجف. ولما جاء بلفور مع قوة الجيش والشرطة الذين أحاط بهم النجف دخل المدينة مع ثلة من الشرطة واستدعى رؤساء النجف إلى مقر الحكومة في الميدان، فجعلوا يؤكدون له أن الحركة لابدّ وأن يكون قد قام بها أناس من خارج النجف، والرؤساء مطمئنون إلى صحة هذا الرأي. لأن مثل هذا الحادث الهام لايمكن أن يتم دون أن تكون للرؤساء معرفة به، وهم جميعاً لايعلمون عنه شيئاً. حيث قامت به عصبة سياسية متحمسة، مفهوم السياسة عندها خليط من الوطنية والدين. والإنكليز يعتقدون أنهم محرضون من قبل جهة ما، وربما كانت هذه هي المانيا أو الأتراك، وعندما دخل بلفور =

ففارقه هؤلاء وفروا وفرّ بعض الشرطة إلى دار الإمارة، وحمى بعض النجفيين فريقاً منهم وأسرع بلفور أيضاً إلى التمتع بدار الإمارة، ثم هجم الثوار والجمهور على دار الحكومة القديمة داخل المدينة بعد أن فرّ عنها الحراس فنهبوا ما فيها من الأثاث وأشعلوها وقلعوا الأبواب. وهكذا استبد الثوار بالمدينة وخلا لهم جوّها بهذه السرعة، على أن جلّهم من أهل -المشراق- أما بقية الأحياء فلم يشترك أول الأمر أحد معارفهم في الثورة، على أن العصابة مؤلفة من جميع الأحياء، ولكن أبطالها الحاج نجم وأصحابه وسعد وأولاده وهؤلاء من أهل المشراق، وبالتالي لم يحن ضحى يوم الثلاثاء المتقدم ألاّ وبلفور والجنود والشرطة وأعوان الإنكليز محصورون في الخان خارج السور مما يلي الباب الكبيرة، ولم يكتف النجفيون الثوار بمناوشتهم في داخل المدينة حتى خرجوا إليهم واحتلوا المدابغ والمسالخ[1] جنوب الخان على قرب منه،

...

المدينة وزع الشرطة في كل مكان وراح هو يتجول في الأسواق ومعه الرؤساء والوجوه. وبعد تجوال طويل سمعت إطلاقات نارية من جهة سوق المشراق. وجاء الخبر إلى بلفور بأن شرطيين قد قتلا في سوق المشراق، وأن القتلة هم أولاد الحاج سعد الحاج راضي. وكان ذلك بعد مرور أكثر من أربع ساعات من حادث الهجوم على الخان. وقد أعلمني الشيخ راضي الحاج سعد، عميد آل الحاج راضي اليوم، بذلك ضمن قصة طويلة عريضة قصّها علي، خلاصتها أنه هو الذي قتل الشرطيين بتحريض من أخيه محسن ودفاعاً عنه. وكان الشيخ راضي هذا قد وصل النجف في صباح ذلك اليوم عائداً من البصرة، وهو لايعرف عن حادث الخان إلاّ ما سمعه وهو في طريقه من أبي صخير إلى النجف. ومن ذلك يتضح أن الثوار لم يقوموا بقتل الشرطيين، كما جاء في المذكرات المنشورة، وإنما قتلهما شخص دخل النجف صباح يوم الحادث قبيل مجيء بلفور أو عند مجيئه، وهو لايعرف عن الثورة شيئاً كما أسلفنا. أما الثوار فقد ذهبوا لمزاولة أعمالهم الاعتيادية، فتفرقوا ليأخذوا أماكنهم في مساء ذلك اليوم عندما تنادى النجفيون للدفاع عن مدينتهم المقدسة، فتفرقوا ليأخذوا أماكنهم في المواقع الاستراتيجية مع النجفيين الآخرين وانتشر السرّ شيئاً فشيئاً. «الأسدي».

(١) الحقيقة أن الثوار، كما أسلفنا انصرفوا إلى أعمالهم بعد قتل مارشال، ليموهوا على السلطة فنعتقد بأن المهاجمين هم من خارج النجف. والذي حدث فعلاً في ضحى ذلك اليوم بعد مقتل الشرطيين نتبينه في مقطع من حديث الشيخ راضي الحاج سعد الذي قتلهما برصاص بندقيته حيث يقول: «... وبعد أن طلب محسن منهما أن يعطياه بندقيتهما -ويقصد الشرطيين- رفضا ذلك وسحب أحدهما (قامة) -حربة كبيرة تغمد في قراب كالسيف- كان متشحاً بها وكاد أن يقتله، فأوعز لي أخي محسن بضربهما، فأطلقت عليهما النار وارديتهما قتيلين. عند ذلك ذهب الخبر إلى بلفور، وكان يتجول في الأسواق ومعه والدي الحاج سعد وقال له مؤنباً: «أنت الذي تقوم بهذه الأعمال وتتظاهر بعدم الدراية؟!». فتألم والدي لأنه لايعرف عن الأمر شيئاً، وانسحب بعد أن أغلظ القول لبلفور. ولما علمنا بما حصل بين والدي وبلفور تجمعنا حالاً، وتعقبنا بلفور فلحقنا به في الميدان فأطلقنا عليه صلية من بنادقنا فلم نصبه ونجا بأعجوبة». هذا كل ماحدث بعد مقتل الشرطيين، ولما عاد البو حاج راضي من =

وتعاطوا مع من في الخان إطلاق النار طول ذلك النهار محاولين بذلك الاستيلاء على الخان بمن فيه. ولما خيّم الظلام هدأ الفريقان وعاد النجفيون إلى المدينة ولم يطلقوا - لاهم ولا من في الخان- طلقة واحدة.

وفي صباح الأربعاء ٧جمادى الثانية ٣٦/ ٢٠آذار ١٩١٨ -تعاطى الفريقان إطلاق النار إطلاقاً خفيفاً، وتألفت ضحى هذا اليوم جماعة كبيرة من الأعيان والعلماء وأولادهم للتوسط بين الفريقين ذهبوا إلى دار الحاج سعد، فطلب الثوار أن لاتجوس جنود الإنكليز خلال المدينة، ولم ينجح توسط المتوسطين أبداً، حتى أن السيد اليزدي كتب إلى بلفور: إن البلد هادئة تقريباً، ويطلب إليه التساهل مع أهلها، فكتب إليه في الجواب: لقد سقط عندنا أربعة بين قتيل وجريح، تناولنا كتابك عن سكون المدينة، وقد اشتد تعاطي إطلاق النار بين الفريقين منذ ظهر هذا اليوم ودّلت كثرة رشاشات الإنكليز على مجيء مدد لهم، فقد كان تصلى مواقع الثوار على سور النجف ما يلي الشرق ناراً حامية. ولقد كان المتظاهرون ضد الإنكليز إلى ضحى هذا اليوم سعد وأولاده، والحاج نجم ومن يتبعهم فقط، لكن فتيان بقية الأحياء عمدوا إلى الالتحاق بهم ومشايعتهم على التدريج، فاتفق مع الثوار الصبي والرماحي وغيرهما من أهل العمارة والحويش على مدافعة الإنكليز تظاهروا جميعاً على ذلك،

وفي ليلة الخميس خرج الثوار خارج السور واشتد إطلاق النار بينهم وبين الخان أكثر تلك الليلة بفواصل وفترات.

...

الميدان تجمع حولهم عدد من النجفيين وجعلوا يتعقبون الشرطة في النجف ويجردونهم من سلاحهم دون إلحاق الأذى بهم، وقد خير هؤلاء، بعد تجريدهم من السلاح، بأن يلتحقوا بمعسكرهم أو أن يهربوا أو أن يحتجزوا في النجف على نهاية الثورة. كل هذا والمهاجمون على الخان لا يزالون يخفون أنفسهم ويتسترون بتأدية أعمالهم كالمعتاد. لذلك فإنهم في ضحى ذلك اليوم لم يخرجوا من المدينة ولم يحتلوا المدابغ والمسالخ التي هي ضمن مرمى نار العدو ولا يمر منها الطير. حيث أن الإنكليز عندما وقفوا على جلية الأمر أحاطوا النجف بالقوة المتيسرة وطلبوا المزيد من الحلة وبغداد، فجاءتهم القوات على عجل، تمهيداً لأحكام الحصار على المدينة، فلم يستطع أحد ذلك اليوم أن يخرج خارج السور. أما النجفيون فقد تنادوا للدفاع عن مدينتهم التي أحاط بها الإنكليز، بعد ان ذهب الحاج سعد إلى رؤساء المحلات ونخاهم وتفاهم معهم. فتجمع الزكرت والشمرت لأول مرة في التاريخ -عدا البعض منهم- فشكلوا قيادة مشتركة للثورة ووزعوا قواتهم في مواقعها من المدينة. «الأسدي».

وفي صباح الخميس ٨ جمادى الثانية سنة ٣٦/ ٢١ آذار ١٩١٨ - عاد الفريقان إلى المناوشات كذلك وجرح اثنان منذ عصر الأربعاء إلى صباح الخميس..

وفي ضحى هذا اليوم -أي يوم الخميس- عقد السيد كاظم اليزدي محفلاً كبيراً في مدرسته الكبرى دعا إليه العلماء والأعيان والرؤساء والمتغلبين، وحضر الجمهور وفاوضوا أركان الثوار من سعد والصبي، لكن هؤلاء طلبوا أن يضمن لهم الأمان الحقيقي الدائم من قبل الإنكليز، ولعلّهم يعلمون أنه لايكون، فلم يستطع أحد من الحاضرين إجابتهم على ذلك، ونصحهم المجتمعون بما لم ينجع، وانفرط عقد المؤتمر عن لا نتيجة.

وفي ظهر هذا اليوم ظهرت كتائب من فرسان الإنكليز في بر النجف قاربت السور أو كادت، فخرج إليها جمع من الثوار وطاردوها إلى أن بعدت.

وقد كان النجفيون إلى ظهر هذا اليوم مختلفي الكلمة، مشتتي الآراء، لاينتظر اجتماعهم، فلما وقعت واقعة الفرسان الإنكليز، وشاهدوا التفاف القوم وتطويقهم مدينتهم رّق بعضهم على بعض، وتعاطفوا ونبذوا الاختلاف، وتكهربت جماعاتهم، فلم يشعر الناس إلاّ وعامة فتيان الأحياء الأربعة مستلئمون شاكو السلاح يقطرون حماسة ونخوة، وقد تظاهر مع الثوار المتقاعدون من أهل البراق والمشراق، فضلاً عن فتيان شقي العمارة والحويش، وصرت لا تسمع إلاّ قولهم: -إن الضرورة تقضي بالاتفاق- فمن جملة من لبى الدعوى إلى حمل السلاح آنئذ محمد بن أبي شبع وأتباعه، وغيرهم من أهل الحويش، وآل المعمار، وآل ابي جريو، وأتباع السيد الزقرتي والجميع من شق البراق، وأناس آخرون من شقي المشراق والعمارة، وانبسطت زوجة عطية للثوار، وأشرعت بيتها لهم، وبذلت لهم المؤونة.

وفي ليلة الجمعة ٩ جمادى الثانية سنة ٣٦/ ٢٢آذار ١٩١٨ -استمر تعاطي إطلاق النار على جاري العادة، وفي فجر هذه الليلة خرج الثوار إلى المواقع الموازية لدار الإمارة من المقابر والمدابغ، واشتد إطلاق النار بين الفريقين، وأضرم الثوار النار في باب الخان على ما قيل.

وفي صباح الجمعة بعد طلوع الشمس بساعة نشبت مقابلة شديدة بين فرسان الإنكليز والثوار في جهة الثلمة دامت نحو ساعة، وأمضى قسم من الثوار بقيادة الحاج نجم ضحى يومهم هذا إزاء الخان.

ومن حوادث يوم الجمعة هذا أصابت نيران الرشاشات جماعة من الأبرياء والنظارة منهم شيخ سلمان البديري، وحسين بن عطا، وقتل ابن عباس أبي قصة.

وظهر في هذا اليوم غرض قائد الإنكليز على أتمّه، فقد ضرب منطقة حصار حول النجف مؤلفة من الفرسان غالباً والسيارات المسلحة بالرشاشات، ومن جملة إمارات الحصار انقطاع الماء عن النجف، فقد انقطع منذ أمس أي منذ يوم الخميس.

وفي صباح الجمعة هذا أرسل بلفور كتباً حملها من الخان المدعو -هادي شربة- أحد النجفيين المستخدمين عند الإنكليز، وهي إلى السيد كاظم اليزدي وبعض العلماء، وإلى زعماء النجفيين والمتغلبين ماعدا سعد والصبي أي إلى السيد مهدي، ومطلق العلاوي، وعبدالله الرويشدي وحسون شربة، والسيد علي جريو مضمونها أن يأتمروا داخل المدينة، ويوفدوا من قبلهم جماعة حاملين علماً أبيض إلى الخان خارج البلدة للمداولة في الإصلاح، أو حمل الثوار على الطاعة فاجتمع القوم وأتمروا عند آل الخازن -الكليتدار- وحضر المتغلبون وزعماء الثوار فاشتطوا في مطالبهم بما لم يفعلوه في الاجتماع الأول، وطلبوا أن يتخلى الإنكليز عن حكومة النجف ويدعوها لهم، وهم يؤلفون شرطة أهلية، ويقبلون أن يمثل الحكومة الإنكليزية في النجف صاحبهم القديم حميد خان، ولعل اشتطاطهم في الشروط مسبب عما توهّموه في اجتماع كلمتهم قبيل ذلك. ثم أن الحاضرين وفي جملتهم اليزدي وشيخ الشريعة أوفدوا إلى مقابلة بلفور ومشافهته جماعة، وفي جملتهم: السيد عباس خازن المشهد، وعمُه السيد هادي، والشيخ جعفر آل الشيخ راضي، والمرزا محمود آغا من بطانة اليزدي، والشيخ محمد حسين الجعفري، والسيد مهدي السيد سلمان، والشيخ جواد الجواهري، ذهبوا إلى الخان فاستقبلهم بلفور حاكم الشامية وقال لهم: إنما زاحمناكم بالشخوص إلى هنا لإطلاعكم على مطالب القائد العام من النجفيين، وهي إمساك

الجماعة الذين باشروا الهجوم على دار الإمارة، وإلقاء القبض على جماعة سواهم من غير طبقتهم، أسماؤهم مثبتة عند الحكومة، وتغريم النجفيين غرامة من السلاح والمال وعرض الإذعان التام من النجفيين.

فأجابه الجواهري قائلاً: إن العلماء مازال قبل ورود كتبك يفكرون بإصلاح ذات البين وتذليل العقبات في سبيل ذلك، فأما ما طلبته عن لسان القائد العام فشيء لايمكن القيام به، وأوقفه على أسباب امتناع ذلك، وبلفور مصر على أن إرادة القائد العام لاترد.

فقال الجواهري: نحن إنما حضرنا لطلب التساهل ومنح النجفيين الأمان، وأن لنا أن نراجع القائد العام رأساً بذلك.

قال بلفور: يجب قبل هذا استشارة قائد الكوفة العسكري، قال ذلك واستشاره بالمسرة -التلفون- فأجاب هذا القائد أنه سيعرض نصّ كلام الوفد تلغرافياً على القائد العام وأرجأ موافاتهم بالجواب إلى ظهر غد.

وفي ليلة السبت ١٠ جمادى الثانية ٣٦/ ٢٣ آذار ١٩١٨ -كانت المناوشات خفيفة، وكذلك في يوم السبت هذا،

وفي صباحه هجم جماعة من الفقراء على دار اليزدي يستغيثون من الجوع. وفي عصره خرج السيد مهدي السيد سلمان والسيد عباس الخازن لمقابلة بلفور والوقوف على مطالب الإنكليز الأخيرة،

فقال لهم: على النجفيين أن يغرموا خمسين ألف روبية ويسلموا ألف بندقية من الطراز الحديث، ويطلب أيضاً إمساك ١٢٤ من الرجال. فكان لهذه المطالب وقع سيء في نفوس سكان النجف من المجاورين والأعيان وبقية الطبقات، ومنهم الوسطاء في المفاوضات، إذ لاقبل لأحد من هؤلاء أن يحمل الثوار على قبول هذه المطالب كلها أو بعضها، والثوار هم المتحكمون المتغلبون في النجف وأهل النجف منذ سنين.

وفي ليلة الأحد ١١ جمادى الثانية ٣٦/ ٢٤ آذار ١٩١٨ -لم تحدث إلاّ مناوشات طفيفة، وفي صباح الأحد تقلد السلاح أحد العلويين، وهو السيد عزيز الله الاسترابادي، من مشاهير زهّاد المجاورين وعبّادهم، وممن شهد حروب القرنة ونفر إلى محاربة

الروس، وفي مسألة مشهد طوس، وآحاد من الطلاب ساروا أمام الثوار يدعون إلى الدفاع، وقد أعمل الإنكليز رشاشاتهم سحابة نهار الأحد تقريباً بشدة غير معهودة، وقتل وجرح جماعة من الأبرياء والنظّارة، منهم: إبراهيم مصطفى فخر الدين، وفيه فتح الصحن ظهراً وكان مقفلاً منذ يوم الثورة، وعجّت وتظاهرت فيه النسوة.

وفي الساعة الثانية من ليلة الإثنين ١٢ جمادى الثانية سنة ٣٦/ ٢٥ آذار ١٩١٨ - اخترق نطاق الحصار خلسة، ودخل النجف كريم بن سعد، وكردي وعجمي ابنا عطية أبي گلل، وعبد له يسمى العصماني، وأفراد معهم(١)، فكان لدخولهم رنّة ودويّ في المدينة وتظاهر الناس، وظنّ الناس أن عطية هو الداخل حتى أنشأت النساء في المظاهرات:

أبـــو تركـــي قحـــم بالليـــل بـــأزمور التفـــگ والخيـــل

وفي هذه الليلة قتل وجرح جماعة في طلب الماء من جهة الثلمة، من جملتهم - عبدالله الجصاني- وامرأته وابنه وثلاثة آخرون،

وفي يوم الاثنين نشطت السيارات المجهزة بالرشاشات حول المدينة طول النهار، وجرح الحاج هادي البغدادي وآخر من حمل السلاح وغيرهما من الأبرياء،

وفي هذا اليوم وقع السيد كاظم اليزدي وبقية العلماء وأولاد المجتهدين والرؤساء على برقية إلى القائد الإنكليزي هذا نصها:

---

(١) الحقيقة أن الذين جاؤوا هذا اليوم هم الذين ذكرهم لي علي عيسى حبيبان وكان معهم، حيث قال في مقطع من حديثه: «..أما رفاقه -ويقصد عطية أبو كلل- الذين سافروا معه إلى البادية، فإنهم بقوا يتنقلون معه من مكان إلى مكان حتى جاءهم خبر ثورة النجف ومقتل مارشال بعد مرور خمسة أيام من وقوعها. عند ذلك طلب الحاج عطية منا جميعاً أن نعود إلى النجف للاشتراك في الثورة، وهؤلاء هم: حميد الصكر وسكر بن حميد الصكر وعبد عيسى حبيبان وعلي عيسى حبيبان وناصر حجي ومهدي جاسم السعد ومحمد العصمان (خادم عطية)، ومعنا كريم الحاج سعد الذي كان قد التحق بنا بعد خروجنا من النجف مع عطية لثلاثة أيام. ولم يبق مع عطية في البادية سوى ولده الصغير هندي الذي كان قد اصطحبه والده معه عند الخروج من النجف. وقد وصلنا النجف بعد يومين من مفارقتنا عطية، أي بعد سبعة أيام من قتل مارشال، فدخلنا النجف من بين الأسلاك الشائكة ليلاً واشتركنا راساً مع الثوار. هؤلاء هم الذين جاؤوا إلى النجف في يوم ٢٥ آذار ١٩١٨. وليس معهم كردي وعجمي ولدا عطية. لأنه كان قد تركهما في النجف عندما غادرها إلى البادية، وأخذ معه ولده الأصغر هندي فقط. «الأسدي».

بغداد لحضرة القائد العام لجيوش بريطانيا العظمى

نحن العلماء في النجف الأشرف نرفع الشكوى عنّا وعن عامة الفقراء والمساكين والمجاورين في هذه البلدة المقدسة، مستغيثين بمراحم هذه الدولة وعدالتها، مسترحمين رفع هذا السر والحصار عن الأبرياء والضعفاء الذين لاجناية لهم ولا تقصير ولا رضا، وأشد البلاء قطع الماء فإنه من العقوبات التي لاتسوّغ في جميع الأديان البشرية، فإن لم تكن رحمة للرجال فنسترحم الرأفة على النساء والأطفال، وحاشا من عدالة هذه الدولة المعروفة بالرأفة والعدالة والقوة والسطوة أن تأخذ الأبرياء بالأشقياء. وقد أشرفت النفوس على التلف والهلاك من الجوع والعطش وتعطيل الأسباب. وهذه المعاملة ضربة على جملة العالم الإسلامي، جارحة لعواطف عامة المسلمين، غير موافقة لما هو معروف عن سياستكم الجميلة في جلب عواطف عموم المسلمين. فالمأمول إعمال التدابير الحازمة في رفع هذه الغائلة على وجه لاتهلك الضعفاء والأبرياء بإصدار العفو العام وتأمين البلاد وأنتم أعرف بذلك.

وقّع على هذه البرقية فيمن وقّع: السيد اليزدي، وأضاف علاوة على ما فيها هذه العبارة بخطه: (حسب الظاهر إن إطفاء هذه الغائلة عن هذا البلد المقدس موقوف على العفو العمومي وفيه المصلحة)

وأرسلوا بها المدعو علي هجوع[1] إلى دار الإمارة حيث الإنكليز ومستخدمو الإنكليز، فكتب حميد خان معاون حاكم النجف مع الرسول أن البرقية أرسلت إلى الكوفة ومنها ترسل إلى بغداد وغداً ينتظر الجواب. وأبردوا أيضاً بنسخة من هذه البرقية وبكتب أخرى بريداً إلى كربلاء،

وفي هذا اليوم جمع النجفيون قدراً صالحاً من أكياس حبال الكتان، وملؤها رملاً واتخذوا منها المتاريس..تعلموا ذلك مما شاهدوا في ميادين الحروب الحديثة، ومما عوّلوا عليه من وسائل الوقاية الخنادق، فقد حفروها في غير معقل من معاقلهم، ولايخفى أن أعظم وأمنع معاقل الثّوار -المتارب- أو الجبال في جهة الثلمة والباب

(١) والحقيقة انه «علي هجوج» بالجيم وليس بالعين في آخره. «الأسدي».

الصغيرة، فقد قدروها حق قدّرها من الوجهة الحربية، لأنها حاكمة على المدينة، فأنشأوا فيها خنادق مهمة بأسرع مايكون لها طرق مواصلات، وأقاموا طرق مواصلات، وأقاموا فيها المقاتلة والرماة يستبدلون من حين لآخر في أوقات معينة. وكثيراً ماحاول الإنكليز الإستيلاء على هذه الجبال، سوى ما للثوار من المعاقل الأخرى على السور، وهي عدة من أبراجه -القول- الكبيرة المشرفة على البرية، ومن معاقلهم المشهورة داخل المدينة قريباً من السور العمارة المسماة -الشيلان- في شق البراق، ورماتها يرصدون رماة دار الإمارة من الإنكليز، ويرصدون المواصلات بطريق الكوفة. وأما نطاق حصار الإنكليز فهو مضروب مما يلي سور النجف والثلمة غرباً في البحر، أي من المغيسل القديم المعروف وما إليه إلى -طار أبي جوعان- على شبه ميل من شمال غربي النجف، وهو الجبل البارز المنقاد في البحر، ويتصل خط حصارهم بالكور -المفاخر- والميافي شمال النجف وشرقها إلى أن ينتهي بالبركة والشواطئ وشعابها في الجنوب. والإنكليز في هذه المواقع جنود مشاة وفرسان ولهم خنادق بين مراكزهم ومخافرهم في البرية، ولهم عدا ذلك سيارات مدرعة تعمل قريباً من سور النجف ليلاً ونهاراً، وتطلق الرشاشات. أما أثر الحصارفقد ظهر فعلاً في الأسمان واللحوم والأحطاب، فقد تضاعفت أثمانها، وأما الحبوب فليست كذلك الآن، وأما البقول والخضروات فقد فقدت ولا أثر لها في السوق، وأفظع آثاره انقطاع الماء فقد التجأ الجمهور إلى مياه الآبار الملح الزعاف، وهم يدعونه: ماء العديدة والدلو، وماء هذه الآبار من الأقنية القديمة، والظاهر من حال النجفيين أنهم يستسيغون هذا الماء أكثر من غيرهم، لأن أسلافهم صبروا عليه ردحاً طويلاً من الزمان، وقد بيع حمل من الماء العذب بليرة ومجيدي هذا اليوم.

وفي ليلة الثلاثاء اشتد تبادل إطلاق النار، وحاول بعض الإنكليز التقدم إلى -مترب الباب الصغيرة- ثم ارتدوا، وربما حاولوا ذلك في الثلمة.

وفي يوم الثلاثاء ١٣ جمادى الثانية سنة ٣٦/ ٢٦ آذار ١٩١٨ - ذهب علي هجوع للموافاة بجواب القائد العام عن برقية العلماء، فحمل كتاباً من حميد خان جاء فيه أنه

راجع -بلفور- فأجاب بأن برقية العلماء أنفذت إلى حاكم العراق السياسي العام في بغداد، وهو طيّرها إلى القائد العام، وأن الجواب ردّ إلى الكوفة، وسيعّرب ويرسل غداً إلى العلماء.

وفي منتصف ليلة الأربعاء ١٤ جمادى الثانية سنة ٣٦/ ٢٧ آذار- اشتدت المناوشات في جهتي الثلمة والباب الصغيرة،

ومن غرائب حوادث هذه الليلة، بل من غرائب حوادث الثورة النجفية اختراق جمع من الزرفات وغيرهم من عرب السواد يبلغون نيفاً وأربعين رجلاً شاكي السلاح نطاق الحصار، ودخولهم المدينة إمداداً للثوار في الساعة التاسعة من هذه الليلة، يتقدمهم ابن حسون عرب تاجر نجفي يقيم في المشخاب، وقد عثرت بهم طائفة من خفراء الإنگليز أصلتهم ناراً حامية، فجرح أحدهم، لكنه تحامل ووصل حياً إلى المدينة مع رفاقه وقد تظاهروا ضحى يوم الأربعاء في المشهد متحمسين.

وفي هذه الضحوة خرج علي هجوع وعاد بجواب القائد العام عن كتاب العلماء وهذا نصّ ذلك الجواب:

نمرة - ٢٨٠٢

تلغراف

٢٦ آذار سنة ١٩١٨

إلى حضرة حجة الإسلام السيد محمد كاظم اليزدي الطباطبائي وحضرات العلماء الأعلام في النجف الأشرف وإلى أهاليها.

وصلنا كتابكم فأمعنا النظر فيه، وإنكم لمحقون في إفادتكم أن الحكومة البريطانية رؤوفة، وأسطع برهان على ذلك الرأفة التي عومل بها النجفيون في الحادثتين اللتين وقعتا في الستة أشهر الماضية. وبرهان آخر على ذلك الخطة السليمة التي نتبعها في تنفيذ الشروط المشترطة عليكم، فإنا لم نوقع العقاب بالأهالي الذين لم يخالفوا القانون، بل أولئك الذين خرقوا حرمته ومن ساعدهم على ذلك. وفي استطاعة النجف الأشرف أن تخرج سالمة من مأزقها الحالي إذا خضعت للشروط التي سبقت

وعرضناها، ففي إمكان حضرات المجتهدين والعلماء الأعلام حكام النجف المسلمين، لا بل الأحرى عليهم -كذا- أن يظهروا بلدتهم من مفسديها، كما وعليهم مساعدتنا على إيقاع العقاب بأولئك الذين اقترفوا تلك الجريمة، وعلى من حرضوا على ارتكابها، وسوف لاتقصر الحكومة في منح العفو متى أن الوقت المناسب فليتأكد سكان البلدة المسلمين -كذا- بأننا سنعاملهم بالحسنى إذا أظهروا أعمالهم أنهم يستحقون منا تلك المعاملة. ولقد مضت سبعة أيام منذ قتل الكابتن - مارشال -ومع ذلك لم يعبّر لنا أهالي النجف الأشرف عن خضوعهم، ولم يقوموا بشيء ما لإرجاع القانون والنظام إلى نصابيهما والسلام.

القائد العام للجيوش البريطانية في العراق

مارشال

وقد انعقد مجمع كبير على أثر ورود هذا الجواب في دار الجواهري -وقد صارت داره هذه الأيام محل انعقاد مجامع النجفيين والثوار والمتصدرين، وكل من يشتغل في هذه المسألة لأن الجواهري من أكثر المتصدرين حركة وتفكيراً فيها، حضره الوجوه والأعيان والمتصدرون من أرباب العمائم ورؤساء الثوار، والمتغلبون وفريق من الجمهور، فتُليَ عليهم جواب القائد العام، وتنوقش فيه، وانعقدت أيضاً مجامع أخرى خاصة في دور آخرين من المتصدرين لم يتقرر في الجميع شيء، وأشير باستئناف مراجعة القائد العام.

وفي عصر الأربعاء المتقدم تقلد الشيخ إبراهيم الكاشي الواعظ سيفاً وجعل يخطب الناس في الحث على الدفاع.

وفي منتصف ليلة الخميس ١٥ جمادى الثانية سنة ٣٦/ ٢٨ آذار ١٩١٨ -اشتد تبادل إطلاق النيران بين حراس المقلاب في الباب الصغيرة ومن بإزائهم من الإنكليز،

وفيها أيضاً اجتاز نطاق الحصار جماعة من النجفيين المقيمين في السواد مع آخرين من عرب هذه النواحي ودخلوا المدينة بعد أن جرح واحد منهم.

وفي هذه الليلة جرح محمد ابن الشيخ صافي الطريحي من حراس المقلاب.

ولم يحدث يوم الخميس شيء جدير بالذكر عدا المناوشات المتقطعة الخفيفة.

وفي ليلة الجمعة ١٦ جمادى الثانية سنة ٣٦/ ٢٩ آذار ١٩١٨ - لم تكن مبادلة إطلاق النيران شديدة وكذلك في يومها، حتى تمكن كثيرون في الليل من الوصول إلى الماء خلسة، وذلك في شق العمارة، وفي ضحى يوم الجمعة هذا حضر في دار اليزدي بعض أهل الحل والعقد وقرروا بعد الأخذ والرد استئناف مراجعة القائد العام بلهجة أشد من الأولى.

وفي عصر هذا اليوم جرح ابن أبي القسب في سطح -الشيلان-.

وفي ليلة السبت ١٧ جمادى الثانية سنة ٣٦/ ٣٠ آذار ١٩١٨ -كانت مبادلة إطلاق النيران متقطعة خفيفة لكن بعض الثوار في شق العمارة تمكنوا من اقتطاع شيء من السلك الشائك الذي وضعه الإنكليز على بعض السبل المؤدية إلى المدينة في البحر بينها وبين الشواطئ مما يلي الغرب وعرضوا ما اقتطعوه على الناس، وكان اقتطاعهم له جدباً بحبال شدّوها إليه، ومن حيلهم التي لم يغن معها هذا السلك حفر الحفائر تحته والنفوذ يها على حيث يشاؤون كما فعل بعض من أنجد ثوار النجف من أهل السواد والمقيمين فيه.

وفي يوم السبت هذا تم توقيع العلماء على البرقية التي قرروا قبلها تكرير مراجعة القائد العام، وأرسلوها إلى دار الإمارة وهذا نصها:

لحضورحضرة القائد العام للجيوش البريطانية في العراق.

تلقينا تلغرافكم نمرة ٢٨٠٢ بتاريخ ٢٦ آذار سنة ١٩١٨ وأخذنا ما فيه بنظر التدقيق. تذكرون أنكم لم توقعوا العقاب بالأهالي الذين لم يخالفوا القانون، ونحن نفصح بالصراحة أن البلاء والعقاب ما وقع ولن يقع إلاّ على الأبرياء والضعفاء الذين لاجناية لهم ولا تقصير، وقد نشدنا لعدالتكم (التي ذاع صيتها ولا حاجة فيها إلى البرهان) طالبين رفع الحصار والأسر عن الأبرياء والضعفاء بإصدار العفو العام. وعسى أن لايكون خفي عليكم عجز العلماء وعامة الأهالي عما تقدر عليه دولة معظمة كالدولة البريطانية، التي وعدت بحفظ حرمات الإسلام ورعايا المسلمين، كما أعلن القائد الفاتح مود في أوائل فتح بغداد،

وأكده الحاكم الملكي العام بحفظ نواميس معابدنا التي صارت منذ أكثر من عشرة أيام هدفاً لرصاص المترايوز، وشؤون العلماء مهتوكة بهذا الحصار الشديد. وبالنهاية نقول بكل صراحة -بدافع النصيحة للدولة الفخيمة-: إن هذا الحصار الذي أوجب تلف عدة من نفوس الأبرياء من الغرباء والمجاورين كل يوم بالقتل والجوع والعطش، كل هذا فضلاً عن مغايرته للرأفة والعدالة ومخالف للنواميس الإنسانية وحفظ حقوق البشرية، وموجب لهتك الحرمات الإسلامية، وهو ضدّ المصلحة المرعية لمثل هذه الدولة الوحيدة بالسياسة، التي لايعجزها حل مثل هذه المسألة الطفيفة. أما العلماء فلم يقصّروا ولايقصّرون بالقيام بوظيفتهم في الوعظ والنصح والإرشاد، وكيف وهو من واجباتهم الدينية، ولكن لاتكاد تنحسم المادة بصرف الوعظ والنصح فقط حتى تنضم إليها مساعداتكم بالعفو والسياسة اللازمة في مثل هذا الوقت، ولذلك الأمل فيكم أكيد بإصلاح هذه الغائلة بالتدابير الحازمة بالقريب العاجل إنشاء الله تعالى.

وقد وقّع على هذه البرقية أيضاً من وقّع من العلماء السيد اليزدي، وجرى على عادته في عدم مشاركة الجمهور، ومخالفة السواد الأعظم، وحبّ الامتياز والانفراد، والهروب عن التصريح بالجمل المجملة التي تحتمل التأويل، فكتب قبل أن يختم في البرقية هذه الجملة -نعم الصلاح بالإصلاح- وختم تحتها وكأنه يريد أن يقول: إنه غير مسؤول عن هذه الكلمة التي يحتمل فيها التأويل.

وفي هذا اليوم أيضاً وقّع تجار النجف على برقية منهم خاصة تتضمن الشكوى من وقوف دولاب التجارة، وأرسلت مع البرقية المتقدمة.

وفيه قتلت بنت آل الصائغ على سطح دارهم في شق العمارة.

وفي ليلة الأحد ١٨ جمادى الثانية سنة ٣٦/ ٣١ آذار ١٩١٨ - كان الجو قاتماً والغبار يسد المنافس والسماء كالحة، فلم تهدأ عين كل من الخصمين، ودام تجاوب إطلاق النار. وفيها أيضاً تمكن بعض الثوار من اقتطاع قطع من الأسلاك.

وفي يوم الأحد هذا رفع جرى الحكومة الإيرانية في النجف إلى سفيرها في بغداد رفعاً يذكر فيه الضيق الذي لحق الرعايا الإيرانيين.

نادى مناد من قبل السيد اليزدي بالاجتماع العام في مدرسته الكبيرة فهرع الناس وغصّت بهم المدرسة، ثم ظهر أن النداء مكذوب على اليزدي، وأنه لم يأمر قط بالاجتماع، لكنه خلا بجماعة من المتصدرين في داره، وأشار بإرسال مندوبين إلى دار الإمارة لمفاوضة الكابتن بلفور حاكم الشامية،

وفيه حاول إبراهيم الكاشي الواعظ فتح المشهد العلوي عنوة بكسر القفل، وكان المشهد لايزال مقفلاً منذ أول الثورة، فمنع من ذلك بضروب من الإهانات،

وفيه ذبح بعض الفقراء حماراً وأكلوه.

الواقعة النجفية الكبرى

وإنما أفردنا هذه الواقعة بالذكر، وأكبرناها في الوصف، لأنها أم حوادث الثورة التي حدثت إلى الآن، فقد كانت ليلتها وهي **ليلة الاثنين ١٩ جمادى الثانية سنة ٣٦**- حالكة الجلباب مسودة الإهاب أول الأمر، وكان الجو عابساً مكفهراً، والسماء متلبدة بالغيوم، والريح ثائرة، والأرض مطيرة، كأن كل ظواهر الكون يومئذ منذرة مؤذنة بحدوث حادث لامفرّ منه، وقد انقبضت النفوس، وضاقت الصدور توقعاً لما عسى أن يصيبها منه. وأنه لسرّ من أسرار النفس أن تتوقع في بعض الأحوال حدوث بعض المزعجات، فتجيء كما توقعت أو شبيهاً بذلك، كأنما للنفس مع عوامل الغيب الخفية خلسات أو علاقات.

فقد خرج فريق من ثوار النجف في الساعة الرابعة والنصف من تلك الليلة خارج السور من نقب لهم فيه قرب الباب الكبيرة الشرقية محاولين الهجوم على الخان، وهو كما لايخفى أمنع معاقل الإنكليز، وقد سمعناهم قبيل خروجهم يتظاهرون ويعطعطون، فلما صاروا على مقربة من الخان وأحست بهم الحامية أطلقت عليهم النار، فأجابوها بالمثل، وعلت لهم جلبة ولغط، واهتم لهذه الحركة القائد الإنكليزي على ما يظهر، وظن أنها الفرصة التي يستأصل بها شأفة الثوار، وفي الحقيقة أنه فاجأهم بما لم يكونوا يحلمون به وصبّ عليهم ناراً حامية هائلة من البندقيات والرشاشات واشتركت في الحرب بعض السيارات المجهزة، واستعمل الإنكليز ضد القوم هذه المرة القنابل

المتفرقعة -الديناميت- وهي أول مرة فعلوا معهم فيها ذلك، واستعانوا على استكشافهم بالنجيمات الضيّئة -وهي قسم من الصواريخ- وحاول هذا القائد إشغال خواطرهم، أو منع وصول الإمداد إليها، وكانت حاميته ضعيفة قليلة فاستغاثت بمن في المدينة من الثوار، فأنجدها كاظم الصبي وجماعته، ونشبت الحرب بين الفريقين حول المترب في الوقت الذي كانت ناشبة فيه جهة الخان بشدة عظيمة دامت بين نصف ساعة وثلاث أرباع الساعة، وكانت النتيجة أن الثوار الذين تقدموا إلى الخان تقهقروا تحت وابل من النيران الحامية، حتى توهّم كثيرون أن الحرب انتقلت إلى الأزقة والشوارع، فقامت قيامة المدينة وجاشت وغلت غلية المراجل بين مظاهرة الرجال وهلهلة النساء، ولكن الثوار ستروا تقهقرهم بمهارة تامة، وكانوا على مايظهر بقيادة الحاج نجم وكريم بن سعد. وأما الإنكليز الذين تقدموا إلى المترب فقد تقهقروا أيضاً وردّهم النجفيون، ومن الغريب أنه لم يظهر عدد من أصيب هذه الليلة من الثوار، وربما أنكروا ذلك لكنهم يبالغون - ومبالغتهم ليست بحجة- في عدد من أصيب من الإنكليز، ثم تلا الحادثة سكون عجيب استولى على المدينة، فلا تكاد تسمع فيها حساً ولا ركزاً من ذي حياة، كما يتلو عادة مثل هذا السكون حروب التطاحن الكبيرة على أثر ما ينال خائضي غمارها من الكلام والإعياء. وفزع الناس إلى الزوايا المظلمة والسراديب المطبقة يتهامسون في عظم الحادث وجلالة الخطب، في وسط ذاك السكون الشامل الرهيب، واعلم أنه ما كانت تغمض هذه الليلة لنجفي عين لهول ما سمعه الناس وما شهدوه.

وفي هذه الليلة جادتنا السماء، وأغاثتنا الأنواء قبل الواقعة وبعدها بمطر مدرار كانت مواقعه من أهل المدينة -مواقع الغيث من ذي الغلة الصادي- إذ أدركهم في الوقت الذي عدموا فيه الماء العذب ولم يتذوقوه منذ أيام، فسالت عنها لميازيب وانحدرت الشآبيب، حتى ملأ القوم خوابيهم وأوانيهم، ولو أن مبلغه محدود لايتبلغ به إلاّ أياماً يسيرة. إلاّ أن النجفيين اهتموا اهتماماً زائداً في جمعه والحرص عليه، حتى وجدناهم في الصباح التالي يقدمون على التحية والسؤال عن الحال هذا السؤال - مقدار إيش جمعت من الماي-

وفي ليلة الثلاثاء اشتد تبادل إطلاق النار في الثامنة وفيها، وفي الليلة التي قبلها شوهد الإنكليز يقدّمون مواقعهم وخنادقهم من مواقع الثوار.

وفي صباح الثلاثاء ٢٠ جمادى الثانية ٣٦ رفع كل من سدنة المشهدالعلوي وطلبة العلوم في النجف والغرباء رفعاً إلى القائد العام وإلى حكومة الإنكليز يشكون من الحصار، وفيه كتب وكلاء اليزدي إلى حميد خان أن السيد عازم على انتداب جماعة لمشافهة رجال الإنكليز في الكوفة،

وفي عصر هذا اليوم ورد الجواب من حميد خان معاون حاكم سياسة النجف بأن القوم في الكوفة قبلوا ذلك، وأن تعيين الوقت منوط برأي الجماعة المنتدبين، ويشترط في كتابه بناء على طلب الإنكليز أن لايزيد المنتدبون على خمسة.

وفي عصر هذا اليوم أيضاً حمل الشيخ علي أبو السبح أيضاً جواب رجال الإنكليز على برقية العلماء الثانية وهذا نصّ الجواب:

حضرة حجة الإسلام السيد محمد كاظم اليزدي الطباطبائي وحضرات العلماء الأعلام.

سعادة الحاكم العام استلم كتابكم المؤرخ ٣٠ آذار سنة ١٩١٨ وهو يعتبر من الضروري أن أبين لكم بأن قولكم أن البلد المقدس أصبحت هدفاً لنيران الميتراليوز مطابقاً للحقيقة، إذ أنه معلوم تماماً أننا لم نطلق نيراننا إلاّ على الأشقياء الذين يطلقون نيرانهم علينا، وسعادته يرغب منكم أن تعلموا أن مثل هذه الأقوال لاتساعدكم في المدافعة عن واقعة النجف الأشرف.

كتب هذا الكتاب بأمر قائد الجيوش في الكوفة.

الكوفة ٢ نيسان سنة ١٩١٨

حاكم سياسة الشامية

كابتن بلفور

وقد كان لهذا الجواب أسوأ وقع في محافل النجف سيما الروحانية، لمايظهر فيه من عدم الاعتداد بأقوال الجماعة المخاطبين لولا أنه لم يكن من إملاء القائد العام، وقد تدورك سوء أثره بالجواب الآتي ذكره الوارد من نفس القائد العام بعد ذلك.

ومن حوادث عصر هذا اليوم قتل علوان بن حسين ثامر في -مسرب الثلمة.

وهي ليلة الأربعاء ٢١ جمادى الثانية سنة ٣٦/ ٣ نيسان ١٩١٨ - كان السكون غالباً على المتحاربين.

في ضحى الأربعاء عقد السيد كاظم اليزدي مؤتمراً مهماً في داره، حضره جماعة من المتصدرين، كالجواهري، والسيد عبدالرزاق الحلو، والحاج محمود آغا تبريزي، والشيخ الأحمد الجعفري، وآخرون من بطانة اليزدي وغيرهم.. دعا إلى هذا المؤتمر زعماء المتغلبين الكبار والصغار، كالسيد مهدي السيد سلمان وكاظم الصبي وسعد الحاج راضي وابنه كريم، وكردي بن عطية وسماوي وغيدان وحسون شربة من زعماء شق الحويش، وعباس علي الرماحي، والسيد علي جريو وغير هؤلاء.. ودار الكلام فيه على لزوم الاتفاق مع الإنكليز وكيفية ذلك، وقد طال الجدال وكثر القيل والقال بين بعض الحاضرين من المتغلبين حتى أدى ذلك أو كاد إلى تعطيل الجلسة، لأن السيد مهدي وزعماء شق الحويش كانوا يتبرؤون من الثورة والثوار، فلا يحبّون أن يجروا في هذا المضمار، وأما الصبي فإنه يبرهن على أن أولاد السيد مهدي وبعض أتباعهم من مدبري هذه الحادثة إلى نحو ذلك. وقد تكلم اليزدي وبقية المتصدرين في لزوم دفع هذه الغائلة وإصلاح ذات البين والتفاهم مع الحكومة الإنكليزية، وذكروا أن الغرض من هذا المجمع تبيان أن المندوبين الذين عزموا في هذا اليوم على مقابلة رجال الإنكليز والتوسط بين الفريقين لايفعلون ذلك إلاّ إذا استوثقوا من النجفيين أنهم يتنازلون إلى قبول بعض مطالب الإنكليز فعلاً، ولا ينقضون لهم قراراً، ولا ينكثون عهداً في ذلك، فتظاهر الزعماء بالإجابة، وحلفوا على ذلك وعلى اتباع رأي العلماء والمندوبين، واتفق الجميع على أن يرفع النجفيون رفعاً إلى حكومة الإنكليز مضمونه الندم على وقوع الواقعة، والتظاهر بالطاعة والإذعان ليكون بمثابة أساس للمذكرات، ويوقّع عليه الزعماء والحاضرون أجمع بعد أن أبى التوقيع زعماء شق الحويش، لكن اليزدي أجبرهم عليه إلاّ واحداً لم يوقّع، نعني غيداناً، وهذا نصّ ما كتبوه:

سلّم هذا الرفع إلى الرسول ليحمل إلى الإنكليز، ثم ليخرج في أثره منتدبو اليزدي عصر هذا اليوم، وظن الناس أن المسألة صارت في آخر أدوارها، بيد أن زعماء شق

الحويش جاؤوا -على عادتهم- بما ليس في الحسبان، فإنهم استرجعوا الرفيعة وأبوا تسريحها بل مزقوها وتأجلت بذلك حركة المتدبين هذا اليوم، مما جعل عامة الناس يحرقون الأرَم على ذلك. وفي أصيل هذا اليوم -يوم الأربعاء- ورد جواب القائد العام نفسه عن رفيعة العلماء الثانية وهذا نصه:

٣ نيسان سنة ١٩١٨

حضرة آية الله حجة الإسلام السيد محمد كاظم اليزدي الطباطبائي وسائر العلماء الأعلام.

قصاص البلدة الذي تضمنته شروطنا لم يبتدئ بعد، وهو لايحتوي على أذية الأبرياء. الماء الموجود في البلدة كاف لحفظ الأنفس على مابلغنا، وأما قطع الواردات الخارجية فلا ينتج عنه سوى عدم راحة الأهالي، وقد تبّين مراراً إلى القائد العام للجيوش أن الأهالي الخاضعين للقانون هم الجانب الأكبر، وهذا مايعظم خجلهم لعدم اتخاذهم أي إجراءات ضد الأشقياء الذين يستمرون على تجريهم علينا. لانمس بأذى أي شخص روحاني، أو أي شيء مقدس، فإننا نحترم المحلات المقدسة المختصة بجميع الأديان، لكن الأهالي هم أنفسهم يجلبون الخجل على بلدتهم المقدسة لعدم مقاومتهم القاتل، وبذل جهدهم تلقاء تنفيذ القانون والنظام. لم يتقدم إلى الآن سبب يوجب منح العفو، ولم يصل إلى القائد العام للجيوش أي كتاب يظهر شعور الأسف على قتل الكابتن مارشل من أي مصدر معتبر خارج بغداد والكاظمية،

بناء عليه لايخفف الحصار، وربما تقتضي الضرورة أياماً باتخاذ إجراءات أشد في تنفيذ القيام بشروطنا.

القائد العام للجيوش البريطانية في العراق

كان لهذا الجواب على الإجمال وقع حسن في النفوس بالقياس إلى الجواب الأول، وأمضى الناس ليلة الخميس يتحدثون به،

ولم يحدث هذه الليلة ما يستحق الذكر عدا ذلك، وقد أعاد اليزدي ضحى الخميس ٢٢ سنة ١٣٣٦ عقد مؤتمر الأربعاء في داره للمناقشة في الحالة الراهنة -

ثانياً- حضره المتغلبون أيضاً، وتلي عليهم الجواب، وتقدّم اليزدي والمتصدرون إليهم بالكتابة إلى الإنكليز أسفاً على الواقعة، وتظاهروا بالطاعة كتابة يوقّع عليها الجميع، طالت المراجعة وكثرت المداورة في ذلك بلا فائدة، فقد أصر زعماء شق الحويش بدعوى البراءة على عدم التوقيع، وتكاشفوا أو كادوا بالقبيح مع مطاليبهم بذلك، ولكن اليزدي بنى على أي حال قيام المنتدبين على الكوفة هذا اليوم.

خرج إلى الخان بعد الظهر من هذا اليوم -**يوم الخميس ٢٢ جمادى الثانية سنة ٣٦/ ٤ نيسان ١٩١٨** - منتدبو السيد كاظم اليزدي هم:

١- الشيخ جواد الجوهري.

٢- الحاج محمود آغا.

٣- الشيخ علي الجعفري.

٤- ابنه الشيخ محمد حسين.

٥- السيد رضا من حفدة اليزدي.

ثم وصلوا الخان إلى المعسكر الإنكليزي في الثوية -كميل- حيث استقبلهم بلفور حاكم الشامية، ثم حضرت سيارتان أقلتهم ومعهم بلفور إلى جسر الكوفة. وفي هذا اليوم تأذن زعماء المتغلبين بلزوم إخراج تجار الحبوب حبوبهم وتعريضها للبيع وإلاّ نهبت وذلك، لعموم الشكوى من الجوع.

وتكاثر سواد المجاويع حتى مات جوعاً بعض المتكففين، وإن أسعار الحبوب ومواد المعيشة الضرورية لم تزل في ارتفاع، وتعددت السرقات وتسّور البيوت.

وفي ليلة الجمعة ٢٣ جمادى الثانية سنة ٣٦/ ٥نيسان - لم يحدث ما يستحق الذكر سوى نفوذ بعض اللبانات من نطاق الحصار،

وفي صباح الجمعة عاد إلى المدينة الشيخ علي سبيلو، وهو الرجل الذي يتردد في حمل الرسائل بين النجفيين والإنكليز، يحمل كتاباً من بلفور إلى السيد مهدي السيد سلمان يدعوه فيه على مقابلته، وقد خرج وقابل الإنكليز، وعاد إلى المدينة عصر هذا اليوم ومعه منشور إلى أهل النجف هذا نصه:

(منشور إلى أهالي بلدة النجف الأشرف)

١- إن إطلاق النيران المستمرة من الأشقياء على العساكر البريطانية لايمكن أن يتحمل أكثر.

٢- وبالنظر إلى هذا ستتخذ الإجراءات التي أجدها ضرورية، غير أن هذه الإجراءات ستسري في بادئ الأمر على بعض المحلات الخارجة عن البلدة، فعلى الأهالي أن يبتعدوا عن الأسوار وعن نواحي البلدة كي يسلموا من الضرر، وأنصحهم أن يختبئوا داخل السراديب بينما المدافع -الطوب- تطلق نيرانها.

٣- وليتأكد حضرات العلماء والأعلام والأهالي الخاضعون أنه لا يحصل أي ضرر للمحلات المقدسة داخل البلدة.

قائد جيوش الكوفة والنجف

أذاع السيد مهدي هذا المنشور في المدينة، وذكر أن الإنكليز أمهلوا النجفيين ٢٤ ساعة ليسلموا في أثنائها القتلة وأعوانهم الخمسة والعشرين، وذهب تواً إلى السيد اليزدي مطلعاً له على المنشور، وشافه بذلك بعض أركان الثوار، فأورد بهذا على السواد الأعظم في المدينة من الحيرة والدهشة والوجوم والاستغراب ما لا يمكن وصفه، وبدلاً من أن يحمل الثوار وحملة السلاح على الإذعان زادهم إصراراً على الدفاع وثباتاً على المقاومة، وانضم إليهم غيرهم من فتيان الأحياء ممن اعتزل الحرب إلى ذلك الأوان، وتظاهروا مستميتين مستقتلين، فتعقدت المسألة، بل صارت أعقد من ذنب الضب.

وفي هذا اليوم وصل الشيخ جواد والحاج محمود آغا من منتدبي اليزدي إلى بغداد على سيارة حملتهما من المعسكر الإنكليزي حول النجف، وفيه عرضت بعض الحبوب للبيع، وقتل في عصره ابن غلام -قلوم- السقا على السور في شق الحويش، وشرع الناس المجاورون بالنزوح إلى داخل المدينة، عملاً بمفهوم منشور الإنكليز.

وفي ليلة السبت ٢٤ جمادى الثانية سنة ٣٦/ ٦نيسان ١٩١٨ - أحضر اليزدي الحاج سعد من زعماء الثوار وغيرهم فنصحهم وأراهم التبعة التي تلحقهم من جهة

البقاء في البلدة ومناوشة الإنكليز منها، وما يتوقع لها من الضرر بذلك، سيما بعد منشور الإنكليز الأخير، وربما أشار إليهم بمزايلة المدينة، فلم يفعلوا وأصروا على البقاء والثبات والقتال حتى الموت،

وفي هذه الليلة حدثت بعض المناوشات.

وفي يوم السبت هذا عاد السيد مهدي فخرج إلى مقابلة الإنكليز، وخرج معه - الحاج محسن شلاش - وكان الجمهور ينتظر رجوعهما على أحر من الجمر، وقد رجعا وأخبرا بتردد الإنكليز، بل بتوقفهم عن إطلاق المدافع على مواقع الثوار في أطراف المدينة التي أخلاها سكانها على التقريب، فثلجت بذلك الصدور، وقرّت عيون الجمهور، وربما علم أن مقصود الإنكليز بمنشورهم المتقدم عجم عود الثوار وسبر غورهم واكتشاف مبلغ تصميمهم.. لكن تذرع هؤلاء بالعناد الشديد والتجلّد وشدة المراس، مع قطعهم النظر في العاقبة، وقياس الإنكليز على الأتراك في احتمال التنازل عن مطالبهم وشروطهم المشترطة، كما تعودوا على ذلك،

وفي هذا اليوم على رأس الساعة الثامنة منه تقريباً حلقت في سماء المدينة طيارة إنكليزية، وظلّت تكشف مواقع الثوار أكثر من ثلث ساعة، وقد انخفضت انخفاضاً ظاهراً، فلم يتردد هؤلاء المعاندون في إطلاق النار عليها من مواقعهم ومن نفس المدينة، وقد ألقت على البلد نسخة من منشورين أحدهما يتعلق بالحادثة النجفية، هذا نصّه:

(شروط الحكومة البريطانية الموضوعة على النجف الأشرف)

بعد الغدر بحياة المرحوم القبطان مارشال الحاكم السياسي في النجف الأشرف، أبلغت الحكومة البريطانية الفخمة شروطها الموضوعة على النجف الأشرف، في مجلس عقد في اليوم الثاني والعشرين من شهر مارس سنة ١٩١٨ - المطابق ٨ جمادى الثانية ٣٦- وحضره حضرات العلماء والأعلام والشيوخ المخلصون وهاكم بنود الشروط:

أولاً: تسليم القتلة ومن اشترك معهم في الفتنة تسليماً بلا شرط ولا قيد.

ثانياً: غرامة ألف تفكة وخمسين ألف روبية يجمعهما الشيوخ المخلصون.

ثالثاً: تسليم مائة شخص من المحلات الثائرة إلى الحكومة البريطانية، لسوقهم من النجف الأشرف بصفة أسرى حرب، وقد تبلغ أيضاً لمن حضروا أن البلدة ستبقى تحت الحصار الشديد إلى أن تسلم بهذه الشروط وتنفذها.

أما المنشور الثاني فهو في (انتصار البريطانيين على الفرات) والظاهر أن الغرض من إلقائه ملاشاة الآمال التي عقدها بعض الثوار ومن يلف لفهم على تقدم الأتراك في هذه الآونة وهذا نصه:

انتصار البريطانيين على أهل الفرات

بعد احتلال هيت في ٩ مارس سنة ١٩١٨ المطابق ٢٥ جمادى الأولى تقهقرت القوات التركية إلى خان بغدادي، وفي ٢٦ مارس هجمنا بنجاح على المواقع التركية في خان بغدادي الواقع على بعد ميلاً من هيت، فأسرنا أكثر من ٢٠٠٠ أسير، وكانت خسائرنا طفيفة، وفي ٢٧ مارس أهلكنا وأسرنا كل القوة التركية التي كانت جنوبي حديثة، فبلغ عدد الأسرى ٣٠٠٠ أسير بينهم ٢٠٠ ضابط تركي وضابط ألماني، وغنمنا أيضاً أطوابهم ومتراليوزاتهم وتفنگهم وحيواناتهم، ثم بعد ذاك تقدمت جنودنا نحو الفحيمة الواقعة على بعد ٤٠ ميلاً من خان بغدادي، وقد أسرنا بين الأسرى قائد الفرقة الخمسين وميراليين، ثم عقبنا بقية القوات التركية فدخلنا إلى عانة في ٢٨ مارس بدون أن نلقى مقاومة، فازداد بذلك عدد الأسرى بعد ٢٦ مارس حتى بلغ ٥٠٠٠ أسير، وقد أسرنا القومندان التركي وقائمقام عانة، وقد وجدنا مخازن ذخيرة كبيرة فاستولينا عليها، وقد عقبنا الهاربين الذين لجأوا إلى الفرار إلى مسافة ٧٣ ميلاً شمالي عانة حيث أسرناهم، وكان بينهم بعض الألمان وأحدهم يدعى بروسير الضابط الألماني الموفد للعشائر، وبالجملة فإن نتيجة هذه الانتصارات الباهرة هي أننا أبدنا القوات التركية التي كانت على الفرات، واستولينا على جميع مدافعها وذخائرها الحربية وما كان معها من الأوراق، أما خسائرنا فلا يعتد بها.

وفي هذا اليوم جرح غير واحد من الثوار.

وفي ليلة الأحد ٢٥ جمادى الثانية سنة ٣٦/ ٧ نيسان - لم يحدث من المناوشات ما يستحق الذكر، لكن شوهدت في الهزيع الأول من هذه الليلة سحابة مبرقة مرعدة

مسخرة من تلقاء القبلة، وكان الناس يتوقعونها بفارغ الصبر، وما لبثت أن حققت آمالهم، فإنها تداركت المدينة وأطرافها بمطر قل أن يسبق له نظير، خزن النجفيون منه ما يكاد يكفيهم شهراً أو أكثر من ذلك، وقد أدرك الإنكليز أن ذلك أحد الأسباب التي تجعل النجفيين يصابرون الحصار بحسب الظاهر، فلذلك صمّموا على مهاجمة مواقع الثوار والاستيلاء عليها عنوة.

الهجوم الإنكليزي على مواقع الثوار النجفيين:

افتتح الإنكليز هجومهم الكبير على مواقع الثوار النجفيين في صباح **الأحد ٢٥ جمادى الثانية -٧ نيسان-** بإطلاق وابل من نيران رشاشاتهم وبنادقهم وبعض مدافعهم الكبيرة، التي نصبت على المترب الشرقي المطل على -بير عبيد- أو على كري الشيخ إطلاقاً يصم الآذان دام زهاء ساعة في نفس واحد، فإنه بدأ الساعة ١١ صباحاً واستمر إلى الساعة الثانية عشرة والربع، ثم وقف ثم عاد بمثل تلك الشدة والمدّة على متربي الباب الصغيرة والمشرفين على المدينة وعلى ضواحيها اللذين هما أهم معاقل الثوار.. ثم عقب ذلك زحف مشاة الإنكليز فاحتلوا -المتربين- أو المقلابين بدون مقاومة تذكر، لأن الحامية من الثوار كانت أحاداً تعد على الأصابع، فلم تطق الصبر على تلك النيران الشديدة، فانسحبوا إلى داخل المدينة، وحاولوا الثبات عبثاً في شق الحويش، ومقاومة المتربين منه، لكن أهل الحويش المسالمين وفي طليعتهم السيد مهدي انتفضوا عليهم، فانسحبوا على ما وراء الحويش من بقية الأحياء، وتظاهروا فيها مع أن إمارات الخذلان ظاهرة عليهم، حتى أنهم أخلوا بعد احتلال الإنكليز مترب الباب الصغيرة مواقعهم على مترب الثلمة، وانتقلوا على بعض الأبراج على السور ثم تركوها بعد قليل، وعادوا إلى قلب المدينة. ولم يقتل بنار الإنكليز إلاّ اثنان من الثوار، وجرح -غازي طوبة- صهر كاظم الصبي، لكن قتل من الأبرياء والفقراء جماعة، وقد شرع الإنكليز لساعتهم يحصنون المواقع التي استولوا عليها، ورفع السيد مهدي إلى بلفور تسليم شق الحويش ونشر أهله على بيوتهم الأعلام الحمر إجابة لطلب الكابتن بلفور، فتسلل كثير من المقاومين واندسوا في الحويش، وهاجر خلق من أهل الأحياء الأخرى انتجاعاً للأمان،

وفي منتصف هذا اليوم حلّقت طيارة إنكليزية في سماء المدينة ربع ساعة، وألقت نسخاً من منشورين، أحدهما جواب القائد العام الذي سبق وروده في يوم ١٤ جمادى الثانية سنة ٣٦ والمنشور الثاني هذا نصه:

نسخة مكتوب من فخامة الحاكم الملكي العام إلى حضرة آية الله الحاج سيد محمد كاظم الطباطبائي دامت بركاته:

في اليوم الواحد والعشرين من شهر مارس ١٩١٨ المطابق ٧جمادى الثانية سنة ٣٦ أي قبل أن تعلن الحكومة البريطانية شروط التسليم على بلدة النجف الأشرف، أرسل فخامة الحاكم الملكي العام بالعراق كتاباً إلى حضرة آية الله الحاج سيد محمد كاظم الطباطبائي، أظهر فيه اهتمام الحكومة البريطانية الفخيمة بسلامة البقعة المقدسة، وسلامة حضرات العلماء الأعلام وهاكم نص الكتاب:

إلى حضرة آية الله الحاج سيد محمد كاظم الطباطبائي دامت بركاته

لقد أصدر صاحب الدولة قائد الجيش العام الأوامر اللازمة بإخماد الفتنة التي وقعت في النجف الأشرف، وكّدرت خاطره كثيراً، وقد أصدر أيضاً الأوامر بإلقاء القبض على المفسدين الذين سببوا هذه الفتنة، وبالمحافظة على سلامة البقعة المباركة الشريفة، وسلامة حضرات العلماء الأعلام المجاورين لذلك البلد الطاهر. ولاشك في أن القبطان بلفور سيطلع حضرتكم على هذه الأوامر التي إن لم يطعها أهالي النجف الأشرف ويرضخوا لها، فلابد أن تحصل بواسطتهم المضايقة على حضرات العلماء الأعلام الساكنين في النجف الأشرف، وأنا على يقين تام بأنكم ستساعدون السلطات البريطانية، وتعاونوها -تعاونونها- بثاقب فكركم وعلي همتكم وحسن نيتكم على تهدئة أحوال البلد الطاهر، وإخماد الفتنة الحالية، إذ أنكم تعرفون حق المعرفة حسن نية الحكومة المعظمة ومساعيها الكثيرة التي تبذلها لأعلام المبادئ الدينية التي يتديّن بها أهل العراق، وإنقاذ شعوبه من المظالم والمفاسد السابقة، وإنا لمنتظرون نتيجة مساعيكم المشكورة، وأدامكم المولى ملاذاً للإسلام والسلام.

ومما يجدر بنا الإشارة إليه هو أن الهدوء والسكينة كانا على أتمهما في المدينة إلى أن انتهت الواقعة، مع أنها أدهى الوقائع، حتى أن واقعة ليلة ١٩ جمادى الثانية سنة ٣٦ السالفة لاتعد بالنسبة إليها شيئاً مذكوراً،

وفي منتصف هذا النهار أيضاً خرج من أهل شق البراق جماعة في غرّتهم الحاج عبد المحسن شلاش يرفعون طاعة أهل محلتهم إلى بلفور، وكذلك فعل بعض أهل المشراق والعمارة.

وفي عصر هذا اليوم التجأ الثوار إلى المشهد العلوي وامتنعوا فيه ونقلوا مؤنهم وذخائرهم إليه، وأظهروا أنهم لايزايلون هذا المكان، وهم يومئذ صميم الثوار الذين محصتّهم المحنة، ومخضّتهم الفتنة فأبوا أن يستسلموا للإنكليز، كالحاج سعد الحاج راضي وبنيه وجماعة من أقربيه ومن الشمرت، وكاظم الصبي عقيد شق البراق مع بعض رفاقه، وعباس علي الرماحي وأخيه وآخرين من عشيرته، وكردي بن عطية مع جماعة من أهل شق العمارة والحاج نجم رئيس العصابة الثائرة ومن معه من عصابته، وأفراد آخرين بحيث قدّر الجميع بما يناهز المائتين. وأما سائر من حمل السلاح وأطلق النيران على الإنكليز، واشترك في المظاهرة ضدّهم فقد ألقوا سلاحهم واحداً بعد الآخر، وتظاهروا بأنهم كانوا ولا يزالون من الحزب الناقم على أهل الثورة حتى قاموا يومئذ على حراسة أحيائهم أن يدخلها أحد الثوار، وشهروا ظاهراً في وجوه رفاقهم اليوم سلاحهم الذي شهروه بالأمس في وجوه الإنكليز.

وفي ليلة الاثنين ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦/ ٨ نيسان -لم يحدث ما يستحق الذكر،

وفي صباح الاثنين ذاع في البلدة أن الثوار الذين امتنعوا في المشهد أمس وباتوا فيه ليلتهم خرجوا ليلاً، ونفذوا من نطاق الحصار، ونجوا من شرك الإنكليز وأبواب المشهد لاتزال مقفلة، لكن وجدت ثقوب جديدة في السور مما يلي الثكنة العسكرية، والناس بين مصدّق ومكذّب ومحقّق ومرتاب.

وفي هذا اليوم خرج على لقاء بلفور في الرحى المتظاهرون بالطاعة له من زعماء المتغلبين، كالسيد مهدي وبقية زعماء الحويش. والسيد علي جريو من البراق، وعبدالله

الرويشدي من المشراق، وآخر من العمارة، وخرج أيضاً السيد عباس خازن المشهد وعمّه السيد هادي والحاج محسن شلاش وغير هؤلاء، وقد سألهم بلفور عن الثوار فقالوا له: خرجوا على مانسمع، فطلب إليهم بلفور أن يضمنوا درك قولهم هذا فيما لو دخلت الجنود الإنكليزية إلى المدينة بناء على ذلك. ولكنهم لم يقدموا على ذلك، فكلّفهم وشدّد عليهم بالمبادرة إلى الفحص عنهم، والبحث عن مكامنهم، وقد تظاهروا بإجابته، وتقلّد أتباع كل منهم السلاح وجاؤوا إلى المشهد وفتحوا الباب وبحثوا عنهم فلم يقعوا لهم على أثر.. ثم خرجوا وجاسوا خلال شقي العمارة والمشراق فلم يعثروا على أحد من القوم.

ويقال: إن بلفور استوثق من رؤساء المتغلبين في مقابلتهم هذا اليوم في شأن جمع السلاح والغرامة المالية، وقد قتل وجرح غير واحدة من النسوة هذا اليوم، قيل: ثلاث داخل السور برصاص الإنكليز، لأنهم يطلقون نيرانهم من حين لآخر على بعض المحلات التي مازالوا يحتملون فيها وجود الثوار يأبون كل الإباء التصديق بخروجهم، حتى قال بلفور لزعماء المتغلبين إن مخافرنا زادت والسلك الشائك لم يزل محيطاً بالبلاد، وقد سددنا فوهات الآبار في الخارج، وذلك أن لثوار النجف السابقين عادة في الهروب من داخل الأقنية والآبار الجارية والنفوذ من الموجود منها داخل المدينة إلى خارجها، وقع ذلك منهم غير مرة -فمن أين خرج الثائرون؟؟

وفي ليلة الثلاثاء أعطى الإنكليز إلى بعض مستخدميهم الذين شملهم الحصار جوازاً بالخروج إلى الكوفة، وفيه أمسك -أبو نويصر- أمسكه عبدالله الرويشدي في شق المشراق فدفعه إلى الإنكليز، وقد اعترف على ما يقال إنه من العصابة التي هاجمت دار الحكومة -الخان- ووشى برفاقه والثوار قائلاً: إنهم في المدينة لم يزايلوها بعد، وقبض أيضاً على حسين الرماحي في شق البراق، وهو من الشرطة الأهلية التي ألفها الإنكليز الشبانة، كان في الخان أثناء الهجوم عليه فاشترك في إطلاق النار على الجنود..

في أصيل هذا النهار ورد على السيد اليزدي هذا البلاغ بعد إصلاحه.

٩ إبريل سنة ١٩١٨

حضرة آية الله السيد محمد كاظم الطباطبائي دامت بركاته.

بعد السلام. إني مأمور من قبل القائد العام لأبلغكم أن جنابه قرر إطلاق المدافع على نواحي محلة العمارة بكرة صباحاً. تقرر بموجب أمر قائد الكوفة والنجف، بناء على وساطة مندوبي حضرتكم الشيخ محمود آغا والشيخ صاحب الجواهر عند سعادة القائد العام لإدخال الماء إلى المدينة، وترخيص الزوار والمسافرين لمغادرتها، وأنا مشغول بترتيب ذلك، فإن مقصد القائد العام رفع الصدمات الزائدة التي تلحق الأبرياء بسبب حركات المجرمين، ولي أمل أن أتشرف بحضوركم في هذا القرب، وأستدعي لحضرتكم دوام الصحة.

حاكم سياسة الشامية

بلفور

ذاع هذا البلاغ في شق العمارة بعد مضي طائفة من الليل، ففزع واستولى الرعب على جمهورهم، وقضوا أكثر ليلتهم وهي ليلة الأربعاء ٢٨ جمادى الثانية سنة ٣٦/ ١٠ نيسان وفي مفارقة محلتهم، والهجرة منها إلى المحلات الأخرى سيما الحويش. وفي الهزيع الأول من هذه الليلة أطلق جنود الإنكليز من جهة البحر ناراً حامية، يقال: إنها على جماعة من الثوار في طليعتهم الحاج نجم حاولوا النفوذ من منطقة الحصار فلم يتمكنوا. وفيها أيضاً قبض الموادعون من النجفيين على اثنين من (القتلة!) أحدهما العبد سعيد -مملوك الحاج سعد الحاج راضي- أمسكه الرويشدي، وهو قاتل الشرطي داخل البلدة يوم الواقعة، والثاني محسن بن حبيب أبي غنيم من مهاجمي دار الحكومة، وهو الذي تولى قتل الحارس -النوبتجي[1] - وأخذ بندقيته وكانت معه..

(١) الحقيقة أن سعيداً هذا لم يكن من قتلة الشرطي أو الشرطيين داخل البلدة يوم الواقعة. فالذي قتل الشرطيين هو راضي الحاج سعد، كما أوضحنا ذلك في هامش سابق من المذكرات. وإذا كان هناك عبد مع راضي عندما قتل الشرطيين، فيمكن أن يكون العبد «بشير» عبد شبادة الذي كان قد عاد مع راضي من البصرة في صباح ذلك اليوم بعيد مقتل مارشال. أما في ما يتصل بالثائر محسن ابي غنيم، فهو لم يقم بقتل الحارس عند الهجوم على الخان، وإنما قتله مجيد دعيبل بطلقة من بندقيته، كما ذكر ذلك شاهد عيان هو السيد عودة الشكري المشارك معهم في الهجوم. «الأسدي».

أمسكه خاله وذوو رحمه، ولم يتلجلج في الاعتراف بقتل الحارس عند الهجوم، وذكر أنه هو والحاج نجم وغيره حاولوا الخروج الليلة ففشلوا، واعترف أيضاً أنه أحد أعضاء العصابة السرية، والنجفيون يقولون -أهل الحلف-. وكانا رابطي الجأش ثابتي الجنان حتى أن الأخير قرع الناس في الحويش وعنّفهم وجرحهم بعبارات شديدة، وتظاهر أمام الناس بالاستخفاف بالموت قائلاً: إن هي إلاّ موتة واحدة يا كفرة.. وفي الهزيع الأخير من هذه الليلة أو بين الطلوعين أعمل الإنكليز نيران رشاشاتهم وبعض مدافعهم على جبل الثلمة، ثم تقدموا واحتلوه وأطلقوا منه النيران، وقتل بعض الفقراء في المدينة، ثم شرعوا في تحكيم الجبل المذكور، وتجنّب الناس ممن يشرف هذا الجبل على شوارعهم ودورهم المرور عليها، لأن الإنكليز يرمون كل من يظهر لهم منها، وهم يفعلون ذلك إلى اليوم، فيما عدا شق الحويش.

وفي صباح الأربعاء حقق الإنكليز مضمون بلاغهم الأخير، فإنهم أطلقوا على أطراف محلة العمارة من بعض مدافعهم الكبيرة المنصوبة إحدى وعشرين قذيفة، لكن وقع كثير من شظاياها داخل المدينة. وقد قتل هذا اليوم في العمارة منذ احتل الجنود مترب الثلمة إلى نهاية إطلاق المدافع أربعة منهم -ابن شيخ طاهر، وجرح جماعة منهم السيد حسن الدسبولي-.

وفي هذا اليوم رفع الغرباء والزوار رفوعهم إلى الإنكليز يطلبون الخروج من المدينة، وفيه أذن الإنكليز لخمسة وعشرين من السقائين معهم جوازات بحمل الماء إلى البلدة، فبيع الحمل بروبية

وفيه سقطت ثلاث دور في شق الحويش، قتل عنها واحد يسمى الحاج يحيى وجرح ثلاثة،

وفيه قبض على أفراس الحاج سعد سلّمت للإنكليز وهي ثلاثة.

وفي ليلة الخميس ٢٩ جمادى الثانية سنة ٣٦/ ١١ نيسان - لم يقع ما يستحق الذكر،

وفي صباح الخميس على رأس الساعة الثانية عربية حلقت في سماء المدينة طيارة إنكليزية وعادت بدون أن تلقي شيئاً، ثم حلّقت مرة ثانية في الساعة الرابعة،

وفي ضحوة هذا اليوم نادى المنادي من قبل الإنكليز وتأذن بأن من آوى أحداً من الثوار -الحاج نجم وأصحابه- ويطلق عليهم النجفيون -أهل الحلف- يصلب وتهدم داره وتصادر أمواله، ومن دلّ على أحدهم كوفئ بخمسمائة روبية..

وفيه خرج بعض الغرباء بالجوازات إلى الكوفة،

وفيه أيضاً قبض على السيد جاسم بن السيد محمد علي طبار الهواء. يقال: إن مجلس الثوار كان ينعقد في داره. وقبض أيضاً على سوادي من آل فتلة بدعوة أحد شرطة الفرس أنه شاهده يحمل السلاح مع الثوار، وفيه ضيق الإنكليز الحصار على المدينة واحتلوا مواقع السور داخل البلدة في جهة المشراق والعمارة، من جملتها الثكنة الكبيرة، وجاسوا خلال بعض الشوارع، وفتشوا بعض الدور، ورموا جماعة في شوارع العمارة، فقتلت امرأة وجرحت أخرى، وفتشوا بعض الدور، ورموا جماعة في شوارع العمارة، فقتلت امرأة وجرحت أخرى، وأكثر هؤلاء الجنود إنكليز بيض وبعضهم صينيون وهنود.

وفي هذا اليوم دعا الإنكليز المسالمين من زعماء المتغلبين، وأشخصوهم إلى الخارج كباراً وصغاراً، وأبلغوهم أن الحصار سيستمر حتى يلقى القبض على جميع من في المدينة من رجال الثورة، وفيه عرض الإنكليز الخروج على اليزدي، وكتبوا له على ما يقال: إن الأسئلة تتابع عن سلامته من الأطراف فامتنع من ذلك.

وفي يوم الجمعة سلخ جمادى الثانية سنة ٣٦/ ١٢ نيسان ١٩١٨ - ظهر الإنكليز في شق البراق، وفتحوا الباب الشرقية الكبيرة والباب الأخرى القريبة إليها، وحفروا خندقاً في مدخل الباب وحصنوا دار البلدية القديمة المحترقة التي فوق هذه الباب على باب الكوفة، ونصبوا الرشاشات وحكّموا أيضاً النادي الاتحادي فوق الباب الأخرى، واحتلوا غير واحد من الأبراج الكبيرة المهمة، مثل البرج الذي يسميه النجفيون - قولة أم السبع- وغير ذلك من السور.. وشرعوا يهدمون الدور والمساكن والحواجز التي يسكنها الصعاليك -أهل السور- وهي تقطع طريق سطح السور، وقد غادر سكان هذه الدور دورهم، وكذلك المساكن مساكنهم الحقيرة إلى داخل المدينة، ونصبوا أيضاً الأسلاك الشائكة.

القبض على رئيس لجنة الثورة النجفية وجماعة من أصحابه:

لايعادل أيام الثورة في غرابتها إلاّ هذه الأيام التي شرع فيها الموادعون من النجفيين يمسكون رجال الثورة واحداً فواحداً، ويسلّمونهم إلى الإنكليز، وما ذلك إلاّ لما أظهره هؤلاء لأولئك من الجدّ في طلبهم والتصميم على إمساكهم، حتى ضيّقوا الخناق على المدينة من أجل ذلك.

ففي هذا اليوم -سلخ جمادى الثانية سنة ٣٦- أمسك النجفيون المسالمون السيد جبر الحداد ابن أخت الحاج نجم رئيس لجنة الثورة، وأحد الثائرين معه الهاجمين على الخان، يقال: إنهم وعدوه بالإطلاق إن هو أرشدهم إلى مكان خاله، فأرشدهم على الموضع الذي استتر فيه من شق المشراق، وأسرع إليه جماعة من هؤلاء المتظاهرين بالمسالمة شاكي السلاح في طليعتهم عبدالله الرويشدي ومحسن الشمرتي وغير هؤلاء، دخلوا عليه في بيت من دار حطحوط في شق المشراق، بعد أن فتشوا عنه عدة دور، وقد اختبأ وراء دثار في البيت فلما رآهم حاول مناجزتهم، لكنهم تغلبوا عليه وأمسكوه وضربوه حتى أدموه وشجّوه.. وما ذاع خبر إمساكه في المدينة حتى هرع الناس إلى مشاهدته، وأقفلت الأسواق، واهتم الجمهور بذلك اهتماماً عظيماً، وكذلك الإنكليز، وقد جيء به كما جيء بغيره من قبله إلى دار السيد مهدي السيد سلمان في الحويش في سواد عظيم يحيط به، والخلق صفوف في الشوارع التي يمر عليها به، وهو مطرق يدخن لفافته لاأثر للجزع عليه.. واستدعى بالقهوة والدخان فأحضروا له ذلك وقرّعه صاحب الدار أي تقريع وسبّه، وقد أخرج من دار السيد مهدي فسلّم إلى الإنكليز خارج المدينة..

وقد قبض في هذا اليوم على جماعة من أهل -الحلف- أصحاب الحاج نجم كما يسميهم النجفيون، أو من مهاجمي دار الحكومة الإنكليزية.. من الجملة: جودي بن عيسى ناجي وجد في خربة من شق البراق.. ومنهم مجيد بن مهدي دعيبل في شق الحويش ممن دخل يوم الواقعة دار الحكومة، والمشهور أنه الذي باشر قتل الكابتن مارشال بإطلاق النار عليه من بندقيته مرتين، وقد جرح منذ يوم الواقعة، إلى أن قبض

عليه دفعتين، وهو شاب في شبه نيف وعشرين من عمره مثل سابقه، بل مثل أكثر رجال هذه العصابة، ماعدا الحاج نجم فإنه وحده على ما يظهر في عشر الستين.. وهو أصلع الرأس، أزج الحاجبين، واسع العينين، حاد النظر، وقور ساكن الطائر، قليل الدعوى، يخضب بالسواد، وكان تمّاراً أو بقالاً، فإن النجفيين يدعونه حاج نجم البقال.. أما عصابته فأكثرهم شبان ليسوا من أهل السوابق، ولم يسبق لهم ما يدل على مثل هذه الجرأة والإقدام.. يقال: إن قائدهم الحاج نجم اختارهم من قليلي الأقوال كثيري الأفعال.

وممن أمسك هذا اليوم من الثوار طماطة بن سعيدان في شق الحويش.

وفي هذا اليوم وردت لليزدي برقية من مندوبيه محمود آغا الهندي والشيخ جواد الجواهري فيها: إن رعاية الحكومة شملت العلماء والضعفاء والفقراء، وأنها تقدمت بوضع الخطة التي يزايل النجف بها الضعفاء والزوار، وستسوى بقية المطالب بهمة الحاكم الملكي العام.

وفي صباح السبت غرة رجب سنة ٣٦ - حلقت طيارة على المدينة، وعادت بعد الظهر أيضاً، ويقال: إن نائب الحاكم الملكي العام ورد هذا اليوم كان راكبٌ في الطيارة..

وفيه خرج عيلات بعض الأعيان كآل الخازن وعمّه السيد هادي، وخرج آخرون من أهل البيوت الدينية الشهيرة، وبعض المقسّمين من العلماء، كل من هؤلاء بنص عليهم من الإنكليز، وأرسلت الجوازات لآخرين من هذا القبيل.

تسليم الحاج سعد نفسه إلى الإنكليز وإمساك ابنه محسن:

وفي هذا اليوم بعد الظهر خرج الحاج سعد الحاج راضي من دارهم التي كان مستتراً فيها، عازماً على تسليم نفسه للإنكليز، وقد حّف به جماعة من زملائه رؤساء النجف المتغلبين بموادعة الإنكليز: كحسون شربة، وغيدان عدوة، وغيرهما، وخلفهم وأمامهم وفي جانبهم خلق كثير من الرجال والنساء يبكون.. وسار تواً إلى رحى الماء حيث اتخذها قّواد الإنكليز وحكّامهم مركزاً حربياً لهم من بعد الثورة. فما بلغ هؤلاء

تسليمه، وكانوا في الخان، حتى أحاطوه بطائفة من جنود الإنكليز أوثقوه كتافاً وكان معه كيس فيه نقود طلب السيد مهدي إعادته إلى أهله، فأبى الأعوان ذلك وأخذه الجنود. ثم أنهم سيّروه مع جماعة من الثوار مخفورين إلى الكوفة، وكان المسالمون من النجفيين أمسكوا قبل تسليمه أصغر بنيه محسناً، واستخرجوه من مخبئه في شق المشراق، وهو شاب جميل الطلعة في العشرين أو دونها من السنين، رق لمرآه كثيرون وبكى آخرون.. وقد طلب في أثناء الطريق ممن كان على حراسته من النجفيين أن يعودوا به على دار اليزدي فأجيب إلى ذلك -ولعل غرضه الاحتماء أو الامتناع بجاه اليزدي عند الإنكليز-. لكنه طرق الباب كثيراً فلم تفتح وأوصدت في وجهه، فأعادوه وسلّموه إلى الإنكليز، ووجدوا معه بندقيتين، إحداهما إنكليزية والأخرى ألمانية، وخريطة فيها ذخيرة، سلموا الجميع.

وقد أجاز الإنكليز الذين تولوا إمساكه وإمساك الحاج نجم، وإيصال الحاج سعد كالحاج عبدالله الشمرتي ومحسن الشمرتي والرويشدي جوائز من النقود مكافأة لهم على ذلك. ومهما يكن من الأمر فإن الكآبة كانت ظاهرة على وجوه عامة النجفيين هذا اليوم، خصوصاً المتغلبين وحملة السلاح.

وممن أمسكه النجفيون هذا اليوم وسلموه على الإنكليز من الثوار: عبود صخيلة بن سلمان القهوجي من العبيد، وهو من جملة عصابة ا لحاج نجم، وممن دخل معه الخان يوم الثورة:

وشاع في النجف هذا اليوم فرار شمران العامري ليلة البارحة، وذلك أنه طلب من حارسه التبرز على الفرات فألقى نفسه فيه غفلة، فصاح الحارس، وحضر القائد مع ستة من الجنود فأمر بقتل الحارس الإنكليزي وإلقائه في الفرات.

وفي هذا اليوم أيضاً نقض الإنكليز كثيراً من الدور المحاذية للسور في شقي المشراق والبراق،

وأمسكوا في هذا اليوم ابن الحمامي وابن حبيب في شق الحويش، وفي الأول جرح بليغ، وفي الثاني خفيف.. وهما من مهاجمي الخان ومن عصابة الحاج نجم.

وأمسكوا هذا اليوم في مسجد من شق العمارة الشيخ إبراهيم الكاشي الخطيب، أمسكه أمين كرماشة الذي رتّبه الإنكليز من قبلهم في العمارة، وأعطوه جريدة بأسماء من يراد إمساكه من الثوار، كما فعلوا في سائر الأحياء..

وفيه مات شبادة أخو الحاج سعد وهو شيخ مسن، يقال مات جزعاً على أخيه.

وفي صباح الأحد ٢ رجب سنة ٣٦، كرر المنادي من قبل الإنكليز نداءه يحذر النجفيين إيواء أحد الثوار، ويوعدهم إن فعلوا بالقتل وغير ذلك من العقوبات.. وفيه أطلق الإنكليز لغماً في الثكنة العسكرية القديمة لنسف بعض الأبنية فيها، ومازالت جنودهم تعمل في نقض هذه الثكنة، ونقض جملة من الدور في شق البراق والمشراق، وما انفكوا يحصنون المواقع التي احتلوها ويجهزونها، كما لو كانوا ينتظرون ثورة أخرى.. وقد نصبوا الأشراك -الأسلاك الشائكة- ومدوها من الثكنة إلى مخازن التجنيد القديمة على عهد الأتراك -دبوي- ومدوها في غير مكان من الباب الصغيرة والثلمة، وهذه المخازن من جملة ما هدموه.

وفي هذا اليوم انتقل المستخدمون على الجوازات، وتسلموا الثوار من الإنكليز وأعوانهم من الباب الكبيرة في شق البراق.. ويروى أنهم يرومون التوسعة على المدينة، لأن الخناق ضاق والشكوى عمّت الحصار، وقرب نفاد جملة من أهم مواد الغذاء وبعض المواد الضرورية الأخرى، فقد أقحطت المدينة أو كادت، وارتفعت الأسعار ارتفاعاً باهظاً لايطاق، فمن ذلك أن حقة الحنطة تباع في خمس روبيات، والتمن مثلها، وصفيحة السمن تباع في اثنتي عشر ليرة، وأوقية اللحم -إن وجد- في خمس روبيات، والدجاجة في أربع روبيات، وأما الخضروات والألبان فلا أثر لها ولا عين. ولم يأذن الإنكليز إلى الآن ولم يسمحوا بدخول شيء مما قدمناه، مع أنه مضى تسليم البلدة أكثر من أسبوع، وقد صار الفقراء والمجاويع بحالة يرثى لها، وكثر سواد المتسوّلين والمتكففين. هذا فضلاً عن أن الغرباء والزوار لم يفرج عن أكثرهم، ولا يوجد من يهتم بشؤونهم.. وغاية ما تم الآن خروج بعض من نص الإنكليز على خروجهم من خواص أهل العمائم والبيوت والأعيان بعيالاتهم، وعددهم لايذكر نسبة

إلى غيرهم ممن هم أولى بالخروج ومغادرة المدينة. وقد صار معوّل أكثر العامة والسواد في قوتهم على التمر لأنه وحده من بين مواد الغذاء، كثير مبذول، حتى أن المخزون منه في النجف يكفيها، ويقوم بها إلى سنة أو أكثر على المشهور.

وفي يوم الاثنين ٣ رجب أمسكوا عطية بن محمد الصبي، أي ابن أخ كاظم الصبي في شق البراق، وأمسكوا في شق العمارة طلال بن جاسم العكائشي، وغازي طوبة مجروحاً بشظية مدفع منذ يوم سقوط المترب.. وفيه استعمل الإنكليز ألغاماً في نسف بعض نواحي الثكنة الكبيرة وبعض الدوب،

وفيه أيضاً زايل المدينة كثير من الغرباء وغيرهم بالجوازات إلى الكوفة،

وفيه رتب الإنكليز بقالاً خارج باب الكوفة لايشتري منه إلاّ من بيده جواز أو وثيقة من أهل المدينة..

وفيه أمسك غيدان عدوة السيد عزيز الله، مخرجاً له من المدرسة، محاولاً تسليمه إلى الإنكليز، فاجتمع عليه خلق وسلقوه بألسنتهم حتى اضطروه إلى تركه.

وفي يوم الثلاثاء ٤ رجب سنة ٣٦ أمسك النجفيون المسالمون في شق البراق مطرود بن جاسم الكعباوي من الثوار وممن اتهم بالاشتراك في المؤامرة على الثورة.

وفي عصر هذا اليوم أمسك أمين كرماشة كريم بن الحاج غانم كرماشة، وهو فتى عارم مشهور بالتسطي معروف بالعدوان، ضج النجفيون بالشكوى من أفاعيله، وقد تولى أخيراً شؤون الثورة والثوار في شق العمارة، وانفرد تقريباً بجباية المعاون من التجار، وقد بادر إلى حلق رأسه وتغيير ملابسه قبيل التسليم.

وفيه حلقت الطيارة ثلاث مرات في سماء المدينة

وفيه أُجيز لعدد من السقائين بحمل الماء إلى البراق والمشراق.

وفي يوم الأربعاء ٥ رجب سنة ٣٦ أعاد النجفيون إنذار من يستتر عنده أحد من الثوار، ونادى المنادي بذلك، ونادى أيضاً باجتماع الزوار في مكان واحد، فصار اجتماعهم ومبيتهم في خان الهنود.

وفي يوم الخميس ٦ رجب تولى القيام على مدخل السلك الشائك أمام الباب الكبيرة الذي يقف أمامه المجتازون من الحصر، أو محاولو ذلك جنود من أحرار الإنكليز بدلاً من شرطة الأكراد الذين ذاق الناس من سوء معاملتهم وخشونة ملتقاهم الأمرين.

وفيه ضحوة وصل إلى أطراف البلدة القائد الإنكليزي الأكبر لجنودهم في النجف والكوفة ومعه طائفة من الضباط، ودخل من باب الكوفة الكبيرة، وظهر على موقعهم في البلدية وهو من جملة المواقع التي حصنوها على السور، وقد رتب هذا القائد جديداً، وعزل به قائد الكوفة القديم على ما يقال.

وفي عصر هذا اليوم قبض النجفيون المسالمون على أربعة من الثوار، وجدوهم في مكان واحد من شق المشراق، وهم: حميد بن صقر العكراوي من [جماعة] عطية أبي قلل - الذي نفذ من نطاق الحصار إلى المدينة في ليلة ١٢ من شهر الثورة، وعلي بن عيسى حبيبان من مهاجمي دار الإمارة(١)، والسيد سلمان بن السيد جاسم، ورجل من آل أبي عامر.

وفي ضحوة الجمعة ٧ رجب سنة ٣٦: قبض على محمد الصنم من المتآمرين على الثورة، المنخرطين للوصول إلى مآربهم في مسلك الشرطة الأهلية التي ألفها الإنكليز -شبانة- وهو أيضاً شاب، وفيه أذن الإنكليز بتسريح طائفة من الحمير والبغال خارج المدينة، بعد أن فشى فيها الموتان من الجوع،

وفيه: خرج منهم جماعة مع النجفيين الموادعين للتحري عن المحاربين في المقابر، قيل وجدوا ثمانية قتلى فواروهم. وقد أذن الإنكليز أيضاً بإخراج الجنائز ودفنها في المقابر البرانية بعد أن اعتاد الناس الدفن طوال هذه المدة في المدينة.

وفي صباح السبت ٨ رجب سنة ٣٦: تظاهر النساء والجياع من الرجال أمام مواقع الإنكليز في الباب الكبيرة، وذلك لتعسّر وجود الخبز والحنطة حتى أقفلت حوانيت الخبازين، واشتد الأمر على الناس، وبيعت حقة الحنطة في ثماني روبيات.

---

(١) الحقيقة ان علياً هذا لم يكن في النجف يوم وقوع الحادث، وإنما كان قد خرج مع عطية ابو كَلل إلى البادية قبل الحادث ورجع مع كريم الحاج سعد وغيره بعد الحادث بسبعة أيام. «الأسدي».

وفي ضحوة هذا اليوم دخل الباب الصغيرة أو باب البركة الكابتن بلفور وضابط إنگليزي من أركان الحرب، ومعه طائفة من الجنود في بندقياتهم الحراب ذاهباً إلى مطالعة اليزدي.. وقد وصل إلى داره ووقف الجنود على الباب وفي الشارع كهيئة حراس، وقد وصلوا إلى دار اليزدي حيث هم بسلك مسرة -تلفون- ثم صعد بلفور وحده، وخلا باليزدي وببعض خواص بطانته ساعة أو شبيهاً بذلك، دار الكلام فيها على رفع الحصار وتجهيز الأقوات على المدينة، والكفّ عن نقض الدور. ومما قاله اليزدي: إن لحصار الأبرياء فيمن يتولى حصرهم أسوأ مغبة وأشأم أو ما يؤدي هذا المعنى.. فأجابه بلفور: إنا مجهزون إلى المدينة ما يقتضي من الأقوات، وأما الحصار فسوف يرتفع على التدريج سيما إذا ألقينا القبض على بقية المستترين من الثوار، وهم الخمسة: كاظم الصبي وأولاد سعد والرماحي وأخوه، لكن سنتسامح فعلاً في إعطاء الجوازات لمن يرغب في مزايلة المدينة من الأبرياء، وأما المساكن والدور فقد تقرر نقض ما كان ملاصقاً للسور لا غير. وقد خرج بلفور بعد ختام المذاكرة وعاد أدراجه.

وفي عصر هذا اليوم قبض النجفيون المسالمون على علوان دليهم من أصحاب كاظم الصبي ومعه بندقية من طراز موزر الألماني وقراطيس.

في يوم الاثنين ١٠ رجب ٣٦ ضيّق الإنگليز الخناق على الناس، وظهروا بكل مظاهر الشدة، فامتنعوا عن إعطاء الجوازات إلى الكوفة، حتى لقد أصبح الوصول إلى الحاكم السياسي صعباً جداً.. وفيه وسعوا دائرة الأشراك -الأسلاك الشائكة- في الأحياء الأربعة، فتقدموا بها في شق الحويش من الباب الصغيرة إلى مدرسة الخراساني، فانقطع طريق المارة وشق ذلك خصوصاً على السقائين. وأضافوا في شق البراق إلى الأسلاك المنصوبة في فسحة السراي أسلاكاً أخرى من الباب الكبيرة إلى الباب الثانية على هيئة ربع دائرة، وتقدموا بالأشراك أيضاً في شق العمارة، فشّوكوا الزقاق المعروف بعقد بيت جدي، كما شوّكوا غيره من الأزقة.

وفي ذلك اليوم وصلت برقية من قائد الكوفة إلى اليزدي جواباً عمّا دار بينه وبين بلفور في مسألة تموين المدينة جاء فيها: إن تجهيز الأقوات إلى المدينة لايكون ما لم

يلق القبض على بقية المتسترين من الثوار..

وفيه أيضاً اهتم جماعة المودعين للتحري عن الميرزا عباس آل الميرزا خليل، فدخلوا المدرسة التي فيها يقيم، وفتشوا غرفته الخاصة، فوجدوا فيها أوراقاً مبعثرة وعثروا على جملة قراطيس، بندقية فحملوا الجميع وذهبوا به إلى الإنكليز.

وفي يوم الثلاثاء ١١ رجب ٣٦ ارتفعت الأسعار ارتفاعاً باهظاً، حتى أن حقة الحنطة بيعت في تسع روبيات،

وفيه شدد المسالمون التحري على بقية الثوار المختبئين، فطوفوا في شق المشراق، وفتشوا أكثر الزوايا فيه فلم يحظوا بطائل.. وكان غالب فحصهم في الدور التي في درب البهاش، وكأنهم أحسوا بوجود بعضهم هناك.

تسليم كاظم الصبي نفسه:

في يوم الأربعاء ١٢رجب، بعيد الفجر خرج كاظم الصبي من مخبئه وحده، وذهب تواً إلى دار الخازن، فطلب منه أن يصحبه هو والحاج عبدالمحسن شلاش فيسلمانه إلى بلفور، فذهبا إلى مقابلة الحاج عبدالمحسن في داره فقابلاه.. فمضى هؤلاء الثلاثة إلى الأوفيز -سراي مارشال- قبيل طلوع الشمس. وبهذه الصورة سلّم كاظم نفسه، على حين لم يشعر به أحد من الناس، كأنه أنف أن يقبض عليه رجال المودعة فيتبجحوا عند الإنكليز بقبضه رغبة بالحصول على جائزة.

وفي ضحوة هذا اليوم قبض المسالمون على السيد جعفر الصائغ أحد أركان الحلف والعهد، وهو الذي -على ما يقال- جعل داره مركزاً لمذاكرات الثوار السرية قبل الحادثة الأخيرة بزمان. وكانوا فيها يقررون التقريرات ويبثون الآراء.

وفيه قبض على حسون ابن عم كاظم الصبي.

وفي مساء ذلك اليوم في الساعة التاسعة عربية قبض المودعون على الشابين: صغير وأحمد شبلي الحاج سعد[1].

---

(١) لم يكن في من قبض عليهم من ابناء الحاج سعد باسم «صغير». اما الذي قبض عليه مع احمد فهو اخوه محسن، كما جاء في اقوال احد شهود العيان. «الأسدي».

وقبضوا أيضاً على الشاب حامض ابن أخ كاظم الصبي.. وكان للقبض على هؤلاء الثلاثة رنة في البلاد وعويل من الرجال والنساء أصم الآذان وحيّر الأذهان، وقد ظهرت الكآبة على وجوه النجفيين أشياع الإنكليز، وكنت أسمع نشيج بكائهم من بعيد، وأرى تساقط الدموع على خدودهم، فابتلت منها المناديل واخضلت الأردان. وبعد ذلك بساعة -أي في الساعة العاشرة- دعا الإنكليز رؤساء الشباب والزعماء الموادعين فحضروا في الأوفيز، ونطق السيد مهدي والحاج حسون شربة شاكين سوء الأحوال العامة في النجف واضطهاد الضعفاء، وأظهرا إلى بلفور ثقل العناء الذي تحملوه والمشقة الكبيرة، وطلبا خفة الوطأة وتقليل الضغط الذي قضى على حياة جملة من الأبرياء.. فوقف بلفور وخاطب الجميع بما معناه: حقاً إن النجف رأت في المدة الأخيرة من أنواع العذاب أشياء ما كانت رأتها من ذي قبل، وهيهات أن تحصل الراحة أو تعود المياه إلى مجاريها إذا لم يلقَ القبض على بقية المتسترين، فجيئوني بالأربعة يرتفع عنكم الضيق.. وأولئك الأربعة هم: عباس علي زعيم الرماحية وأخوه وكردي أبو قلل وكريم بن الحاج سعد، ولا يخفى أن الحكومة وإن هي قد برأت ساحاتكم من الشبه والجنايات، وتحققت نزاهة نفوسكم من أعمال السوء، فإنها إلى الآن ناقمة على تساهلكم وفتوركم عن قبض المجرمين، وإنكم إلى هذه الساعة لم تظهر فيكم علامات الجد والخلوص في التعقيب، وكان من السهل عليكم إلقاء القبض عليهم خلال أوائل الاحتلال.. وتيقنوا أن تسامحكم هذا هو الذي أضاق النجف هذه الضائقة، ولكنها سوف ترضى عنكم إذا أنتم حققتم آمالها وقمتم بواجباتها المطلوبة، وأسرعتم في القبض على الأربعة المذكورين. ثم حوّل خطابه إلى محسن بن نجم قائلاً: ...أما أنت يا محسن فإن سعيك لمشكور، ولكن الحكومة تلزمك إمساك كريم، وقد أجابه: إني مذعن لأمر الحكومة وواثق كل الثقة بالقبض على من تريد، ولو كان في أقصى طباق الأرض، ثم التفت إلى حاكم وجاسم القليليين وخاطبهما مشدداً بالتحري عن كردي وقبضه، وقال: إذا أنتما لم تفعلا ذلك فإن مصيركما لامحالة إلى الهند، ثم وجّه كلامه إلى أهل شق البراق فقال: يا أهل البراق، منكم أريد عباس علي وأخاه، وأما أنتم يا أهل الحويش فساعدوا أهل البراق في التحري عن ذينك الشخصين.

هذا كله نتية اجتماع الرؤساء في سراي مرشل، وقد عادوا منه بعد الغروب بقليل.

تسليم عباس علي الرماحي نفسه:

ليلة الخميس في الساعة الثالثة خرج عباس علي الرماحي متنكراً، واقتفى بذلك أثر الصبي فجاء تواً إلى دار الحاج عبدالمحسن شلاش، وقد وطن نفسه على التسليم.. فهرع عامة المسالمين ودخلوا عليه وهو في دار الحاج عبدالمحسن، فجرت بينهم مفاوضات أفضت إلى صياح عظيم. والظاهر أن بعضهم أراد تسليمه إلى الإنكليز، كما وقع لجملة الثوار الذين قبض عليهم، وكرهوا تسليمه كما يشاء، حباً بالجاه وتوسلاً للدريهمات التي يسمح بها الإنكليز. ولكنهم فشلوا فإن الحاج عبدالمحسن أخذ أمر تسليمه على عاتقه، فراجع عنه بلفور في الساعة الخامسةمن تلك الليلة، وفي الساعة السادسة ونصف بعد الظهر سلّم نفسه الشاب كردي أبو قلل.

كيف سلّم نفسه:

كان الموادعون قد عينوا مختبأه، وتحققوا وجوده فيه منذ أوائل سقوط المترب، لكنهم إنما تريثوا في قبضه وأحجموا، ولم يتقدم أحدٌ منهم إليه تخوفاً من سوء المغبة ووخامة العاقبة إذ كانوا يهابونه ويرهبون جانبه، ويخشون سطوة أبيه المعروف بالشجاعة والفتك.. فتهاونوا عن إمساكه، وظنوا أن الإنكليز لايلحفون بالسؤال عنه ولا يشددون على تعقيبه، حتى إذا سنحت الفرصة وخفت وطأة الحصر والتطويق يجد له مهرباً، فينجو من أشراك الإنكليز ويلتحق بأبيه.. ولكن خاب فألهم وتكسرت آمالهم، فإن بلفور ألح وألحف في القبض عليه، وطلبه طلباً شديداً من المسالمين، فاضطر هؤلاء إلى إخراجه وتسليمه.. فأرسل السيد مهدي إليه من خاطبه بالرفق وهوّن عليه الأمر وبرهن له على سلامته من الشنق والإعدام. فأذعن الشاب وخضع للتسليم.. فخرج من مكمنه كما يخرج الليث من عرينه وقد تردى أفخر ثيابه، وحفّت به عصبة من النجفيين هو في طليعتهم ثابت الجأش نشيط القلب باسم الثغر، يلاقي جماهير الناس بوجه هش بش، كأنه لم يدفع إلى أسر الإنكليز حيث الموت أو التبعيد.. وإنما يخاله الناظرون متجهاً إلى محفل سرور وأنس.. هكذا ظهر للناس ذلك الشاب الذي ما

أرهق سنه العشرين غير هيّاب ولا وجل، وأظهر من عدم المبالاة ما لم يكن ينتظر منه على صغر سنه.. وقد رقّ لمنظره الجميل كثيرون، وبكى كل من رآه، فعلا الضجيج وارتفعت الأصوات بالويل والعويل.. فكأن النجف ساعة ذاك قد أصيب كل بيت فيها بمصاب، فأنى انتبهت وإلى أي جهة توجهت لاتسمع غير صراخ وقر السماع وكثر الالتياع.. فالمدينة من أقصاها إلى أقصاها في حزن عظيم، فأطل جماعات من الإنكليز، وقد أدهشهم ذلك المرأى، والناس أكداس وأفواج، وظلوا يطيلون النظر إلى طلعة ذلك الصبي الجميل حتى إذا أشرف على الباب تفرق عنه جمهور المودعين وزمرة الموادعين، فدخله وحده، وأحاط به ثلة من الحرس عدوا وإياه إلى سراي مرشل. وكان بلفور هناك ينتظره، فمكث إلى السراي برهة من الوقت، ثم أحضرت له مركبة من مركبات الإنكليز، أركب فيها وغاب عن العيون التي بكته رحمة بشبابه الزاهر وجماله الباهر.

وفي مساء ذلك اليوم الجمعة ١٤ رجب سلگم من تلقاء نفسه شقيق عباس علي الرماحي، وكيفية ذلك أنه لجأ ليلة الجمعة إلى دار معاون الحاكم السياسي عبدالحميد خان، وأنف أن يمسكه النجفيون فبقي تلك الليلة فيها.

وفي عصر الجمعة سلّمه أسود أحد خدام معاون الحاكم.

الرواية الثانية لتسليم كاظم الصبي:

روي أنه خرج من مختبئه والليل حالك، والسكون سائد على حالته الأولى، وفي طرازه الأول، فما غير بزته، ولا اعتزل بندقيته، فقصد القهوة التي تجاه الباب الكبير، فجلس على مقعد من مقاعدها ينتظر الصباح.. فلما انكشف الوقت وفتح الباب دنا من السلك الشائك، واستأذن الحارس بالخروج إلى ملاقاة بلفور فلم يأذن له، فاضطر عند ذلك إلى التنازل، فأرسل إلى الحاج عبدالمحسن شلاش وصحبه حتى سلّم نفسه. وقد لاقى شيئاً كبيراً من الاحترام.. فقدم له بلفور ترويقة الصباح فأكل من الكعك الإنكليزي، وشرب كوباً من الحليب، ثم أركب في مركبة خاصة -أوتومبيل- ودفع إلى جسر الكوفة.

يوم الجمعة ١٤ رجب قبيل الغروب قبض الموادعون على راضي نجل الحاج سعد، وهو شاب بارع الجمال له من العمر ستة عشر سنة أو دونها.. وكان للقبض عليه وقع سيء في النفوس، وتأثير حزن ظهر على الجميع.. وفي ذلك الوقت قبضوا أيضاً على الشاب.. فنجان بن صقبان المعروف ببقر الشام.

وفي صباح يوم السبت ١٥ رجب قبضوا على الشابين الذكيين رزاق وتومان ولدي غيدان عدوة(١) أحد رؤساء الشباب في شق الحويش، ومن الرجال الموادعين للإنكليز. وقد كان لذينك الشابين يد خفية في حادثة النجف، وأعمال سرية اتضحت للإنكليز ولا يعلم على التحقيق فاضح أعمالهما.. والظاهر أن الذي كشفها بعض الثوار الذي قبض عليهم قبل ذلك،

وفي ذلك اليوم في الساعة السابعة بعد الظهر دعا بلفور إلى الحضور في سراي مرشل كل الرؤساء وزعماء الشباب، فقابلوه في السراي فطلب من السلاح ١٠٠٠ بندقية وكلفهم بغرامة ٥٠٠٠٠ روبية، وفي هذا الاجتماع أمسك الإنكليز محمد شبع، وهادي إدريس، وحاكم وجاسم أبو قلل.

وفي الساعة العاشرة من مساء هذا اليوم قبض على تومان -بقر الشام-.

وفي صباح يوم الأحد ١٦ رجب دخل من باب البركة الكابتن بلفور ومعه جماعة من ضباط الإنكليز، وطائفة من الجنود يناهزون الخمسين ذاهباً إلى مكاشفة اليزدي، فوصل داره ووقف الجند على الباب، وتوزعوا على الشارع، ووصلوا الدار بسلك المسرة، وقد خلا باليزدي وحده كما فعل في اجتماعه الأول، وكانت المطالعات سرية لم تنكشف إلى الآن. وقد سئل اليزدي فلم يجب بأكثر من قوله: الأمر هين.. الفرج قريب.

وفي ضحى ذلك اليوم نادى المنادي ينذر أهل السلاح بتسليمه، وأوعد إلى ثلاثة أيام، فمن لم يفعل ذلك أحد منهم، وجرى التنقيب والفحص، ووجد أثر السلاح في أي دار فإنها تهدم.

---

(١) الحقيقة انهما لم يكونا اخوين، لأن رزاق بن علوان عدوة وتومان بن غيدان عدوة. وقد اشتركا بالثورة بعد حدوثها، باعتبارها ثورة ضد الإنكليز المحتلين الذين ريضوا على صدر العراق بعد ان تخلص من كابوس الأتراك، «الأسدي».

وتوعد بالصلب والشنق وغير ذلك من أنواع التهديد والوعيد. وفيه ألقي القبض على حمود الحار وأولاد حبيب وهم: مسلط وسعيد ومجيد(١)،

وفي الساعة العاشرة منه جاء أهل الأحياء الأربعة بما جمعوه من السلاح، فكان عدده ٢٠٠ بندقية أكثره من الطراز القديم، وفيه قليل من السلاح التركي والألماني.

وفيه قبض على رشيد كرماشة من أهل شق العمارة.

وفي يوم الاثنين ١٧ رجب قبض على عبد بن يوسف شبع وحسين الصراف،

وفي الساعة السادسة عربية قبض على هادي وخليل من آل شبع.

وفي الساعة العاشرة سلم أهل الأحياء ما جمعوه ثانية من السلاح فكان دون المائة، أكثره من الطراز القديم كذوات الإصبع ونظائرها من بندقيات العشائر. وسلّموا أيضاً كثيراً من الخناجر المذهبة والمفضضة.

وفي يوم الثلاثاء ١٨ رجب بعد الظهر بساعة قبض المسالمون على أربعة من أهل شق البراق، وهم: شنون المعمار، وحساني وأخوه مجيد ولدا الحاج عبود المختار وحبيب المعروف بأبي الجاموس.. وقبضوا أيضاً على جماعة من اللصوص والمقامرين.

وفي عصر هذا اليوم قبض على حلوس والعنتاكي(٢).

انكشاف المطالعة بين بلفور واليزدي طلب أربعين من المعممين:

قلنا في حوادث يوم الأحد ١٦ رجب: إن بلفور خلا باليزدي في داره، وطالعه في أمور لم تنكشف في ذلك اليوم. وبالرغم من إصرار اليزدي على كتمانها فقد ظهرت للناس خفايا ذلك الاجتماع، وكانت النتيجة أن بلفور قدم لليزدي جريدة فيها أسماء كثيرين من المعممين وإلى الآن لم تعرف، وقد اختلف الرواة في تحقيق العدد، فقائل، إنه أربعون، وقائل جاوز ذلك العدد إلى الستين، وثالث أنقصه إلى ما دون العشرين، وهكذا لم يثبت على التحقيق ضبط الكمية. وقد اضطرب الطلاب لهذا النبأ السيء الوقع والتأثير، وكان فاتحة الجريدة اسم الشيخ محمد جواد الجزائري.

---

(١) الصحيح «مسلط وسعيد ومهدي» أولاد حبيب الحار.

(٢) إن حلوس هو ابن محمد الصبار. وأما العنتاكي فهو «عطية العينتاكي» «الأسدي».

تسليم الشيخ محمد جواد الجزائري:

ما شاع ذلك النبأ العظيم في المحافل والأندية حتى خف إلى اليزدي شيخ الشريعة الأصبهاني وجماعة من أهل العلم وكانت بطانة اليزدي تدعوه أن يدفع عن أولئك المعممين، وقد ألحفوا عليه في ذلك، ولكنه تعذرهم شانه في كل مهمة وحادث. أما شيخ الشريعة فإنه كتب إلى معاون الحاكم السياسي بإبقاء الجزائري ريثما يثبت عليه القانون حكم النفي أو غيره، وقد تعهد للإنگليز بتسليمه أن ثبت ذلك، ولكن بلفور كان مصراً على قبضه، وأوعد أن يمهد له كل أسباب الرفاه والرخاء في أي مكان، فاضطر الجزائري إلى تسليم نفسه وكان ذلك ضحى يوم الثلاثاء ١٨ رجب وقد شيّعه من قبل الشريعة ولده وصدر الإسلام الخوئي فوصلا معه إلى مركز الحاكم السياسي وأكدا عليه بأن يحقق آمالهم باحترام الجزائري وتوقيره فأجاب بذلك. وبعد برهة يسيرة طلبه بلفور إلى الأوفيز فذهب هو ومعاون الحاكم السياسي بعد أن ودع مشيعيه

وفي مساء ذلك بلغ عدد المقبوضين من الأحياء الأربعة قريباً من ثلاثين: ١٥ من أهل شق العمارة بينهم بقية آل كرماشة، والباقون من أهل الشقوق الآخر ضاعت أسماؤهم لأن لأكثرهم غير معروف وليس من أهل الفتنة.

القبض على كريم بن الحاج سعد:

في الساعة الحادية عشرة من يوم الثلاثاء تحقق جواسيس الموادعين [من] مختبأ كريم، وكان في إحدى دور سوق القاضي. وفي تلك الأثناء كثر ذهاب الموادعين وإيابهم، فتراهم في حركة دائمة بين الأوفيز والمدينة، وفي الساعة ١٢ قبضوا عليه، فخف لمشاهدة هذا الثائر الباسل ألوف من الرجال والنساء وكثر الزحام على الأسلاك الشائكة.. فذعر الإنگليز لذلك الاجتماع الغريب في تاريخ النجف، وخرج مئات منهم لتفريق الناس بالحراب.

وفي أول الليل نحو الساعة الواحدة أُتي به مكتوفاً، فأسرج الإنگليز أضويتهم للنظر إليه، وأدخلوه من باب السلك الشائك، وأوقفوه برهة يسيرة بين الباب الكبيرة ومدخل السلك الثاني.. وكنت أرى الأيدي تتساقط عليه تساقط الأجرام النارية، حتى

أوشك أن يهلك من شدة الضرب، ثم عدا الإنكليز به إلى الأوفيز وتفرق الناس.. وكان أول من ألقى القبض عليه من رجال الموادعة مطلق العمار وأجيز من الإنكليز ١٥٠٠ روبية،

وفي عصر ذلك اليوم سلّم الموادعون ما جمعوه من البنادق فكان عدداً قليلاً لايزيد على الخمسين.

وفي صباح يوم الأربعاء ١٩ رجب قبض على حسين كربلائي من أنسباء الصبي وآخر اسمه محمد.. وفيه أرسل الإنكليز على أربعة من الخبازين قدروا لهم مقداراً من الحنطة في كل يوم، وكلّفوهم أن تخرج الأفران في هذا اليوم ما يكفي الفقراء من الخبز، فاعتذر الخبازون لندرة وجود الحطب، فأذنوا لهم بأخذ ما يكفي منه، وبعد مرور ساعة على مطالعة الخبازين نقلت كمية الحنطة والحطب المفيد إلى المدينة، فتراخت الأسعار على أثر وصولها.

وفي ذلك اليوم منع الإنكليز إعطاء جوازات السفر إلى الكوفة وغيرها.

وفي يوم الخميس ٢٠ رجب قبض على حميد الشهير بأبي السبزي أحد رجال الحلف على ما يقال،

وفيه أيضاً منع الإنكليز ترخيص الناس إلى الكوفة،

وفي عصر هذا اليوم قبض الموادعون على جماعة من النجفيين، بينهم من المشاهير: عبدالله الرويشدي، ومحمد علي وهب، وعبدالله بن نجم، ومتعب بن صقبان بقر الشام، ومنهم عّراك وأخوه زبالة من آل الشمرتي، وابن أبي جحيفة من رماحية البراق.

وفيه وقعت مظاهرة كبرى من نساء الفقراء أمام الباب الكبيرة، وذلك لأن الخبازين توقفوا عن إخراج الخبز معتذرين بضيق الوقت.

كيف قبض على كريم - تحقيق الرواية:

لقد ثبت أن الثائر كريم كان يغير مختبأه في كل يوم وليلة، ولهذا أبطأ النجفيون في القبض عليه، وكلفهم ذلك من العناء والإتعاب شيئاً كبيراً، وفي آخر أيامه وهو يوم

الثلاثاء طرده معاريفه الذين يأوي إلى بيوتهم خوفاً من سوء العاقبة، فخرج عصر ذلك اليوم من بيت علوان الكائن في شق العمارة، وقد تردى أثواباً نسائية، فمر في سوق القاضي على تلك الهيئة، ولكن العيون والأرصاد التي بثها الموادعون لتحقيق أمره كان بعضها يترصده في تلك السوق فتبينوه وقبضوا عليه بتلك الصورة.. فطلب من ماسكيه أن لا يذهبوا به إلى الإنكليز إلاّ بعد أن يرتدي أثوابه القديمة فأجابوه فخلع تلك الثياب وجاؤوا به نحو الإنكليز كما ألمعنا.

التنقيب على الميرزا عباس والشيخ محمد علي الدمشقي:

مازال الموادعون منذ أربعة أيام يبحثون عن وجود الميرزا عباس آل الميرزا خليل والشيخ محمد علي الدمشقي، وقد أرسلوا على عيون آل الميرزا خليل وخاطبوهم في شأنه وأغلظوا الكلام معهم، وهؤلاء ينكرون وجوده بين ظهرانيهم أو في بيوتهم، وأباحوا للموادعين الفحص في زوايا دورهم، فدخلوها غير مرة ولم يعثروا على شخصه.. ولازال التحري عنه جارياً بكل شدة وعن الشيخ الدمشقي.

فتح المشهد العلوي:

وفي صباح الأربعاء ١٩ رجب سنة ٣٦ أذن لخازن المشهد العلوي السيد عباس بفتحه ودخله الناس أفواجاً باكين معولين مستغيثين، وذلك بعد أن مضى على إقفاله نيف وأربعون يوماً، لم يسع الناس فيها مجمع عام وإن كانوا يفزعون إلى المسجد الهندي متخذيه موئلاً بعد المشهد لسعة رقعته.

وفي عصر الأربعاء هذا رست في جسر الكوفة باخرتان إحداهما حربية والأخرى باخرة مستشفى حمل عليها من الشنافية، عطية أبو قلل أشهر المتغلبين في النجف فإنه اضطر إلى تسليم نفسه إلى الإنكليز في الشنافية بعد مضايقة بدو عنزة، أعوان الإنكليز، له في مرتبعه برّاً وغزوهم له ولمن استجار بهم من عرب شاوية العراق، حتى فرّ من وجوه أولئك إلى الشنافية في منتصف هذا الشهر وسلم إلى الإنكليز.

وفي صباح الخميس [٢٠] رجب سنة ٣٦ أنزل عطية من الباخرة، في رجله قيد خفيف وفي يديه، وجعل مع الشيوخ المساجين في خان آل شلاش.

وفي ضحى هذا اليوم شرعوا في الكوفة بتغريب أسرى الحرب من النجفيين، وأخرجوهم من خان الحاج محسن شلاش في دفعات بحالة رثة، يحيط به الجنود في رؤوس بندقياتهم الحراب.. وأنزلوهم في عدة سفن مجهزة بالآلات البخارية بالخبز والقسب من الطعام، وأصعدوا بهم في الفرات تخفرهم باخرة حربية. ومن جملة هؤلاء المغربين آل أبي شبع يتقدمهم محمد، وآل أبي قلل يتقدمهم كردي بن عطية، وحاكم، والحاج حسين، وآل الحار، ومن الجملة محمد مطر، أولاد ثالثة، السيد جعفر الصائغ، عبدالرزاق وتومان عدوة، السيد جبر الحداد، مغيظ ومحسن من أولاد سعد، الشيخ إبراهيم الكاشي، آل كرماشة من جملتهم كريم ورشيد، طمامة بن سعيدان وغيرهم بلغوا جميعاً ٧٤ رجلاً.. وقد ازدحم الناس في الكوفة لمشاهدتهم، وأطلوا على النهر من النوافذ وشيعتهم بعض النساء معولات، لكن النجفيين كانوا يتجلّدون، وقد شتموا المتفرجين وعيّروهم وسلقوهم بألسنة حداد. وأما رؤساء المتغلبين ومباشرو الثورة الهاجمون على دار الإمارة فقد تركوا معتقلين في الكوفة.

وفي هذا اليوم صلب في كري سعدة كاظم بن مهدي البستنجي، نجفي من شرطة أبي صخير، يقال: إنه من جملة الثوار إلى أبي صخير.

وفي عصر يوم الجمعة ٢١ رجب سنة ٣٦ سلّم الموادعون إلى الإنكليز خمسة من النجفيين، نكرات مجاهيل.

فك الحصار والإفراج عن المدينة:

كان الإنكليز في الأيام الثلاثة الأخيرة يجدّون في نقل أزوادهم وأمتعتهم من النجف إلى الكوفة، ويعقب ذلك من حين إلى آخر انفصال الجنود من مواقعهم النجفية، فقد كان لهم في النجف عدة معسكرات، كمعسكر كميل، ومعسكر طريق الحماد، ومعسكر البحر، عدا مخافر كثيرة رفعت على التدريج، وشرع الإنكليز في نصب سلك شائك يساير طريق الكوفة متصلاً من الباب الكبيرة إلى أوائل المقابر، فأدرك الناس قرب فك الحصار وتحدثوا بذلك.

وفي صباح السبت ٢٢ رجب شوهد الإنكليز يرفعون الأسلاك الشائكة من عدة مواقع داخل المدينة كرحبة الشيلان وغيرها.

وفي الساعة الثامنة من نهار السبت هذا حضر القائد أو الكابتن بلفور وتقدم إلى الجمهور، وأزال من أمامهم الحاجز الشائك، وأذن للناس أذناً عاماً في الخروج من البلدة. وفعل الإنكليز مثل ذلك في الثلمة والباب الصغيرة، فاستبشر الناس وطربوا وفرحوا فرحاً لا مزيد عليه، وخرجوا أفواجاً إلى الكوفة مشياً على الأقدام، وهم لا يكادون يصدقون بالإفراج عن المدينة.. وخرجوا أيضاً إلى الشواطئ، وجيء بأجلاب الغنم في الحال من الكوفة، وحمل الماء كثيراً فهبط سعره كذلك، وتراخت في الحال أسعار الحبوب والأسمان..

فإذا اعتبرنا مبدأ الحصار في اليوم الثالث من واقعة النجف، كما هو الحق، تكون مدته ثلاثة وأربعين يوماً[1]، ما عرف مثلها في تاريخ هذه المدينة.

وفي هذا اليوم نادى المنادي بطلب الفعلة ليشتغلوا في الثلمة

وفيه قبض على عزيز الأعسم وسلّم الإنكليز.

وفي يوم الأحد ٢٣ رجب سنة ٣٦ شرعوا بنسف بعض الدور خارج الثلمة.

وفي صباح الاثنين ٢٤ رجب ٣٦ نصب الإنكليز شبكة من الأسلاك داخل السور، فامتدت من الثكنة الكبيرة إلى مخازن الرديف.

وفي عصر هذا اليوم ثارت زوبعة شمالية هائلة مصحوبة بمطر غزير كأفواه القرب سالت عنه الأودية وقد بلغت هذه العاصفة من الشدة مبلغاً عظيماً لم يشاهد من قبل، وانخفضت الغيوم، وهي تمر مرّ الرياح، انخفاضاً محسوساً، حتى خيل أنها تناطح الجدران.. وقد سقط من شدة هذه العاصفة سوق الخلخالي في جسر الكوفة، وقتل في الردم وجرح جماعة، وانعقر نخل كثير، وغرق كثير من السفن، وسقطت شرفات

---

(١) الحقيقة أن الحصار بدأ منذ اليوم الأول، حيث أن بلفور عند مجيئه إلى النجف بعد الحادث قد جلب معه قوة من الجيش والشرطة أحاط بها النجف قبل دخوله إليها. فلا يستطيع احد ان يدخل او يخرج منها. ثم اتم الحصار بالقوة التي جاءته على عجل من الحلة وبغداد. فالحصار دام ستة واربعين يوماً بالضبط. حيث بدأ يوم ١٩ مارت ١٩١٨ ورفع يوم ٤ مايس ١٩١٨. وحتى إذا أخذنا بقوله أن الحصار قد بدأ في اليوم الثالث للواقعة، أي في ٢١ مارت، فتكون مدته أربعة واربعين يوماً وليس ثلاثة واربعين. اما الحق فإن الحصار قد بدأ منذ اليوم الأول، فتكون مدته ستة واربعين يوماً: ثلاثة عشر يوماً من مارت وثلاثون يوماً في شهر نيسان وثلاثة ايام من مايس. «الأسدي».

جملة من المنازل، وسقطت أيضاً في النجف كثير من الشرافات وبعض الجدران، وانكشف سقف في سوق المشراق.

وفي يوم الأربعاء ٢٦ رجب سنة ٣٦ دخل القائد إلى المدينة وشارف بعض المواقع،

وفيه شرع الإنكليز يعملون في المترب الشرقي الراكب على كري الشيخ، نصبوا شرقيه سلكاً شائكاً وحصنوا أعلاه.

وفي يوم الخميس ٢٧ رجب سنة ٣٦ نسفوا المدابغ، ونسفوا أيضاً بعد ذلك بالديناميت كثيراً من الدور خارج المدينة وداخلها.

تغريب السيد محمد علي الطباطبائي:

وفي ظهيرة الأحد غرة شعبان سنة ٣٦ دعا الكابتن بلفور السيد محمد علي بن السيد علي نقي الطباطبائي إلى الخان وأعلمه أنه مطلوب إلى بغداد، ثم أركب مخفوراً إلى المعسكر في الكوفة، ومنها أركب في سيارة إلى بغداد.. وقد ذهب الكابتن بلفور وجماعة من الجنود على أثر تغريبه إلى بيته وكبسوه وفتشوه أوراقه. وقد اشتهر هذا السيد بتحيزه إلى العثمانيين.

وفي يوم الاثنين [٢] شعبان سنة ٣٦ خرج السيد كاظم اليزدي من النجف إلى الكوفة بعد إمضائه مدة الحصار في النجف، وخرج بعده الشيخ فتح الله الأصفهاني.

وفي يوم الاثنين هذا وصل النجف آغا تقي النواب، على أن يكون معاوناً للحاكم السياسي في النجف بدل حميد النواب، لأن هذا أذن له في مغادرة النجف إلى الهند ترويحاً لخاطره، وكذلك صرف الكابتن بلفور حاكم الشامية بإنكليزي آخر يدعى كرين هاوس[1]، لكن هذين لايفارقان النجف إلاّ بعد تمام محاكمة الشيوخ المعتقلين في جسر الكوفة.

---

(١) الحقيقة أن الكابتن بلفور لم يصرف، وإنما غادر العراق إلى أهله بإجازة، والذي حلّ محله المستر وينكت وليس الكابتن كرين هاوس الذي تعين خلفاً للكابتن مارشال القتيل في الثالث والعشرين من مايس. والغريب أن هذين الاسمين: وينكت وكرين هاوس كانا موضع غلط جميع الذين ذكروا الحادث من العراقيين. والظاهر انهم يأخذون بعضهم عن بعض دون تمحيص ودون إشارة. «الأسدي».

وفيه عادوا فبدأوا بكنس الشوارع في النجف، وترتيب دائرة البلدية من جديد.

وفي يوم الخميس ٥ شعبان سنة ٣٦ عاد الإنكليز فتأذنوا الناس بجمع السلاح وتسليمه لهم، ونشروا بهذا المعنى منشوراً مطولاً في النجف بتاريخ ١٤ مايو سنة ١٩١٨ بتوقيع -أمير اللواء- مضمونه أنه يجب تجريد السلاح من سكان كل بلدة وقعت تحت الاحتلال العسكري.. وأن الكوفة وأبو صخير والنجف خصوصاً، كذلك فعلا، فيجب نزع جميع أنواع الأسلحة من أهلها، ومن وجد عنده أي نوع من السلاح، خصوصاً من أهل النجف، بعد مرور خمسة عشر يوماً على تاريخ المنشور -آخر مايو سنة ١٨- يعاقب بالإعدام أو يعاقب أخف من ذلك، حسب ما يتراءى لفطنة المحكمة التي تتولى إصدار الحكم عليه، وإن على سكان النجف حسب شروط البريطانيين تسليم ألف بندقية، وإن لم يكن جمع هذا العدد اكتفى الآن بتسليم القدر الموجود في المدينة، ويجب أن يسلم ما بقي من ذلك إلى المخفر العسكري في باب النجف الكبيرة. وقد سلّم على أثر ذلك المنشور طائفة من البندقيات ومؤنها، أرسلت على معسكر الإنكليز في الكوفة.

وفي يوم الأحد ٨ شعبان وصل النجف حاكم سياستها كرين هاوس(١)، وكان من قبل حاكم يعقوبا، فنظم الدوائر في سراي مرشل، وبدأ من حينه بالعمل، وخف إلى مقابلته الموادعون في النجف،

في ذلك اليوم أيضاً أخذ الناس يرمون أنواع السلاح في الطرقات والخرائب، حتى لقد رأيت في إحدى خرائب شق البراق كثيراً من المسدسات والبندقيات المخروبة،

وفي يوم الاثنين أعيد السيد محمد علي الطباطبائي من الحلة إلى جسر الكوفة، وشوهد في ساقيه قيد خفيف وقد بدأت محاكمته هناك مع المعتقلين.

وفي يوم ١٥ شعبان -٢٧مايو- تمت محاكمة المعتقلين في جسر الكوفة(٢)، وكان بينهم السيد محمد علي الطباطبائي، وكانت محاكمته بدأت في صباح الاثنين ٩ شعبان،

---

(١) يصادف حسب تسلسل التاريخ الوارد في المذكرات نفسها اليوم التاسع عشر من مايس ١٩١٨ في حين ان كرين هاوس وصل النجف في ٢٣ مايس ١٩١٨، كما نص على ذلك موبرلي وغيره. «الأسدي».

(٢) ان محاكمة المعتقلين قد تمت في يوم ٢٥ مايس ١٩١٨، كما جاء في أقوال جميع الذين كتبوا في الموضوع من الإنكليز وغيرهم. «الأسدي».

فكانوا يجيئون بهم مخفورين من معتقلهم في خان نصرالله أو خان آل شلاش بجنود من صميم الإنكليز إلى دار بلفور، وهي آخر دار على شط الجسر شمالاً، حيث جرت محاكمة القوم، وكانوا جميعاً موثقين بالقيود، حتى السيد محمد علي الطباطبائي الذي أعيد من الحلة في ذلك اليوم للمحاكمة. حكم على أحد عشر منهم بالشنق والإعدام[1]، وعلى الباقين بالنفي والتبعد وإلى الآن لم تنكشف كل أسماء المعدومين والمنفيين.

وقد تمت في ذلك اليوم محاكمة الطباطبائي فاستدعي هذا قبل تمام أمره حضور شهوده، وهم الشيخ جواد الجواهري، والخازن وعمّه السيد هادي، والحاج عبدالمحسن شلاش، وعبدالحميد خان، وكان يرأس مجلس الحكومة لجمن الإنكليزي المشهور، فسأل كل واحد من الشهود عما يعرفه من أحوال الطباطبائي، فبرأ ساحته الشهود من التهم إلاّ الحاج عبدالمحسن فقد قيل: إنه خالف بقية الشهود في الشهادة، ونسب إليه جملة أشياء.. وبعد ذلك أي بعد تمام محاكمته نفي إلى بغداد.

في مساء اليوم ١٨ شعبان تأذن الإنكليز الناس بأن كل محتكر للحبوبات والأسمان إا لم يعرضها في الأسواق فإن الحكومة ستجازيه بمائة ليرة جزاء نقدياً، ولا يسلم بعد ذلك من الإعدام أو الشنق. فكان لهذا النداء رنة فرح النجف..

وفي يوم الأربعاء ١٨ شعبان أعلنت حكومة النجف عن هدم الدور المجاورة للسور، وطلبت أن يحضر أصحابها يوم الجمعة في الأوفيز وذلك لتقدير أثمانها، وقد منعت في الإعلان نقل الأخشاب منها وأنواع الحديد الداخل في البناء، وكان الإعلان من توقيع حاكم سياسة النجف كرين هاوس، وتقرر أ ثناء ذلك هدم خان الهنود الكبير، ونسف دور البلدية القديمة، ودور الحكومة، وكل منزل مما وراء السلك الشائك.

ووقع نزاع بين الحكومتين السياسية والعسكرية في شأن نسف الشيلان، فالحكومة السياسية مصرة على إبقائه داراً للبوليس، والحكومة العسكرية مصرة على

---

(١) إن الحكم بالإعدام قد تم على ثلاثة عشر ثائراً، كما هو معلوم وكما ورد في اقوال المس بيل في الصفحة ٥١ من كتابها «فصول من تاريخ العراق الحديث». أما الرقم ١١ فهو عدد الذين نفذ فيهم حكم الإعدام. حيث أن واحداً منهم قد ابدل حكم الإعدام عليه بالسجن المؤبد، والثاني حكم بالإعدام غياباً، لعجزهم عن إلقاء القبض عليه. «الأسدي».

هدمه بكل صورة، وأنهي بت الأمر في ذلك إلى حكومة بغداد. ويقال: إن كرين هاوس طلب أن تمهله الحكومة العسكرية أسبوعاً، وسوف تظهر نتيجة الأمر بعد حين.

مازالت أعمال الإنكليز متواصلة خارج السور يشيدون بناء ويهدمون آخر، كما أن حركاتهم العسكرية لم تنقطع لحظة واحدة، فهم دائماً بين نقل المهمات والذخائر، وبين إبدال الجنود.

وفي ذلك اليوم عرض الإنكليز بعضاً من أطيان الحاج سعد للبيع، فبيعت قطعة واحدة في حدود أبي صخير، اشتراها جماعة آل براك من عشائر الشامية بـ٤٥ ليرة.

في سبيل الشنق والتغريب:

قلنا في أخبار ١٥ شعبان/ ٢٧ مايو: إن محاكمة المعتقلين تمت في ذلك اليوم، فثبت حكم الشنق على أحد عشر شخصاً، وثبت على الباقين حكم التغريب.

وفي يوم الخميس ١٩ شعبان شنق من ثبت عليه ذلك الحكم وهم: كاظم الصبي، وأولاد الحاج سعد محسن وكريم وأحمد وعبدالحاج سعد، والحاج نجم، ومحمد أبو غنيم[1]، وجودي ناجي، وابن دعيبل، وعباس علي الرماحي، وأخوه علوان.

كيف شنق هؤلاء:

وقد نشر الإنكليز في النجف والكوفة بياناً مطولاً بأسماء المصلوبين وجرائمهم، ونشروا عن ذلك أيضاً بياناً موجزاً في الكاظمية فقط من مدن العراق، ولم ينشروا عنهم شيئاً في بغداد ولا في الجرائد.

وفي مساء اليوم الثامن عشر من شعبان دُعي إلى جسر الكوفة مشائخ النجف الموادعون والمختارون، ودعا الإنكليز قسماً من مشائخ عشائر الشامية، فحضر الجميع في جسر الكوفة وطلب الإنكليز أن يشهد أولئك شنق «المجرمين» يوم ١٩ شعبان قبل طلوع الشمس... وقد استحضر الإنكليز في جسر الكوفة باخرة مصفحة ومسلحة، رست تجاه الخان الذي اعتقل فيه «المجرمون»، ووجهوا مدافعهم على جهتي الشرق والغرب، وتحضر الجند في معاقلهم، ولزموا متاريسهم، ومنع الحراس

(١) إن الاسم الصحيح، كما هو معلوم وكما ورد عند الجميع، هو «محسن أبو غنيم» «الأسدي».

اجتماع الناس، فكان السكون في جسر الكوفة مخيفاً لم يعهد له مثيل في العراق، وعاد الناس من جراء تلك الاستحضارات في قلق وخوف شديدين. وحقاً إن من يشاهد ذلك المشهد الحربي يعتقد أن الإنكليز صمموا على تخريب الجسر، لاسيما وإن إعداد تلك العدة كانت على حين غرة، ولم يفهم الناس ماذا أراد الإنگليز من تلك الأعمال الفجائية.

ما غربت الشمس يوم الأربعاء حتى نصبت المشنقة في وسط الخان، وما طلعت الشمس يوم الخميس حتى تم شنق القوم بأسرع ما يمكن من الوقت، فخرج من الخان جماعة المدعوين مصفّرة وجوههم ممتقعة ألوانهم.. وبعد برهة قصيرة أمر الإنكليز بنقل جثث المصلوبين إلى حيث تدفن فحملوها في عربية من عربيات (التراموای) ونقلوها إلى الكوفة حيث غسلت وكفنت،

وفي ليلة الجمعة نقلت إلى مقبرة النجف فدفنت الجثث، وقد تعهّد ذلك جماعة من الشبانة، ولم يحضر غسلهم ودفنهم واحد من النجفيين.

وفي ذلك اليوم بعد تمام الشنق حلّقت طيارة في سماء جسر الكوفة، ودارت حول خان المعتقلين، فخف الإنكليز إلى استقبالها، وقد حطّت بين كري سعدة وبين مفرق الخط، وكان فيها نائب الحاكم الملكي العام الكابتن ويلسن، فأسرعت الأوتومبيلات على ذلك المكان، ونقلت نائب الحاكم العام إلى النجف، وقد زار أكثر مواقع الجيش، ودخل من الباب الكبيرة، وكشف على الأسلاك الشائكة ودور الحكومة القديمة.

تكريم بلفور:

مساء يوم الخميس ١٩ شعبان عقد أعيان النجف حفلة شائقة تكريماً إلى بلفور، عقدت في دار الخازن حضرها العلماء وأولاد المجتهدين والتجار وأركان الحكومة في النجف ونائب الحاكم الملكي، وكانت أول حفلة في تاريخ النجف، فزيّنت دار الخازن بأنواع الأمتعة والرياش، وضرب عليها فسطاط جميل، ونظمت صفوف المجتمعين على نظام حسن، وكان للعلماء صف، وللتجار صف، وللأشراف صف، وهكذا ترتبت الطبقات، ولما تم ذلك الاجتماع نهض الحاج عبدالمحسن شلاش وتلا خطبة بليغة واثنى بها على رجال الحكومة، وعلى الأخص بلفور الذي عقدت له

الحفلة، وأظهر بها امتنان النجفيين من الأعمال الفذة في النجف وتطهيرها من أركان الفساد وأهل العناد، الذين شوهوا مدينة النجف المقدسة بسوء أفعالهم، وجاء في الخطبة ما معناه: أن أعمال بلفور في حادثة النجف الأخيرة هي من أكبر الأفعال التي جعلت النجفيين مدينين له على مرّ الأيام، وتتابع الأعوام، لذلك أحب النجفيون أن يعقدوا له حفلة تكريماً لحضرته، وأن يقلدوه سيفاً مرصعاً بالذهب دليلاً على ما أودعه في النفوس من الحب والارتباط المتينين، ثم ختم خطابه، وخطا هو والخازن نحو بلفور فقلداه السيف الذهبي، وتلا ذلك هتاف وتصفيق حاد من الحاضرين.

وبعد ذلك وقف الخازن وتلا خطاباً أيضاً شكر فيه الحكومة على ما أظهرته في الآونة الأخيرة من الاهتمام بالنجف والعلماء والفقراء والأبرياء،

ثم وقف بلفور وخطب باللغة العربية خطاباً وجيزاً قال فيه: (إن من هو أولى مني بالثناء والشكر وبالتنويه والذكر هم رجال الحكومة الذين أوعزوا إلى أمر النجف، وبالحقيقة إنني مأمور من قبلهم بإجراء تلك الأعمال التي شهدتموها، ولم أكن قد تصرفت مدة الحادثة أو أتيت عملاً ما بدون أوامر الأمراء الكبار، فالشكر إذاً إنما يتوجه أولاً وبالذات إلى أولئك الذين أمروني بإجراء الحركات العسكرية.. على أنه كما تشكروني وتذكروني اشكروا هذا الغور عبدالحميد خان وقدروا أتعابه التي أعانتني ورأيتم ثمرتها بالحس والعيان.

ثم نهض بعد ذلك وكيل الحاكم العام، وخطب بالفارسية خطاباً جميلاً شكر به أهل هذا الاجتماع، وأمل أن تكون هذه الحفلة بدء احتفالات كبيرة لتزداد بذلك الارتباطات، وتقوى العلائق بين النجفيين وبين الإنكليز، وبعد ذلك أديرت كؤوس المرطبات، وأكل الحاضرون أنواع الحلويات، ثم انفض المجلس وفي الساعة الحادية عشرة عاد وكيل الحاكم الملكي إلى بغداد.

وصول القائد العام:

مساء يوم الجمعة ٢٨ شعبان، وزعت الحكومة في النجف أوراقاً دعت علماء النجف وأعيانها إلى الاحتفال بزيارة القائد العام في يوم ٣٠ شعبان، كما دعت رؤساء عشائر الكوفة والشامية إلى ذلك.

فوصل القائد في الساعة الرابعة إلى النجف من ذلك اليوم، وكان الاحتفال به في دار الخازن، وقد زّينت أجمل زينة، فحضر العلماء وأولاد المجتهدين وعامة المقسمين والأعيان ورؤساء العشائر في دار الخازن في الساعة الخامسة. وفي ذلك الوقت حضر القائد العام، وكان معه ثمانية من أركان حربه وسرية من فرسان الإنكليز وأخرى من الهنود وعدد كثيف من المشاة وعمال الإنكليز في أبي صخير والكوفة، فحيا العلماء وكافة المحتفلين ثم وقف على قدميه للخطابة، فوقف الجميع لاستماع كلماته، وكان يترجم له (جاد غاوي) معاون الحاكم في جسر الكوفة. وكل ما في خطابه أنه شكر العلماء على الاحتفال وأمل أن النجف ستكون المدينة الفذة في العراق في نظام حكومتها وأسلوب الحكم، ثم ختم خطابه بقوله: أني أمرت أن تتخذ الوسائل والتدابير لكي لاينقطع الماء عن النجف ما دامت الحرب ومتى وضعت أوزارها فإننا نعني خاصة في إجراء الماء إليها بالطرق الفنية. وبعد أن أتم خطابه قام الميرزا محمود آغا، وتلا ورقة على مسامع الحاضرين أثنى بها على رجال الحكومة وعلى الأخص القائد العام.. ثم ختمت الحفلة في الساعة السابعة وتناول الحاضرن كؤوس المرطبات وانفض المجلس وعاد القائد إلى بغداد على سيارته الخاصة.

وفي صباح يوم الأحد ١٣ تأذن الإنكليز إلى أصحاب الدور المهدومة الملاصقة للسور بمراجعة الإنكليز لقبض أثمانها، وقد سمع من الكابتن كرين هاوس حاكم النجف أن أثمان هذه الدور تستغرق سبعين ألف روبية.

(٣)

تقرير وجيز
عن أحوال العراق العامة
بعد الثورة
١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م

رسالة من الشيخ محمد رضا الشبيبي في النجف إلى السيد علوان الياسري في الحجاز، ومعها تقرير عن أحوال العراق بعد الثورة العراقية موجهاً إلى زعماء الثورة الذين اضطروا إلى مغادرة العراق بعد انتهاء الثورة إلى الحجاز، نصهما:

النجف الأشرف مسلخ رمضان سنة ٣٩

حضرة السيد السند، الركن المعتمد السيد علوان السيد عباس المحترم دام محروساً آمين.

السلام الوافر عليكم، والشوق المتكاثر المعهود إليكم.

أما بعد، فإني وردت العراق، وعدت إلى هذه البلاد حين عدت، ولا أمل لي للقياكم والاجتماع بكم.

ولكن حالت دون ذلك أحوال معلومة. وبقيت كسائر الناس، أتنسم أخباركم، وأتطلع آثاركم، على أن وردت أخيراً برقياتكم أنتم وسائر الأبطال المجاهدين، تلك البرقيات المبشرة بوصولكم سالمين إلى مكة المكرمة، وبقرب إيابكم غانمين مع سمو الأمير فيصل، فكان لهذه البرقيات رنّة فرح وسرور في قلوب العراقيين عامة، وتقرّ بها العيون، حسن اتفاق الذي جمع الأمير فيصل بكم وجمعكم به. فلاشك أنكم أفرغتم له وسعكم، وبذلتم جهدكم كما هو المعهود بهمتكم، حتى أفهمتموه حقائق الأحوال وأوقفتموه على مجرى الأمور في العراق، وزوّدتموه بالنصائح الثمينة، والإرشادات الشريفة، مما سيجعله على بصيرة تامة بأحوال العراقيين أهل هذه البلاد وأخلاقهم. وآدابهم وديانتهم وعاداتهم وجميع أوضاعهم..

وقد رأيت من المناسب إطلاعكم على حالة بلادكم إجمالاً بعد مفارقتكم إياها، لعلكم تستفيدون ويستفيد الأمير من ذلك التقرير. ونحن نسأل من المولى جل شأنه أن يوفقه إلى الاعتماد عليكم، والإصغاء إلى نصائحكم، والركون إلى آرائكم، والعمل بأفكاركم وأفكار كافة من معكم من رجالنا العاملين، وفقنا الله وإياهم. والأمل أن تفيدوا إخوانكم ها هنا بما يتم لكن مع الأمير ووالده من هذا القبيل.

هذا وإن سألتم عن كيفية إيابي إلى العراق، وعمّا جرى واتفق لي مع القوم، فلذلك تفصيل لا يسعه المقام، ولا يستدعي الآن شيئاً من الاهتمام، وعند اللقاء تطلعون على ذلك.

هذا والأمل أن تكونوا في راحة تامة من جهة أهلكم فرداً فرداً، وخصوصاً نجلكم السيد عبدالحميد، فقد كان معي قبل أيام، ووعدني أن يحمل إليَّ كتاباً إليكم، ولكنه لم يحضر إلى النجف يوم التاريخ.

وكذلك أهل جناب السيد نور، والسيد محسن وكافة من معكم من المجاهدين المهاجرين. والرجاء إبلاغهم سلامنا مفصلاً، أعود فأخص السيدين السندين الثقتين السيد نور، والسيد محسن، والشيخ مرزوق العواد، وحضرة العلامة الميرزا أحمد وكافة من لديكم ممن غابت عنا أسمائهم.

ومن هنا جميع الأصحاب خصوصاً رفقائكم المندوبين يسلمون،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد رضا الشبيبي

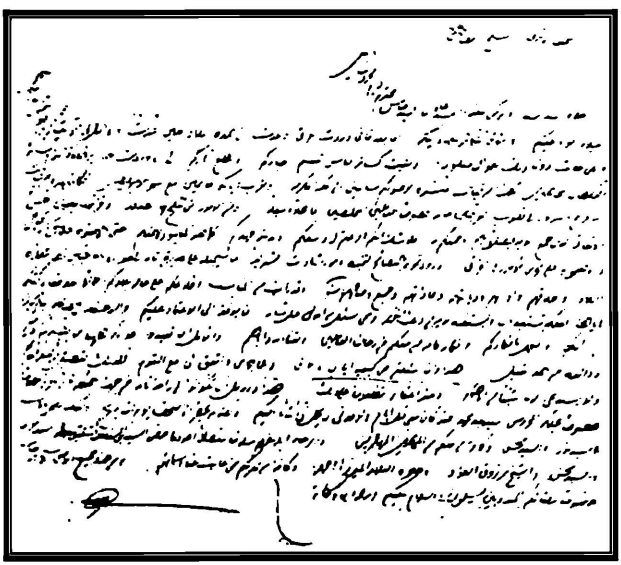

نص التقرير الوجيز عن أحوال العراق بعد الثورة

الذي بعث به الشيخ محمد رضا الشبيبي من النجف إلى زعماء الثورة المهاجرين إلى مكة المكرمة.

تقرير وجيز عن أحوال العراق العامة بعد الثورة

إلى أبطال العراق

المجاهدين المهاجرين إلى مكة

الحالة النفسية:

تتذكر الآن الأمة تلك الأيام المعدودة والمواقف المشهورة، رافعة رأسها، مفاخرة غيرها من الأمم، موقنة أنها لم تفشل وأنها سوف تجني ثمرة هذه الثورة الشريفة عن قريب، وذلك رغماً عن تنديد الإنكليز وسماسرة الإنكليز بالثورة واستهجانهما بنتائجها وأسبابها. وقد تغيّر اعتقاد عامة العراقيين بشجاعة الإنكليز. فهم ينسبون إليهم الجبن، وقلة المهارة في الفنون الحربية وإن أخذهم والإيقاع بهم من الأمور السهلة الهيّنة. وكثير من الناس والقبائل يتحدثون باستئناف الثورة ويعتقد الطرفان الآن أن شقة الخلاف والعداوة بينهما أصبحت واسعة جداً لايمكن تسويتها قط.

جمع السلاح:

نجح الإنكليز بنزع قسم لايستهان به من أسلحة العراقيين، ولكن في الفرات الأوسط خاصة.. أعني فرات الحلة والهندية وكربلاء والنجف والشامية وبعض جهات الرميثة.. يقدّر ما جمع من السلاح في هذه الأماكن بعشرين ألف بندقية، ولكن كثيراً منها قديم غير صالح للاستعمال.. وانتزع الإنكليز شيئاً من الأسلحة في قضائي بعقوبة وسامراء وبعض ملحقات بغداد. ولم يستطع الإنكليز نزع الأسلحة من عشائر الغراف، ومن القبائل القاطنة أسفل دجلة والفرات، مثل ربيعة بني لام وآل أبي محمد، ومثل قبائل الناصرية والمجرة وسوق الشيوخ والحمار، هذا مع أن الإنكليز أخرجوا إلى الغراف جنوداً كثيرة بقصد التهديد ولكنها لم تنجح في تلك المهمة.

الاعتقال:

اعتقل الإنكليز بعد سكون الثورة عدداً كبيراً من رؤساء القبائل ووجهاء البلدان، وخصوصاً في الفرات.. وقد اعتقلوا أولاً أكثر مشايخ الهندية والشامية، ولكن أطلقوا أكثرهم بعد قليل. ومن المعتقلين الآن في البصرة عبدالواحد الحاج سكر، وعلي آل مزعل بقي في بغداد على الظاهر بحالة يرثى لها. ومن المعتقلين في الحلة عمران الحاج سعدون وعبادي والسيد هادي زوين وغيرهم من مشايخ وأشراف الحلة، وجماعة وجهاء كربلاء وغيرها من البلدان وقد اعتقلوا فريقاً من شباب بغداد ومن جملتهم أصحاب جريدة الاستقلال، حكم عليهم بغرامة طائلة والسجن سنة ونصفاً، ومن الحلة الشيخ مهدي البصير، وقد نفي بعض هؤلاء الشبان إلى جزر الخليج. وقد أطلق الإنكليز سراح أفراد معدودين من أهل الفرات، وفي الجملة الحاج مخيف. وقيد بقي كثيرون، من جملتهم الكربلائيون، على أن كثيراً من الزعماء ومن الأحرار العراقيين لا يزالون مختفين متوارين في جهات كثيرة.

انسحاب الجيش المدّمر من مناطق الثورة:

انسحبت الجيوش الإنكليزية المخربة من مناطق الثورة في شهر شباط الماضي، بعد أن أضرت ضرراً بالغاً بالقبائل وغيرها من أهالي البلدان، من حيث مصادرة الأموال والسلاح، وإحراق الأبنية والآثار، وإتلاف كثير من البساتين. وقد حلّت محل هذا الجيش المدمر المنسحب فرق من شبانة العجم والأكراد خصوصاً في جهات الرميثة، وعلى طول الخط الحديدي منها إلى قريب الناصرية جنوباً وإلى قريب الحلة شمالاً..

الشبانة:

يطلق الإنكليز على الجنود المؤلفة من الشبانة اسم «الجيش العربي» أو «العراقي» أو «الوطني». مع أن أكثر أفراد هذا الجيش من الفرس الإيرانيين أو من الأرمن أو من الأكراد ويؤلف قسماً مهماً من ضباط هذا الجيش. وأفراد هذا الجيش ممن يعتمد الإنكليز اعتماد على انحطاط أخلاقهم وفساد تربيتهم... وقد ألفوه على هذه الصورة ليقوم بمهمة الجيش

الفاتح المحتّل المدّمر خير قيام وقد حقّق -ويا للأسف- آمالهم في غير مكان وهم يتوقعون الآن أن يضموا ضباط الثورة الحجازية الذين جيء بهم أخيراً إلى العراق على هذا الجيش.

القلاقل الجديدة:

يتوقع الإنكليز حدوث قلاقل جديدة في العراق خصوصاً في ولاية الموصل شمالاً، وفي لواء الغراف جنوباً، وقد أعلنت بعض القبائل في الغراف رفض أوامرهم.

وأما في ولاية الموصل فإن الحاميات الإنكليزية عرضة لمهاجمة الوطنيين والعشائر..

الإرهاب بالطيارات:

يتحدث الإنكليز بإرصاد قوة مؤلفة من الأساطيل لإخضاع العراقيين، وذلك كناية عن الاعتراف بفشل جيوشهم المدربة في هذا الشأن، وقد بدأت طياراتهم بإلقاء قنابلها على عشائر الموصل، وعلى غير قبيلة من قبائل الغراف، كما جاء في بلاغاتهم الرسمية، وذلك في أواخر شعبان وأوائل رمضان ١٣٣٩.

ضاري المحمود:

جهز الإنكليز في بغداد جيشاً خاصاً لأخذ ضاري المحمود شيخ عشائر زوبع، المقيم الآن في جزيرة الموصل. وقد فشل هذا الجيش في مهمته فشلاً تاماً، وتضافرت الأخبار بأن الإنكليز خسروا خسارة كبيرة.

الحالة السياسية والإدارية:

لم تتغير حالة السياسة بعد سكون الثورة تغيراً يذكر، فضباط الإنكليز هم حكام البلاد، وإن تغيرت أسمائهم في بعض الأماكن فقط، حيث أصبحوا يسمونهم مشاورين -بدلاً من حكام سياسيين- ونضرب مثالاً لذلك لواء الفرات، فالحاكم الحقيقي العام فيه الميجر ديكسن المقيم في الحلة، وله فيها معاونون من الإنكليز منهم المستر - طومسن- والكولونيل -جفريس- في الديوانية والكابتن -بركلي- في الشامية، مضافاً إلى أنهم عيّنوا بعض الأنذال من سماسرتهم حكاماً وطنيين في هذه الجهات وغيرها،

ولكن لاشأن لهم، ولا سلطة لهم قط وذلك مثل سفلة آل سعدون، فقد عيّنوا منهم جماعة حكاماً في الفرات من الناصرية على الحلة، أما حاكم الناصرية الحقيقي فهو الميجر ديجبرن -وله معاونون أيضاً من الإنكليز في ذلك اللواء على نحو ما كان الأمر قبل الثورة.. نعم سموا إبراهيم آل مزعل من عبيد آل سعدون متصرفاً في الناصرية، وأما الحلة فلا متصرف فيها. وأما في كربلاء فالمتصرف حميد خان، وأما في أبي صخير فالقائمقام -آغا شجاع- ابن عم حميد خان، أما حاكم الكوفة فهندي، إلى هذا وأمثاله..

الوزارة والوزراء:

تألفت هذه الوزارة الاسمية في تشرين سنة ١٩٢٠. وقد وضع لها السر برسي كوكس نظاماً غريباً سماها فيه -الحكومة المؤقتة- وجعل شأنها فيه والعدم سواء، لا بل العدم أفضل منها بمراحل كثيرة.

ومما يدل على مبلغ اهتمام الإنكليز بوزارتهم هذه معاملتهم للسيد طالب وزير الداخلية، فقد كان أكثر زملائه شهرة وجرأة، وأظهرهم أثراً فقد فاجأه أصدقاؤه الإنكليز، وأخذوه شرّ أخذة وأوثقوه كتافاً هو ورفيقه عبدالرزاق المير، وذلك في يوم ٩ شعبان سنة ٣٩، وأرسلوه إلى البصرة ونفي منها إلى جزيرة سرنديب -سيلان-، كما أذاعه الإنكليز، مما جعل الناس يتحدثون بأعمال القوم وأحكامهم المطلقة والتي لايعرف لها نظام أو قانون. وقد أصبحت هذه الوزارة بعد هذه الحادثة مسخرة للساخرين وأضحوكة للضاحكين ولكن المتربعين في كراسيهما، المستدرين لرواتبها ممن سلب الله منهم المروءة والحياء. ثم إن الإنكليز قسموا هذه الوزارة إلى قسمين: الوزراء العالمين، كبيرهم النقيب، وقد نشرت الجرائد أسمائهم، والوزراء المستشارين، وهؤلاء لا حدّ لهم في الكثرة، فكل خائن أو مأجور أو جاهل مغرور من الشيوخ أو الأعيان يمكن أن يصير وزيراً بالمعنى الثاني، وقد ملأ السر برسي كوكس بغداد، هذه الأيام بمن هذا شأنهم من الشيوخ أو الأعيان أو المتمولين في العراق من الموصل إلى البصرة، بعد أن منح كل واحد منهم لقب -وزير- ومن هؤلاء الوزراء

الموجودين الآن في بغداد، محمد الصيهود أمير ربيعة، وعجيل السمرمد شيخ زبيد، وسالم الخيون شيخ بني أسد في الحمار، وضاري السعدون، والحاج نجم النبراوي من تجار العمارة وغيرهم كثير.. وقد استفاد السر برسي كوكس من وجودهم على هذه الصورة في بغداد فائدة مزدوجة، فإنه قد اعتقلهم عنده وسكن بذلك الخواطر الثائرة على الحكومة الإنكليزية في العراق، علاوة على كل ذلك من التمويه وذرّ الرماد في العيون، أما وزارة الداخلية بعد طالب باشا، فقد عادت إلى الإنكليز أربابها.

الحالة في بغداد:

الحالة داخل العاصمة لا تسرّ كثيراً، وقد كثر المتملقون والمنافقون كثرة هائلة، فترى الشبان في بغداد كأنما على رؤوسهم الطير، لا يكادون يحركون ساكناً. وقد خابت آمالنا بكثير من الضباط العراقيين الذين وردوا أخيراً إلى العراق. وقد أقام الإنكليز في ٢٦ شعبان سنة ١٣٣٩ دعوة كبيرة دعوا إليها أربعمائة من وجوه البغداديين اقتصرت على المصافحة وتبادل المودة الكاذبة.

الصحافة:

عطّل الإنكليز الجرائد التي تصدر في العراق سواء في البصرة أو بغداد. فلا تصدر الآن في العراق من أقصاه إلى أقصاه إلاّ جريدة واحدة هي جريدة الحكومة الإنكليزية أعني جريدة -العراق- في بغداد، حتى الأوقات البصرية سدّت. وكم طالب الوطنيون بأخذ امتياز في جريدة، فردوا على أعقابهم ظاهراً من الوزارة العراقية، وواقعاً من الإنكليز. وكم تم للإنكليز من عمل مهم باسم هذه الوزارة الملعونة..

الحالة في إيران:

تتحسن الأحوال في إيران تحسناً مطرداً، وذلك منذ تأليف حكومة السيد ضياء الدين إلى الآن وقد تمت إلى الآن إصلاحات عظيمة في العجم، واعتقل في طهران وغيرها جميع المفسدين حتى من الأسرة المالكة ومات بعضهم في السجن. وقد وصل سفير الجمهورية الروسية إلى طهران وشرعت الجنود الإنكليزية بالانسحاب من عامة البلاد الإيرانية. ويحتفل الإيرانيون احتفالاً عظيماً بجلاء الإنكليز عن البلاد.

مستقبل العراق:

يستخف الإنكليز استخفافاً بيّناً بمصير العراق، ويتحكمون ويتظاهرون بأنهم يتحكمون تحكماً مطلقاً بمستقبل البلاد. وقد انتدب السير برسي كوكس نفسه وجماعة من الإنكليز مثل جعفر السكري وساسون اليهودي من العراقيين، وذلك لتمثيل هذه البلاد في مؤتمر القاهرة، وقد عاد في أوائل نيسان سنة ١٩٢١ وأذاع بلاغاً مؤرخاً في ١٢ نيسان سنة ١٩٢١ وجاء فيه ما نصه:

إن السبب الأول الذي دعا إلى عقد مؤتمر القاهرة برغبة وزير المملكة الجديدة - تشرشل- في الاجتماع بالممثلين البريطانيين في المناطق الواقعة ضمن دائرة مسؤوليته، كالمندوبين الساميين للعراق وفلسطين وحاكمي عدن وبلاد الصومال، أما فيما يختص بالعراق فكانت المسألة الموضوعة على بساط البحث ضرورة إنقاص المصروفات العسكرية إنقاصاً كبيراً لكي تتمكن الحكومة البريطانية من أن تأخذ على عاتقها مسؤولية البلاد العربية. «وقد تمكن المندوب السامي والقائد العام من أن يقدموا إلى المؤتمر اقتراحات ترسي إلى اقتصاد بعضه عاجل وبعضه تدريجي، مما جعل وزير الدولة شديد الآمال بأنها ستأتي مرضية لآراء حكومة الملك -جورج- والرأي العام البريطاني والعربي. وفي الوقت ذاته إن الاتفاق الذي توصل إليه، قد أحل مسائل المحافظة على الأمن الداخلي وحماية الحدود والترتيبات اللازمة لترقية الجيش العربي محلها من الاعتبار، وسيصدر في وقت قريب عفو عام يشمل جميع الذين اشتركوا في الاضطرابات الأخيرة عدا بعض أفراد ارتكبوا جرائم فظيعة، كقتل الكولونيل ليشمان وما أشبه من الجرائم. والأمل وطيد أن سيرد في بضعة الأيام الآتية برقية تنبئ بمصادقة مجلس الوزراء -لندن- على تلك النتائج، وعندئذ يصدر المندوب السامي بلاغاً آخر».

نقول ولم يصدر إلى الآن العفو العام ولا البلاغ الآخر..

تقرير تشرشل:

صدر هذا التقرير عن الحكومة العراقية الجديدة التي ينوي الإنكليز تأليفها في العراق وقد جاء في برقيات رويتر المؤرخة ١١ آيار سنة ١٩٢١ عن الديلي تلغراف أنه

قد جاء في تقرير تشرشل هذا أن تجعل بغداد أو غيرها مركزاً للطيران وبذلك تقتصد بريطانيا والهند ملايين الليرات التي تبذلها لحفظ جيوش جرارة من مسافات بعيدة عن البحر إلى غير ذلك مما جاء في هذه الجريدة في إسناد رياسة الحكومة في العراق إلى الأمير فيصل مما لانشك أنكم قد اطلعتم عليه.

فيصل في العراق:

لقد وردت برقيات أبطالنا ومجاهدينا المبشرة بوصولهم سالمين إلى مكة المكرمة من أن جلالة الملك حسين قد عيّن نجله الأمير فيصلاً بالعراق، فكان لما تضمنته هذه البرقيات في وصول أبطال العراق إلى عاصمة ا لحجاز بل عاصمة المسلمين وفي قريب عودتهم على الأوطان رنّة فرح وسرور في قلوب العراقيين عامة، وأما تعيين سمو الأمير فيصل للعراق فقد كثر حوله القيل والقال، ولكن العقلاء والمفكرين يتفاءلون خيراً خصوصاً وأقول سمو الأمير فيصل وأصغي على أقوال المخلصين العاملين من أهل البلاد وخاصة أولئك الأبطال المجاهدين الذين اشتروا استقلال العراق بدمائهم وأموالهم وخرجوا أخيراً عن ديارهم وتركوا أوطانهم إلى الحجاز، أولئك الأبطال الذين نخصهم بكتابة هذا التقرير الوجيز عن حالة وطنهم العزيز، حياهم الله وأعادهم إلينا ووفقنا وإياهم لما يحبه ويرضاه آمين..

النجف الأشرف مسلخ رمضان سنة ١٣٣٩.

القسم الثاني

الرحلات

١- رحلة الشيخ الشبيبي في بادية السماوة ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠ م.

الملحق : المضابط التي حملها الشيخ الشبيبي إلى الحجاز.

٢- رحلة الشيخ الشبيبي إلى المغرب الأقصى ١٩٦٠م.

٣- رحلات الشيخ الشبيبي إلى القاهرة ١٩٤٨ - ١٩٦٤م.

(١)

رحلة
في بادية السماوة
سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م

بقلم
العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي

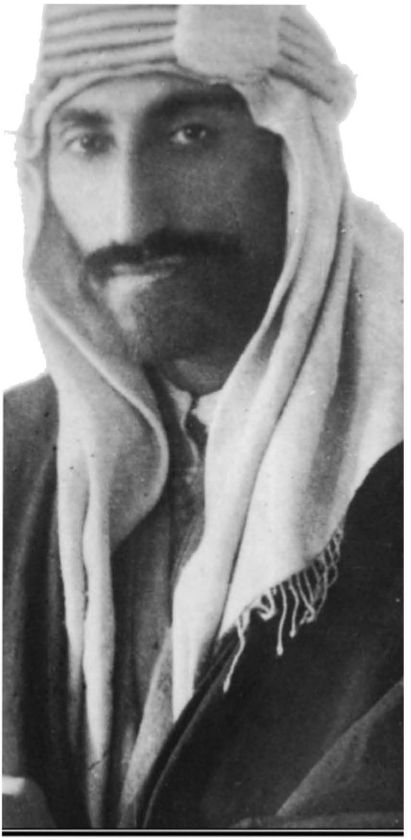

الشيخ الشبيبي عند رحلته إلى الحجاز

رحلة في بادية السماوة[1]

سنة ١٣٣٩ هـ/ ١٩٢٠ م

تيسر لكاتب هذه الكلمة قبل أكثر من أربعين عاماً القيام برحلة بعيدة المدى قطع خلالها مفازتين كبيرتين من مفاوز البلاد العربية، قطع المفازة الأولى من الشرق إلى الغرب أو من بادية البصرة إلى مدينة «حائل» في نجد ثم إلى المدينة المنورة في الحجاز ماراً ببقاع وسهول وجبال وقبائل شتى في مراحل تعد سبعاً وعشرين مرحلة. وقطع المفازة الثانية من الغرب إلى الشرق أو من بادية الشام التي تعرف بالسماوة إلى ضفاف نهر الفرات في مراحل تعد ستاً وعشرين مرحلة ماراً بفلوات موحشة وبوادي شاسعة. ولما كانت ماجريات هذه الرحلة الثانية مضبوطة أو محفوظة أكثر من الأولى قدمناها في النشر على تلك الرحلة النجدية راجين أن يجد فيها الناظر شيئاً من المتعة والفائدة.

المرحلة العربية هي الأساس:

هذا وقد اتخذنا المرحلة العربية - وهي مسيرة يوم - أساساً لحساب المسافات إذ لم تكن معنا عدادات ولا مقاييس علمية ولا مزاول متقنة إلى غير ذلك مما يتأهب به الرحالون المحدثون لا سيما إذا كانت الرحلات بعيدة.

مآخذ من أقوال أهل البادية:

ولم تتعد مآخذنا عن اسماء المنازل والمناهل والبوادي والقبائل أقوال أدلائنا وخفرا قافلتنا من البدو أحياناً إذ كان لنا أكثر من خفير بدوي نتخفر به لأن هناك أكثر من قبيلة بدوية تجوب هذه البادية اما للغزو أو لا نتجاع المرعى. وأقوال رفقائنا من هؤلاء البدو عن المنازل والمناهل والسهول والجبال إلى غير ذلك من جملة مضامين هذه الرحلة. ولا شك في ارتجال المتأخرين أو المعاصرين من أهل البادية لكثير من هذه الأسماء مع أن لمسمياتها أسماء عربية قديمة لا يصعب العثور عليها في كتب

(١) نشرت في مجلة المجمع العلمي العراق، المجلد ١١ لسنة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص١-٦١، ثم نشرت مستقلة في المجلة المذكورة بمقدمة ضافية.

البلدان. وإلى جهل القوم بتأريخهم وماضي بلادهم مرد هذا الضرب من الأرتجال والافتعال.

الرجوع إلى الفطرة:

سلخنا في هذه الرحلة من بادية الشام إلى بادية العراق مدة ناهزت شهراً أو كادت كنا نعيش فيها على الفطرة أو كما كانت تعيش قبائلها قبل الفي سنة. نفترش بساطاً ذهبياً من الرمال ونلتحف غطاء شفافاً من الفضاء. ويفغم انوفنا نسيم البادية العليل. ولم نشعر بحاجة إلى خباء أو مظلة لا في النهار ولا في الليل أنا ورفيق لي من أبناء الكرخ في بغداد. وكنا نتبلغ من زاد تزودنا به من دمشق قوامه صنوف من الفاكهة المجففة والاغذية المستحضرة.

رياضة الأبدان:

ولم تكن لنا مراكب في هذه الرحلة غير الابل النجيبة. وإذا شبهوا البادية العربية بالبحر من حيث سعتها ومخاوفها واخطارها فان سفن النجاة فيها لا تعدو جمالهم ورواحلهم المذكورة. ولذلك قالوا: «الجمال سفن الصحراء» وللجمال مميزات طبيعية لا توجد في غيرها من الحيوان من صبر على الظمأ وقوة وجلد إلى قلة في الكلفة والى خطى متزنة هادئة في المسير، فلا صخب ولا جلبة في قافلة تستخدم فيها النجائب العربية.

الشجرة البرية:

ومع ذلك بقينا في نظر فريق من هؤلاء البدو الخلص مضافاً إلى من لقيناهم في البادية من الأعراب لغزاً غامضاً لا حل له. ملامح غير مألوفة لرفاقنا في الاشكال والألوان. ولا يكتمك بعض القوم زرايتهم على ثقل خطانا وبطء حركاتنا ومظاهر الترهل في ابداننا. وطالما جوبه الحضر المستضعفون من أهل القافلة بهذه العبارة: «ما اثقلكم على وجه الأرض» وقد لاحظنا أن البدويات من نساء القوم أكثر رشاقة وأخف حركة وأعظم جلداً وصبراً من رجالنا المنغمسين في أسباب الحضارة. ولا عجب فالشجرة البرية أصلب عوداً وأبطأ خموداً كما قال الإمام علي عليه السلام، ومما لاحظناه أثناء الرحلة عجز الحضر أو المترفين من صحبنا من اعداد رواحلهم للركوب

أو النزول. ولم يكن لهم بد من بدوي يساعدهم على ذلك، أضف إلى ذلك أن شعار البدويات في القافلة كان لا يعدو الاعتماد على النفس في اعداد رواحلهن واخضاعها للركوب والنزول بحذق ومهارة، ولولا أن ركائب الحضر المترفين في القافلة كانت تندفع بغريزتها أو بدُربتها على المسير في الجادة لا تحيد عنها لوقع القوم في اخطار كثيرة.

وفيما يلي فصول من كتب التاريخ والبلدان والأنساب وغيرها ورد فيها ذكر لبادية السماوية.

١ - كتاب فتوح الشام المنسوب إلى الواقدي[1]

لا بد لمن يعني بدراسة هذا الكتاب من أن يساوره شك قوي في نسبته إلى الواقدي المؤلف المشهور في السير والتأريخ. فالكتاب لا يخلو من قصص محدثه متأخرة يشهد بذلك الأسلوب المتبع في تأليفها وكتابتها وهو أسلوب ضعيف متأخر يختلف عن أسلوب الواقدي وطبقته من المؤلفين في باب السير والتواريخ. وفي تضاعيف الكتاب اضطرب غير قليل، وعلى أي حال فان كتاب فتوح الشام المنسوب إلى الواقدي يشتمل على فصل ضاف عن عبور خالد بن الوليد طريق السماوة جاء فيه ما يلي:

«لما وصل خالد إلى أرض السماوة قال: أيها الناس أن هذه الأرض لا تدخل إلاّ بالتزود بالماء الكثير لأنها قليلة الماء ونحن في جيش، هذا وفي هذه الرواية بعد ذلك تفصيل لما أشار به أو قام به رافع الطائي دليل البادية، وكان طريقهم من عين التمر إلى البادية.

٢ - فتوح البلدان للبلاذري:

دومة الجندل: تضمن هذا الفصل من فتوح البلدان للبلاذري بعثة خالد بن الوليد المخزومي إلى أكيدر بن عبد الملك الكندي ثم السكوني بدومة الجندل، وأخذه - أي

---

(١) فتوح الشام المنسوب إلى الواقدي طبع الهند (كلكتة) (١٨٧٤) راجع الصفحات الآتية من الكتاب ٤٠، ٤٤، ٤٦، ٥٠.

أكيدر - وقتل أخيه وسلبه قباء ديباج منسوج بالذهب، ومقدمه - أي خالد - بأكيدر على النبي حيث أسلم، وكتبه له ولأهل دومة كتاباً ينوه بإسلامه؛ ويشتمل هذا الكتاب على بعض الأحكام المتعلقة بالزكاة وبعض الضرائب الشرعية الأخرى[1].

ويلي ذلك حديث آخر أورده البلاذري يتضمن نقض أكيدر لعهده بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخروجه من دومة، ولحاقه بالحيرة، وبناءه فيها بناء سماه «دومة» باسم دومة الجندل.

ومما جاء في هذا الفصل أن خالداً - لما شخص من العراق يريد الشام - أصاب سبايا بدومة الجندل فكان في من سبى «ليلى بنت الجودي الغساني» وهي التي كان عبد الرحمن ابن أبي بكر هويها وقال فيها:

تذكرت ليلى و«السماوة» بيننا ... وما لابنة الجودي ليلى ومالياً[2]

فتوح السواد وشخوص خالد إلى الشام:

وعقد البلاذري فصلاً طويلاً بهذا العنوان، أورد فيما أورد فيه توجه خالد بن الوليد إلى العراق، في خلافة أبي بكر، وفتوحه في السواد[3].

وجاء في فصل آخر من كتاب الفتوح المذكور أن خالداً - وهو في الحيرة - تلقى كتاباً من أبي بكر يأمره فيه بنجدة المسلمين في الشام، فسار في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ٨٠٠ ويقال في ٦٠٠ ويقال في ٥٠٠، فأتى عين التمر، ويقال أن كتاب أبي بكر وافاه وهو بعين التمر. وقاتل في طريقه جموعاً من العرب والعجم وفتح بلادهم وسبى وغنم - وكانت من السبايا أم حبيب الصهباء، وهي أم عمر بن علي بن أبي طالب(ع) - ثم أغار خالد على «قراقر» - وهو ماء لكلب - ثم فوّز منه إلى «سوى» وهو ماء لكلب أيضاً ومعهم فيه قوم من بهراء. وكان خالد لما ركب المفازة عمد إلى الرواحل فأرواها من الماء، ثم قطع مشافرها وأجرّها لئلا تجترَّ فتعطشَ، ثم استكثر من الماء وحمله معه، فنفذ في طريقه فجعل ينحر تلك الرواحل راحلة راحلة، ويشرب

---

(١) فتوح البلدان ص ٦٨ طبعة مصر ١٣١٧ هـ.

(٢) المأخذ المذكور ص٦٩.

(٣) المصدر ذاته ص٢٥٠.

وأصحابه الماء من أكراشها. وكان له دليل يقال له. «رافع بن عمير الطائي» ففيه يقول الشاعر:

لله درُّ رافـــع أنّـــى اهتَـــدى فَـــوّز مـــن قَراقـــرٍ الى سِـــوى
مـــاء إذا مـــا رامَـــهُ الجـــيشُ انثنَـــى مَـــا جازَهـــا قبلـــك مـــن إنـــس يَـــرَى[1]

وفي هذا الفصل من كتاب الفتوح رواية للواقدي عن رحلة خالد هذه التي اخترق فيها السماوة. ومن المياه والمواضع التي ورد ذكرها في هذه الرواية «اركة» أو «أرك» و«دومة الجندل» و«قصم» وفيها عرب من قضاعة، ثم أتى تدمر فقاتله أهلها فظفر وغنم، ثم أتى «حوارين» من «سنير» فأغار على مواشي أهلها فقاتلوه وقد جاءهم مدد أهل «بعلبك» وأهل «بصرى» وهي مدينة «حوران» ثم أتى «مرجع راهط» فأغار على غسان في يوم فصحهم وهم نصارى فسبى وقتل[2]. وسنعود إلى تمحيص مختلف أقوالهم الواردة عن هذه الرحلة.

٣- تأريخ الطبري: السماوة في سجع الكهان:

تضمن الجزء الأول من تأريخ الطبري حديث طلب كسرى انوشروان إلى النعمان بن المنذر أن يوافيه برجل عالم يسأله عما حدث ليلة ولد الرسول فوجّه إليه عبد المسيح بن عمرو بن حيّان بن بقيلة الغساني. ولما قدم عليه وجه إليه أسئلة، على أن المسؤول المذكور - وهو عبد المسيح - أحاله على «سطيح» وهو ابن أخت لعبد المسيح ومن أقوال سطيح التي وردت في رواية هذه القصة على اختلاف نصوصها، قوله: «عبد المسيح على جمل يسيح إلى سطيح، وقد أوفى على الضَريح، بعثك ملك بني ساسان، لارتجاس الايوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى ابلا صعابا، تقود خيلا عرابا، وقد قطعت

---

(١) رويت هذه الأبيات مغفلة غير منسوبة في كثير من المآخذ مضافاً إلى اختلاف النصوص وانفرد البكري (في معجم ما استعجم ط باريس ص ٣٣٢) بنسبتها إلى خالد بن الوليد نفسه على الصورة الآتية:

ضـــل ضـــلال رافـــع انـــى اهتـــدى فـــوز مـــن قراقـــر الى ســـوى
خمساً اذا ما سارها الجيش بكى

(٢) ويراجع عن قصة خالد بن الوليد في مسيرهِ من العراق إلى الشام وعبوره مفازة السماوة: الكامل لابن الاثير ج٢ - ط بولاق ص ١٥٦، ١٥٧.

دجلة وانتشرت في بلادها. إذا كثرت التلاوة، وبعث صاحب الهراوة، وفاض وادي السماوة، وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس، فليست الشام لسطيح شاماً[1].

هروب المهلب من الحجاج عن طريق السماوة:

وفي تأريخ الطبري رواية عن هروب يزيد بن المهلب واخوته الذين كانوا معه من السجن، ليلحقوا بسليمان بن عبد الملك مستجيرين به من الحجاج بن يوسف والوليد بن عبد الملك جاء فيها: «ولما دنا يزيد من البطايح من «موقوع»[2] استقبلته الخيل قد هيئت له ولاخوته، فخرجوا عليها، ومعهم دليل لهم من كلب يقال له عبد الجبار بن يزيد الرَّبعة فأخذ بهم على السماوة. وأتى الحجاج بعد يومين فقيل له: انما أخذ الرجل طريق الشام[3].

خروج الوليد بن عبد الملك إلى السماوة:

جاء في حديث رواه الطبري: «فقال له الأبرش سعيد بن الوليد الكلبي:- المقول له الوليد بن عبد الملك - يا أمير المؤمنين، تدمر حصينة، وبها قومي، يمنعونك، فقال: ما أرى أن نأتي تدمر وأهلها بنو عامر، وهم الذين خرجوا علي. ولكن دلني على منزل حصين فقال: أرى أن تنزل القرية. قال: أكرهها. فقال: فهذا الهزيم. قال: أكره اسمه. قال: فهذا البخراء[4] وقصر النعمان بن بشير. قال: ويحك ما أقبح اسماء مياهكم. فأقبل في طريق السماوة وترك الريف[5]».

عزل عامل أموي وعودته إلى الشام بطريق السماوة:

جاء في سياق حديث آخر أورده الطبري عن عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن العراق وتولية منصور بن جمهور مكانه: «فقال يوسف بن عمر لسليمان بن سليم بن كيسان الكلبي - حين أقرأه كتاب منصور بن جمهور: ما الرأي؟ قال: ليس لك امام تقاتل معه، ولا يقاتل أهل الشام الحارث بن العباس معك، ولا آمن عليك منصور بن

---

(١) تأريخ الرسل والملوك للطبري ج١ ص ٩٨١ - ٣، الطبعة الأوروبية.

(٢) موقوع هو - على ما في كتب البلدان - ماء بناحية البصرة، قتل به أبو سعيد المثنى الخارجي العبدي خرج بهذا الموضع وقتله صاحب شرطة البصرة.

(٣) تاريخ الطبري، حوادث سنة ٩٠ هـ.

(٤) للبخراء ذكر في كتب البلدان قال ياقوت ٢٠: ط مصر ٨٧، البخراء ممدودة كأنها تأنيث الأبخر وهو نتن الفم وهي كذلك ماءة منتنة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز هذا ما قاله ياقوت، ويلي ذلك قصة طريفة عن مقتل الوليد بن عبد الملك في البخراء يحسن أن يقابل بما جاء في تاريخ الطبري عن الحادث المذكور.

(٥) تأريخ الطبري ج٢ ص ١٢٩٦ «حوادث سنة ١٢٦ هـ.

جمهور أن قدم عليك. وما الرأي إلاّ أن تلحق بشامك. قال: هو رأيي فكيف الحيلة؟ قال: تظهر الطاعة ليزيد وتدعو له في خطبتك. فإذا قرب منصور وجهت معك من أثق به. ثم وجه معه من أخذ به طريق السماوة، حتى صار إلى البلقاء[1]».

القرامطة في بادية السماوة:

جاء في حوادث سنة ٢٨٩ من هذا التأريخ ما يأتي: «ذكر أن زكرويه بن مهرويه الذي ذكرنا أنه كان داعية قرمط لما تتابع من المعتضد توجيه الجيوش إلى من بسواد الكوفة من القرامطة وألحَّ في طلبهم، وأثخن فيهم ورأى أنه لا مدفع عن أنفسهم عند أهل السواد ولا غناء سعى في استغواء من قرب من الكوفة من أعراب أسد وطيء وتميم وغيرهم من قبائل الأعراب ودعاهم إلى رأيه وزعم لهم أن من بالسواد من القرامطة يطابقونهم على أمره إنْ استجابوا له، فلم يستجيبوا له. وكانت جماعة من كلب تخفر الطريق على البر بالسماوة فيما بين الكوفة ودمشق على طريق تدمر وغيرها، وتحمل - أي كلب - الرسل وأمتعة التّجار على أبلها. فأرسل زكرويه أولاده اليهم، فبايعوهم وخالطوهم وذكروا أنهم خائفون من السلطان وأنهم ملجؤون اليهم فقبلوهم على ذلك. ثم دبوا فيهم بالدعاء إلى رأي القرامطة. فلم يقبل ذلك أحد منهم أعني من الكلبيين إلاّ الفخذ المعروف ببني القليص بن ضمضم بن عدي بن جناب ومواليهم خاصة، فبايعوا في آخر سنة ٢٨٩ بناحية السماوة ابن زكرويه[2] المسمى بيحيى والمكنى أبا القاسم ولقبوه (الشيخ) على أمر احتال فيه ولقب به نفسه».

٥ - صفة جزيرة العرب:

قال الهمداني في الفصل الذي عقده بعنوان «مساكن من تشاءم من العرب»: «أما كلب فمساكنها السماوة ولا يخالط بطونها في السماوة أحد، ومن كلب بأرض الغوطة: عامر بن الحصين بن عليم، وابن رباب المعقلي». ثم من حوران في ديار كلب عن يمينك في السماوة، ثم في الدهناء إلى أن ترى نخل الفرات. ولا يخالط كلبا سواها»[3].

---

(١) المأخذ نفسه ص ١٨٤٠ من الطبعة الفرنجية.
(٢) تاريخ الطبري ج٣ ص ٢٢١٧ - ٢٢١٨.
(٣) صفة جزيرة العرب ص ١٢٩ طبعة ليدن -

وجاء في الفصل المذكور - أيضاً: «ثم تقع في نصارى وغير ذلك إلى حدّ الفرات، إلى بالس في بريّة خساف، وهي من الدهناء. ومنها تخرج إلى تدمر ذات اليمين، وهي تدمر القديمة وهي جانب السماوة، وما وقع في ديار كلب من القرى: تدمر وسلمية، والعاصمية، وحمص، وهي حميرية. وخلفها مما يلي العراق: حماه، وشيزر، وكفرطاب لكنانة من كلب. ثم ترجع بكنانة كلب من ديارها هذه إلى ناحية السماوة والفرات»[1].

٦- ذئاب السماوة في شعر ابن نباتة السعدي:

قال يصف الذئب:

وأطلس ما في سعيه غير أنه ... يضيق عليه الرزق والخرق واسع
يخاف أخوه حرصه وهو طاعم ... وتهرب منه عرسه وهو جايع
علا شرف البيداء يسأل أنفه ... بياناً وقد أكدت عليه المطامع
فنمت إليه الريح أن شظية[2] ... وبهما بأكناف «الرجاوة» ضايع
فزعزع من قطريه يذأل ضالعاً ... وما هو إلاّ بالخديعة ضالع
على أي حال من يسارٍ وفاقة ... يسير بما أهدت إليه المطامع

٧- مقامات الحريري:

ولا تخلو مقامات الحريري من ذكر لهذه البادية يشعر بما يكمن في فلواتها من وحشة وأخطار.

قال الحريري في المقامة الدمشقية: «ولطالما والله جبت مخاوف الأقطار، وولجت مقاحم الأخطار، فغنيت بها عن مصاحبة خفير، واستصحاب جفير، ثم إني سأنقي ما رأيكم، وأستسلُّ الحذر الذي نابكم؛ بأن أوافقكم في البداوة، وأرافقكم في السماوة».

٨- رحلة ابن جبير:

قال ابن جبير[3] في رحلته ما يأتي: «وعند هذه الثنية - يعني ثنية العقاب المشرفة

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ١٣١، ١٣٢.
(٢) كذا ورد في الأصل والشظية القطعة.
(٣) رحلة ابن جبير ص ٢٦٧.

على دمشق - مفرق طريقين احداهما التي جئنا منها - وقد جاء من حمص - والثانية آخذة شرقاً في البرية على السماوة وهي طريق قصد ولكنها لا تدخل الا في الشتاء».

مسائل تطرح بشأن السماوة:

وقد آن لنا أن نتساءل ما هي مفازة السماوة، ما حدودها. ما موقعها الجغرافي من العراق. من هم السكان والقبائل فيها. لماذا تغلغلت البداوة في السماوة. ما الفرق بينها وبين الأقاليم النجدية. من هم رواد السماوة وماذا قالوا عنها.؟ هذه أسئلة واردة عن البرية المذكورة. والفصول الآتية من هذه المقدمة كفيلة بالجواب.

حدود بادية السماوة. التعريف بالمفازة

إذا أخرجنا خطاً وهمياً ممتداً من ضواحي الكوفة إلى ضواحي الشام. فما وقع من بادية العرب إلى الجنوب من الخط المذكور فهو بادية الديار النجدية، وما وقع من البادية نفسها إلى الشمال من ذلك الخط فهو بادية السماوة، ويشبه أن يكون مدلول الكلمتين أعني نجداً والسماوة واحداً، فالسماوة مشتقة من السمو، والنجد من البقاع ما مال إلى الارتفاع وهو خلاف الغور، على أن هذه الوحدة في مدلول الكلمتين لغوياً لا تعني وحدة في الخصائص الاقليمية من طبيعية وإجتماعية فالفوارق بين هاتين الباديتين الكبيرتين غاية في الجسامة.

عَنى البلدانيون وغيرهم من الباحثين بتعريف برية السماوة وتحديدها على وجه يشعرنا بأنها من ألصق البوادي بأرياف الفرات الواقعة على ضفته الغربية. ومن رأى أكثر علماء البلدان أن السماوة أرض بين العراق والشام أو بين الكوفة والشام. ويستفاد من كلمة مسندة إلى ابن عباس برواية هشام بن السائب الكلبي أنَّ أطراف العراق والسماوة وما يليها داخلة في حدود جزيرة العرب من جهتها الشرقية، فالسماوة بناء على ذلك ليست جزءاً من اجزاء شبه الجزيرة العربية مثل نجد والحجاز، وإنما تعد من جملة حدود الجزيرة العربية[1] والواقع أن هذا المعنى يستفاد من كلام أكثر الباحثين في هذا الموضوع.

---

(١) راجع عن هذه الكلمة المسندة إلى ابن عباس مدة «جزيرة العرب» من معجم البلدان للحموي (المجلد الثاني من الطبعة الألمانية).

قال البكري[1] السماوة بفتح أوله مفازة بين الكوفة والشام وقيل بين الموصل والشام، وهي من أرض كلب، هذا ما جاء في كلام البكري، ولا يخلو من غرابة إذ المعروف أن الموصل من ديار ربيعة وان الجزيرة من بلاد مضر واين بلاد ربيعة ومضر وديار بكر من سماوة كلب وبينهما النهران الرافدان دجلة والفرات، والفرق جسيم بين هذا التحديد وقول من يقول السماوة: أرض بين الكوفة والشام إذ لا يعترض الحدود بين باديتي الكوفة والشام ولا يفصل بينهما فاصل من قبيل هذه الأنهار.

وعاد البكري إلى الكلام عن السماوة قائلا: قال أبو حاتم عن الأصمعي وغيره: السماوة أرض قليلة العرض طويلة، قال ذو الرمة:

ولو قمت مُذ قام ابن ليلى لقد هوت ... ركابي لأفواه السَّماوة والرجلِ

فأفواه السماوة أولها ورجلها آخرها وقال الراعي:

وجرى على حدب الصوى فطرّدتهُ ... طرد الوسيقة في السماوة طُولا

يصف السراب يقول إذا مضت الإبل مضى السراب بين أيديها فكأنها هي تسوقه، وقال الخليل: السماوة ماءة بالبادية، وكانت أم النعمان سميت بذلك فكان اسمها ماء السماوة وكانت الشعراء تقول ماء السماء.

وفي كتاب المشتركات للحموي[2]: أرض لكلب بين العراق والشام أو بين الكوفة والشام. ويقول البديعي[3]: السماوة هي الأقليم الواقع بين الكوفة من الشرق وتدمر من الغرب. وفي معجم البلدان: أقصر الطرق من العراق إلى الشام قطع مفازة السماوة من وسطها وهي تسمى «سماوة كلب» هناك، وكان للجيش والبريد والقوافل السريعة طريق خاص من الكوفة إلى الشام تقطع في خمسة أيام.

وفي المعجم أيضاً[4]: السماوة: الشخصز قال أبو المنذر إنما سميت السماوة لأنها أرض مستوية لا حجر فيها. والسماوة ماء بالبادية. وبادية السماوة هي التي بين الكوفة

---

(١) معجم ما استعجم للبكري طبعة باريس ص ٧٨٣.

(٢) المشتركات ص ١٠٨.

(٣) كتاب الصبح المُنبي عن عينية المتنبي للبديعي نقلا عن نسخة طُبعت على هامش شرح ديوان المتنبي للعكبري، ولا يخفى انّ لكتاب الصبح المنبي اكثر من طبعة.

(٤) معجم البلدان الجزء ٣ من الطبعة الألمانية.

والشام أظنها مسماة بهذا الماء. قال السكوني: السماوة ماء لكلب. يقول المؤلف وإنما قيل: «سماوة كلب» لأنها أكبر قبيلة تضطرب في هذه البادية وتُسيطر عليها. ولهذه القبيلة العريقة في بداوتها شأن كبير في تاريخ السماوة، وقلما ذكرت السماوة في كتب التاريخ والبلدان القديمة ألا وهي مضافة إلى كلب بن ويرة. وقد أفردنا للتعريف بهذه القبيلة فصلاً تجده في مكان من هذه المقدمة.

اصطلاح مهجور:

ظلت هذه البريّة تعرف بأنها سماوة كلب أو بادية السماوة أو بادية الشام. ثم قل استعمال كلمة البادية مضافة إلى كلمة السماوة من بعد القرن السابع. وغلب عليها قولهم بادية الشام إلى أن هجرت في تعريف هذه البادية كلمة «السماوة» بالمرة في العصور الأخيرة كما يتضح لنا من تصفح أسفار التأريخ وكتب البلدان والرحلات المصنفة بعد المائة السابعة.

ومن المؤلفين من تصفح أسفار التأريخ وكتب البلدان والرحلات المصنفة بعد المائة السابعة.

ومن المؤلفين الذين حافظوا على الاصطلاح القديم الخاص وهو قولهم «بادية السماوة» أبو سعد السمعاني في كتابه المعروف بالأنساب، كما ستراه مُفَصَّلاً في فصل آخر من هذه المقدمة أما صاحب «حماه» فقد اقتصر على استعمال المصطلح العام وهو «بادية الشام» في كتابه «تقويم البلدان» وذلك في فصل عقده للبحث عن جزيرة العرب. وقد غلب هذا الاصطلاح على البادية المذكورة في العصور الحديثة، وهو في الواقع اصطلاح قديم أيضاً أطلقه الأصَطخري في كتابه «المسالك والممالك» على هذه البادية ثم أطلق الجمهور بعد ذلك حتى هذا اليوم كلمة «الحماد» عليها وبهذه الكلمة تعرف البادية المذكورة الآن لدى جمهور العراقيين المقيمين على مقربة من منطقة الطفوف أو بين ريف الفرات والمنطقة المذكورة من حدود المسيب أو الفلوجة شمالاً إلى حدود كربلاء والنجف والكوفة بعد ذلك جنوباً، ومعنى الحماد عندهم الأرض الرملية المقفرة في ارتفاع. ولا يصحح جماعة من المعنيين بالبحوث اللغوية استعمال كلمة الحماد بالمعنى المذكور.

قحط السماوة :

كانت قافلتنا تجوب قلب السماوة وتقطعها من الوسط على خط معين بين مشارف الشام من الغرب، وأرياف نهر الفرات من الشرق بيد أنَّ السماوة هنا فَلاة مُمحلة شديدة الجفاف حتى أن رمال الدهناء في قلب البادية النجديّة أكثر منها نباتاً وشجراً بكثير.

لا تخلو رمال الدهناء الناعمة الحمراء - مع فقدان الماء فيها إطلاقاً - من مناظر أخّاذة، ووهاد مخضوضرة معشبة. وكم كانت خضرتها ريانة ماتعة، وأريجها فوّاحاً منعشاً، ورمال الدهناء هذه لا تخلو أيضاً من ذكور العشب، وأحرار البقول وقد كانت الدهناء وما زالت من أكثر بلاد الله كلأ. قالوا: وإذا اخصبت الدهناء، ربّعت العرب. ولم يقولوا مثل ذلك في السماوة.

لا شك أن الفوارق جسيمة بين هاتين الباديتين الكبيرتين المتجاورتين، إذ تميزت بادية نجد عن جارتها بادية السماوة بخصائص عمرانية لا يستهان بها. من ذلك خصبٌ وقوة إنبات في جملة من أريافها على أن هذا لا يعني أن ديار كلب وسماوتها مجدبة عقيمة بالمرة؛ فهذه «منطقة الجوف» وهي «وادي القرى» أو «دومة الجندل» وهذا «وادي السرحان» وما إليه، - على رأي من يرى أنها من السماوة - أقاليم تميزت بخصبها. ووفرة مياهها بالنسبة إلى بقية جهات السماوة وقد اشتملت أعالي وادي السرحان على عدد من القرى العامرة أكبرها قرية تسمى «كاف». أما موقع الجوف؛ فهو في أدنى هذا الوادي. وأهم قراه قرية يقال لها «سكاكة» وأخرى يقال لها «القارة» وهي على ما في معجم البلدان - احدى القريّات التي منها دومة الجندل. وعليها - أيضاً - سور. ولكن دومة أحصن، وأهلها أجلد. وقد وردت «سكاكة» مُعرّفة في معجم البلدان.

هذا - وحسبنا من خصب هذا الوادي الواقع على طرف السماوة من ناحية الجنوب الغربي أن البلدانيين العرب، سمُّوه «وادي القرى» وهوَ حَقّاً كذلك، بالنسبة إلى المنطقة الوسطى الجافة المجدبة من بادية السماوة. إذ اشتمل الوادي المذكور على مدن وقرى مسوّرة لا تخلو من صناعات يدوية وإن كانت بدوية بسيطة. وعيون هذا الوادي الثجاجة تسقي بساتين وحدائق ذات نخل وفاكهة.

وقد قامت في هذا الصقع دولة مستقلة لكلب كان الملك فيها «اكيدر بن عبد الملك ابن عبد الحي». وقيام دولة من الدول - ولو كانت غير كبيرة - ليس بالأمر اليسير. لأن للدولة مقومات شتى. وقد وجدت تلك المقوّمات في دولة دومة الجندل وحكامها ورجالها من قبيلة كلب المذكورة. وذلك في أواخر عصور الجاهلية. وإلى اكيدر المذكور صاحب دومة ينسب الحصن الضخم الذي يقال له «مارد» وهو معروف في كتب التاريخ والبلدان أما بعد الإسلام - وقد أسلم من أسلم من أفخاذ هذه القبيلة - فان سيرة كلب من حيث محافظتها على عاداتها وأوضاعها وشيمها العربية واطراد حياتها على فطرتها الأولى هي هي. وقد ائتمنتها أكثر من دولة إسلامية على تنشئة ابنائها في باديتها على الفصاحة والفتوة. وقد أصهر الإمام أبو عبد الله الحسين بن علي(ع) إلى فخذ من أفخاذ هذه القبيلة، وأصهر الأمويون كذلك اليها. ولا يخفى أن ميسون بنت بحدل الكلبية كانت زوجة معاوية بن أبي سفيان. وهي التي لم يطب لها العيش في دمشق، ولم تغرها الحضارة الباذخة فيها. وظل حنينها إلى البداوة والبادية يعاودها، وكراهيتها للتصنع المعهود في الحواضر يجيش في صدرها. ولها في هذا المعنى أبيات سائرة معروفة:

لَلبسُ عباءتي وتقر عيني ... أحب اليّ من لبس الشُّفوفِ

وبيتٌ تخفق الأرواح فيه ... احبّ إليّ من قَصر مُنيفِ

ولا يخفى أن هذا الشعر الرقيق - وكانت ميسون شاعرة من جملة شواعر هذه القبيلة - اضطر معاوية إلى النزول على حكمها وتسريحها إلى البادية.

كلمة في طبيعة البادية:

لا توجد في هذا السمت الذي سلكناه من البادية ما يوجد في بعض البوادي من آجام أو غياض أو شجر وذلك لندرة المياه أو فقدانها بالمرة، والأودية هنا غير عميقة في الغالب إذا استثنينا «وادي حوران» وتزيد مقادير المياه في جهات السماوة القريبة من حلب والشام على مقاديرها في جهات الشرق المحاذية للعراق.

فالمياه الصالحة للشرب في هذه البادية نادرة جداً، ويستثنى من ذلك ماء المنزلة

التي يقال لها (الرطبة) الآن[1] وقد انشئت على هذا الماء قرية تقع في منتصف الطريق بين بغداد ودمشق وثكنة للشرطة كبيرة، وهي من أقدم الثكنات في هذه البادية، وفي هذه القرية أيضاً مخازن عدة للباعة وتتوقف عندها السيارات المسافرة بين العراق والشام.

وقد هطلت الأمطار مراراً خلال رحلتنا في هذه البادية قبل الوصول إلى «وادي حوران» وفاضت الأودية، وكان ذلك في أوائل فصل الخريف كما كان منظر الأودية والسيول تتدفق فيها والأمواج تصطخب منظراً آخاذاً رائعاً حقاً، ويقال للمطر في هذا الأوان «الوسمي» وهو ما توسم به الأرض، ووقوعه في هذا الفصل عندهم دليل على الخصب والريف، و«الوليّ» ما يليه من المطر في الفصل الذي يلي فصل الخريف.

كنا نسير في فلاة قاحلة وفي صحو تام، وليس من النادر مع ذلك أن نرى السيل يتدفق في بعض لأودية، والعلة في هذا أن الجهات التي هطلت فيها الأمطار تبعد عن خط رحلتنا مسيرة يوم أو يومين أو أكثر من ذلك.

سماء صافية مرصعة بالنجوم وأرض ذهبية الأديم وهواء منعش جاف وهدوء تام وبساطة في المعيشة، وَبشَرة البدوي من سكان المنطقة ميالة إلى البياض أكثر من بشرة أخيه في الجنوب. وعلى كل فإن مناخ السماوة هنا موسوم بالاعتدال باعث على الحركة والنشاط.

في التكوين الطبيعي:

تختلف بادية السماوة عن بادية نجد من حيث تكوينها الطبيعي فإن بادية السماوة أو (الحماد) كما يسمُّونها الآن أرضٌ يغلب عليها الاستواء والتسطيح وتقلّ فيها الهضاب، ويندرُ أن نجد بين دمشق وشواطئ الفرات - شواطئ الكوفة والمسيب والفلوجة فما فوقها - وهي قلب السماوة ومنطقتها الوسطى، نقول يندر أن نجد في هذه المنطقة جبلاً شامخاً أو هضبة عالية بيد أن الأودية الكبيرة ومجاري السيول التي تنحدر من هضاب الشام إلى البادية وتصبُّ في الفرات غير قليلة في السماوة، ومن أشهرها وادي السرحان، ووادي حوران، إلى أودية أخرى، وقد يحدث في الفرات مدٌّ

---

(١) الرطبة اسم حديث، وكان اسمها في البادية (الكمرة) وذلك قبل اربعين عاما، وقد نزلنا بعد مراحل شاقة في البادية على ماء الكمرة، أما اسمها القديم في كتب البلدان فالعاب له (لاهة) او (القارة).

أو فيضان أو زيادة مبكرة حيث تُسمّى هناك «حورانية» وينتجون في سقي الفرات نوعاً جيداً من الحنطة يقال لها أيضاً «حورانية» نسبة إلى «جبل حوران» لا إلى هذا الوادي إذ لا زرع ولا ضرع فيه، هذا في بادية السماوة أما في نجد فإن جبالها الشاهقة غير قليلة ومن أشهرها جبل (اجأ) و(سلمى) أو (جبل شمر) في القسم الشمالي من البادية النجدية، أما في القسم الجنوبي فهناك جبل (طويق) وجبال أخرى محاذية لحدود الحجاز وعسير واليمن.

قبائل البادیتین:

هذا وإلى جانب ذلك نرى بادية نجد حافلة بجملة من أشهر قبائل العرب مثل (بني أسد) و(تميم) و(طي)، ويلاحظ أن جل قبائل السماوة كانت قحطانية في أنسابها، ومن ذلك قبيلة (كلب بن وبرة) نفسها على اشهر الأقوال بخلاف قبائل الديار النجدية فإن جملة منها تعتزي إلى عدنان، ولا شك أن جملة من قبائل الشام البعيدة عن السماوة كانت ترتاد منذ القدم مراعي هذه البادية في فصول معينة، ومن ذلك السكاسك والسكون وقيس وربيعة وزبيد، وما زالت قبائل العراق والشام ونجد أحياناً ترتبع أو تخرج بماشيتها إلى بادية السماوة إلى هذا اليوم إذا نزل الغيث، وقد اعتادت بعض هذه القبائل على البقاء أشهراً في البادية.

السماوة من ميادين الكفاح

السماوة في حرب صفين. حجر بن عدي. الضحاك بن قيس

لا يخفى أن صفين التي وقعت فيها الواقعة المشهورة في خلافة الإمام عليّ موضع في أعالي الفرات في الجهة الغربية منه أو بينه وبين حلب. ومن المعلوم أن الإمام عليّاً اختار السير على شواطيء الفرات من الكوفة حتى صفين، وهي أيضاً الطريق التي سلكها الإمام الحسن بن علي قبل صلحه مع معاوية، أما جيوش أهل الشام فقد سلك كثير منها بادية السماوة إلى صفين وهي أقرب وأقلّ مشقة من طريق أهل العراق.

وقد جرت بعض الغارات بين أهل العراق وأهل الشام قبل واقعة صِفّين الكُبرى في بادية السماوة نفسها ومن أشهرها غارة «الضحّاك بن قيس الفهري» من قواد معاوية

- أي غارته على الحيرة - حيث خرج من جانب العراق للقاء الضّحاك بأمر من الإمام علي صاحبه «حجر بن عدي» حتى مرَّ بالسماوة وهي أرض كلب وفيها - أي في بادية السماوة - لقي «حجر» - إمرأ القيس بن عديّ بن أوس بن حارث بن كعب بن عليم الكلبي، وهم الذين أصهر إليهم الحسين بن علي فكانوا ادلاّءه - أي أدلاء القائد العراقي حجر بن عدي - في الطريق وعلى المياه، فلم يزل عديّ مغذاً في إثر الضحاك حتى لقيه في ناحية «تدمر» واقتتلوا هناك[1] ومن رأينا أن هذه الغارة التي قام بها الضحاك الشامي على الحيرة سالكا بادية السماوة وقعت في فصل الربيع أو الخريف، وفيهما يمكن قطع هذه المفازة للجيوش خصوصاً إذا كانت فرساناً أو خليطاً من الفرسان وغيرهم. فإن الضحاك اتجّه من السماوة جنوباً إلى حدود الديار النجدية ثم عاد إلى طفوف بادية الفرات والحيرة، ومنها ماء يقال له «شراف» وعين يقال لها «القطقطانة». ومن هناك اغار على الحيرة.

رحم الله حجر بن عدي فقد ضرب لنا في سيرته هذه، وفي اندفاعه أثر الضحاك كالصاعقة مثلاً رائعاً في البطولة والتفاني والإخلاص.

السماوة مشتىٰ الأمويّين:

كان الأمويون يتحاشون الإقامة في دمشق في بعض الفصول لرطوبتها وحُميَّاتها... كما كانوا يحنون إلى البادية حيث بنوا لهم فيها جملة من القصور والدور، وكان لعبد الملك بن مروان عدة قصور في البرية. قال ابن تغري بردي في حوادث سنة ٤٦٨ «ابن حسان بن مسمار الكلبي قلعة صرخد وكان مقدم العرب» وانشأوا طريقاً مرصوفة من صرخد إلى اعالي الفرات.

كلأ السماوة:

في أمالي القالي أسنت بنو تميم زمن علي بن أبي طالب فانتجعوا أرضاً من أرض السماوة ويقال لها «صوأر» من الكوفة على عقبة[2].

---

(١) يراجع تفصيل ذلك في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد الجزء الأول ص ١٥٣ - ١٥٥.
(٢) الأمالي: ج٣ ص٥٢.

في معرض المقارنة بين نجد والسماوة:

ولا بد لنا في معرض المقارنة بين نجد والسماوة أن نقول: إننا نعني: المقارنة بين هذه البادية وتلك فقط دون الحاضرة، ففي نجد بادية وحاضرة ومرافيء وسواحل، وفي السماوة بادية فقط، ولا تخلو بادية نجد من خصب وريف ومن مقومات حضارة زراعية، وفي مقدمتها توفر المياه الجوفية وخصوبة التربة، وفي تأريخ نجد الحديث شواهد غير قليلة على ذلك، نذكر من جملتها الدعوة التي انتشرت هناك في سبيل الاقلاع عن البداوة والحث على التحضر والاستقرار، وهي حركة معروفة أسفرت عن إنشاء كثير من القرى أخلدت إليها قبائل كانت عريقة في البداوة والاضطراب وشن الغارات، قامت بهذه الحركة الحضارية سنة ١٣٣٠ (١٩١١ م) جماعات من أبناء نجد، بعضها من قبيلة «مطير» وآخرون من «العجمان» وجماعات من قبائل «حرب» و«شمر» و«عتيبة» وامثالها حيث أطلقوا على كل واحدة من تلك القرى المستحدثة اسم «الهجرة»، وهم يعنون الهجرة من البادية إلى الحاضرة. ونسبت كل هجرة أيضاً إلى قبيلتها فقالوا مثلاً: «الإرطاوية هجرة مطير»، ولا شك أن الأصل في ذلك النهي المأثور عن الركون إلى الاعرابية أو إلى البداوة بعد الهجرة، وكانت تلك القرى معروفة باسمائها في ذلك الحين أقام فيها أصحابها معنيين بالحرث والزراعة مدّة ناهزت العشرين عاماً، ويقال إن بعض هذه «الهجر» نمت في مدة قليلة وبلغ عدد سكانها عشرات الألوف، على أن السلطات السعودية اضطرت إلى اخلائها إثر فتن وقلاقل قام بها بعض القوم هناك - وحسناً فعلت - هذا وحسبنا ذلك دليلاً على توفر خصائص العمران الزراعي في تلك الأنحاء، ولعل هذا من أظهر الفوارق بين بادية السماوة والبادية النجدية.

أثارت الحشود المذكورة في «الهجر» النجدية كما لا يخفى قلقاً غير قليل في الأقطار المصاقبة لنجد من الشرق والغرب على حد سواء، خصوصاً العراق والحجاز إذ أصبحت هذه القرى أو «الهجر» كما يسمونها قواعد عسكرية يستند إليها بعض القوم في غزو الآمنين من جيرانهم في العراق والحجاز.

ولا بد لنا من القول بأن هذا التحفز والاندفاع في سبيل الغزو قديم بدأ بعد مضي زمن قليل على ظهور الدعوة المعروفة التي دعا اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب واستجاب لها من استجاب في نجد، وذلك في صدر المائة الثالثة عشرة فهُوجِمتْ غير حاضرة من حواضر العراق، هُوجِمَت البصرة، والزبير، والسماوة، والرماحية، والنجف، وكربلاء بين سنة ١٣١٨ إلى سنة ١٣٢٣، وردّ الغزاة على الأعقاب إلاّ في الزبير وكربلاء فانهم استولوا على هاتين المدينتين واستباحوهما في حوادث مشهورة، هذا ولا ننسى ما قاسته أخيراً قبائل العراق التي تنتجع مراعي البادية غربي الفرات أو غربي الطفوف من تلك الغارات.

يتضح لنا من هذه المقارنة أن السماوة فلاة مقفرة أو مجدبة جافة في الغالب لا يوجد في باديتها ما يوجد في بادية نجد من أعشاب حرّة وأشجار ونبات إلاّ نادراً، ولا يوجد في السماوة ما يوجد في بادية نجد من آبار واعداد مياه معروفة ترتادها الركبان وتنزل عليها القفول على وجه الدهر إلاّ القليل، ونحن نعرف في مراحل هذه البادية النجدية التي قطعناها، وفي طريق الكوفة والنجف والحيرة إلى نجد اعداد مياه من هذا القبيل، منها، العذيب، الشبكة، الثعلبية، السلمان، لينة، واقصة، بصية، البدع، أم الرضم، الشعيبة، وقد نزلنا على أكثر هذه المياه وكنا ضيوفاً على بعض الحلل والأحياء البدوية هذا عدا ما يوجد من أعداد مياه في الجنوب أو في الطريق السالكة من البصرة إلى الأحساء وإلى الرياض وما وراءها، فهناك المياه والمناهل. مناهل وادي الرمة ووادي العرمة، وعلى هذه المناهل تمر أعظم الطرق النجدية السالكة من البادية إلى جهات البصرة. من هذه الناحية ذاعت اسماء المناهل والمنازل في نجد وورد ذكرها في شعر الشعراء ووضعت في التعريف بها كتب ومصنفات دون تلك المناهل والمنازل الموجودة في برية السماوة إذ ليس لها نصيب من تلك الشهرة، فأصبحت منسية أو بحكم المنسية.

هذا ولا يوجد أيضاً في بادية السماوة ما يوجد في بادية نجد من مظاهر العمران ودلائل البر والإحسان والإصلاح التي تقدّمت بإنشائها شتى دول الإسلام خصوصاً

على عهد الدولة العباسية قال اليعقوبي[1] «من أراد أن يخرج من الكوفة إلى الحجاز خرج على سمت القبلة في منازل عامرة ومناهل قائمة فيها قصور الخلفاء من آل هاشم، وأوّل المنازل القادسية وهُلمَّ جرّا وهناك مصانع المياه وبركها والمرافق العامة والحصُون حتى وُصفت هذه الطريق السالكة من الكوفة والنجف والحيرة إلى نجد بأنها «الطريق السلطانية»، وقد اتّسعت بعض المنازل الواقعة في هذا الطريق حتى صارت في فترةٍ ما قرى ومدناً ذات أسوار ومساجد وحمامات مثل «الثعلبية» و«زبالة».

هذا ما قاله اليعقوبي عن مظاهر الحضارة والعمران على عهده في الطريق ما بين الكوفة إلى نجد والحجاز، اما اليوم فلا نرى إلاّ بعض الأطلال والبرك أو المصانع المطمورة بالتُراب، وفي ذلك عبرة للمعتبرين، ومن المفيد أنّ نعلم مع ذلك أن السماوة لا تخلو من اعداد مياه قديمة وان لم تكن كثيرة، ومن أشهرها: «قراقر» في الشرق و«الهزيم» في الغرب أو في جهات وادي السرحان، و«سوى» في الشمال و «لاهه» و«القارة» أو «الكَعرة» - كما تسمى الآن - في قلب السماوة، ولكن بين بعض هذه المياه «السماوية» مسافات بعيدة، وقد تقطع القفول في السماوة أربع مراحل أو أكثر بدون أن تجد منهلاً تتزود منه كما اتفق لنا في هذه الرحلة التي قطعنا فيها هذه البادية، فإننا تزودنا من ماء يسمى «السبع بيار» على ثلاث مراحل من دمشق ثم فوزنا أربعة أيام أو أربع مراحل لا أثر فيها للماء بالمرّة حتى وصلنا إلى ماء «الكَعرة» وقد أخذ اليأس مأخذه من القافلة وانقطع الرجاء أو كاد.

هذا ولا بد لنا في هذا الصدد من الإشارة إلى بعض العوامل التي نشأ عنها تقدم العمران في نجد بالنسبة إلى بادية السماوة، من ذلك موقع نجد الممتاز وكونها في طريق قوافل الحاج الذين يشدُّون رحالهم من المشرق والعراق إلى الحجاز، ولا مناصَ لهم من المرور على البادية النجديّة، وقد عرفنا أكثر من طريق يسلكه الحجيج، من ذلك طريق يبدأ من الكوفة أو من النجف إلى نجد ثم إلى الحجاز في مراحل معينة، وطريق آخر من البصرة إلى مكة.

---

(١) كتاب البلدان لليعقوبي ص٢١١.

وقد عني المسلمون شعوباً ودولاً بهذه الطُّرق، واحداث ما يحتاج إليه الحجيج من مرافق ووسائل راحة فيها، وذلك بين العراق إلى قلب البادية النجديّة، ثم إلى الحجاز، ولجملة من سراة المسلمين آثار باقية من هذا القبيل.

التعريف بقبيلة كلب:

لا تذكر هذه البادية بادية السماوة في كتب البلدان والتأريخ والأنساب غالباً إلاّ مضافة إلى «كلب» - احدى بطون قضاعة - التي يعدون من بطونها أيضاً «جُهينة» و«بلي» و«عذرة» وأشهر تعاريف البلدانيين القدماء لهم قولهم «سماوة كلب» وهي عبارة يكثر ورودها في كتب التأريخ والبلدان؛ كأن هذه البادية الشاسعة بعرضها وطولها ومشتملاتها ملك لهذه القبيلة لا نصيب لقبيلة عربية أخرى فيها، وإلى انفراد كلب واختصاصها بالسماوة مردَّ عزلتها وإغراقها في البداوة، وقلّما احتكرت قبيلة عربية واحدة بادية كبيرة مثل احتكار كلب للسماوة في الجاهلية وفي أولى القرون الإسلامية إلى أنْ أخرجَتها منها قبائل أشد منها قوة وبأساً بعد ذلك. وتلك الأيام نداولها بين الناس.

لما قطعنا بادية السماوة أو «سماوة كلب» إلى العراق في رحلتنا من الشام سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠) لاحظنا أن القبيلة التي تسيطر على البادية المذكورة هي «عنزة» بعدد من بطونها وافخاذها، وقد احتلت بطون عنزة البادية المذكورة منذ أمد وما زالت إلى اليوم، ولم نجد في البادية أثراً لقبيلة «كلب» التي ملكتها في الزمن القديم حتى عرفت البادية بالاضافة إلى هذه القبيلة فقالوا «سماوة كلب»، ولهذه الناحية اصبح لزاماً علينا تجريد بحث خاص نعرّف بها هذه القبيلة الخطيرة المنسيّة عند المعاصرين:

ساق الباحثون في أنساب قبائل العرب نسب كلب قائلين «كلب بن وبرة بن تغلب ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة» هكذا ساق النسابون نسب هذه القبيلة إلى قضاعة، وقد حفلت كتب التاريخ والنسب بذكر «كلب» على تعدُّد بطونها، وتسمية منازلها والبحث في أخبارها ووقائعها والتعريف بزعمائها ورجالها في الجاهلية والإسلام.

تعد كلب في طليعة قبائل العرب الضخمة العظيمة، وقد ذهبت بالعدد والشرف بين بطون قضاعة، قال النخار العذري - وهو خبير في الانساب - وقد سأله معاوية عن

«قضاعة»: كلب ساداتها وأوتادها، والقين فرسانها واسنتها، وعذرة شعراؤها وفتيانها[1] وتحدث النسابون والاخباريون كثيراً على حلف كلب وتميم، وللشعراء في هذا الحلف أقوال، قال جرير:

تميم إلى كلب، وكلب اليهم احق وأولى من صداء وحمير

وقال الفرزدق: من قصيدة يهجو فيها الأخطل: [2]

أشد حبال بين حيين مِرّةً حبال أمرّت من تميم ومن كلب[3]

كلب ودعوة الإسلام:

كانت بطون كلب في مقدمة قبائل العرب التي أدركت ما في دعوة الإسلام من عناصر الحق والخير فآمنت بها فور التبليغ، واشتهر عدد من الصحابة المنتسبين إليها، منهم «دحيّة الكلبي» ساقوا نسبه إلى «كلب بن وبرة» شهد مع الرسول «ص» أحداً وغيرها من المشاهد، وهو الذي بُعِثَ رسولاً إلى قيصر سنة ست من الهجرة، وكان دحية الكلبي مضرَب الأمثال في جمال الصورة، وكان وفد قبيلته في طليعة وفود القبائل على النبي «ص» وعلى رأسهم قطن بن حارثة العليمي الكلبي فسأل الدعاء له ولقومه، وقطن هذا هو الذي حمل إلى كلب واحلافها احدى رسائل النبي «ص» التي تعد آية في البلاغة، وفيما اشتملت عليه من الاوابد والشوارد[4] وقد تحدثت عنها كتب السير والأدب والتاريخ[5]. وقد بلغت صلة دحية بن خليفة الكلبي من الوثاقة بالرسول

---

(١) ذيل أمالي القالي ص ٧٠.

(٢) انظر القصيدة في ديوان جرير، مطبعة الصاوي بالقاهرة، وفي نسخة الديوان كلمة «نزار» بدل «تميم».

(٣) طبقات الشعراء للجُمحي ط بريل ص ٨١.

(٤) يراجع عن وفد كلب هذا وعن رسالة الرسول إلى كلب مع قطن بن حارث العليمي التي تضمنت ما تضمنت من الغريب، كتاب العقد الفريد ج١ ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٥) راجع عن نص هذه الرسالة كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ١٠ / ٢٧٥ والاستيعاب لابن عبد البر ج٢ / ٥٣٦ ط حيدر أباد.

وقد وجه النبي (ص) كتباً غير قليلة إلى زعماء العجم والعرب في معنى الدعوة إلى الإسلام وتعد هذه الكتب مثلاً أعلى في البيان وآية في البلاغة، وردت هذه الكتب في اسفار السيرة كسيرة ابن هشام وسيرة ابن اسحاق وفي كتب التاريخ ومن ذلك كتابه إلى المنذر عامل البحرين من قبل الفرس بعد إسلامه، وكتابه إلى فروة بن عمر الجذامي، أورده ابن الجوزي في كتاب «الوفاء» وكتاب آخر إلى طهفه الفهري وقومه تجد نصه في المثل السائر لابن الأثير، ويضمن هذا الكتاب طرفاً من الغريب، وقد عني بعض المؤرخين بشرح غريبة المذكور.

انه تزوج عمته درة وهذا يعني صلة تلك القبيلة نفسها به.

هذا وما أكثر عدد الاخباريين والنسابين وعلماء الأدب واللغة الذين عنوا بالبحث عن «كلب»، فهذا ابن دريد، أفرد في كتاب الاشتقاق بحثاً لغوياً ممتعاً شرح فيه أسماء الأعلام الواردة في نسب هذه القبيلة واشتقاقها حتى اسم قضاعة[1].

ولابن النديم في الفهرست فصول حسنة في تراجم النسابين والاخباريين من الكلبيين - مثل هشام بن السائب الكلبي - وتسمية ما لهم من كتب ومصنفات.

أما ابن حزم القرطبي فقد تناول التعريف ببطون كلب ومشاهير رجالها ببحث فذ عني فيه بتعريف المتأخرين من المنتمين إلى هذه القبيلة في العصور الإسلامية[2]. ومن الأمثلة على ذلك قوله - وقد ذكر هشام بن السائب الكلبي: - «قتل أبوه السائب في صفين مع علي»[3]. وعقد ابن عبد ربه فصولا في أحوال هذه القبيلة[4].

وعني البلاذري كذلك بذكر وقائع كلب وقيس، والعصبية بين هاتين القبيلتين وأيامهما في صدر الإسلام وبعد ذلك على عهد الدولتين الأموية والعباسية[5].

وفي بحوث الجاحظ عن الرواة والنسابين والخطباء ورد ذكر شرقي بن القطامي

...

ومن اشهر كتبه (ص) كتاب إلى اكيدر صاحب دومة الجندل ذكره ابو عبيدة، وهذا الكتاب يتضمن كذلك جملة من الغريب تحتاج إلى الشرح عني بشرحه بعض المؤلفين.
وكتابه إلى وائل بن حجر، واهل حضرموت، ذكره القاضي عياض في الشفاء، وهو من الكتب التي عني المؤرخون والمؤلفون بشرحها لاشتمالها على الغريب وغريب الغريب.
وكتابه إلى قبيلة همذان من اليمن ورد في سيرة ابن هشام وذكره أيضاً القاضي عياض في الشفاء.
أما كتبه (ص) إلى غير المسلمين فانها معروفة ومنها كتابه إلى كسرى ابرويز، وكتابه إلى المقوقس صاحب مصر ذكره ابن عبد الحكم في تاريخه، وكتابه إلى النجاشي ملك الحبشة ورد في سيرة ابن اسحاق، وكتابه إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة. وكتابه وكتابه إلى نصارى نجران، وكتابه إلى ملوك عمان والبحرين إلى غير ذلك من الكتب التي وجه بها إلى الرؤساء والملوك غير المسلمين كجبلة بن الابهم الغساني وذي الكلاع الحميري. تراجع عنها كتب التاريخ والسير ومنها سيرة ابن اسحاق، وسيرة ابن هشام، والعقد الفريد، وصبح الاعشى من ص ٣٦٥ - ٣٨٢ الجزء السادس.

(١) راجع الصفحات الآتية من كتاب الاشتقاق لابن دريد ٢٠، ١٨٠، ٢٨١، ٥٣٢، ٥٤٠، ٥٤٢، ٥٦٠.

(٢) تراجع مادة «كلب بن وبرة» من كتاب جمهرة انساب العرب ص٤٢٥ - ٤٣١.

(٣) المصدر ذاته ص ٤٣٩.

(٤) تراجع الصفحات التالية من كتاب العقد الفريد «ج ١ - ٢٧٥، ٢٧٦، ٣١٣»، «ج ٢ ١١٥٩»، «ج ٤. ١٢٤، ١٢٩»، «ج ٥. ١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ٢٠٥، ٢٢٦»، «ج ٧ ١٠٠، ١٥٨، ١٧٧»، «ج ٨. ١٦٠، ١٦٣».

(٥) راجع الصفحات التالية من كتاب انساب الأشراف للبلاذري ١١٨، ١٢٨، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٦، ١٣٨، ١٤٢ - ١٤٣، ١٤٧، ١٥٧ - ١٥٨، ١٨٣، ١٨٦، ١٩٠، ١٩٧، ٢٩٩، ٣٠١ - ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٢٥.

الكلبي ومحمد ابن السائب الكلبي وهشام بن محمد بن السائب وعوانة الكلبي، ويقول الجاحظ: أن الشرقي القطامي اختاره المنصور مؤدباً لأولاده، وقال عن سفيان بن الأبرد الكلبي «إنه من أكابر قواد الدولة الأموية وخطبائها». وقد تحدث - اعني الجاحظ - كثيراً[1] عن عوانة الكلبي الاخباري النسابة وعن أمثاله من النسابين المنتمين إلى هذه القبيلة.

فرق الكلبيين في حرب صفين:

ويبدو لنا من التأمل في تأريخ حرب صفين أن قبيلة كلب هذه قد انشطرت إلى شطرين شطر قاتل مع الإمام علي، وآخر قاتل إلى جانب معاوية، ففي كلب قوم أصهر إليهم آل علي وآخرون أصهر إليهم معاوية، وكان من جملة أمراء معاوية في حرب صفين «حسان بن بحدل الكلبي» وهو على قضاعة دمشق و«عبّاد بن يزيد الكلبي» وهو على قضاعة البادية[2].

ومما يتفاخر به الأمويون أن يزيد بن معاوية كان أعرابي اللسان بدوي اللهجة، وإيّاه أراد أبوه بقوله: «عليَّ بالخطيب الأشدق» وهذه البداوة في منطق يزيد لحقته - فيما يبدو لنا - من إقامته عند أخواله في كلب بالبادية.

ويستفاد على كل حال من كتب التأريخ ولاء فريق غير قليل من كلب للامويين وبيعتها لغير واحد من امراء الدولة الأموية[3].

كلب تقتل والياً لمعاوية:

هو النعمان بن بشير بن سعد الانصاري، وبشير بن سعد عقبي بدري قتلته كلب[4]

معاوية يعزل عاملا له من كلب:

قال عوانه: استعمل معاوية رجلاً من كلب فذكروا يوماً المجوس وعبدة النار فقال: لعن الله المجوس ينكحون امهاتهم، والله لو اعطيت مائة الف درهم ما نكحت

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٣ ص ١٣٥ الطبعة الجديدة.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المجلد الأول: ص ٣٤٦.

(٣) يراجع عن ذلك العقد الفريد ج٥ ص ١٥٨ - ١٦٢.

(٤) تجد قصته في أمالي القالي ج٣ ص ٨.

امي فبلغ معاوية ذلك فقال قبحه الله اترونه لو زادوه فعل ذلك؟ وعزله[1].

حديث السفياني:

وحديث السفياني وأخباره في كتب الملاحم حديث مشهور، وانه من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان يخرج من ناحية دمشق، وعامة من يتبعه من كلب، وفي الحديث ما فيه من الدلالة على اعتزاز الأمويين بولاء هذه القبيلة، أو بولاء من يقيم منها بالشام على الأرجح، إذ لحق أن أفخاذاً كبيرة من كلب ناوأت الأمويين وحاربتهم في صفين وانشقّتْ عليهم بعد ذلك[2].

الشعر والشعراء:

هذا وليس عدد الشعراء الذين ينتمون إلى قبيلة كلب من جاهليين وإسلاميين بالعدد القليل حتى تهيأ لبعض المعنيين بتدوين شعر شعراء القبائل أنْ يضع كتاباً عنوانه «أشعار كلب»[3].

ومن تصفح معجمات الشعراء وغيرها اتضح له أن عدد الشعراء الكلبيين الذين تغنوا بجمال بلادهم واستوحوا مظاهر الطبيعة الرائعة فيها غير قليل، وحسبنا من هؤلاء الشعراء المنتمين إلى هذه القبيلة من سماهم المرزباني في كتابه معجم الشعراء[4]، على أننا لاحظنا

---

(١) العقد الفريد ج٧ ص ١٧٧.

(٢) انظر كتاب صفين لنصر بن مزاحم ط القاهرة سنة ١٣٦٥ هـ ص ٢٥٥.

(٣) المؤتلف والمختلف للامدي ص ١١.

(٤) من هؤلاء الشعراء: الأحمر بن شجاع الكلبي، الاخنس بن نعجة الكلبي، الاديرد الكلبي، اريد بن ضابيء بن رجاء الكلبي، الاغلب الكلبي، امرؤ القيس بن حمام الكلبي، امرؤ القيس بن عدي الكلبي، حواس بن القعطل الكلبي، حارثة بن أوس الكلبي، حارثة بن شراحيل الكلبي، جمال بن حسل الكلبي، حسام بن ضرار الكلبي. حناك الكلبي. خرقة بن شعاث الكلبي، أبو الخطاب الكلبي، ذو الاصبغ الكلبي العليمي، زهير بن جناب الكلبي، عدي بن عطيف الكلبي، بن عرين الكلبي، العطاف بن أبي شفقره الكلبي، عطية بن الأسود الكلبي، عمرو بن أسود الكلبي، عمرو بن حجر الكلبي، عمرو بن زيد المتنمي الكلبي، عمروبن شراحيل الكلبي، عمرو بن عبد ود الكلبي، فراس بن عبد الله الكلبي، كلثوم بن وائل الكلبي. وقد ترجم ابن دحية في كتابه الذي سماه (المطرب في اشعار أهل المغرب) لجماعة من اعلام الكلبيين في الأندلس وصقلية والمغرب واستوفى ابن حزم في كتابه جمهرة انساب العرب اخبار من اخرجتهم كلب وقضاعة من الاعلام ومنهم امرؤا لقيس اوس بن جابر بن كعب بن عليم وقد تزوج الامام علي وابناء الحسن والحسين بناته. انظر جمهرة انساب العرب ٤٢٧.

قلة عدد الفحول المجودين ممن ذكرهم المرزباني من شعراء هذه القبيلة، وهذا لا ينفي أن تكون هناك مآخذ لشعراء آخرين من كلب ولأشعارهم أيضاً ولكنها من المآخذ المفقودة، وزهير بن جناب الكلبي معدود بين أشهر شعرائهم وأقدمهم، وهو سيد قومه وشاعرهم ووافدهم على الملوك، سمى كاهناً لسداد رأيه، كان في زمن كليب بن وائل[1] والأبيات الثلاثة الآتية من قصيدة له أوردها الطبري في أحد عشر بيتاً (٢: ٣٩) ومثله ابن سلام في الطبقات (٣٢ - ٣٣) ويقول ابن الكلبي «ثلاثة أبيات منها حق، والباقي باطل» وهو القائل:

إذا قالت حذام فصدقوها ... فإن القول ما قالت حذام

ومن شعره السائر:

أبني إن أهلك فإني ... قد بنيت لكم بنية

وجعلتكم أبناء سادات ... زنادكم وريّة

من كل ما نال الفتى ... قد نلته إلاّ التحية

هجاء كلب:

هجا الشاعر الاخطل قبيلة كلب، والاخطل كما لا يخفى من تغلب[2] ولكل من جرير والفرزدق شعر في هذه القبيلة[3].

لكل قبيلة حماها:

قال ثعلب: (الحمى» حمى «فيد» إذا كان في أشعار أسد وطيء، فأما في أشعار كلب فهو حمى بلادهم)[4]، ومعنى هذا إن كلباً توازي طياً وأسداً في كثرة شعرائها، وفي ذلك ما فيه من الدلالة على جودة طباعها وسعة خيالها وشبوب عواطفها.

الفصاحة:

وصفت هذه القبيلة بالفصاحة، بل هي من القبائل التي يحتج أهل العربية بأقوالها شعراً ونثراً، وكذلك كانت قضاعة - وكلب كما لا يخفى بطن من بطون قضاعة -،

---

(١) وممن ترجم لزهير بن جناب ترجمة مفصلة ابن سلام في طبقات الشعراء ص ١٣ مطبعة بريل سنة ١٩١٦.

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ ج٤ ط مكتبة الجاحظ.

(٣) طبقات الشعراء لابن سلام ص ٨١ طبع مطبعة بريل سنة ١٩١٦.

(٤) شرح ثعلب على ديوان زهير ص ٣٨٠.

وفيهم العدد والشرف كما يقول أهل الأنساب، قال الفراء: أهل الحجاز وطي يقولون: فاطت نفسه بالظاء، وقضاعة وتميم وقيس يقولون: فاضت بالضاد، مثل: فاضت دمعته.

من عيوب المنطق في قضاعة:

قال معاوية يوماً من أفصح الناس فقال قائل: قومٌ ارتفعوا عن لخلخانية الفرات وتيامنوا عن كشكشكة تميم، ليس لهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير، قال فمن هم؟ قال: قريش[1].

نائلة الكلبية، بلاغتها واخلاصها:

قالت تماضر امرأة عبد الرحمن بن عوف لعثمان بن عفان: هل لك في ابنة عم لي بكر جميلة، ممتلئة الخلق، اسيلة الخد، اصيلة الرأي تتزوجها قال: نعم، فذكرت له نائلة بنت القرافصة الكلبية فتزوجها، وهي نصرانية وحملت إليه من بلاد كلب فلما دخلت عليه قال لها لعلك تكرهين ما ترين من شيبي قالت: والله اني لمن نسوة احب ازواجهن اليهن الكهل، ويلي ذلك حوار دار بين نائلة وعثمان جاء في آخره، اتقومين الينا ام نقوم إليك؟ قالت ما قطعت إليك ارض السماوة، وأريد أن انثني عن عرض البيت، قالوا فلم تزل عنده حتى قتل وهي التي وقته بيدها فجذمت انامله فارسل إليها معاوية يخطبها فارسلت إليه ما ترجو من امرأة جذماء؟ ويقال أيضاً انها هشمت فاها بفهر، وقالت والله لا قعد احد مني مقعد عثمان ابداً[2].

الرياض في ديار كلب:

ويستفاد من كتب البلدانيين أن الرياض كثيرة في ديار كلب، وقد سمى ياقوت الحموي عدداً لا يستهان به من رياض بادية السماوة، وأهلها من كلب معززاً ذلك ببيت أو أكثر من الشواهد الشعرية لشعراء كلبيين، ومن الرياض المذكورة: روضة الحر، روضة الشبيكة، روضة قبلى، روضة الكريه، روضة المثرى، روضة الممالح، روضة النجود، روضة واجد[3].

---

(١) يراجع البيان والتبيين ج١: ٣١، ١٢٣، ١٣٨، ٢٠٥، ٢٥٦، ٢٦٣، ٢٢٣، ٢٨١، ٣١٠، ج ٣: ٣١، ١٢٨.

(٢) العقد الفريد ج٧ ص ٩٩ - ١٠٠.

(٣) معجم البلدان لياقوت ط المانية ج٢ - مادة روضة -

سيطرة كلب:

وعلى الإجمال كانت لكلب سيطرتها على السماوة قبل الإسلام وبعد ذلك إلى فترة تأريخية طويلة، والغالب أن البادية المذكورة كانت مأهولة بهذه القبيلة في العصر الذي أزدهرت فيه مملكة تدمر، وذلك في أواسط المائة الثالثة بعد الميلاد، وحاول بعض ملوك تدمر من العرب التقدم إلى الشرق، وضم بعض أقطاره إلى مملكتهم ولكنهم وقفوا عند حدود البادية، وكان خراب تدمر كما لا يخفى على يد بعض قياصرة الروم سنة ٢٧١ م.

نعم كلب:

حديث مطول يستفاد منه عناية كلب بماشيتها وابلها واختيار بعض الحكام جوائزهم من نعم كلب دون غيرها، ورد هذا الحديث في امالي القالي[1] وفي العقد الفريد مع شيء من التفاوت في الزيادة والنقصان[2].

كلب بين دول العراق والشام:

هذا ومما لا شك فيه أن دول الروم والفرس قبل الإسلام استخدموا بدو السماوة في حروبهم وفي شتى أغراضهم وحالفت كل دولة من تلك الدول من كان بجوارها من هؤلاء العرب في جاهليتهم، وكان البدو منهم مستخدمين بين دول العراق والشام كما نرى الآن بدو عنزة، منهم التابعون للعراق ومنهم الملحقون بالشام.

ومما لا شك فيه أيضاً أن طرق بادية السماوة في هذا اليوم هي طرقها القديمة التي سلكها الآشوريون والبابليون والروم والفراعنة في حروبهم وغزواتهم غرباً وشرقاً، ومنها نفذ قمبيز الفارسي إلى الشام، وبطليموس الرومي (٢٢٣ - ٣٢٢) إلى العراق بطريق الجوف أو تدمر.

ولا تخلو هذه البادية وخصوصاً القسم الشمالي من آثار طرق مرصوفة أنشأها الروم على الغالب بين ضواحي حمص إلى نهر الفرات، ولا ريب كذلك أنّ حرس

---

(١) الأمالي ج٣ ص ٤٤.

(٢) العقد ج١ ص ٣١٧.

المناذرة في العراق وفي الحيرة وحرس الغساسنة في الشام كانوا يجوبون هذه البادية بين الحيرة والجوف أو بينها وبين الشام.

ولنا أن نقول أن الغارات كانت سجالاً بين الغساسنة والمناذرة على حدود السماوة أو في قلب هذه البادية، وكانت لكلب في الجاهلية والإسلام خفارة القوافل التي تسلك طرق السماوة في تلك العصور.

وهذا يعني أن لمملكة المناذرة موقعها الممتاز من بلاد العرب، ولمنطقة الحيرة والكوفة خطرها في تاريخ العراق والبلاد العربية في الجاهلية والإسلام.

ويستفاد أيضاً من تضاعيف كتب التاريخ والبلدان أن قوافل التجار والسفار وبريد الدول كانت تسلك من العراق سبل المنطقة الجنوبية قبل المنطقة الوسطى التي نسلكها الآن خصوصاً في صدر الإسلام وبعد استيلاء المسلمين على العراق والشام، فكانت القوافل تخرج من الكوفة - والكوفة يومئذ دار الامارة - إلى الشام بطريق السماوة وبخفارة خفراء كلبيين ولا يخفى أنها اقصر طريق بين القطرين، ولم يكن يومئذ لبغداد ولا للعباسيين الذين أنشأوها وجود.

دولة كلب في جزيرة صقلية:

كونت كلب دولة في جزيرة صفية سميت «دولة الكلبيين» وكانت في أول آمرها تابعة للدولة الفاطمية ثم انفصلت عنها، وذلك في صدر المائة الرابعة، وقد تعاقب عليها عشرة امراء ينتسبون إلى كلب أولهم الحسن بن علي الكلبي حكم في الجزيرة من سنة ٣٣٦ إلى سنة ٣٤٧. وكانت عاصمة هذه الدولة مدينة «مازر»، وخلفه على الجزيرة جماعة من أهله وذويه آخرهم الصمصام بن تاج الدولة، حكم من سنة ٤١٧ إلى ٤٣١. وبعد ذلك استولى الافرنج على الجزيرة المذكورة، ولم يبق بيد الكلبيين منها إلاّ بعض الحصون إلى أن استخلصها منهم (رجار الفرنجي) صاحب صقلية ٤٦٤.

هذا وقد راجت لاداب اللغة العربية سوق في هذا العصر من عصور صقلية، وظهر فيها كثير من الفقهاء والشعراء والمؤلفين في فنون الأدب كابن القطاع الصقلّي صاحب تاريخ صقلية، وابي محمد عبد الجبار بن حمديس صاحب الديوان.

وحسبنا من شعراء صقلية الأمير ابو محمد الكلبي الصقلي[1] وهو القائل:

نقـــول لقـــد رأيـــت رجـــال نجـــد ... ومـــا أبـــصرت مثلـــك في يـــماني

إلى كـــم ذا الهجـــوم عـــلى المنايـــا ... وكـــم هـــذا التعـــرض للطّعـــانِ

فقلـــت لهـــا: ســـمعت بكـــل شيء ... ولم اســـمع بكلبـــي جبَـــانِ

كلب في خفارة طرق المواصلات:

كانت بلاد العرب قبل كشف الطرق التجارية البحرية الحديثة همزة الوصل بين الشرق والغرب، وكانت لكلب خفارة طرق المواصلات بين الشام والعراق والخليج الفارسي من جهة، وبين الشام وبلاد الروم من جهة أخرى.

ويستفاد من التأمل في بعض كتب التأريخ أنَّ رؤساء كلب كانوا يفيدون من خفارة القوافل بين الشام والعراق وبين الشام وبلاد الروم إلى أن تحولت حركة النقل في هذه الجهات من البرِّ إلى البحر، وبطل عمل القوافل في الأسفار البعيدة إلاّ بين بلد وآخر قريب منه.

هكذا تقلبت الاحوال بقبيلة كلب فتشرّقت وغرّبت، وبلغ من بلغ منها مدينة القسطنطينية بسبب خفارتها للقوافل الذاهبة من الشرق إليها وإلى بلاد الروم، وتيسر فيما نرى لجماعة من الكلبيين أن يعبروا من هذه الجهات إلى الأندلس بعد غلبة العرب والمسلمين على جهات من بحر الروم.

ويدعي بعض علماء طبقات الأَرض أَنَّ سواحل بحر الروم كانت ممتدة إلى بادية السماوة، محدودة بسلسلة الهضاب الرملية بين الجوف والديّار النجديّة إلى الهضاب الرملية التي تُطلق عليها الآن كلمة (النفوذ).

---

(١) تجد في خريدة القصر (قسم شعراء المغرب والأندلس والقيروان) تراجم موجزة لجماعة من امراء صقلية والقيروان من الكلبيين وكذلك لبعض القواد والكتاب وهم كثيرون، وتجد في هذا القسم فصلاً خاصاً عقده العماد الكاتب لشعراء صقلية.
وراجع ايضاً كتاب المطرب في اشعار اهل المغرب تاليف ابن دحية، وقد ترجم فيه لجماعة من الكلبيين وابن دحية الكلبي هو المحدث الأديب الرحالة صاحب كتاب التنوير في مولد السراج المنير، والنبراس في خلفاء بني العباس وقد طبع هذا الكتاب في بغداد. وراجع في هذا الباب دراسة ايضاً لنا عنوانها ادب «المغاربة والأندلسيين».

وقد أقام الروم بين دمشق وتدمر، وبين تدمر والفرات اثنين وخمسين حصناً أو قلعة بين كل مرحلة وأخرى مسافة ثلاث ساعات حفظاً للأمن وتفادياً من عبث البادية.

واذا بحثنا عن اسباب تقدم تدمر وبلوغها ذروة العمران في عهد سيطرة الروم عليها وجدنا لذلك سببين:

الأول - مرور القوافل واقامتها بها مدة.

الثاني - شهرة التدمريين دون سواهم في قيادة القوافل في المفاوز والبوادي، ومنها مفاوز بادية السماوة، وكانت من أهم طرق المواصلات.

وقد شبهوا هذه الحاضرة - أي تدمر - بمرفأ أمين على ساحل بحر البادية ترسو عندها القوافل. وقد أقيمت الاعمدة والعلامات للدلالة على الطرق بين تدمر وشواطيء الفرات.

روّاد السماوة

خالد بن الوليد، المتنبي، السمعاني

١ - خالد بن الوليد:

مرّت بنا كلمة موجزة عن رحلة خالد بن الوليد من العراق إلى الشام عن طريق بادية السماوة، وها نحن نعود إلى استيفاء هذا البحث على قدر الإمكان.

لا شك أن أوّل قائد أو صحابي فاتح أقدم على قطع بادية السماوة من الشرق إلى الغرب هو خالد بن الوليد المخزومي فاتح اليمامة والحيرة في أوائل العقد الثاني من الهجرة، وكان المسلمون المجاهدون وقائدهم أبو عبيدة بن الجرّاح في الشام بحاجة إلى نجدة عاجلة كنجدة خالد لهم، وقد اصبحت هذه الرحلة النادرة حديث الأجيال يتوارثها الخلف عن السلف إلى عصرنا هذا في جهات الحيرة والكوفة، ولا ننسى نوادر المعمرين من مشايخنا الذين كانوا يتحدثون إلينا في مجال النجف وأندية الكوفة عن أقصر طريق بين الكوفة والشام، وان من يريد قطعها لا يحتاج إلى أكثر من خمسة أيام حتى كانوا يصورونها لنا ايماءً إلى الغرب أو إلى ناحية الشام. نقول: لا شك أن هذه النوادر والاحاديث الممتعة كانت تستند في أصلها إلى رحلة خالد بن الوليد هذه من الحيرة بلد المناذرة إلى الشام ثم إلى رحلات القفول التي أصبحت تتردد بين الكوفة والشام رأساً في صدر الإسلام، وعلى عهد الراشدين، وهي طريق البادية السالكة بين القطرين في ذلك الحين، وعلى كل حال فان خالداً فوز من أحد المواضع على حدود السماوة في العراق إلى مواضع تقابلها في الجهة الأخرى من الشام، ويستفاد من رجز شعري شايع صوَّر قائله هذه الرحلة أنها بدأت من ماء من مياه المفازة في الشرق يسمى «قراقر» وانتهت إلى ماء يسمى «سوى» في الجانب الآخر من المفازة، وأن هذين الماءين كليهما من مياه قبيلة كلب وأن خالداً قطع المسافة بين قراقر وسوى في خمسة أيام.

قبيلة طي في هذه الرحلة:

ومما أجمع عليه المؤرخون في هذه الرحلة أن خالداً اعتمد فيها على دليل يقال له «رافع الطائي» وليست هذه أول رحلة لخالد بن الوليد يعتمد فيها على خبرة دليله الطائي والواقع أنه من قدامى الأدلاء أو الخبرءا بمجاهل البوادي ومياهها الذين اعتمد عليهم ابن الوليد في أوائل زحفه على اليمامة ثم على الشرق فالعراق، كما اعتمد عليه بعد ذلك في قطع مجاهل السماوة، وقد اشتد الاحتياج فيما نرى إلى هؤلاء الأدلاء والخبراء بطرق البوادي ومياهها خلال تدفق الجيوش الإسلامية على اليمامة والعراق، وعلى بادية المصرين البصرة والكوفة، وعلى بادية السماوة بعد ذلك، ويستفاد من أخبار زحوف المسلمين على العراق أنهم عنوا إذ ذاك باتخاذ هؤلاء الأدلاء أو الخبراء في طرق البادية، كما فعل المثنى ابن حارثة، وعدي بن حاتم الطائي[1].

هذا وفي حاجة خالد إلى خبرة دليله رافع الطائي برهان على المخاوف التي تنطوي عليها هذه الرحلة، وعلى أن مجاهل هذه البادية أعني بادية السماوة كانت غريبة بالنسبة إلى خالد وصحبه، وأن مواقع المياه فيها غامضة مجهولة، والواقع أن المياه لم تكن مجهولة فقط بل كانت مفقودة في قلب السماوة، ولا بد للقوافل المترددة في هذه البادية من التزود بكمية من الماء تسد حاجة الجيش خيلاً ورجالاً، ومما أجمعت عليه الروايات أيضاً في رحلة السماوة أن الضرورة - ولا يخفى أنها تفتق الحيلة - قد ألجأت خالد بن الوليد في سبيل التزود بحاجته من الماء إلى حفظه في أكراش رواحله، وذلك أنه طلب عشرين جزوراً سقاها الماء، وجعل من أكراشها مزاود له، فكان ينحر في كل مرحلة من تلك المراحل الخمس عدداً من هذه الركائب للتموّن بما في أكراشها من الماء، إلى هذا وما إليه مما يحتمل النقاش جداً إذ أن أكراش عشرين جزوراً كما ورد في النصوص بل أضعافها ملئت ماءً لا تكفي جيشاً كجيش خالد مهما كان عدده في مدة كتلك المدة، ومما لا شك فيه فيما نرى أن عدداً غير قليل من الفرسان والهجّانة في هذا الجيش الغازي كانت لهم مزاود خاصة جرت عادتهم باتخاذها، وإن لم تصرح

---

(١) تاريخ الطبري (١ / ٥٥٤).

الروايات بذلك فهي لا تخلو من غموض أو قصور على كل حال، ومن رأينا إذا صحّحنا الروايات بحذافيرها أنّ حفظ خالد للماء على تلك الصورة، وفي أكراش الرواحل ليس أكثر من مجرد احتياط.

دفع أوهام:

ولا بد لنا من القول إن سرد المؤرخين لماجريات هذه الرحلة من مبدئها في الحيرة إلى دمشق يُوهم أنها استغرقت مدة خمسة أيام فقط، وهذا غير صحيح بل غير ممكن، والصحيح أن المسافة المعنيّة في هذه الرحلة هي المسافة بين قراقر وسوى، وليس بين الكوفة والشام. وقد انتهت الرحلة من قراقر بسوى في الجانب الآخر من الشام، وحسبنا أن نحتكم إلى قول الراجز:

فوز من قراقر إلى سوى خمساً إذا ما سارها الجيش بكى

ولا ذكر في هذا الرجز كما لا يخفى للحيرة ودمشق. وهذه المسافة بين قراقر وسوى يستطيع الجيش الغازي المجد قطعها في خمسة أيام، ويحتاج الجيش قبل ذلك للوصول إلى قراقر من الحيرة إلى مسيرة أيام أخرى، وإلى الوصول من سوى إلى دمشق إلى مسيرة يومين على أقل تقدير كما دلت تجربتي على ذلك. فمجموع المدة التي استغرقتها الرحلة من الحيرة إلى دمشق تتراوح بين عشرة أيام إلى اثني عشر يوماً، ولا يمكن أن تكون خمسة أيام فقط، وهذه المدة أعني اثني عشر يوماً ليست قليلة لقطع تلك المسافة من قبل الجيش المذكور، ولا ينبغي أن تثير دهشة المؤرخين، وموضع الدهشة في رحلة خالد هذه يكمن في قطع المفازة بجيش كبير معتمداً على الخيل مضافاً الى الهجن مع فقدان المناهل والمياه فيها على الغالب، ولا غنى للخيل ولا للجيش عن كمية كبيرة من المياه في مثل هذه الرحلة.

طرق شتى:

ولا بدَّ لنا من القول أنَّ طرق المفازة المذكورة بين العراق والشام متعدّدة تختلف باختلاف مواقعها من القطرين، فمنها ما يبدأ من أقصى الجنوب فيهما، ومنها ما يبدأ من الوسط ومنها ما يبدأ من الشمال، ولكل طريق عدد معين من المراحل، وقد ورد ذكرها

مفصلاً في كتب المؤلفين في البلدان والتأريخ فمن تلك الطرق طريق تبدأ من بادية البصرة، وأخرى من بادية الكوفة، وثالثة من بادية عين التمر، وطريق رابعة تبدأ من الأنبار، هذا مضافا إلى مسالك أخرى تسلك في بادية السماوة من أعالي الفرات إلى الشام، ويُلاحظ أنَّ أقوال المؤرخين تضاربت في تعيين أي طريق من هذه الطرق سلكه أو فوّز منه خالد فانهم لم يتفقوا على تحديد نقطة البداية والنهاية فيها، وإذا علمنا أنَّ خالداً وهو في سبيل نجدته لجيش المسلمين في الشام لا مناص له من سلوك أقصر الطرق رجحنا أنه اخذ طريق الحيرة مارّاً بعيون الطف غربي النجف، ومن هذه العيون «الرهيمة» «الرحبة»، «القطقطانة»، «عين صيد»، «عين جمل» وبعدها «الحياضية»، وهي عيون معروفة في الغالب بأسمائها هذه إلى الآن خصوصاً لدى النجفيين، بل هي على الأكثر من جملة ضياع النجفيين وأملاكهم، ومن هناك سار خالد معرجاً على عين التمر إلى «قراقر» على الأرجح، وهي - أي قراقر - من مياه كلب في الجانب الشرقي أو العراقي من السماوة، وهناك رواية تاريخية تشير إلى أنّ خالداً فوز من قاعدته في الحيرة إلى «الجوف» أو «وادي السرحان» وهذه الجهات كلها تعد من بلاد كلب في ذلك الحين ثم عطف على «قراقر» ومنها فوّز إلى «سوى» وهي رواية مرجوحة، والأرجح أنّ خالداً خرج من الحيرة إلى عين التمر ثم سار منها إلى مياه قراقر، ومن هذه المياه فوّز إلى «سوى» رأساً، وهذا لا ينفي غزو خالد «لوادي القرى» و«الجوف» وفتح «دومة الجندل» وما إلى ذلك في غزاة له وقعت في غير هذا التاريخ.

رحلة المتنبي في السماوة ومقصورته في وصفها:

قام أبو الطيب المتنبي سنة ٣٥١ برحلة خطيرة من مصر إلى الكوفة قطع فيها مسافات شاسعة فاخترق أولاً بادية سيناء أو صحراء (التيه)، وثانياً بادية السماوة خرج إليها من التيه، وكان الباعث على رحلته ما ساوره من الملل والسأم وخيبة الآمال في القاهرة وفي أميرها كافور خاصة.

لم يسلك ابو الطيب في رحلته هذه تلك السبل المألوفة التي تسلكها القفول، وانما اختار طرقاً غامضة مجهولة في العادة لا يسلكها ولا يغامر فيها إلاّ قلة من خبراء

البوادي والقفار، أو كما قال عنه أحد المعنيّن بسيرته «سار على الحلل والاحياء والمفاوز المجاهيل والمياه الأواجن» ولهذه العلة اختلف من اختلف إليه من هواة الاسفار والرحلات ليحفظوا عنه اسماء المنازل والمناهل في رحلته المذكورة.

ويحسن بمن يعنيه الاطلاع على مفصل رحلة المتنبي هذه أن يرجع إلى شروح ديوانه مطبوعة ومخطوطة، ومنها شرح المعري، وشرح ابن جني ثم إلى ديوان الشاعر نفسه، ففي شعر المتنبي وصف للبادية والبدو، وهو شاعر لا يجارى في الفن المذكور. هذا وفيما يلي اسماء المراحل في رحلته بين القاهرة والكوفة.

أولاً - في صحراء سيناء:

نَجْدُ الطير، الديثة، نخل، النقاب، النقع وهو من بادية معن وسنبس، تربان منزلة فيها ماء يعرف بغرندل، حسمى، (وصلها بعد مسيرة يوم وليلة من تربان) وهي ارض جبلية فيها جبال ملساء كثيرة العشب والنبات، وتكون باديتها مسيرة ثلاثة أيام في يومين يعرفها من رآها بأنها لا مثيل لها في الدنيا، ومن جبالها جبل يقال له أرم، تزعم أهل البادية أن فيه كروماً وصنوبراً، وللمتنبي قصة طريفة في بادية حسمى مع بدوها، ويُقالُ أنّهُ أقامَ شهراً في حسمى، وله فيها وفي أهلها شعر مثبت في ديوانه، وفي مادة حسمى هذه من معجم البلدان للحموي بحث ممتع ذكر فيه موقعها وحدودها، وأورد ما قاله المتنبي عنها في الرحلة. هذا ومن يتصفح معجم ياقوت يتضح له أنّ رحلة المتنبي ومقصورته من جملة مآخذه في البحث عن الموضع والمياه بين القاهرة والكوفة.

ثانياً - في بادية السماوة:

وانتقل المتنبي من حسمى إلى بادية السماوة، وأوّل مراحله «البياض» ومن البياض إلى «رأس الصيوان» وانحرف منه إلى دومة الجندل، ثم المنازل الآتية، حدر الكفاف، البويرة بعد ثلاث ليال، بسيطة وهي أرض تقرُب من الكوفة.

بسيطة مهلاً سقيت القطارا ... تركت عيون عبيدي حيارى

فظنُّوا النَّعام عليك النخيل ... وظنُّوا الصوار عليكَ المنارا

فامسك صحبي بأكوارهم وقد قصد الضحك فيهم وجارا

وورد «العقدة»، وسقى بالجراوي، واجتاز بالأضارع فبات فيها، وسار إلى «اعكش» حتى نزل الرهيمة، ودخل الكوفة، وفي الكوفة أنشأ مقصورته وضمَّنها أسماء المراحل المذكورة.

نبذة عن المتنبي:

ولد أبو الطيب المتنبي في الكوفة. وعشيرته - وهي كندة - من اشهر عشائرها. وفي الكوفة يومئذ مجمع الأئمة والعلماء بفنون اللغة العربية، وقد شدا ما شدا منها في فترة الشباب، ومن الكوفة انتقل أبو الطيب إلى الشام مواظباً على الدرس في كنف دولة بني حمدان دولة الشعر والأدب، وعلى رأسها الأمير المجاهد سيف الدولة، وفي هذا الوطن العربي الجديد جاشت قريحته وانطلقت بديهته فاستوحى احداث الدولة الحمدانية ووقائعها مع الروم من جهة، ومع قبائل السماوة من جهة أخرى، وكانت شمائل بني حمدان واريحيتهم وعروبتهم وجهادهم واكبارهم للأدب وشغفهم بالشعر، نقول كانت من أجل مصادر الهامة في أرقى طبقة من اشعاره، فالمتنبي اذن شاعر عربي النجار والمربى، عربي الروح، بل هو إلى أن يكون بدوياً أو أعرابياً في بعض أحواله وفي ثورته وصرامته، واحتقاره للترف وتنويهه بالبدو والبداوة اقرب من أن يكون شيئاً آخر.

وطّنَ المُتنبي نفسه على تحمُّل الأذى والاعتقال في مناهضته لبعض أساليب الحكم في عصره، وقصته في خروجه من (سلمية) وهي مدينة شامية تقع على طرف بادية السماوة إلى بادية كلب هناك مأثورة، ودعواه العريضة في البادية معروفة، حتى خرج إليه أميرُ حمص وقاتله وشرد من كان معه من كلب وغيرها من قبائل العرب، وحبس الرجل ثم استيتب وافرج عنه.

ومما كان يتحدّث به أبو الطيب إلى قبائل السماوة انه خلق مشاءاً عارفاً بالفلوات وبمواقع المياه يسير سيراً لا غاية بعده من حلّة إلى أخرى وبينهما مسيرة خمسة أيام كأن الأرض تطوى له، وأحبُّ شيء إلى البدو والبادية هذه الأحاديث، واليها فيما نرى

ثقة من وثق به، وايمان من آمن بدعوته الغريبة -إذا صحَّت-، وثورة من ثار بسببها من قبائل السماوة على الأكثر.

ولا يُخامرنا أدنى شك بأن المتنبي كان خبيراً بأمزجة البدو وأهواء النفوس في البادية، ولا ينكر ذلك على من له خبرته الواسعة بطبايع الناس واسرار الحياة البشرية من جهة عامة، وشعره من أقوى الأدلة على ذلك وقد حاول بعضهم انكار هذا الضرب من معرفة المتنبي بأحوال البادية، ومواقع المياه والمناهل فيها وما إلى ذلك، ولكنهم لم يدلوا بحجة مقنعة. وفي شعر المتنبي كما لا يخفى ما فيه من الدلالة القاطعة على شغفه بالحياة البدوية والتنويه بمزايا البادية، ومقصورته التي وصف بها رحلته المذكورة، وسمّى فيها تلك المنازل والمناهل معروفة، وقد تضمّنت هجاءً مراً لكافور، وفيما يلي قطعة من هذه المقصورة:

إلاّ كل ماشية الخيزلي ... فدى كل ماشية الهيدبي[1]

وكل نجاة بُجَاويّة ... خنوف وما بي حسن المشي

ولكنهن حبال الحياة ... وكيد العداة ومِيط الاذى

صربت بها «التيه» ضرب القمار ... اما لهذا وأما لذا

إذا فزعت قدمتها الجياد ... وبيض السيوف وسُمر القنا

فمرت «بنخل» وفي ركبها ... عَن العالمين وعنه غنى

وأمَستْ تخبرنا «بالنقاب» ... ووادي المياه ووادي القِرى

وقلنا لها «أين أرضَ العراق» ... فقالت ونحن «بتربان» ها

وهبت «بجسمي» هبوب الدبور ... مستقبلات مهبّ الصبا

روامي «الكفاف وكبد الوهاد» ... وجار «البويرة» وادي الغضا

وجابت «بسيطة» جوب الرداء ... بين النعام وبين المَها

إلى «عقدة الجوف» حتى شَفتْ ... بماء «الجراوي» بعضُ الصَّدى

---

(١) الهيدبي رويت بالذال المعجمة والدال المهملة، وهي مشيه فيها سرعة.

ولاح لهـــا «صَـــوَر» والـــصباح ولاح «الـــثغور» لهـــا والـــضّحى
ومـــسّى الجُميعـــي دئـــداؤها وغـــادى «الأضـــارع» ثـــم الـــدّنا
فيـــا لـــك لـــيلاً عـــلى «أعكـــش» أحـــمّ الـــبلاد خفـــيّ الـــصُوى
وردنـــا «الرهيمـــة» في جـــوزه وباقيـــه أكثـــر ممـــا مـــضى
فلـــما أنخنـــا ركزنـــا الرّمـــاح بـــين مكارمنـــا والعُـــلى
وبتنـــا نُقبّـــل أســـيافَنا ونمـــسحُها مـــن دمـــاء العِـــدى
لـــتعلم مـــصر ومـــن بـــالعراق ومـــن بالعواصـــم أنّـــي الفتـــى

ومن محاسنه فيها:

وكـــل طريـــق أتَـــاهُ الفَتَـــى عـــلى قـــدر الرجـــل فيـــه الخطـــا
ومـــن جهلـــت نفـــسه قـــدره رأى غـــيره منـــه مـــا لا يـــرى

مغامرات المتنبي:

ولا بد لنا من القول أنّ سيرة المُتنبي شبيهةٌ بسيرة مغامر أو مقامر، غامر بحياته في اكثر من رحلة قام بها في البوادي الشاسعة، ولنا أن نقول أنه دوّخ بادية السماوة وجاب آفاقها، وأسهَم مع الأمير سيف الدولة بن حمدان في خروجه من حلب إلى قتال بدو السماوة، وهم عَشائرُ ضخمة.

وللمتنبي في وقائع سيف الدولة ببادية السماوة سنة ٣٥١ قصائد تُعدُّ من عيون شعره ذكرَ فيها المياهُ والمناهل والمنازل والخُطط في القسم الشمالي من تلك البادية.

ولا يخفى أنّ ديوان أبي الطيّب المتنبي نشر مراراً، على أن طبعة الديوان سنة ١٣٦٣ هـ في القاهرة تميزت فيما تميزت به بفصول أو مقدمات أو مصطلحات أنشَأها الشاعرُ نفسَه، وفي هذه المقدمات تفاصيل لا توجد في مكان آخر عن بادية السماوة، ووقائع سيف الدولة فيها وردت فيها أسماء المياه والمناهل وأسماء القبائل الثائرة في بادية حلب ودمشق، وهي غير أسماء المناهل والمياه والقبائل الواردة في مقصورته المتقدمة، ومن ذلك ما اسماه المتنبي هناك «طف السماوة» ويستفاد من هذا أنّ طف

السماوة أي ما اشرف منها على الريف طويل كالسماوة نفسها يمتد من طفوف الكوفة وكربلاء في العراق إلى طف حلب والشام، ومعنى ذلك أنّ المتنبي استوفى ذكر مناهل السماوة ومياهها في شعره أو في رحلاته، ولم يفته ذكر ما كان منها في الجنوب أي بين البلقاء أو بين دمشق والكوفة - كما رأيت - أو تلك المناهل والمنازل الواقعة إلى الشمال والغرب، في بوادي حلب ودمشق وحمص وسلمية.

قال في قصيدته التي أولها:

بغيرك راعياً عبث الذئابُ ... وغيرك صارماً ثلم الضرابُ

منها:

وتملك أنفس الثقلين طراً ... فكيف تحوز أنفسها كلابُ

طلبتهم على «الامواه» حتى ... تَخوّف أنْ تُفَتشه السحابُ

وتسألُ عنهم «الفلواتُ» حتى ... أجابك بعضها وهم الجوابُ

وقد خذلت أبو بكر بنيها ... وخاذلها قريظ والضّبابُ

ترفّق أيُّها المولى عليهم ... فإنَّ الرفق بالجاني عتابُ

وما جهلت أياديك «البوادي» ... ولكن رُبَّما خَفيَ الصَّوابُ

وَلو غير الأمير غَزا كلاباً ... ثناهُ عن شُموسِهم ضَبابُ

ومن ذلك قصيدته التي قالها في واقعة خطيرة ظفر فيها سيف الدولة بقبائل كثيرة ثارت عليه في بادية السماوة، ومهَّد المتنبي لهذه القصيدة بمقدمة ضافية وردت فيها جملة من اسماء المياه وركايا بادية السماوة، ومطلع القصيدة:

تذكرت ما بين العَذيب وبارق ... مجر عوالينا ومجرى السوابق

منها:

برأي من انقادت «عقيل» إلى الردى؟ ... واشِمات مخلُوق واسِخاطِ خالِقِ

فليت ابا الهيجا يرى خلفَ «تدمُر» ... طِوال العوالي في طوال السمالِقِ

وسُوق «علي» من معدٍّ وغيرها ... قبائلُ لا تعطي القفيّ لسائقِ

توهّمها الأعراب سُورة «مُتَرفٍ» تذكّرهُ البيداء ظلّ السرادقِ
فذكّرتهم بالماءِ ساعَة غبَّرتْ (سماوةَ كلب) في أنُوف الحزائقِ

ومما قاله أبو الطيب في هذه الوقعة التي لم يشهدها فشرحها له سيف الدولة وسأله أنْ يصفها:

طوال قناً، تُطاعنُا فصار وقطرك في ندىً ووغىً بحارُ
وكان بنو كلاب حيث كعب فخافوا أن يصيروا حيث صاروا
ومروا (بالجُباة) يضمُّ فيها كلا الجيشين من نقع ازارُ
وجاؤا «الصَّحصحان» بلا سُروجٍ وقد سقطَ العمامة والخمارُ
وارهقت العذاري مُردفاتٍ وأوطئت الأصيبية الصّغارُ
وقد نَزَح (الغُوير) فلا غُويرٍ و(نُهيا) و(البُيضة) و(الجَفارُ)
وليس بغير «تدمر» مستغاث وتدمرِ كاسمها لهمُ دمارُ
إذا فاتوا الرّماح تناولتهم بأرماحٍ من العطش القفارُ
يرون الموت قذاماً وخلفاً فيختارون والموت اِضطرارُ
إذا سلك «السّماوة» غير هادٍ فقتلاهُم لعينيه منارُ
ومال بها على أركٍ وعُرض وأهل الرّقتين لَها مزارُ
وأجفَل بالفرات بنو نُمير وَزأرهم الذي زأروا خُوارُ
فهم حَزق على الخابُور صَرعى بهم من شُرب غيرِهم خِمارُ

٣- السمعاني الرحالة

رحلته في طلب الحديث، زيارة العراق، السمعاني مع بدو السماوة

أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي النيسابوري مصنف كتاب الأنساب (٥٣٧ - ٦١٤) مُحدّث رحالة غرّب، وشَرَّقَ في طلب العلم والحديث، فمن جهة المشرق وصل إلى ديار السغد والترك، وفي ضمن ذلك بلاد ما وراء النهر وسمَرقند وبُخَارى، وزار بعد هذا خراسان عدّة مرات، والري،

وأصفهان، وبلاد الجبال، أما من جهة الغرب فإنه شدَّ الرحال من مرو إلى العراق والموصل والجزيرة والشام طلباً للعلم، والرواية ويُستفاد من تَصفّحَ كتابه المعروف بالأنساب أنّهُ زار عدا بغداد، والبصرة، والكوفة، التي قصدها -أعني الكوفة- خمس مرات - تكريت وباجسرى[1] القريبة من بعقوبة.

وتلعفر والرقة والأبلة والانبار متحملاً في هذه الرحلة عن عدد طائل من العلماء والمُحَدّثين.

سَلك السَّمعاني في سفره من بغداد إلى الشَّام طريق الموصل، والجزيرة، وحلب، على أنّهُ عاد من تلك البلاد إلى العراق بطريق ثانية هي «بادية السماوة»، وتفصيل ذلك كما يتضح لمن يعني بدراسة كتاب الأنساب دراسة دقيقة انه بارح دمشق آخذاً الطريق منها إلى «القريتين» ثم إلى «تدمر» ومن تدمر فوّز إلى «كبيسة» ومن «كبيسة» اتجه إلى الفرات في جهات «هيت»، و«الرمادي» و«الفلوجة» ثم إلى «دمّما» وهي القرية العراقية أو الفراتية التي خرج إليها من البادية وهو لا يصدق - كامثاله - أنه نجا بجلده من تلك المفازرة.

قبائل السماوة في عصر السمعاني:

خفاجة، عبادة، غزية، اليسار

ويلاحظ أن السمعاني اختار التفويز إلى العراق في القسم الشمالي من المفازة، وهو يبعُد بمسافة عن سمت الطريق الذي فوزّ منه كاتب هذه الكلمة من ضمير فالسبع بيار إلى «الكعرة» ثم إلى حوران ثم إلى ريف الفلوجة، هذا وفي تضاعيف رحلة السمعاني هذه طرائف ممتعة عن بدو السماوة وباديتها في ذلك الحين، وعن بعض رفقائه من البدو في الرحلة، ومنهم صاحبه أبو خفيره «أبو زيد الخفاجي» وقد روى عن الخفير المذكور نبذة من أشعارهم البدوية، ومن قبائل بادية السماوة في منتصف القرن السادس أي في عصر السمعاني قبيلة «خفاجة» و«عبادة» و«غزية» و«اليسار»، ولا يخفي أنّ هذه القبائل تقطن هذا اليوم في العراق، فخفاجة واليسار من قبائل الحلة، و«غزية» و«عبادة» وجمهرة خفاجة

---

(١) تسمى «باجسرى» الآن «ابو جسرة».

من قبائل المنتفق والبصرة، ومعنى هذا أنّ كتاب الأنساب للسّمعاني من المآخذ التي يحسن الرجوع إليها في موضوع البحث عن حركة القبائل المذكورة في حلها وترحالها، وعن هجرتها أو اقامتها واستقرارها بين العراق وبادية السماوة.

كلب في عصر السمعاني:

ويُلاحظ كذلك أن السمعاني أغفَل قبيل كلب، مع انها القبيلة التي تضاف اليها السماوة، ولا نظن تلك البادية كانت خالية منها في عصره وان فقدت سيطرتها وسطوتها القديمة، ومرد ذلك على ما أظن إلى أن عصر السمعاني هو العصر الذي بدأت فيه هجرة بعض بطون كلب من السماوة إلى الغرب أو إلى إرياف الشام وشرق الأردن وفلسطين، أو إلى المنطقة الشماليةمن الديار الحجازية في جهات «الوجه» و«العلا» فاننا رأينا في هذه الجهات عند وصولنا إليها بقطار الحجاز سنة ١٩٢٠ قبائل عدة لم تضبط أصولها أو أنسابها، ومنها «الحويطات» و«الشرارات» و«هيثم» إلى غير ذلك، وقد جوّز بعض الباحثين أن تكون في أصلها من بقايا كلب أو قضاعة، وان كانت أدلة من يرى هذا الرأي غير قاطعة، هذا وفي بحث السمعاني عن القبائل المذكورة فوائد طريفة نوردها على الطريقة الآتية:

خفاجة:

قال السمعاني في مادة «الخفاجي» من كتاب الأنساب، هذه النسبة إلى «خفاجة» وهو اسم امرأة، هكذا ذكره لي «أبو زيد الخفاجي» ولها أولاد كثر، وهم يسكنون بنواحي الكوفة، وكان أبو زيد يقول يركب منا على الخيل أكثر من ثلاثين ألف فارس سوى المشاة، وقال السّمعاني بعد ذلك: لقيت منهم - يعني من خفاجة - جماعة وصَحِبْتُهُم، ويستفاد منه أن «خفاجة» كانت في عصر السمعاني وما إليه أي في المائة السابعة من جملة قبائل بادية السماوة والكوفة، وفي كتب التاريخ والرحلات شواهد غير قليلة على ذلك، ولا شك أن هذه القبيلة هجرت البادية بعد عصر السمعاني إلى ارياف الفرات واستقرت على ضفاف الانهار، ولا يخفى أن كثرة خفاجة الآن تقيم في المنتفق أو بين الشطرة والناصرية، وهي أفخاذ عدة تعني كلها بالزراعة، ومن خفاجة فريق آخر يقيمون قرب الحلة على شاطيء الفرات ويتعاطون

الزراعة كذلك، ومن هذه القبيلة أيضاً أفخاذ متفرقة في انحاء العراق، هذا واينما وجدت خفاجة فانها القبيلة التي يحافظ على أنسابها وعلى سجاياها العربية.

كبيسة:

في مادة «الكبيسي» من كتاب الأنساب للسمعاني أنها نسبة إلى «كبيسة» بلد على طرف «برية السماوة» على أربعة فراسخ من «هيت» مما يلي الفرات، قال الرحالة المذكور نزلت بها وبت بها ليلة في منصرفي من الشام وكتبت بها عن جماعة من أهلها يعني المحدثين.

غزية عبادة:

قال السمعاني في مادة «الغزوي» «غزية» قبيلة كثيرة العدد، قال لي أبو زيدا الخفاجي في بادية السماوة: نحن - يعني خفاجة - أكثر خيلاً وفرساً وغزية أكثر عدداً ورجالاً وعبادة أكثر جملاً وبعيراً، فاما غزية وظني أنها حوالي نجد فصحبني بدوي منهم يقال له «طعّان الغزوي» وكان خفيراً منهم في بادية السماوة، وعلقت عنه شيئاً من الشعر.

وقال السمعاني في مادة «العبادي» عبادة حي من العرب كثير عددهم نزلوا على جانب الفرات، سمعت أبا زيد الخفاجي في «برية السماوة»، وقلت له: أي العرب أكثر؟. فقال: نحن أكثر خيلاً، وعبادة أكثر جملاً وغزية أكثر رجلاً، وقال: يركب من قبيلتنا خفاجة ستون ألف فارس.

دِمما....

قال السمعاني في نسبه: «الدممّي»، «دممّا» بكسر الدال المهملة وفتح الميم المشددّة هذه النسبة إلى «دممّا» وهي قرية كبيرة عند الفلوجة على الفرات دخلتها في رحلتي إلى الأنبار، ثم دخلتها عند خروجي من السماوة ينسب إليها بعض المحدثين، هذا ما جاء عن «دممّا» في كتاب الأنساب، ويستفاد منه أنها قرية من القرى الواقعة بين «الرمادي» والفلوجة، وكل هذه القرى الثلاثة أعني الأنبار، دممّا، الفلوجة تنزل عليها القفول القادمة من برية السماوة أو الخارجة من العراق إلى البادية المذكورة حتى اليوم.

قال ياقوت الحموي: «دممّا» قرية كبيرة على الفرات قرب بغداد عند الفلوجة ينسب اليها جماعة من أهل الحديث.

رحلة في بادية السماوة

المرحلة الأولى

من دمشق إلى ضمير. المكاري النجفي. رواد التجارة العراقية. رواد السماوة

الأربعاء ١٤ صفر سنة ١٣٣٩هـ/ ٢٧ تشرين الأول سنة ١٩٢٠م

في صباحه سافرنا من دمشق إلى (ضمير) في مركبة تجرها الخيول انا وبعض الرفاق العراقيين، وكان في تشييعنا إلى ظاهر دمشق بعض الأصدقاء من الدمشقيين. وقد وصلنا إلى (ضمير) بعد مسير ست ساعات. وهنا كان الملتقى برجال القفول المسافرة إلى العراق في بادية السماوة، وهي المفازة التي تفصل بين مشارف الشام وأرياف العراق. بارحنا دمشق - بعد أنْ سلخنا فيها وفي غيرها من حواضر الشام سنة كاملة - وكان ذلك في فصل من اطيب الفصول ألا وهو الخريف، والخريف هو الربيع الثاني في دمشق، وإذا قالوا لبعض حواضر العراق «أم الربيعين»، ونعم ما قالوا، فالأجمل أنْ يقولوا إنّ فصول السنة كلها ربيع في الشام، والخريف أوفق الفصول للقيام بمثل هذه الرحلة على ظهور الجمال النجيبة لأن بادية السماوة لا تعتسف في فصل الصيف أو فصل الشتاء إلاّ من قبل أهلها الموغلين في البداوة، وذلك لفقدان الحلل والمنازل وكثرة المجاهل في البادية المذكورة، وفي الفصل المذكور الذي تركنا فيه دمشق كانت الحياة تسري في تربة البلاد سريان الروح في العروق، وكنا ونحن نسير في البلد نرى النبات ينجم على غير ساق بين قطع المرمر والرخام في أعالي الشرفات والأسوار أو في ثنايا العقود والازاج، ولم نر حتى الآن تربة أمرع من تربة دمشق ولا عشباً أندى ولا أكثر طراوة أو نضارة من عشب المروج الشامية، وهكذا قل في الزروع وفي كثير من الغروس في كورة دمشق وفي الغوطة.

المكاري النجفي، رواد التجارة العراقية في الديار النجدية:

وكان مكارينا - أي الشخص الذي أكرانا رواحله من دمشق إلى بغداد - نجفياً اسمه (حسن هادي ادريس) من أسرة تتعاطى التجارة وقد تخلقت باخلاق الاعراب واصطنعت عادات أبناء البادية حتى اصهر آل ادريس إلى فخذ من شمر وتآخى القوم

فكان لهم ما لشمر وعليهم ما عليهم وذلك بحكم النظم البدوية والعصبية القبلية، وان شئت فقل بحكم الخلق العربي الذي اشتهر بالوفاء وحفظ الذمام، وقد عرف المكاري النجفي واخوانه بمضائهم ونشاطهم وميلهم إلى الكدح وحب التجارة والتمرس بالاسفار فحصلوا من هذه الناحية على ثروة لا بأس بها في تلك الأيام.

ولم ينفرد آل ادريس وحدهم بهذه الخصلة من بين النجفيين فقد عرف النجفيون ببعد الهمة في الترحال والاقدام على الاغتراب وهم من أبعد الناس نجعة في المكاسب والتجارات، شهد بذلك لهم من زارهم من الرحالين وفي مقدمتهم ابن بطوطة، وأنا أعرف أسراً من ابناء النجف تغربت عن العراق في سبيل التجارة وامتزجت بابناء نجد باديها وحاضرها وذلك بحكم الجوار وبسبب المهنة أو الاصهار إلى القوم ورأيناهم يحذون حذو البدو في أزيائهم وعاداتهم ولهجاتهم وقد مضى على بعض هذه الأسر في ذلك أكثر من قرن وكان بعضهم مقربين من أمراء «الرشيد»، ولا ينكر المنصفون من النجديين أثر هؤلاء التجار العراقيين في بلدة (حايل) وما إليها، وذلك من النواحي العمرانية والاقتصادية، وعلى الاجمال كان النجفيون في (حايل) وما إليها محور الحركة التجارية وكان لهم ربض خاص في حايل قاعدة الامارة وذلك قبل اضطرارهم إلى مبارحة الديار النجدية في أواخر أيام «الرشيد» بسبب جفاء بعض النجديين، ولا شك في أنّ خسارة حايل كانت فادحة بسبب هذا الجلاء، كما لا نشك في أنّ أمراء «السعود» لا يحبّذون مثل تلك المعاملة الجافية.

رواد السماوة:

شاهدنا على مرحلتين من عاصمة الشام اثنتين من السيارات الجديدة الثمينة غارزة في كثيب من الرمل ولم نهتد إلى السبب الذي من أجله جاءت هذه السيارات المهجورة إلى البادية. ولم يكن استعمال السيارات معروفاً في هذا الصقع، والغالب أن الغرض منها سَبَر الطريق بين العراق والشام في السماوة، وذلك لأول مرة. وكان هذا على حساب رواد هذه البادية من التجار والمستعمرين الاوربيين، وقد افلحوا بعد ذلك كما لا يخفى في الاهتداء إلى الطريق المطلوبة. هذا والطريق بين ضواحي دمشق

وضمير سهل منبسط على الأكثر تحده من الغرب جبال الشام ومن الشرق بادية السماوة ولم نجد في هذه الطريق أثراً لبلدة. اللهم إلاّ بلدة (دومه) الواقعة على محاذاة الطريق المذكورة من الغرب، وتكثر في ضواحي دومه بساتين الكروم ويعدونها من قرى الغوطة. ويخترق ضميراً جدول أو نهير صغير ينحدر إليها من الجبال الغربية. وليس في هذه القرية بساتين ولا أشجار، وجبالها القريبة منها جرداء ولكن السهل بينها وبين دمشق معشوشب أخضر فيه مروج ترعاها الماشية وتمرج فيها الأنعام.

ضمير في كتب الانساب والبلدان:

قال السمعاني[1] «الضميري» هذه النسبة إلى «ضمير» وهي قرية وحصن في آخر دمشق مما يلي أرض السماوة وإياها عني المتنبي بقوله:

لئن تركنا ضميراً عن ميامننا ... ليحدثن لمن ودّعتهم نَدمُ

وقال بعض المتأخرين:

بين عُذري وضمير عرب ... مأمن الخايف فيهم. ما جنى

كلما شنت عليهم غارة ... اغمدوا البيض وَسلّوا الأعيُنا

وذكر ضميراً ياقوت قائلاً: «ضمير مصغر موضع قرب دمشق قيل هو قرية وحصن في آخر حدود دمشق مما يلي السماوة» قال عبد الله بن قيس الرقيّات:

اقفرت منهم الفراديس فالغو ... طة ذات القرى وذات الظّلالِ

فضمير فالماطرون فحورا ... ن قفار بسابس اطلال

وهذه المواضع كلها بدمشق، وورد ذكرها في شعر للفرزدق[2] وممن ذكرها الأمير أسامة بن منقذ وقد نزل بها سنة ٥٣٠ في طريقه لدفع الدمشقيين عن صاحب بعلبك[3].

ولم يشاهد ياقوت ضميراً هذه مع أنه من أبناء الشام كما أنه رحالة مشهور. بل عول على نقل أقوال الرواة من علماء البلدان فيها كما يظهر من قوله (قيل هو قرية

---

(١) كتاب الانساب (الورقة ٣١٢).

(٢) معجم البلدان ٣ - ٤٨١ من طبعة المانية.

(٣) كتاب الاعتبار لاسامة بن منقذ ص ١٠٠ من طبعة جامعة برنستون.

وحصن) إلى آخر ما قال. هذا ولم نبت في ضمير بل بتنا في مطمأن تحيط به الجبال المجاورة للقرية من جهتها الغربية وكان ذلك مخافة اللصوص الذين لا تخلو منهم هذه الجهات، وعلى كل حال فإن ضميراً كما شاهدنا في ذلك الحين ليست أكثر من قرية بدوية صغيرة وبيوت طينية يغلب على سكانها مظاهر الفقر والاعواز.

المرحلة الثانية

من ضمير إلى الصيقل. مال الرولا. الطريق بين المنزلين. دمشق اجمة

الخميس ١٥ صفر سنة ١٣٣٩ / تشرين الأول سنة ١٩٢٠

في صباحه رحلنا من ضمير وكانت قافلتنا تتألف من نحو مائتي راحلة أو ذلول موقرة بضائع وسلعاً مرسلة من تجار دمشق إلى التجار في نجد والعراق. وشاهدنا الصحراء في ضواحي ضمير من ناحية الشمال وقد حشر فيها مال «الرولا» ومال القوم جمالهم وهذا المال من الكثرة بحيث يخال لك أنّ سيلاً دافقاً من الجمال غَمر صحراء الشام، وكلها جمال صحيحة بدينة. و«الرولا» فخذ مشهور من أفخَاذ عنزة وأميرهم نوري الشعلان. ولجمال القوم وخيلهم الأصيلة شهرة في البادية وهم من أكثر بطون عنزة ماشية وجمالا وأوفرهم راغية وثاغية وكانت حلل القوم - جمع حلة وهي الحي النزول أو الجماعة من البيوت العربية - بعيدة فلم نشاهدها في الطريق. ولما أمسى المساء نزلنا في مكان يسميه العرب (الصيقل)، والغالب انه اسم حديث أو مرتجل ولم يرد في معجم البلدان لياقوت. وكنا نسير النهار كله شوطاً واحداً لا ننزل إلاّ للغداء في نحو ساعة أو أقل ثم نقتعد غوارب رواحلنا لمتابعة السير. هذا هو ديدن القفل في هذه الرحلة. وكانت الأرض معشوشبة على مسافة مرحلة من ضمير وبعد ذلك لم نر إلاّ الرمال والتلال القاحلة، وقد صدق من قال أن دمشق أجمة تحيط بها الصحراء.

المرحلة الثالثة

من الصيقل إلى السبع بيار. أول المفازة قلق الركبان

الجمعة ١٦ صفر سنة ١٣٣٩ / ٢٩ تشرين الأول سنة ١٩٢٠

وصلنا مساء هذا اليوم بعد رحلة طويلة إلى مكان يسمى (السبع بيار) وذلك لنبيت فيه ومنه يستقي البدو من بئرين اثنتين هناك لا من (سبع آبار). وقد اطلق اسم (السبع

بيار) على مكان آخر غير هذا المكان. قال ياقوت[1]: «السبع ناحية في فلسطين بين بيت المقدس والكرك فيه سبع آبار، وسمى الموضع بذلك، وكان ملكا لعمرو بن العاص اقام به لما اعتزل الناس» واكثر الناس يروي هذا بفتح الباء قال أبو عمرو «أتت سليمان بن عبد الملك الخلافة وهو بالسبع» قال ياقوت هكذا ضبط بفتح الباء. هذا وقد بتنا في «السبع بيار» على قلق وذلك لأن المنزل مظنة لغزو الغزاة من البادية. ومن هذا المكان فوّزنا (أي قطعنا مفازة لا ماء فيها مسافتها أربعة أيام) والكلمة أعني قولهم «فوّزنا» بهذا المعنى عربية فصيحة يقال فوز بابله أي ركب بها المفازة. ولم نصل إلى الماء إلاّ ضحى اليوم الخامس وهو ما يقال له «الكَعرة» بكاف فارسية ساكنة تبعاً للّهجة الشائعة في البادية.

المرحلة الرابعة

من السبع بيار إلى المفازة. الاتجاه إلى الشرق

السبت ١٧ صفر سنة ١٣٣٩ / ٣٠ تشرين الأول سنة ١٩٢٠

وصلنا مساء هذا اليوم إلى منزل في البرية لا ماء فيه يبعد احدى عشرة ساعة بسير الابل عن (السبع بيار) وذلك بعد أن سرنا قبل طلوع الشمس، وبعد صلاة الصبح اتجهنا في مسيرنا من المنزل السابق أي من (السبع بيار) إلى جهة الشرق تماماً وكنا نتجه في سيرنا قبل ذلك شرقاً بشمال.

المرحلة الخامسة

من المفازة وإليها. بدو الشمال وبدو الجنوب. صلاة العجمان. أشهر فرسان البادية

الأحد ١٨ صفر سنة ١٣٣٩ / ٢٣ تشرين الأول سنة ١٩٢٠

رحلنا قبيل الفجر ونزلنا عند صلاة العصر في برية لا ماء فيها وذلك في طريقنا إلى ماء (الكَعرة) ولم نجد بدو الشمال أو بدو السماوة من مقيمي الصلاة وذلك على عكس اخوانهم بدو الجنوب أو بدو الديار النجدية فهم احرص ابناء الجزيرة على اقامة الصلاة خصوصاً الصلاة الجامعة. وقد رافقت مرة قافلة كبيرة من العجمان وهم قبيلة

---

(١) معجم البلدان: ٣ - ٣٤.

ضخمة من قبائل (الاحساء) كان أحب شيء اليهم أداء فريضة الصلاة جماعة وقد حمدنا رفقة هؤلاء العجمان وذلك في رحلة سالفة من العراق إلى قلب الجزيرة العربية. وكانوا أهل فطنة وذكاء فطري عجيب قالوا لي مرة: انت اقرأ من في القافلة فعليك أن تؤمنا في الصلاة فلم يسعني إلاّ النزول على رغبة القوم. وكان أميرهم إذ ذاك (ضيدان بن حثلين) وهو من أشهر فرسان البادية وأنبل زعماء القبائل العربية في الجنوب على ما رأيناه.

العجمان وأمراؤهم من آل حثلين:

وضيدان بن حثلين هذا هو الأمير، وهو الأعناق الخفير المسؤول عن قافلتنا، وهو الحارس اليقظان إذا غلب النعاس على العيون وإذا مالت الأعناق على الأكوار، فإذا انقطعت احدى الرواحل أوهامت في البرية نادانا بأعلى صوته « يا راعي الذلول اللي غدت»، يعني يا صاحب الراحلة الشاردة، ولا يكف ضيدان عن ندائه إلى أن تعود تلك الراحلة إلى الجادة، فهو نموذج من نماذج الفتوة والفروسية، وحسبنا أنه كان يمتطي في هذه الرحلة الشاقة صهوات الخيل لا غوارب الجمال، ولا يخفى ما تحتاج إليه الخيل الأصيلة في مثل هذه الرحلات من عناية ورياضة بخلاف الجمل فالجمل كصاحبه البدوي قليل الكلفة ضئيل المؤونة، وكان في نية ابن حثلين أن يهدي خيوله إلى شريف مكة غير أن أمير «حايل» وكنا ضيوفه عند الوصول إلى هذه المدينة - أقنع أمير العجمان هذا بالمكث عنده وألا يتعدى حدود نجد في هذه الرحلة، وهكذا أصبحت تلك الخيول الأصيلة من نصيب ابن الرشيد أمير حايل، ويدعى هذا الأمير «سعود بن عبد العزيز» وقد اجتمعنا به في دار امارته بحايل، وكان في مقتبل عمره إذ ذاك ثم أنه قتل بعد ذلك بمدة قليلة، وجاءنا خبر مقتله في العراق وذلك في أواخر سنة ١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ أو بعد ذلك بقليل، قتله قريب له من آل الرشيد يدعى «محمّد بن طلال»، وقُتل القاتل على الفور، وقد كان سعود هذا آخر أمير من هذه الأسرة «أسرة الرشيد» وبمقتله انقرضت هذه الامارة النجدية، أما مدينة «حايل» فإنها تقع في الوادي الذي يطل عليه جبل «أجا»، والبلدة بالغة الجمال والنظافة، وطراز بنائها عربي، ويحيط

بها سور ذو أبراج وبساتين كثيرة، ولا بد لنا من القول: إن صاحبنا ضيدان بن حثلين كان كما رأيناه منهوماً بالصيد يسير في طليعة قافلتنا، وطالما سمعنا دوي سلاحه في تلك الأودية السحيقة ثم يعود إلى القافلة بصيده ويوزع أطايب لحومه على الجماعات، وقد ذكرت بفتّوة الأمير ابن حثلين وشغفه بالصيد قول عبد الله بن الحسن وقد سأله أبو جعفر المنصور عن سبب تخلف ولديه قائلاً في الاعتذار عنهما «منهومان في الصيد» أما «العجمان» فانها أخطر قبائل الجنوب جنوب الجزيرة العربية، ويتنقلون بين بادية الأحساء و«الهفوف» و«العقير» و«البحرين» حتى «الكويت» وقد رأيناهم واجتمعنا بهم وحمدنا صحبتهم في بادية الكويت، ولهذه القبيلة ولزعمائها آل حثلين في تاريخ نجد الحديث ذكر غير قليل، ولها وقايع مشهورة في أطراف الجزيرة مع آل سعود، وقد ثار العجمان على ابن سعود وقتلوا أخاه سعداً سنة ١٣٣٣، هذا مع أن بين العجمان وآل سعود مصاهرة، ويعتبر العجمان أو آل حثلين أخوالاً لجماعة من آل سعود يقال لهم «العرايف»، ومن أشهر زعماء العجمان قبل صاحبنا ضيدان «راكان بن حثلين» وكان راكان في فترة من الزمن حليفاً لأمراء البحرين في خلافهم مع آل سعود. ومما يُذكر في تاريخ نجد الحديث أنّ امرأةً نجدية يقال لها «بنت العجمي» قتلت قاتل أبيها وهو ابن حثلين شيخ العجمان.

المرحلة السادسة

إلى الولج. منازل لا أثر للحياة فيها

الاثنين ١٩ صفر سنة ١٣٣٩ / ١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

سرنا في هذا اليوم عشر ساعات وكان رواحنا على منزل يسمى (الولج) وهو مثل الشعب أو الوادي الصغير في البرية بيد أنه رملة لا أثر للحياة ولا للماء فيها ولم يذكره ياقوت وإنما ذكر (الولج والولجة) على أنها مواضع في الحجاز والعراق والمغرب[1]، والغالب أن الولج اسم قديم لهذا المكان، قال الفيروز آبادي: الولج الطريق في الرمل.

(١) معجم البلدان ٢ - ٣٥١ و١ - ١٥١ و٤ - ٩٣٩ من طبع المائية.

المرحلة السابعة

الرحيل من الولج. وادي صواب. وادي صوّيب. وادي الهري. مبيتنا فيه. وادي حنيفة وعلاقته بالسماوة

الثلاثاء ٢٠ صفر سنة ١٣٣٩ / ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

رحلنا من الولج بعد صلة الصبح ومررنا في طريقنا على كثير من الأودية والشعاب من جملتها وادي (صواب) و(صويّب) واللفظتان على الأكثر من جملة الأعلام أو أسماء الأماكن المرتجلة عند المتأخرين من أهل البادية. والواديان المذكوران من أودية بادية السماوة، ولا شك في أن قدماء البدو والعرب في الجاهلة وصدر الإسلام كانوا يعرفون هذه الأودية بغير هذه الاسماء. ووادي (صواب) و(صويّب) من روافد وادي حنيفة الكبير كما قيل لنا أو كما يدعي العرب في بادية السماوة ولا يوجد لهذه الأسماء ذكر في كتب البلدان المعروفة، ومن الأودية التي عبرناها هذا اليوم وادٍ يسمى (الهري) وكان رواحنا إليه في الساعة الحادية عشرة من هذا النهار وذلك بحسب المواقيت العربية. وكان مبيتنا فيه، وليس في هذا الطريق الذي سلكناه من ضمير إلى الولج أي من المرحلة الأولى إلى المرحلة السابعة أثر ظاهر ولا جبل عال وانما هو أرض مستوية تتخللها الأودية والأخاديد والوهاد منها الرملية اللينة ومنها الجلدة الصلبة وكلها جافة.

بحث بلداني، وادي حنيفة وعلاقته بالسماوة:

قيل لنا في البادية أن «صواب» و«صويّب» من روافد وادي حنيفة وهو قول يحتاج إلى اثبات لأن وادي حنيفة أو وادي اليمامة هو أكبر الأودية في الديار النجدية الجنوبية، ومجراه بين اليمن والحجار ثم يخترق الديار النجديّة، ويُطلق على العارض وعلى اليمامة، ومن مدنه «الرياض» قاعدة البلاد المذكورة الآن كما انه يسمى (يبرين) قرب «هجر» «والأحساء» وهو أغزر أودية نجد بالمياه. ولا بد لنا من القول إن «الرياض» اسم حديث لهذه المدينة النجديّة الكبيرة، وكانت تعرف باسم «حجر اليمامة» في عصور الجاهلية.

والخلاصة: يجيء هذا الوادي من جهات اليمن ويُحاذي الحجار ثم يخترق نجداً واليمامة ويسمى هنا وادي «الرّمة» في العصور القديمة ووادي «حنيفة» إلى أني صل إلى

«الدهناء» وإلى بوادي هجر والاحساء، طوله مسيرة شهرين، وتسكنه أفناء القبائل العربية.

هذا ولما كانت أكثر بلاد العرب مفاوز مترامية الأطراف راق لأبنائها أن يوصلوا بين أطرافها المترامية وأنْ يجعلوا من هذه الأودية أداة تربط بعض أجزائها ببعض ولو كان ذلك محالاً وتخريفاً في بعض الأحيان. ومن ذلك زعمهم أنّ الدهناء وهو واد كبير عُرف بهذا الاسم في نجد، إذا مرّ في بلاد بني أسد يسمُّونه (منعج) ثم في غطفان فيسمُّونه الرمة ثم في بلاد طي فيسمونه حايل ثم يمر ببلاد كلب فيسمونه قراقر ثم يمر في بلاد تغلب فيسمونه «سوى» وإذا انتهى اليهم عطف إلى بلاد كلب فيصير إلى النيل[1] وقد رأينا نحن الدهناء في رحلة لنا قمنا بها سنة ١٣٣٧ - ١٩١٩ وهي وادي عظيم جداً يقع شرقي الجبال الرملية بمسافة قليلة ومنه تدخل القوافل في الجبال الرملية المذكورة المعروفة الآن على ألسنة البدو بالنفود.

بحث في تسمية هذا الوادي:

ولم يذكر لنا أحد سبب تسمية هذا الوادي (وادي حنيفة) ومن الجائز أن يكون منسوباً إلى «بني حنيفة» رهط مسيلمة الكذاب، وبنو حنيفة هؤلاء قبائل جاهلية قديمة من بكر بن وائل ومساكنهم في اليمامة. وفيها قاتلهم خالد بن الوليد وقتل مسيلمة الكذاب. كما هو مشروح في كتب السير والأخبار. ووادي حنيفة الذي ينسب إلى هذه القبائل يشطر بلاد اليمامة إلى شطرين وهو مشهور بخصبه وكثرة ما فيه من المياه والمزارع والبساتين وهو إلى حدود اقليم «الخرج» لبني حنيفة.

المرحلة الثامنة

من الهري إلى الكعرة. تدفق السيول. البادية المعطرة. المناهل والمنازل في نجد والسماوة. استيفاء الأتاوة. الدهامشة من بطون عنزة

الأربعاء ٢١ صفر سنة ١٣٢٩ / ٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

رحلنا من (الهري) بعد صلاة الصبح نريد (القعرة) وبعد مسير ساعتين وصلنا إلى مضيق أدانا إلى وادٍ رهيب طويل تحده هضاب وجبال ذلك هو وادي (القعرة) أو

(١) معجم البلدان ٢ - ٦٣٠ و ٦٣١.

(الكعرة) كما يلفظها البدو، والقعرة في اصطلاح الاعراب مطمأن عميق بين هضاب أو كثبان مرتفعة لا يخلو أحياناً من الماء. وقاطعنا في نهاية هذا المضيق واد عريض جميل، ومما زاده جمالاً تدفق السيل إليه وفيضان الماء العذب الغزير فيه، وفي ذلك دليل على هطول أمطار عظيمة في البادية وقد اضطررنا إلى التلبث قليلاً الى أن تيسّر لنا ولرواحلنا العبور من بعض المجاري الضحلة في الوادي المذكور وهذا أول مشهد جميل نشهده للسيول في بادية السماوة.

البادية المعطرة وأعشابها الحرة:

وتكثر في وادي الكَعرة الأنبتة الذكية الرائحة المشهورة في بلاد العرب، ومن جملتها الشيح والقيصوم، وكان عبيرها الفياح وأريجها الذكي يعطر الأرجاء وينعش الأرواح، وتكثر هذه الأنبتة الذكية عادة في بعض الأودية النجدية الجنوبية ولم نعهد مثل هذه الأعشاب ولا مثل شذاها المتضوع في بادية السماوة إلاّ في هذا المكان، ولا ننسى أن قافلة لنا عَيرت أحد الأودية النجديّة الجُنوبيّة في طريقنا إلى حايل من العراق وذلك في الهزيع الأول من الليل ففاحت في البيداء عطور فاغمة منعشة، وكان في الوادي كثير من هشيم الشّيح والقيصُوم وغيرهما من الأعشاب الذكية ولولا مناسم الإبل لم يشعر المسافرون بوجود هذه الأنبتة فقامت مناسم الابل مقام الآلات في سحق ذلك الهشيم وقد حمل شذاها الينا نسيم البادية. هذا ويوجد الشيح وكذلك القيصوم في بعض أودية التيه أي صحراء سينا.

المناهل والمنازل في نجد والسماوة

سرنا في ثنية الكعرة ثلاث ساعات ثم وصلنا إلى الماء الذي كنا فقدناه من (السبع بيار) وقد مضى علينا بهذا اليوم أربعة أيام كاملة في بادية السماوة وذلك بعد منزلنا في السبع بيار لم ننزل خلالها على ماء ولا شاهدنا أثراً لبئر أو قليب كما كنا نتبرّض مما حملناه معنا من ماء السبع بيار، وكان القلق يشتد بالقافلة يوماً بعد آخر لقلة الماء، ولولا أننا في فصل الخريف ننعم بنسيمه العليل في البادية لوقعنا في مأزق حرج، فهذه المفازة يتعذر سلوكها في موسم الهواجر وأيام القيظ إلاّ على بعض أبنائها من البدو

والأعراب، ومن ذلك علمنا أن مواقع المياه في أواسط بادية السماوة نادرة جداً وأنّ بين مناهلها مفاوز شاسعة أو مجاهل لا تسلك إلاّ مع ذوي الخبرة من الأدّلاء أو الأعراب. وهذا هو شأن هذه البادية منذ الأزل فهي بهذا تختلف إلى حد ما عن بادية نجد المجاورة للسماوة من الجنوب وفيها طريق الحاج من العراق، إذ هي - أعني بادية نجد - كثيرة المنازل متعددة المناهل في شتى الجهات.

الدهامشة

ولما خرجنا من الوادي استقبل قافلتنا بعض الفرسان الأشداء من العرب النازلين على (الكَعرة) وكانوا يقصدون إيصال قافلتنا إلى الماء، ولم تكن القافلة إلاّ بمثابة غنيمة باردة للقوم، وكان في وسعهم نهبها لولا من معنا من وجهاء عنزة ولولا مارضخناهم به من أتاوة وغمرناهم به من نحلان، وكان استقبال القوم للقافلة استقبال الواثق المطمئن من وصولنا إلى حلتهم ونزولنا على حكمهم وهذا هو شأن القوم. لا تخفى عن البدوي خافية من أمور القوافل والطرق التي يسلكها التجار غالباً، فأخبار القوافل في حلها وترحالها وفي الجهات التي تتجه إليها على طرف التمام من القوم وذلك لما لهم من عيون وأرصاد على حدود البادية أو أينما تقاطعت الطرق في داخلها. وأهل البادية كأهل مكة أدرى بشعابها وبعض البدو يسايرون القافلة من بعيد أو يراقبونها إلى أن تقع في الفخ الذي نصبه لها القوم، ولا سلطة لغير البدوي في البادية فهي ملجؤه ومأواه بل هي وما فيها ملك القوم وميراثهم الذي انتقل اليهم من الآباء والأجداد وقد جبلوا ثراها بدمائهم وأفنتهم الوقائع والحروب فيها، هذا على ما يقاسونه فيها من بؤس ونكد في الحياة. وهؤلاء العرب النازلون على ماء الكَعرة هم «الدهامشة» بطن معروف من أشهر بطون «العمارات» من عنزة، أما رئيس الدهامشة فهو (جَزّاع بن مجلاد) وقد أخذُوا على كل حمل بعير ثلاثة دنانير وأخذُوا غير ذلك من السّلاح والأمتعة التي حملها التُّجار من دمشق إلى نجد والعراق.

«لاهة والسكعرة»

أمسى المساء علينا في هذا المنزل وبتنا على مقربة من حلة الشيخ جزاع بن مجلاد، وليس في معجم البلدان ذكر لوادي الكعرة، وقد جاء في مراصد الاطلاع: أن

القعراء - تأنيث الأقعر - اسم ماء أو بقعة، ولم يزد على ذلك[1] ويقول أبناء البادية إنّ الكَعرة مشتى حسن من مشاتي السماوة وأكثر من يشتي به من عنزة «إلاّ سبعة» و«الدهامشة»، ويقولون مثل ذلك عن «لاهة» ولاهه على ما يقول ياقوت[2]: قارة بالسماوة، ولم نرها في هذه الطريق فلابد أن تكون غير بعيدة عن الكعرة، ومن الجائز أن تكون «قارة لاهة والكعرة» شيئاً واحداً، وقد نقل ياقوت في لاهة قصة غريبة عن الكهانة حدث بها المُفضّل بن سَلمة.

المرحلة التاسعة

من حلة ابن مجلاد إلى العفايف. خرافات بدوية، الجن والغيلان. القارة والقعرة

الخميس ٢٢ صفر سنة ١٣٣٩ / ٤ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

رحلنا من مضارب الدهامشة أو من حلة ابن مجلاد في الساعة الثالثة والنصف نهاراً ونزلنا الساحة التاسعة بين (العفايف) و(الحلقوم) في طريق معشوشبة خضراء. أما (العفايف) فهي حزون وهضاب تقع على يمين المشرقين إلى العراق. ويقول البدو أن العفايف مسكونة بالجن يسمعون غناءهم ونقرهم على الدفوف ولا يكادون يقاربونها بالنزول، وهكذا فعلنا نحن فقد نزلنا بحيث نراها من بعيد وكان فينا رغبة في الوصول إلى حزون العفايف وذلك للتأكد من دعوى البدو والوقوف على حقيقة زعمهم فيما يتعلق بتلك الأصوات المنبعثة من جوف الأرض، ولكن لم يتيسر لنا ذلك لتشاؤم القفل من مقاربتها، ويحسن فيما نرى التنقيب في هضاب العفايف على طريقة علمية حديثة وذلك من أجل الوقوف على حقيقة ما يدعيه الأعراب في هذه الجهات. هذا ونرجح أن لفظة «الكَعرة» كما يلفظها البدو محرفة عن «القارة»؛ والقارة في اللغة وفي الكلام البلدانيين تعني: الأكمة، أو الحرّة وهي أرض ذات حجارة سود، متفرقة خشنة. وفي معاجم البلدان العربية وفي مقدمتها معجم ياقوت الحموي بحوث عن هذه القارات.

---

(١) مراصد الاطلاع ٢ / ٤٣٦.

(٢) انظر معجم البلدان ١ - ١٧٨.

أوهامُ العرب:

وقد أذكرني في منزلنا في العفايف وخرافات أصحابنا بأوهام العرب الأولين في الجن والغيلان والسعلاة، ومن ذلك قولهم، إنهم يسمعون عزيف الجن وتغول الغيلان كما قالوا إنهم يرون الجن ويخاطبونهم ويشاهدون الغيلان وربما تزوجوها، وكان عمرو بن يربوع على زعمهم متولداً من السعلاة والإنسان، ويدعون أن للجن غراماً أو تعلقاً ببعض حيواناتهم، قالوا: والإبل الحوشية منسوبة إلى الحوش وهي فحول جن ضربت في نعم بعضهم فنسبت إليها، والحوش بلاد الجن من وراء «يبرين» لا يسكنها أحد من الناس: و«أبرق العزّاف» وهو جبل بالدهناء سمي بذلك لأنهم يسمعون به عزيف الجن، وفي هذا الموضوع كتب مصنفة مثل «كتاب الجن» و «كتاب أخبار الجن وأشعارهم» وكلاهما لابن الكلبي، وكانت بعض أحيائهم في الجاهلية تعبد الجان كما كان آخرون يعتقدون أن لهم تابعاً أي خادماً أو صاحباً من الجن يتحدث إليهم فيحدثهم بالكوائن وينبئهم بما يجري في مستقبل الأيام، وقد أبطل الإسلام هذه الأوهام السخيفة، وللعرب في ذلك أحاديث رائعة وقصص طريفة وأشعار:

أتوا ناري فقلت منون أنتم ... فقالوا الجن قلت عموا سلاما

وقد علل الجاحظ أوهام العرب في هذا الباب بوحدة القوم وعزلتهم في البوادي الموحشة واتساع أخيلتهم وسذاجة حياتهم، يضاف إلى ذلك بطالة القوم وتعذر العمل عليهم وفقدان وسائل التسلية بين ظهرانيهم، وهو كما ترى تعليل لطيف مرجعه - كما يرى الجاحظ - إلى البيئة العربية ومرده إلى الفراغ العظيم في حياة البادية.

هذا ولا ذكر للعفايف في كتب البلدان بهذا المعنى، أما الحلقوم فهو سهل منبسط تجاه العفايف قال الابيوردي[1]: لبن هضبة حمراء في بلاد بني عمرو بن كلاب باعلى الحلقوم وليس من المؤكد أن الابيوردي قصد هذا المكان فليحقق ذلك من يعني بهذا الموضوع.

(١) انظر معجم البلدان ١ - ٣٤٩ طبع المانية.

المرحلة العاشرة

من العفايف إلى الضايع والضويع. ليلة الضويع. وسائل الدفاع

الجمعة ٢٣ صفر سنة ١٣٣٩ / ٥ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

سرنا صباحاً في المنزل المتقدم ذكره ومررنا على هضاب على واد يقال له (الضايع) ثم وصلنا إلى واد آخر يقال له (الضويع) والكلمتان من الأعلام المرتجلة للأماكن المذكورة وكان مبيتنا في الوادي الأخير أعني (الضويع) وقد استحوذ علينا القلق في ليلة الضويع ولم تغمض لصحبنا عين حتى الصباح وذلك لاشتباهنا بغارة يشنها علينا جيش من البدو الغزاة، ومن عادة القوافل التي تقطع البوادي إذا توقعت شراً أو بوغتت بغزو أن تنتظم في شكل دائرة تامة يحيط بها أحمال البضائع وبعدها الرواحل والجمال يكمن خلفها الرجال بأسلحتهم كما يكمن الجنود في خنادقهم متأهبين للطوارئ، وهكذا فعلنا نحن في تلك الليلة وكنا نطلق النار بكثرة على أشباح وهمية، وما أكثر الأشباح في آفاق الصحراء. ولما أصبح الصباح ظهر لنا أننا كنا نطلق النار على كلب تائه أظل أهله وراح يتبع آثار القافلة.

المرحلة الحادية عشرة

من الضويع إلى حوران. مناظر رائعة. آبار السقيا. بدو الصليب على الماء. شراذم الصلبة. من الوادي إلى البرية

السبت ٢٤ صفر سنة ١٣٣٩ / ٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

رحلنا من الضويع بعد صلاة الصبح ووصلنا إلى وادي (حوران) في الساعة الخامسة والثلث، والمناظر في وادي حوران رائعة جداً. وفي الوادي هضاب وجبال شاهقة تتكون من صخور سوداء أو صخور ملونة عظيمة. وسرنا بعد أن استقينا وسقينا رواحلنا من مكان يسمى (محيور) وهو أعمق مكان في بطن الوادي فيه آبار عذبة. وقد سقتنا إليها جماعة من (الصليب) ولما رأوا قافلتنا تنحوا لها عن الماء بدون طلب منا، ولا تخلو بادية السماوة من شراذم «الصلبة» ومنهم قوم يقال لهم آل «طرفة» وكان مسيرنا من حوران بعد الظهر فأصعدنا في مضيق وعر صعب المرتقى ونفذنا منه إلى

برية فسيحة وفضاء طلق طابت به نفوسنا وهو مكان يسميه البدو (معيشر) وفيه كان (معشانا) كما يقول البدو أو متعشانا كما ينبغي أن يقال ويقصدون بمعشاهم المكان الذي ينزلونه لأجل تناول العشاء والمبيت فيه كما أنهم يقولون (المُضحّى) بالتضعيف للمكان ينزلونه عند الضحى. وكان العرب الفصحاء والمستعربون القدماء يستعملون لتأدية هذا المعنى كلمة (المغدي) و(المراح) فالمغدي منزلهم في الغداة والمراح منزلهم أو منزل ركبانهم في المساء، وأصله من غدو الرعاة ورواحهم بماشيتهم، وفي الآية الكريمة «ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون».

المرحلة الثانية عشرة

الأحد ٢٥ صفر سنة ١٣٣٩ / ٧ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

سرنا من (معيشر) بعد صلاة الصبح ونزلنا مساء في مكان يدعى (الفريدة) يلفظها البدو بالتشديد ومررنا في منتصف الطريق على وادي (الغامق).

المرحلة الثالثة عشر

الاثنين ٢٦ صفر سنة ١٣٣٩ / ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

سرنا صباحاً من (الفريدة) ومررنا عند الظهر على واد يسمى (اربيان) وطالعنا العصر حيلة (ابن ظبيان) من (السويلمات) وهؤلاء السويلمات «والمحينات» الآتي ذكرهم فرعان من فروع الدهامشة ولكنهم مسالمون مطيعون للشيخ فهد بن هذال ثم جزناهم إلى حلة (المحينات) من القوم ونزلنا عندهم ومعنا كبيرهم (محمّد الماضي) وهو من جملة رفاقنا في القافلة منذ أول خروجها من الشام. وبقيت هذه الألفة والصداقة الوثيقة بيني وبين «محمّد الماضي» مدة طويلة بعد السكون في العراق، كان يزورني ويتفقدني من حين إلى آخر، وكان السبب الأول والأخير في ذلك مجرد تعارفنا على بساط البادية الذهبي، وهذه صورة جميلة من صور الوفاء عند أبناء البادية وعادة اجتماعية حميدة عن عاداتهم، ولا تكاد توجد عند غيرهم من الأقوام، وما أكثر أصدقاء صاحبنا محمّد الماضي من أبناء العراق والشام ونجد والسماوة، وحواضر الأقطار العربية

المرحلة الرابعة عشرة

الثلاثاء ٢٧ صفر سنة ١٣٣٩ / ٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

في صباح هذا اليوم انقسمت قافلتنا إلى فريقين فريق (عقيل) النجديين غادرونا إلى الجنوب ووجهتهم الديار النجدية وبقينا نحن عند (المحينات) وفي ضيافتهم وذهبت رواحلنا إلى الماء ودعينا عشاء إلى بيت (غازي) أحد زعماء (المحينات) وكانت معي بندقية جيدة اشتراها النجديون ودفعنا ثمنها أجرة لخفارة القافلة من قبل هؤلاء النجديين، وهؤلاء الخفراء يتقاضون أجوراً كبيرة لقاء خفارة القوافل في البادية، وكان معنا خفير شمري يخفر قافلتنا من شمر وخضراء مختلفون من عنزة، ويحق لكل فرد من أفراد القبيلة تخفير القوافل ولا يشترط أن يكون الخفير زعيماً معروفاً أو من أُسرة فيها زعامة القبيلة تخفير القوافل ولا يشترط أن يكون الخفير زعيماً معروفاً أو من أسرة فيها زعامة القبيلة وان كان ذلك مرغوباً فيه، ويمنح الخفراء مكافأة غير قليلة في بادية السماوة ويبالغ القوم في اكرامهم وقد جمعنا في أول مرحلة من مراحلنا من الشام ستمائة دينار (ذهبا) لسد أجور الخفراء ثم ظهر لنا أن هذه المبالغ غير كافية، والواقع أنها غير كثيرة أيضاً بالنظر إلى قيمة البضائع وكثرة الأموال التي تحملها القافلة.

المرحلة الخامسة عشرة

٢٨ صفر سنة ١٣٣٩ / ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

أمضينا هذا اليوم أيضاً عند (المحينات) وقد اعتذر الينا زعماء القوم عما أسموه تقصيراً في الضيافة وذلك لأن مواشيهم كانت تنتجع الكلأ في أماكن بعيدة، وكانوا يقدمون لنا جفان الثريد أو الرز مكللة بلحوم الأرانب وقد أصبنا من هذه اللحوم ونحن لا نعرف أنها لحوم أرانب لأننا في العراق لا نستمرئ هذه المطاعم بل نعاف هذه اللحوم وكان لحم الأرانب البرية شبيهاً بلحم الفراخ كما كانت أمراقها مماثلة لامراق الدواجن المذكورة.

آداب المآكل في البادية:

دعينا إلى تناول طعام العشاء بعد المغرب وقد أرخى الظلام سدوله على بيوت القوم وغاب العرب المضيفون عنا ساعة، وأطفأوا الضياء كل ذلك حرصاً على حرية

أضيافهم ساعة تناول الطعام، وهذه هي عادة قبيلة عنزة وقد توجد عند غيرهم من أحياء العرب، وهؤلاء القوم على ما هم عليه من صعلكة وفاقة تنم ملامحم عن شرف ونجابة وتشعر حركاتهم بنجدة وشهامة وتدل أقوالهم على حكمة وحصافة.

الموقـــدون بليـــل نـــار باديـــة لا يحضرون وفقد العز في الحَضر

ومما لاحظناه أنّ رفاقنا من بَدو وعرب كانوا يتحلّقُون حلقات كبيرة في كل منزلَ نزلنا فيه وكل حلقة منهم مغتبطة فرحة بما لديها من إعداد مأكل أو تحضير قهوة كما كانوا يقطعون شطراً من وقتهم بالتحدّث عن ماجريات البادية قديمها وحديثها أو في انشاد قطع من الأشعار البدوية.

حماسة أميرة بدوية:

أنشدني خفيرنا الشمري للأميرة منيرة بنت عبد العزيز الرشيد أمير حائل ترثي أباها وتذكر بعض حروبه ووقائعه، وهو مشهور بكثرة المغازي والحروب.

مرحـــوم صـــبح الاثنـــين مـــداد خـــذه ثـــمان ســـنين بـــس العـــلام
يـا مـا حـلا وجـامن الـشرق تنتـين معهـن بـشاير لحمـود بـيهن سـلام
مـن عكـب أبويـا حايـل مـا بهـا خـير يـذكر عـلى الـسبعان[1] ورد الإمـام
يـا متعـب وحـذرك مـن الربـع لادنـين الكـل يبغـي فتخـة بهـا رشـام
يـا متعـب رح بـشمر واوفـوا الـدين شـمر أهـل ردات يـوم الزحـام

وقد لفتني رفيق لي في هذه الرحلة وهو من كبار الضباط العراقيين ومن صنف أركان الحرب إلى حلقة تحلّق فيها البدو وهم مغرقون في الضحك ممعنون في تعاطي النكت مغتبطون بما هم عليه، وكان هذا شأنهم منذ رافقناهم إلى أن فارقناهم، قال لي هذا الرفيق

---

(١) السبعان واد أو قرية من قرى حايل، وتلفظ كلمة السبعان في البادية على زنة سمعان على انها تضبط في كتب البلدان بفتح الأول وضم الثاني وتلفظ بصيغة التثنية التي مفردها (سبع) وما كان السبعان الذي رايناه - وهو على قيد مرحلة واحدة من مدينة حايل شرقاً - اكثر من واد صغير قليل الماء خال من السكان ولكنهم في البادية يقولون السبعان بلد عامر بالنخل والزرع ويعدونه من جملة قرى حايل إلى الجنوب، وقد حوصرت بلدة السبعان هذه في زحف السعوديين على هذا الاقليم لاستخلاصه من آل الرشيد حتى اضطر أهلها إلى التسليم.

وهو ممن ضرسته الأحداث وحنكته التجارب تاركة في ملامحه آثاراً لا تزول: ألا يطيف الهم يوماً بقلوب أبناء البادية، ألا يتألمون كما تَتألم، أليس في نمط حياتهم ما يبعث على الفكر أو يشغل البال عن هذا المرح والدعابة؟ ثم أجاب الرفيق نفسه قائلاً: كلا إن الحياة عند القوم هي حياة الفطرة، إن نمطهم في الحياة يختلف عن نمط حياتنا في بلاد الحضارة فأبناء البادية لا يعرفون ما يعرفه أبناء الحواضر من هموم ولا يحملون ما نحمله نحن من أعبائها الثقيلة ومطالبها الكثيرة، وقد أصاب الرفيق فيما قال فإن السكينة والهدوء صفتان لازمتان للمعيشة في البادية. أما في الحاضرة فلا مفر من الصخب والضوضاء.

المرحلة السادسة عشرة

الخميس ٢٩ صفر ١٣٣٩ / ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

سرنا من حلّه (المحينات) بعد الطلوع ومررنا في الساعة السابعة على وادٍ كبير هو وادي (الغدف) ووجدنا فيه بقايا ماء السيول فشربت الابل وأخذنا حاجتنا من «الاحساء» احتفرها البدو. والغدف لغة: الخطب والنعمة والسعة. وقد وجدناه والحق يقال من أخصب الأودية في بادية السماوة. ولا ذكر لهذا الوادي في معجم البلدان. ويقع وادي الغدف بموجب بعض المصورات الجغرافية الحديثة[1] في بادية عمان بينها وبين وادي السرحان، هذا وبين الغدفين مسافة بعيدة فلعله واد آخر وما أكثر المشتركات في أسماء اللغة العربية.

وهذا الوادي يصب في مكان يدعى (الفيضة) على مسافة أربع ساعات من (الرمادي) والفيضة مزرعة للشيخ فهد بن هذال على ما قال لنا الأعراب وقد أمسى علينا الماء في الرية بين بيوت حي من أحياء عنزة.

المرحلة السابعة عشرة

الجمعة ١ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ / ١٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

سرنا من منزلنا أمس بعد صلاة الفجر ونزلنا في الساعة الثامنة دون (الهبارية) و(السيح) منزل الشيخ فهد بن هذال وقد خف إليه دليل قافلتنا (محمّد الماضي) ليأخذ

(١) شرق الأردن من العصر الروماني إلى العصر الحاضر للفريق فردريك بيك.

لقافلتنا وللاحمال التي للتجار معنا جوازاً بالدخول إلى العراق، وهو أي ابن هذال يقوم بذلك في هذه البادية نيابة عن السلطة العسكرية المحتلة في العراق، وفهد شيخ من مشايخ العمارات وهم فخذ معروف من افخاذ وايل، ووايل بطن من بطون عنزة والقوم اعني العمارات بجميع فروعهم عراقيون من حيث الجنسية وذلك من قديم الزمان، أم الدهامشة الماضي ذكرهم فهم سعوديون، وأما الرولا فهم سوريون.

المرحلة الثامنة عشرة

السبت ٢ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ / ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

عاد إلينا محمّد الماضي بالجواز فسرنا صباح اليوم وصلينا العصر في واد سرنا فيه بعد الصلاة ساعتين، ثم التجأنا مساء إلى لحف تشرف عليه هضبة عالية وهجم علينا ونحن في هذا اللحف نحو عشرة رجال من (الشاوية) وصوبوا إلينا بنادقهم إلى أن وصلوا إلى منزلنا فاستقبلهم دليل القافلة (محمّد الماضي) فأطلقوا علينا بعض الطلقات ثم شرعُوا يفتشون عن السلاح فلم يجدوا شيئاً وأخذوا ثلاث بندقيات أعادوها إلينا بعد ذلك وقد تعشّى هؤلاء الشاوية وباتوا عندنا وطلبوا منا الرجوع ليلا إلى ابن هذال وأبرزنا لهم ما لدينا من الجوازات.

المرحلة التاسعة عشرة

الأحد ٣ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ / تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

ازعجنا الشاوية صباح هذا اليوم ونحن في اللحف وقاسينا من صلفهم ما قاسيناه. هذا مع أننا نتخفر بابناء البادية من شمر وعنزة، بيد أن لهؤلاء الشاوية دالة كبيرة على ابن هذال شيخ القبيلة فإن عشائره تمتاز في مواسم معينة من أسواق المدن الفراتية بين النجف والمسيب، ولآل هذال مزرعة في لواء كربلاء اسمها «الرزازة» والكلمة في اصطلاح البادية تعني المزرعة التي تنتج الأرز أو الرز، وقد أصر (محمّد الماضي) على الرواح إلى بيوت الشاوية فذهبنا ونزلنا تجاه منازلهم وبتنا عندهم ولم يضيفونا واشترينا منهم مؤونتنا من رز وتمر واسترجعنا منهم بندقية لنا، وكان مسيرنا هذين اليومين بل هذا الاسبوع مسير البادية نطلب الكلأ وتتتجع المراعي يوماً مشرقين وآخر

مغربين وتارة إلى الجنوب وطوراً إلى الشمال استقصاء للاخبار وطلبا للمدينة الهادئة من مدن العراق، وذلك من بعد نشوب الثورة في البلاد.

الشاوية:

وقد اتضح لنا بعد اختلاطنا بهؤلاء الشاوية انهم من نواحي الفرات في جهات «الهندية» ومن قبائل بني حسن في العراق، وهم أي شاوية قضاء الهندية كشاوية أرياف الفرات الأوسط في كربلاء، والمسيب، والفلوجة، والرمادي، ينتجعون الكلأ لمواشيهم وأغنامهم في بادية السماوة من قديم الزمان ويخرجون إليها بخفارة العمارات من قبائل عنزة عندما تهطل الامطار في البادية وذلك خلال فصل الخريف من كل عام ويمضي الشتاء كله على القوم في البادية، ولا يعودون إلى أرياف العراق إلاّ في أواخر الربيع وذلك بعد تربية مواشيهم وانتاجها من غنم وشاء، ومن ذلك قيل لهم (شاوية) أما شاوية الفرات الأدنى في أقاليم الديوانية والمنتفك والبصرة فهم ينتجعون الكلأ ويتبعون مساقط الامطار في البادية النجدية جنوب بادية السماوة وقد كان شاوية الجنوب في السنوات العشر الأخيرة عرضة لكثير من الأخطار الناجمة عن أوضاع بعض القبائل النجدية، ونشاطها في الغزو وشن الغارات وقد منيت قبائل العراق لهذا السبب بخسائر لا تقدر في الأرواح والأموال، وهذا على عكس من يطلب النجعة من العراقيين في بادية السماوة، ومهما كان الأمر فإن أبناء الأرياف العراقية القاطنين على شواطئ الفرات يستفيدون من هذه النجع البعيدة فوائد عظيمة جداً لا من حيث إنماء ثروتهم وانتاج ماشيتهم فقط بل من حيث استجمامهم واستعادة قوتهم ونشاطهم وصحتهم في ذلك الجو الهادئ المعتدل والسماء الصافية والمناخ اللطيف، ولعل فائدتهم من هذه الناحية أعظم كل فائدة.

العرف البدوي:

ولا يستطيع هؤلاء الشاوية أيّاً كانوا انتجاع مراعي البادية إلاّ بخفارة قبائلها البدوية وذلك أنَّ عنزة مثلاً تعتبر السماوة ملكا لها وترى الارتفاق بمراعيها حقاً من حقوقها وحدها ولا يجوز المرور بها إلاّ بأذن من القوم، وهذا هو العرف البدوي المعمول به

بينهم وبين الشاوية، وكثير من البدو يعيشون على «التخفير» تخفير القوافل أو تخفير الشاوية

رفيق السفر، الرفيق قبل الطريق :

وقد انتهزنا هذه الفرصة فرصة الاقامة القصيرة بجوار هؤلاء الشاوية فعمدنا إلى اصلاح بعض شأننا وازاحة ما يحتاج إلى الازاحة من عللنا واستبدال ما خلق واتّسخ من ملابسنا واماطة بعض الأذى عن أبداننا، فقد كنا والحق يقال على شيء من بذاءة الهيئة وخشونة المظاهر، بيد أننا أكثر تجملا وألطف مظهراً من احسن ابناء البادية، والواقع اننا لم نشعر مدة هذه الرحلة الشاقة بحاجة شديدة إلى الاستحمام إلاّ عندما قاربنا أرياف العراق واصبحنا على مراحل معدودة من أرض السواد كأن ابداننا كانت تجترئ بحمام الشمس أو تكتفي بجفاف التربة والمناخ، وهكذا بدأت انا اعتاد على هذا النمط من الحياة، وأما صاحبي فقد أدركه الملل وأسرع إليه السأم من طراز الحياة البدوية الخشنة وكانت تعتريه من حين إلى آخر ثورة عنيفة على البادية وسكانها وسالكي سبلها ولا يستريح إلاّ إذا أفرغ ما يفيض على لسانه من صيغ النقد والتجريح، وهذه الثورة كما ترى داء لا علاج له عندي إلاّ الابتسام، وهو انجع دواء تعالج به هذا النوع من أنواع السأم والفراغ في الصحراء.

رياضة الصحراء:

وكان أشق ما يشق على صاحبي ركوب «القعود» - والقعود من الإبل ما يقتعده صاحبه لقضاء حاجته - ولزوم القتب يوماً بعد آخر كأننا أحلاس أقتاب، والحق أن قطع البادية على ظهور الجمال لا يطيقها ابناء الحاضرة إلاّ نادراً أو عندما تدعو الضرورة إلى ذلك خلافاً لأبناء البادية فإن ركوب الإبل عندهم رياضة نافعة وقد جربت ذلك بنفسي في رحلة سابقة قمت بها من العراق إلى نجد ثم إلى الحجاز وذلك بطريق الصحراء، وكنت أعاني في الثلاث الأولى من مراحل السفر ما يعانيه المدنف المصاب بكل عضو من أعضائه ثم مرنت بعدها على الركوب الطويل، بل أفادني ركوب النجائب صحة ونشاطاً لا عهد لي بهما قط في العراق، وعلى هذا يكون اقتعاد غوارب الإبل كامتطاء صهوات الجياد ضرباً من انفع ضروب الرياضة خصوصاً إذا طالت

الرحلة، وعلى كل لا اظن في مستطاع كل احد من ابناء الحاضرة ممارسة هذه الرياضة إلاّ في مقتبل الشباب أو نحو ذلك كما كنا اذ ذاك.

كان ركوب الخيل والنجائب من مظاهر الفتوة والفروسية إلى عهد قريب في بلاد العرب. كما كانوا يتوفرون على انتاج احسن انواعها ويضبطون انسابها ضبطاً دقيقاً لذلك وقد قَلَّتْ الآن عنايتهم بهذه الشؤون أو زالت بالمرة في بعض الأقطار إلاّ لبعض الأغراض التجارية وذلك بسبب تطور فن النقل الآلي الحديث.

هذا ولا بد لي من القول بأن صاحبي المذكور كان من جملة ابناء العراق الذين نشأوا في الاستانة واتموا دراستهم في معاهدها العلمية العالية وحصلوا على أرقى درجاتها العلمية في الفنون العسكرية، وكثير من أبناء العراق - كما لا يخفى - ميالون إلى تحصيل هذه الفنون، ولما انتهت الحرب العالمية الأولى استدعى صاحبنا إلى دمشق وفيها أقام إلى أن انقرضت دولتها الهاشمية، وكان من أرضى أصحابي أخلاقاً وألينهم عريكة وأوسعهم ثقافة، ومن أبعد الناس عن مساوئ الحياة العسكرية المعروفة في بعض عصور الاتراك، كما كان نموذجا حسنا في جمال البزة والهندام فكيف لا يتبرم وقد اضطرته البادية إلى ركوب جمالها وتوسد رمالها، كيف لا يثور على الصحراء وقد حرمته من محاسن الحضارة وباعدت بينه وبين الحياة الناعمة في دمشق أو في ردهات الفنادق الكبرى في الشام، ومن جملة فنادقها التي كانت تجمعني وإياه أحياناً فندق (فكتوريا) وفندق (خوام) وذلك للمداولة في شؤوننا العامة من عراقية وعربية، ولنا في هذه الفنادق الجميلة ذكريات حميدة، هذا علاوة على منزله اللطيف في بعض منعطفات «الصالحية»، والصالحية هي الحي الذي اطمأن كثير من العراقيين إلى السكنى فيه في تلك العهود السالفة، وكان عدد هؤلاء العراقيين غير قليل، وجلهم من بغداد وبعضهم من ابناء الموصل، ولا مناص لي من القول بان ابناء دمشق كان قد دب إلى نفوسهم السأم وأخذوا يستهجنون سيرة بعض شباب العراق ومآتيهم في الشام وقد استثقلوا هذا (الاحتلال العراقي)، كما كانوا يسمونه في بعض الاحيان، ولا أراهم إلاّ على شيء من الحق في شكواهم من بعض القوم، وعلى كل فانها عهود سلفت وأيام خلت وما أجملها من أيام.

عهـــد هـــوى كنـــا عهـــدناهُ يفنـــي اصـــطباري عنـــد ذكـــراهُ
لا أنـــا أنـــساه فأســـلو ولا تـــذكره أنـــت فترعـــاهُ

المرحلة العشرون

الاثنين ٤ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ / ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

رحلنا صباح هذا اليوم من منزل هؤلاء الشاوية ووجهتنا (الفلوجة) وانضم إلينا في أثناء الطريق اثنان من جماعة ابن هذال ومررنا في طريقنا على الشاوية والحمارة - كما يحلو للبدو أن يسموهم - من أهل «الهندية» على شواطيء الفرات ووصلنا في الساعة السابعة إلى (البو عيسى) من (الدليم) وقد أكرمونا وأهدوا إلينا بعض الأغنام، ويقال أن أصل «البو عيسى» هؤلاء من عرب الشام وهم ربيعة وليسوا من الدليم، وهذا القول يفتقر إلى حجّة قاطعة، وكان اتجاهنا إلى الشرق تماماً هذا اليوم.

المرحلة الحادية والعشرون

الثلاثاء ٥ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ / ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

سرنا من (البو عيسى) ورافقنا شيخهم (صايل) ومررنا في طريقنا على وادي الكهف (الجهف) وعلى أودية أخرى، وقد أمسى الماء علينا ونحن على مقربة من (العصيبة) فصادفنا في الطريق عرباً من الدليم مع مواشيهم من غنم ودواب.

المرحلة الثانية والعشرون

الأربعاء ٦ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ / ١٧ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

سرنا من متعشانا البارحة بعد صلاة الصبح ومررنا في الطريق على منخفضات أو وهاد كثيرة، وهي منخفضات واسعة تكثر في الطفوف وبها تمتاز البادية الواقعة غربي الفرات، ثم أشرفنا على (فيضة العصيبية) وهي مطمأن واسع تدفع فيه الأودية يزرعها ابن هذال على ما رواه لنا القوم وقاطعنا بعد ذلك الطريق إلى الرمادي من (شفاتا) أو (عين التمر) وكان متعشانا في (عين الكبريت) في مطمأن سبخة من الأرض كثير نبات الطرفاء، وهذا المكان يقع شمال (الرحالة) ويبعد عنها نحو ست ساعات، وكان مبيتنا فيه.

المرحلة الثالثة والعشرون

الخميس ٧ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ / ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

رحلنا من منزلنا عند الطلوع ومررنا في طريقنا على وادي يسمى (أبو فروخ) ونزلنا في الساعة السابعة في مكان يسمى (السحل)، ومساحل الماء مسايله، وفيه عين ماء لم أتمالك من الارتماس فيها لحاجتي الماسة إلى ذلك، قال في معجم البلدان[1] السحيل - وهو في الأصل الغزل الذي لم يبرم - أرض الكوفة والشام. كان النعمان بن المنذر يحمي بها العشب لنجائبه، ويكثر في هذا المكان أعني السحل شجر الغضا ومنه الوقود المشهور في العراق. والغضا هو واد في ديار نجد مررنا عليه في طريقنا إلى حايل قبل عامين يكثر فيه الشجر المذكور، ومما قالوه في صفة الغضا أنه شجر يشبه الاثل إلاّ أن الأثل أكبر وأعظم منه وحطبه من أجود الحطب وناره كذلك وأكثر ما ينبت في الرمال وهكذا رأيناه في البادية. ومن ابيات الشواهد التي حضرتنا في منزلنا بالغضا قول الشاعر:

فسقى الغضا والساكنيه وإن هم شبوه بين جوانحي وضلوعي

المرحلة الرابعة والعشرون

الجمعة ٨ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ / ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

رحلنا من السحل بعد صلاة الصبح وطالعنا بعد ثلاث ساعات سواد الفرات ومناظر الوادي الحبيب وذلك من جهة الفلوجة ونزلنا بعد ساعتين على حلّة الشيخ (هراط البني) من مشايخ الدليم، وعلى مقربة من نهاية سقي الفرات أو من السواد في تلك الناحية يقوم كثيبان عظيمان من الرمل من بينهما تسلك القوافل ولسان حالها يقول ها نحن (مفتاح الصحراء) أو (مفتاح السماوة) سماوة كلب، وكان مبيتنا في مضارب شيخ الدليم المذكور وهو من العرب الأجواد.

---

(١) ٣ - ٥٠.

المرحلة الخامسة والعشرون

السبت ٩ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ / ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

سرنا من مضارب الشيخ (هراط) عند الطلوع وقد كنا مللنا الركوب المتواصل أكثر من ثلاثة أسابيع وتقنا إلى رياضة أبداننا بالمشي فسرنا مشياً على الأقدام ووصلنا الفلوجة بعد ساعتين وأمضينا بقية نهارنا فيها، وكان مبيتنا أيضاً في الفلوجة.

المرحلة السادسة والعشرون

الأحد ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ / ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

خرجنا من الفلوجة في طريقنا إلى بغداد على مركبة يجرها جوادان، وكان أثر الحرب بين القبائل العراقية والبريطانيين ظاهراً على طول الطريق، وقد شاهدنا خنادق القوم ومعاقلهم محاطة بالحواجز من اسلاك شائكة وأكياس لا تحصى من الرمال، وقد وصلنا بغداد في الساعة العاشرة حسب التوقيت العربي ومعنى ذلك اننا قطعنا المسافة بين الفلوجة وبغداد في نحو عشر ساعات، ونحن نقطعها الآن في ساعة واحدة بالسيارة وبقينا متنكرين في عاصمة الرشيد عدة أيام لم يشعر بوجودنا الاخوان والأهل والاصحاب لأمر اقتضته المصلحة. أما صاحبي فقد بادر فور وصوله إلى بغداد إلى حانوت أحد المصورين وطلب إليه التقاط صورته بزيه البدوي الغريب ولحيته الكثة، وكانت في الواقع لحية هائلة لا يقل عمرها عن عمر هذه الرحلة الطويلة، وقد أخبرني أن المصور استنكر هيأته وظن به الظنون، وأخيراً التقط له تلك الصورة الغريبة وهي من الصور التي تحتفظ بها تذكاراً لتلك الرحلة السعيدة.

وألقت عصاها واستقر بها النّوى كما قرّ عيناً بالإيابِ المسافرُ

محمّد رضا الشبيبي

مراحل السفر في السماوة على الهجين

[التاريخ]	[الحركة]	الساعة غروبية
٢٧ تشرين الأول ١٩٢٠	تحركنا من الشام	٢ صباحاً
٢٧ تشرين الأول ١٩٢٠	وصلنا «ضمير»	٨,٥ مساءً
٢٨ تشرين الأول ١٩٢٠	من ضمير	١ صباحاً
٢٨ تشرين الأول ١٩٢٠	وصلنا «الصيقل»	١٠ مساءً، وهي أرض قفر
٢٩ تشرين الأول ١٩٢٠	من الصيقل	قبل طلوع الشمس بساعة
٢٩ تشرين الأول ١٩٢٠	وصلنا «السبع بيار»	١٠,٤٥ مساءً
٣٠ تشرين الأول ١٩٢٠	من السبع بيار	١١,٤٥ صباحاً، الساعة ٢,٤٥ وجد سيارة محطمة
	وضعنا الرحال	١٠,٣٠
٣١ تشرين الأول ١٩٢٠	تحركنا	١١,٢٠ صباحاً الساعة ٨ مررنا بين جبلين
	وضعنا الرحال	٩,٣٠ مساءً
١ تشرين الثاني	تحركنا	١٢ صباحاً
١ تشرين الثاني	نزلنا في «الولج»	١٠ مساءً، وهي أرض قفر.
٢ تشرين الثاني	تحركنا	١٢,٣٠ صباحاً
٢ تشرين الثاني	وصلنا «صويب»	٤,٣٠
	نزلنا في «الهري»	١١,٢٠ مساءً
٣ تشرين الثاني	تحركنا	١٢,١٥ صباحاً

٣ تشرين الثاني نزلنا آبار «الكَعرة» - الملص - ٦ ظهراً قرب عرب عنزه، وهم يتحدثون عن مصير الثورة العراقية وانفضاض الثوار.

٤ تشرين الثاني من الكعره ٣.١٥ صباحاً تأخرنا بسبب مطالب ابن مجلاد من القافلة، وابن مجلاد رئيس فخذ من افخاذ عنزة يقال لهم «الدهامشة»

نزلنا ٩ مساء قرب العفايف في الجنوب يوجد تحت الجبل بئر يقال لها الغري

٥ تشرين الثاني تحركنا ١٢.٢٠ صباحاً صعدنا هضبة ٦.٤٥ قطعنا وادي الضايع ٩ نزلنا ١٠ مساء وبتنا في قلق خوف الغزو

٦ تشرين الثاني تحركنا ١٢.٢٠ وتأهبنا للدفاع إلى أن اتضح لنا بعد منتصف الليل اننا في مأمن من الغراة، ٤ مررنا بين مجموعتين من الأحجار «رجمين» وارتاب القفل من نباح بعض الكلاب السائبة وراء القافلة من بعيد

٦ تشرين الثاني وصلنا وادي حوران ٤.٢٠

٥.١٥ نزلنا «محيور» وهي آبار في قلب الوادي المذكور شاهدنا بعض افراد «الصليب» يستقون منها، وسرعان ما تركوا الماء للقافلة

نزلنا «معيشر» ١٠.٣٠

٧ تشرين الثاني تحركنا من معيشر ١٢.٢٥ فارق القافلة شمالاً من رام الذهاب إلى الكبيسة، أما نحن فواصلنا سيرنا إلى الفلوجة ومررنا في طريقنا إليها على بيوت من «شاوية الدليم».

الشيخ الشبيبي مع أدباء لبنان في صيدا
من اليمين (الصف الأول): عبد السلام شهاب، أحمد عارف الزين، سليمان الظاهر، محمد رضا الشبيبي، الشيخ أحمد رضا، توفيق عبد الله.
(الصف الثاني): أديب الزين، حسين عبد الله، الدكتور عبد الله

الوثائق التي حملها
الشيخ الشبيبي إلى الحجاز

برقي

الى صاحب السمو الامير فيصل نجل ملك العرب الحسين بن علي خلد الله ملكه

لقد بلغنا مابذلتموه من الجهود العظيمة وما تحملتموه من المجاهدات الكبيرة لاستقلال البلاد فاستبشرنا بذلك كثيرا وقدرنا غيرتكم حق قدرها فشكر الله سعيكم وجزاكم احسن الجزاء ويتقنوا ان عيوننا معاشر العلماء الروحانيين شاخصة الى اعمالكم ونعتبر مطالبتكم باستقلال البلاد صادرة من اعماق نفوسنا وصميم ضمائرنا وهانحن نوجب عليكم بما لنا من صفة التمثيل للطائفة الجعفرية مواصلة سعيكم الى النهاية حتى تتحقق استقلال العراق استقلالا تاما عاريا عن شائبة الحماية والوصاية وقد فوضنا لكم في خصوص مطالبة مؤتمر السلام واعضاء عصبة الامم على تحقيق استقلال البلاد التام وفقنا الله واياكم للعمل بما فيه مصلحة الاسلام ٨ رمضان ١٣٣٧

احقر محمد تقي الشيرازي

برقية

الى جناب السمو الامير فيصل بغداد من جدة ١٩ حزيران سنة ١٩١٩

لقد وافانا ونحن في جدة باسم سموكم الكبير وبالبرقية الكريمة جملة نتوسم من الجهد العظيم لاستقلال البلاد العربية وانقاذها من الحكم الاجنبي شكر الله مسعاكم وجزاكم احسن ما يجزى به اباطحه الى من عرف حقوق امته النجيبة ولا غرو فمن اولى منكم بالمطالبة انتم اولاد الامير انتم ساداة العرب انتم ملوك العرب انتم فروع شجرة الدوحة العربية انتم نسل السلالة الهاشمية وحقا لقد قدرنا نهوضكم الشريف حق قدره ونيقنوا ان لكافة العلماء الروحانيين وعموم العراقيين يجهدون ويطالبكم باستقلال العراق وبقية البلاد العربية صادرة من اعماق نفوسهم وهم ضمائرهم وهي فوق كل شيء تابعة سموكم بكل حماس ونشاط الى النهاية حتى تحصلوا على رغائب الامة التي وقد وكلتم وفوضتم اليه مصلحتها روحانيين على ان تنوبوا عنها في مطالبة مؤتمر الصلح واعضاء الهيئة اليوم باستقلال العراق استقلالا تاما غير ملحق بشائبة الحماية والوصاية في ظل الدوحة العربية ونيقنوا ان استقلال العراق التام حلم الذهب سيكون بوسيلة ارلكان السلام العام وفقكم الله وايانا لما فيه مصلحة الامة العربية

الداعي خادم السمو فيصل
محمد سبتي النقيب

الى عصبة العربية انه الى جناب السمو فيصل

ان موقفكم الدقيق دون حقوق امتكم العربية لدى مؤتمر السلام موضع اعجاب العراقيين كافة موضع اجلالهم اجل ولا نحتج باكثر من انه كان حقا فاصلا بين نهضة الامة الحقيقية وبينها الجوق وبصفتنا ممثلين لهم الحقين من روحانيين وشيوخ ومشايخ قد وكلناكم وفوضناكم تفويضا مطلقا ان تشترطوا رغائبنا امام المؤتمر العالمي في تاسيس المملكة العراقية ان تتكون من شمال الموصل الى خليج فارس مستقلة تعيش في ظل الدوحة العربية المقدسة يحكمها اخوكم الامير عبد الله ويرافقه مجلس نيابي وطني وتم فاز بكم

آل حاج باقر ناظر السبتية | آل السيد عبود السيد جواد محمد وتوت | محمد مهدي البصير | آل عالم محمد الباقر | محمد رؤوف آل الجليلي افندي | [illegible] بن [illegible] الخطيب

بسم الله

الى حضرة صاحب السمو الامير الجليل فيصل نجل جلالة ملك العرب حسين الاول المعظم

ايها الشاب عضو الجامعة العربية ان جهادكم العظيم في سبيل استقلال البلاد العربية ذكرت جهاد الاكابر الذين شكركم عليه العراقيون كافة من حيث انهم

عضو من اعضاء الجامعة العربية حتى انهم ابدوا لكم اعجابهم بشدة ازركم حينما اشتهر لهم ان بقرر رجاء صاحبكم هذه الشهور وهم عازمون

على تاييدكم الى ابعد كلفة فيما اذا اتبع لهم مقابلة هيئة الشعوب الدولية وجهتها الوجيه وصاغن وجهة آل النجف الاشرف وشيعتها

وفنا بيها واعداد حملة العلم وطلبة العلم فيها نطلب الى سموكم ان تتوسطوا عندنا امام مؤتمر السلام وجهته الامم بطلب الاستقلال

للعراق استقلالا تاما مجردا عن كل حماية او وصاية وعند نجاح الوفد العربي بتقرير المطالب على ذلك وتم ركنا ركينا وحضنا حصينا للامة

تحريرا في ٨ رمضان المبارك ١٣٦٧

عبد الله بن الحسين حرسه الله تعالى وفقه وكفاه سموكم وفوضنا لكم تقرير ما تطلبون

من آل المرحوم صاحب الجواهر — من كشفا من النجف — من الادباء واحد ابناء العلاف — من الادباء ومن خدام العلوم

ومن طلبة العلوم عبد الغني — السيد جواد ذيب الديب — سعيد كمال الديب — الشريف محمد رضا الشبيبي

آل شيخ عباس — النجف

من طلبة العلوم السيد الرحوم العلامة — من صفة العلم ومن اولاد العلماء — من ابناء الاربعين ومن سدنة — من الادباء واحد ابناء العلاف في النجف

الحاج عبد الحسين الشهير بالطباطبائي — محمد بن الشيخ يوسف الوائلي — الشريف الحلي ابن عمه — عبد احمد السيد صادق

عبد الكريم — حفيد السيد رئيس قبيلة الزوش في النجف السيد كاظم السيد علي

من الشبيب — من صفة العلم — من الادباء واحد ابناء الزعماء

السيد علي الجوهري — عبد المجيد زاهد — النجف السيد حسن جريو — حسين خال الدين — احد ابناء زعماء النجف

الحاج علي عبود شكر — السيد مهدي جريو

طالب العلوم من سدنة المشهد الحسيني

مهدي عطية

الكرام بين الجوب فيصل غير جدولة ملك العرب الحسين بن علي دامت شوكته

بما انه الذوب المفوض عن امته العربية جمعاء فاتنا بسم ونفوذ العراقيين نطلب من سموه ان ينوب عنا بترجيب جلالة الفيصل الاول
لوقف بغداد من الخطر صار زمام الاخلاق النفوس العراقية فلما اشرقت انوار اقوام وام مظلومة الجام وتفتقت آمال اقطار روحه
جنانا خفق واحد حاقتهم مسرة هذه المآثر الكبرى امام الوجدان والروح نشبه حيث ان ما جوهيه راجع مسلم الجنسية مفترض
لهذه الشعوب او حياتها ولو شدد انهم سجتمدون لانفسهم اكبر ذكر جميل تتلقى به جبهة من امم واقطار مظلومة تنادل خضوع
بحسن مساعيهم على ان الوصل منعقد على حياتهم قبل ان يرضعوا ارجلهم في الركاب للطواف في اخبار البلاد والتنا
احوالها واستطلاع رغائبها الوطنية وتقرير مصيرها الذي سبقت بالمباهرة به امام العالم المتمدن من قبل ان
ولو ضاف عدد نسبة امم المظلومة في البلاد المرضوضة وجهلهم بهم عدد النزوات الى ما عدا من النفوس ان نفوسهم
عليا الله وصولهم ورجنا بوفد التحقيق والاخبار العدل والحق الى كل منزل بسيط قونه في رعنهم حتى عرفة الورود كي يكون الشعب
ان تبتهم على اخبار ما عن سعة نوجههم نحو بلدونا بل عن كل منزل بسيط قونه في رعنهم حتى عرفة الورود كي يكون الشعب
من اماء واجباته لقونه بمقامهم الاحترام والاستقبال والاحترام ولوزالوا اعوانا للشعوب

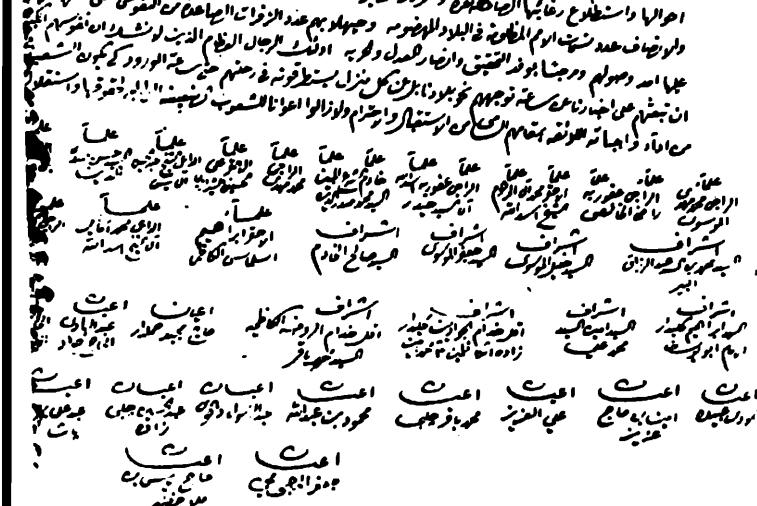

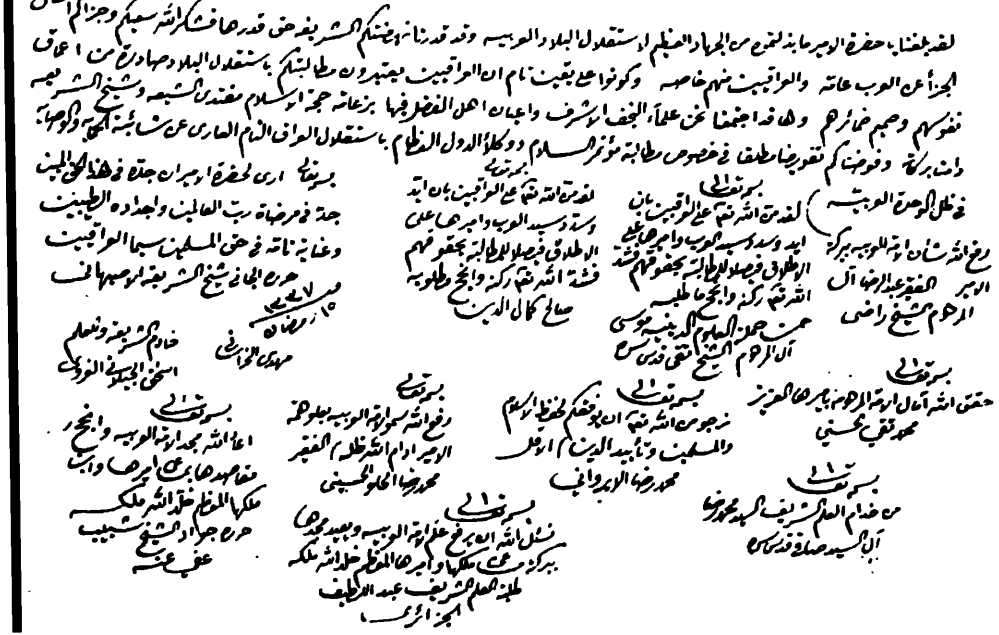

برقيا

الى حضرة صاحب السمو الامير المحبوب فيصل نجله ولي عهد العرب الحسين بن عون امير مكة

لقد قدرنا يا سمو الامير المخلص مواقفكم الى ريثما الشريف عن استقلال العرب فقد استهم بذكر امونه الكريمة واعلنهم مكانتها في انظار الامم حتى اعترفت بها باستقلالها فكان لجهادكم هذا الجهاد المعظم عن العرب وقع جميل وتأثير كبير جداً فينا نحن العراقيين حيث حققتم آمالنا وصدقتم مسابقتنا فاستنهضتم فينا نحن العراقيين عزيمتكم ووضعنا ثقتنا فيكم وطلبنا ارشادكم البكم واخترنا لوعاء العراق احد ابنائكم جلالة ملك العرب والدكم اعزه الله تعالى وذلك قبل الاطلاع على سفركم الى باريس وقبل ان تعرضوا قضية العرب على مؤتمر الصلح حينما اشير البنا ان نفوز مصيرنا في اوائل ربيع الاول سنة ١٣٣٧ فقد سألنا عزيمة حفظ حياتنا القومية حيث الاطلاع ذلك ووقفنا على مذكرة خطيرة الشان فيه ووقع عزيمتنا على شفا خطر جهة من جهات العراق وها نحن سادات قبائل الشامية وزعمائها ومشايخها ورؤساء عرب ذات النجف والكوفة نفوض سموكم تفويضاً مطلقاً على تحقيق آمالنا القومية المقدسة وتوكلكم توكيلاً عاماً شاملاً بان تطالبوا مؤتمر السلام وجمعية الامم ورؤساء الممالك المحترمة باستقلال بلادنا العراقية العزيزة بحدودها المعلومة من شمال الموصل الى الخليج الفارسي استقلالاً تاماً مجرداً عن كل حماية والوصاية تحت اي شكل كان وتفويضكم ايضاً عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود ان تتصلوا بمن ترونه لازماً لتحقيق هذه الغاية المقدسة وانا نحن باسم صاحب السمو الملكي عازمون على تأييدكم بكل ما لدينا من قوة ومستعدون على بذل النفس والنفيس في سبيل الوصول الى هذه الغاية المقدسة وانا نحن باسم صاحب السمو الملكي عازمون على تأييدكم بكل ما لدينا من قوة ومستعدون على بذل النفس والنفيس في سبيل الوصول الى هذه الغاية المقدسة وانا نحن باسم صاحب السمو الملكي عازمون على تأييدكم بكل ما لدينا من قوة ومستعدون على بذل النفس والنفيس في سبيل الوصول الى هذه الغاية المقدسة

١٣٣٧ ١٠ رمضان

من رؤساء آل ابراهيم	رئيس عموم آل ابراهيم	رئيس عشيرة آل زياد	رئيس عشيرة الخزاعل	رئيس الفتلة	رئيس عشيرة الخزاعل
عبد آل صفوك	شعلان آل جبر	جرن المرتع	هنين الخنوف	عبد المحسن	سلمان الظاهر
		رئيس عشيرة الخزاعل	آل ياسر	ابو طبيخ	السيد نور السيد عزيز
		عدوان الحاج سعدون	السيد عباس	السيد حسن	
		محمد العبطان	عدوان		

رسالة الشريف الحسين بن علي إلى الشيخ محمد تقي الشيرازي
يعلمه بوصول هذه المضابط ويؤمله بالعمل من أجل القضية العراقية

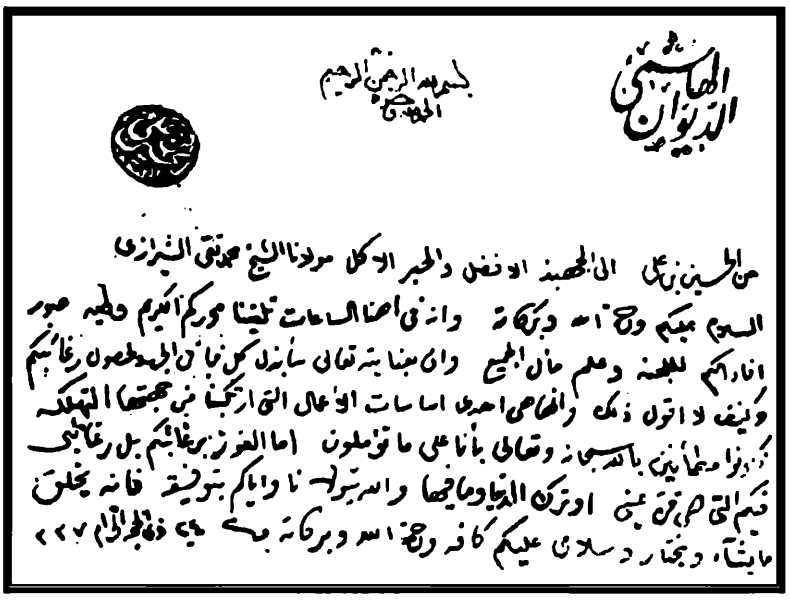
الديوان الهاشمي

بسم الله الرحمن الرحيم
الحجاز

من الحسين بن علي الى الجهبذ الافضل والحبر الاكمل مولانا الشيخ محمد تقي الشيرازي
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وانه في اضعاف الساعات تلقينا مورخ اكرم والحليه صور
افاداكم للجنة وعلم مآل الجميع وان بعنايته تعالى سأبذل كل فأن المرغوبون رغائبكم
وكيف لا اقول ذلك وانتم احد اساسات الاعمال التي ارتكز من جهتها التهلكه
فبوا مسعاكم بالسجاحة وتعالى بأنا على ما تؤملون اما الفوز برغائبكم بل رغائبي
فيكم التي هي عين عيني اوتزن الدنيا وما فيها والله يتولانا وايكم بتوفيقه فانه يخلق
ما يشاء ويختار وسلام عليكم كافة ورحمة الله وبركاته في ٢٩ ذي الحجة ١٣٢٧

(٢)

رحلة
إلى المغرب الأقصى
سنة ١٩٦٠م

بقلم
العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي

رحلة إلى المغرب الأقصى[1]
سنة ١٩٦٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه بلاد العربية مضافة إلى لغتها، أو البلاد العربية موصوفةً بسكانها، هذه البلاد بحدودها المعروفة كانت ولم تزل وحدة جغرافية يقطعها ابناؤها من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق رجالة وركباناً، آحاداً وجماعات يسيرون على بساط واحد لا يخامرهم أدنى شعور بوحشة في لغة أو لون أو عاطفة أو عقيدة، ومن هذه الناحية ضربت هذه البلاد للناس مثلاً يحتذى في التجاوب بين احساساتها واتجاهاتها فيما حزبها من أحداث، أو ألمَّ بها من كوائن مختلفة.

هكذا كانت هذه البلاد وحدة جغرافية في عصور مجدها ثم تمكن منها الضَّعف والخُمول وتَباعدت الشُّقة فلا رحلة ولا لقاء حتى ذمر عليها الغريب ونفذ إليها الأجنبي وغزاها من غزاها من الأقوياء الطامعين فزادوا الطين بلة في اقامة الحواجز وايجاد العوائق وسلطوا عليها الجهالة وحرموها من العلم والثقافة، وسامها أولئك الغزاة الغالبون سوء العذاب، وأخيراً وبعد سبات طويل دارت دورة الفلك، وتَحَرَّكت هذه الأمة، وشاع فيها ضرب من الوعي في هذه العصور الأخيرة.

تعدَّدت مظاهر هذا الشعور في بلاد العربية أو البلاد العربية، ولا أبالغ إذا قلت إنَّ رغبة ملحة في تعزيز الأواصر وتوثيق الصلات، وخلق فرص التعارف كانت من أبرز مظاهر الوعي المذكور، وما أنْ خفت وطأة تلك القيود، وتداعت بعض السدود التي أقامها المستعمرون حتى ظهر الميل إلى تجشم المصاعب، واستئناف الرحلات من شرق البلاد العربية إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها وبالعكس، وفي هذه الحركة التي بدأت في مطلع هذا القرن ما فيها من الدلالة على نمو ذلك الشعور.

---

(١) نشرت في مجلة العلمي العراقي، المجلد ١٢ لسنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م، ص٣- ٤٠.

في هذه الفترة الواقعة بين الحربين الكونيتين الأولى والثانية، افلت بعض الرواد المغامرين والأحرار المجاهدين من الحصار أو السّجن المطبق عليهم فنفذوا إلى بعض الأجواء الحرة شرقاً وغرباً، وأخيراً أُقيمت مواسم ثقافة وأدب في بعض بلاد المشرق فأمَّها من أمها مِنْ أفاضل المغرب لم تتكأدُهم مشقة ولا قعدت بهم وعثاء، وجاءت بعض أعياد «المغرب الأقصى» فخف إلى المشاركة فيها من خَفّ من أبناء المشرق فرحين مغتبطين كأنها أعيادهم بالذات وهي كذلك في الحقيقة.

ومن المعقول وقد نالت بلاد المغرب قسطا من حرياتها أنْ يُعنى المشارقة وأخوانهم المغاربة بخلق فرص التعارف والتآخي، وتعزيز الصّلات الرُوحية والثقافية بين أجزاء العالم العربي، وخير وسيلة لخلق تلك الفرص تبادل الزيارات والجَّولات العلمية التي تُنسِّق وجهات النظر في قضايا العصر الحاضر، وتتجلى في تنظيم العلاقات الثقافية من قبيل تبادل الاساتذة والطلاب والبعثات العلمية والمؤلفات والصُحف السيارة، وفي الإقبال على الرحلات.

انتهزت حكومة المغرب من مرور أحدَ عشَر قرناً على تأسيس «جامع القرويين» ومدرسته في «فاس» فرصة للاحتفال بهذه الذكرى، واعدت العدة للقيام بمهرجان يليق بشأنها، وَوجِّهتْ الدّعوة إلى عدد من هيئات المدارس الجامعة، والمعاهد العلمية، والى أشخاص آخرين، وكان كاتب هذه الكلمة بين من دُعِيَ إلى شُهود هذا المهرجان، ولم يكن له بُدّ من تلبية هذه الدعوة الشائقة التي صادفت هوى في النفس وأُمنية من أعزّ الأماني، فإنّها أول رحلة نقومُ بها إلى تلك البلاد.

كانت الأسفارُ من المشرق إلى المغرب أو من المغرب إلى المشرق محفوفة بالأخطار بحراً وبراً أمَّا لاختلال الأمن وأما للنفقات الباهظة، على أنَّ المغاربة كانوا يخاطرون بنفوسهم ونفائسهم في سبيل أداء فريضة الحج، وكم من مركبٍ ابتلعه اليم وهو في الطريق، ومن قَرأ رحلة ابن جبير أو رحلة ابن بطوطة والأوّل رحالة أندلسيّ من أهل بَلنسيّة، والثاني مغربيٌّ من أهل طنجة. اطّلع على جانب من خطر الأسفار وركوب البحار في تلك العصور.

هذا وهناك كثير ممّن كتبت له السلامة من أهل الأندلس والمغرب فأدّى فريضة الحجّ عرج على حواضر المشرق، ودور العلم في مصر والعراق أو على مثلها في خراسان، وفي ما وراء النّهر منهم من طابت له الإقامة في المشرق، ومنهم من عاد بعد التّحصيل ولقاء الشّيوخ وتحمّل الحديث وحفظه، وقد حفظ التاريخ لنا أسماء جماعة من أعيان علماء الأندلس والمغرب شدّوا الرّحال إلى مصر والإسكندريّة، ومنها إلى الحواضر المشرقيّة.

وعلى ذكر الإسكندريّة نقول كان هذا الثّغر قبلة المسافرين بحراً من موانئ الأندلس والمغرب، وما أكثر الذين أقاموا ودرسوا في مدارسها فقد أنشئت خلال المائتين الخامسة والسادسة أكثر من مدرسة في مدينة الإسكندرية، وحسبنا مدرسة الحافظ السّلفي التي تخرّج منها عدد غير قليل من المغاربة ذكرهم الحافظ السّلفي في معجمه الذي سمّاه (معجم السّفر). وهذا أيضاً الفقيه الطرطوشي مصنّف كتاب (سراج الملوك) اختار المكث في الإسكندرية على الرجوع إلى بلاده في الأندلس إلى أن مات، ومن المَغَارِبة من قضى شطراً كبيراً من عمره في هذه الرحلات العلمية كأبي بكر محمّد بن العربي المعافري الأندلسي الأشبلي الحافظ رحل إلى العراق والمشرق مرتين وصحب الغزالي والشاشي ورجع إلى المغرب بعلمٍ لم يدخل به أحدٌ غيره، وهو القائل: لم يرحل غيري وغير الباجي وأما غيرنا فقد تعب[1] إلى آخرين عادوا بعد التحصيل إلى أوطانهم بعلمٍ كثيرٍ وأدبٍ غزيرٍ، طيّب الله ثراهم وأجزل مثوبتهم، وكان أهل المغرب والأندلس ينظرون إلى من قام برحلةٍ علميةٍ إلى المشرق نظرة إكبارٍ وإجلالٍ، فالمشرق فيما يراه القوم قديماً وحديثاً معدن العلم وموطن المعرفة ومثابة الفضيلة، وهذه أسفار التّاريخ وكتب الطّبقات التي صنفها المشارقة - كالخطيب البغدادي مصنف (تاريخ بغداد)، وأبي سعد السمعاني مصنف كتاب (الأنساب)، وابن الجوزي صاحب (المنتظم)، وابن عساكر، وابن النجار، وابن الساعي، وابن الفوطي مصنف كتاب (مجمع الآداب) ، وياقوت الحموي، والصفدي، والذهبي، وابن حجر،

(١) الوافي بالوفيات (٣: ٣٢٠) وممن عنى بالترجمة له القاضي ابن خلكان في الوفيات ٢: ٥٩٨ والمقري في ازهار الرياض ونفح الطيب ومؤلف هذه الرحلة في كتابه ادب المغاربة والأندلسيين.

وسبط بن الجوزي مصنف «مرآة الزمان»، وابن خلكان، وابن شاكر الكتبي، وابن فضل الله العمري، والمنذري مصنف (التكملة في وفيات النقلة)، حافلة بذكر من رحل أو لجأ إلى الشرق من المغاربة والأندلسيين لتحصيل العلم وتحمل الحديث، ومثلها في ذلك جملة من كتب المغاربة.

أما المشارقة الذين شدّوا الرحال إلى المغرب أو الأندلس فإنهم أقل من المغاربة، ومن أشهر رحلات المشارقة رحلة أبي علي القالي صاحب الأمالي إلى الأندلس من بغداد، وكانت حفاوة الأندلسيين به كبيرةً، قرأ عليه واستفاد من علمه وأدبه كثيرٌ منهم، وتخرّج به جماعة، وللقالي في الأندلس أخبارٌ أوردها المؤرخون وأصحاب الطّبقات، ومن روّاد المشارقة أديب عراقي ذكي الفؤاد وشاعر مجيدٌ هو أبو العلاء ابن صاعد البغدادي، رحل إلى الأندلس من بغداد، وحظي عند حكام تلك البلاد في عصر الدولة العامريّة على أنه مني بالحسد من قبل بعض أدباء عصره ولكنه شق طريقه، وتغلب على خصومه بذكائه وعلمه الغزير.

هكذا كانت الأسفار والمواصلات بين المشرق والمغرب خطرة شاقّة في العصور القديمة، وفي هذه العصور الحديثة جدت مخاوف أخرى في سبيل الاتصال بين المشرق والمغرب تتجلى في أطماع بعض الدول بخيرات العالم العربي. فهي تقيم الحواجز وتمنع من التزاور، هذا بالإضافة إلى بُعد المسافة وطول الشقة. ثم إن هذه الدول هي التي تملك الأساطيل والأسراب الجوية والقواعد والمطارات والموانئ. وهي التي تتحكم بشؤون الانتقال بين هذه البلاد وتلك. أما المشارقة من دول وشعوب فهم لا يملكون من ذلك إلاّ القليل أو الأقل من القليل، ولولا أن الغربيين رواد تجارة وطلاب منفعة أي أنهم يفيدون من استخدام طائراتهم وأساطيلهم وقوافل سياراتهم لما مكنوا أبناء المشرق في هذا العصر من الرحلة إلى المغرب، ولما تيسّر لأهل المغرب العربي السّفر إلى الديار الشرقية.

من بغداد إلى الدار البيضاء:

أسلمنا أنفسنا إلى القضاء بل إلى القدر والقضاء، وحلقت بنا طائرة نفاثة من مطار بغداد في طريقنا إلى المغرب، وفي تمام الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة من صباح

يوم الأحد ٢/ ١٠ ٦٠ هبطت طائرتنا في أنقرة ثم بعد ذلك في الأستانة وروما وباريس، وكنا نحلق على ارتفاع أكثر من ثلاثين ألف قدم، وفي سرعة ٥٧٠ «ك» في الساعة، ومع ذلك كانت رحلة جوية ممتعة لم نشعر خلالها بأقل حركة أو اهتزاز ونحن في الطائرة حتى ليخيّل إلينا أن طائرتنا واقفةٌ في مكانها من الجو لولا نظراتٌ نلقيها على معالم اليابسة، وعلى تلك الشخوص والأشباح الأرضية البعيدة:

شـخوصٌ وأشـباحٌ تمـرُّ وتنقـضي وتفنـى جميعـاً والمحـرِّكُ بـاقِ

بين فرنسة والمغرب:

وفي تمام الساعة الرابعة والنصف من مساء اليوم عينه هبطت طائرتنا على مدرج (مطار أورلي) بباريس، وبعد مبيتنا ليلة الاثنين ٣/ ١٠/ ١٩٦٠ في باريس بكرنا في الذهاب إلى المطار المذكور حيث أقلتنا طائرة فرنسية قديمة لا وجه للمقارنة بينها وبين الطائرة الأولى في رحلة استغرقت أكثر من أربع ساعات حلقنا خلالها على جنوب فرنسا وعلى الأقطار الأندلسية وعلى مضيق جبل طارق أو بحر الزقاق كما يسمّيه البلدانيون العرب. ومن هناك هبطت طائرتنا على مطار الدار البيضاء، وكان وصولنا إلى هذه المدينة المغربية في الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر اليوم المذكور.

والخلاصة قطعنا هذه المسافة الشاسعة بين بغداد والدار البيضاء في مُدّة لم تزد على تسع ساعات، وذلك على الخط الآتي: بغداد، أنقرة، الأستانة، رومة، باريس، الدار البيضاء وكانت خاتمة مطافنا في رحلتنا من بغداد إليها بالمطارات.

للعبرة والتاريخ:

والآن وبعد أن وصلنا إلى أول بلد في المغرب متجشّمين عناء السفر جواً من بغداد إلى هذه البلاد مجتازين على بلاد الدولة التركية ومِن ثم على إيطالية ففرنسة وإسبانية وهي كما لا يخفى طريق ملتوية، ولكن لا مناص من سلوكها على شدة التوائها، بل على من يقصد مصر من تونس أو بالعكس وهما من قارة واحدة أن يذهب أولاً إلى رومة. وقد شاهدنا ونحن في مدريد بعثة عراقية تريد إقليم غانة وصلت بالطائرة من بيروت إلى المغرب، واجتمعنا بها هناك، ومن ثم سافرت إلى مدريد ومنها عادت إلى طرابلس ومن

طرابلس الغرب سافرت جواً إلى غانة في رحلة بالطائرة تستغرق عشرات الساعات. فما هي العبرة التي نستخلصها من رحلة تبدأ من العراق وتنتهي بالمغرب الأقصى، ولكن لا مفرَّ من المرور فيها على عدة دول أوروبية، ولا مندوحة من الانصياع لتلك النظم الأجنبية من سياسية وتجارية على ما يشوبها من تعسُّفٍ في بعض الأحيان.

كانت حقوقنا مهتضمةً ولغتنا ممتهنةً في مكاتب شركات الطيران وفي إذاعاتها وإعلاناتها فلم نسمع إذاعة إلاّ بلغةٍ أعجميةٍ حتى فيما يتعلق بالرحلة -في ركاب الطائرة جماعة من العرب- وحسبنا ما قاسيناه في مدينة النور باريس من التَّعنُّت والإجراءات التعسُّفية ومن خلف المواعيد والإخلال بها مع العرب والمشارقة كأنهم قومٌ لا حساب لهم في تلك البلاد، وهؤلاء المرشدون وأدلاء السُّواح في الدِّيار الأندلسية وفي الجزيرة الخضراء يسمعونك من التعريض بماضي الأمة العربية ما يدلُّ على فساد ذوقٍ إن لم نقل على قلّة أدبٍ، أجل نقول ما هي العبرة التي نستخلصها من مثل هذه الرحلة؟ ألا يمكن أن تتم رحلتنا الجوية ضمن بلاد العرب؟ أو داخل هذه الأقطار الشرقية حيث لا ينال المسافرين حيفٌ ولا تُبخس لهم حقوقٌ كما تمت قبل ذلك رحلات الآباء والأجداد في بلادهم ولو على ظهور الجمال.

إن بلاد العرب بحدودها من الخليج إلى المحيط وحدةٌ جغرافيةٌ يتمِّم بعضها بعضاً ولكنها في الوقت الراهن - وقت الرّحلة التي قام بها الكاتب - يغلب على أكثرها الخراب وينقصها العمران، ويعبث فيها المستعمرون فلا طرق ممهدةٌ، ولا مواصلات منظّمة ولا قواعد جوّية في أكثر هذه الدول العربية ولا يملك أهلها ما يملكه غيرهم من أجهزة فنّيّة ومطارات وغير ذلك مما لا غنى عنه في مثل هذه الأسفار.

لهذه العلّة يضطر من يقصد المغرب الأقصى من بغداد أو من دمشق أو القاهرة أن يقصده عن طريق القارّة الأوربية والسواحل الغربية لا عن طريق القارة الإفريقية. وهي كما قلنا طريقٌ ملتويةٌ كثيرةُ النّفقات ولكنها حافلةٌ بمظاهر النشاط والحياة. وأكثر مما مرّ أننا قوم يغلب علينا التّواكل وتعوزنا روح التآزر في سبيل تحقيق مصالحنا المشتركة في بلادنا بالذّات.

هذه نفثة مصدور أو ملاحظة استطرادية نعود بعدها إلى الكلام عن المغرب وعن انطباعاتنا الخاصة عن جولتنا في هذه البلاد.

المغرب الأقصى:
كلمة عامة

تقع هذه البلاد في أقصى الزاوية الشمالية الغربية من القارة الإفريقية حتى تكاد تتصل بالزاوية الجنوبية من القارة الأوربية يحيط بها البحر الشامي من الشمال، والبحر المحيط من الغرب. ولها مراس على شواطئ البحرين، بعضها على مقربة من المضيق أو المجاز الذي يُسمى «جبل طارق» وهذه الشواطئ الشمالية كثيرة الأوعار والشِّعاب ولكنها مخضلّة الجَنبات مخضرة البقاع، أما أقاليمها الجنوبيّة فتكثر فيها الأودية الرملية، وبعضها أودية جافة ترتفع فيها درجات الحرارة أحياناً، وفي المغرب إلى جهة الشمال ما بين مدينة «سلا» و«منطقة العرايش» سهول فسيحة تقوم فيها قرى قليلة، وما أشبهها من هذه الناحية بسهول العراق، ويبدو لنا أن تلك السهول المترامية على درجة لا يستهان بها من الخصب وقوة الإنبات، ولا تخلو هذه الجهات من الآجام والغياض والمستنقعات. وفي هذه المنطقة الشمالية من ديار المغرب تقوم سلسلة هضاب الريف، وتشرف على شواطئ البحر الشامي، ومن مدنها «تطوان» و«أصيلا» و«سبته» المحتلة من قبل الإسبانيين، ومناخ البلاد يميل إلى الاعتدال في المناطق الوسطى، وهو مناخ رطب في هذه الجهات، ولا عجب فهو مناخ البحر المحيط الذي تتميز شواطئه باتّساعها ومناظرها الرهيبة، ولنا على هذه الشواطيء شواطئ المحيط نُزهٌ جميلة، وهذه البيئة تصلح لغرس الأشجار والأزهار، وفيها غابات غبياء ملتفّة، ومن أشهر أنهار المغرب «وادي السوس»، ونهر مدينة فاس ويسمى «سبو» وسبو هذا بالجداول أشبه منه بالأنهار «أبو رقراق» نهر «سلا» و«الرباط» الذي يصب في المحيط الكبير. وهذا النهر الذي يقال له أبو رقراق يفصل بين الحاضرتين وماؤه ملح أجاج، وتوجد في البلاد مضافاً إلى ذلك نهيرات وأودية صغيرة تنتهي مجاريها إلى بحر الروم.

وسكان المغرب خليط من العرب والبربر، وليس لسكان القطر إحصاء مضبوط والمشهور أن عدد هؤلاء البربر أكثر من العرب الذين تغلب عليهم مظاهر الحضارة بخلاف قبائل البربر. وهذه القبائل هي العنصر القديم من سكان البلاد وكلهم مسلمون، هذا وفي اصل البربر أقوال، منها ما يردهم إلى عرب الجزيرة، ومنها ما يردهم إلى غير ذلك من الأصول. وفي أصل اللغة البربرية أقوال من قبيل ذلك. والمرجح أن البربر جيل مغربي قديم في بلاده المذكورة.

وأزياء العامة فيما لا حظناه وبالخاصة في الأقاليم الشمالية محتشمة فالذكور يلبسون القمصان والأقبية والعمائم على الأكثر، والنساء الأزر والملاءات، واللون المفضل هو البياض، ولا تنقصه النظافة في كثير من الأحيان، وهذا الزي متوارث قديم وهو زي يحجب مفاتن المرأة وينأى بها عن التبرج والبذلة.

الشعب والمهرجان:

ومن الدار البيضاء وهي حاضرة التجارة ومرسى السفن في المغرب اتجهنا إلى الرباط حاضر السياسة وذلك بعد ظهر الإثنين ٣/ ١٠/ ١٩٦٠ م، ولا تزيد المسافة بينهما على اكثر من ١٠٠ (ك) قطعناها في طريق معبدة مظلّلة بالأشجار، واجتزنا أودية مفعمة بمياه راكدة وغابات كثيفة وبقاعاً مخضوضرة كنا نظنها فيما مضى بقاعاً جرداء، وبعد المكث ثلاث أيام في الرباط عاصمة المغرب وضع لنا منهج يتضمن جولة شائقة في أرجاء عدة، منها ما يقع إلى الشمال ومنها إلى جهات أخرى بدأنا فيها من الرباط إلى طنجة وتطوان، وبعض بلاد الريف قلعة الثوار ومعقل المجاهدين الأحرار، وعدنا من هذه المنطقة الشمالية - في أعقاب رحلة شاقة طويلة بسيارات من الحجم الكبير في الغالب - إلى «مكناسة الزيتون» وجبل «زرهون» ودعينا إلى مصيف «إيفران» وهو منطقة جبليّة تكثر فيها الغابات وتتوفر المياه الجارية العذبة والمروج الخضراء وتعد «إيفران» من أحسن مصايف المغرب ينتجعها الراغبون في الاستجمام. ومن مظاهر الحفاوة بالضيوف في «إيفران» ظهور كتائب من «فرسان المغرب» المشهورين مدججين بالسلاح وكانوا يمثلون هجوماً عنيفاً يطلقون فيه النار ولإطلاق النيران صداه

في ذلك الوادي الكبير، وكان يرافقنا في هذه الرحلات عدد من شباب مدينة فاس وغيرها من حواضر البلاد عنوا عناية فائقة بكل ما يوفر لنا الراحة والمتعة والطمأنينة على أننا لاحظنا أيضاً أن الرجل العادي أو ابن الشعب المغربي في أكثر الحواضر التي زرناها لا يعرف شيئاً كثيراً عن هذه الرحلات. ولا يلم إلماماً كافياً بأهداف المهرجان - مهرجان جامعة القرويين - ومن رأينا أن السلطة المغربية مسؤولة عن هذه الجمجمة والسكوت.

لا يخامرنا أدنى شك بحسن نية السلطات العليا المسؤولة في دعوتها إلى إقامة مهرجان القرويّين باذلة كل ما في وسعها في سبيل حفاوتها بالضيوف أو الوفود التي أمّت بلادها متخذة كل الوسائل لتجعل من رحلتهم إلى المغرب رحلة ممتعة مفيدة، ولكن لا مناص لنا من القول أيضاً أن مظاهر الحفاوة البالغة وحدها لا تكفي، فهذا المهرجان ككل مهرجان من نوعه يرمي إلى هدفين الأول الترحيب بالوفود التي أمّت البلاد وقد حصل ذلك، والثاني - وهو الأهم - الاحتفاء بالفكرة ذاتها التي أقيم من أجلها المهرجان وغرسها في نفوس الجمهور وتلقينهم مغزى الاحتفال برسالة القرويين.

كنا نود أن يحتفل إخواننا المغاربة حكومة وشعباً بأهداف مؤسستهم الرفيعة، واهتبال هذه الفرصة لتبليغ رسالة القرويين وهداها إلى طبقات الشعب والنشء الجديد لتبقى هذه الرسالة - وهي رسالة العروبة والإسلام - حية في نفوس الجماهير، كانت مواكبنا تسير في شوارع الرباط وطنجة وفاس وتطوان ومكناسة حيث يتجمهر من حولنا الناس وهم لا يعلمون ما هذه المواكب ومن أين جائت؟ ولاحظنا أن رجل الشارع لا يعرف عنها أكثر من أنها مواكب سواح، وكانت الصحافة والإذاعة اللاسلكية واجمة كذلك مع أنها صحافة وإذاعة رسميتان فلا الصحافة ولا الإذاعة ولا الأحزاب ولا الجمعيات كانت معنيّة بهذا العيد العظيم، ويخيل إلينا أن المعنيين بالشؤون العامة من إخواننا المغاربة انقسموا إزاء رسالة القرويين، وإزاء كافة الاحتفالات بهذه الرسالة إلى فريقين فمنهم المندفع في تأييد فكرة الاحتفال وتعظيم شعائره إلى حد بعيد،

وشباب المغرب الواعي من هذا الفريق. وهناك فريق آخر هم الفريق الفاتر المتهاون، ومنهم فيما يبدو لنا من يحن إلى عهد قديم حوربت فيه رسالة القرويين. وهذا الفريق لا يطيب له التوسع في إقامة هذا المهرجان.

بين فاس والدار البيضاء:

وقد تفضل باستقبال ضيوف المغرب في مطار الدار البيضاء جماعة من أصدقائنا الأفاضل مغاربة وعراقيين جاؤوا من الرباط، ولا تقل المسافة بين الرباط والدار البيضاء عن مائة (ك) ومن ثم واصلنا سفرنا بالسيارات إلى عاصمة البلاد أي مدينة الرباط حيث حجزت اللجنة المكلفة باستقبال الضيوف غرفاً لهم في بعض فنادي المدينة، ولا بد لنا من القول اننا لم نمكث في الرباط إلاّ أياماً معدودة حتى رسم لنا منهج تمكنا بواسطته من زيارة مدن الشمال ومنها طنجة التي دخلت ضمن حدود البلاد في الزمن الأخير وكانت قبل ذلك منطقة دولية حرة كما يقولون، ومدينة نطوان، وهما من أشهر حواضر الشمال الواقعة على شواطيء المحيط الكبير. هذا ومن شواطيء هاتين المدينتين يمكننا أن نتطلع -وقد تطلعنا فعلا - إلى شواطيء الأندلس والجزيرة الخضراء شواطيء «الفردوس المفقود» المؤدية إلى المدن الآتية: قادس، جيان، غرناطة، قرطبة، اشبيليّة، طليطلة وغيرها من حواضر الأندلس في عصورها الذهبية الإسلامية، ومن أشهر مدن المغرب التي تهيأت لنا زيارتها في جنوب البلاد ووسطها الرباط ومكناس وفاس، وهي اعني مدينة فاس من أجل مدن المغرب الأقصى، وفيها أقيم الاحتفال الكبير بجامعة القرويين ودام عدة أيام، ولا تكفي هذه العجالة للبحث في تاريخ الحاضرة المذكورة غير أننا نقول: إذا كانت الرباط قاعدة المغرب السياسية فإن فاس قاعدة الثقافة الإسلامية هناك، وعناية أبناءها في الحفاظ على تراث الإسلام لا يحتاج إلى دليل، وحسبنا «جامعة القرويين» التي تخرج منها عدد غير قليل من العلماء المعروفين والأبطال المجاهدين. ولما حوربت العربية والثقافة الإسلامية في المغرب على عهد الحماية طبق خطة استعمارية خبيثة كان للمجاهدين المتخرجين من جامعة فاس أبلغ الأثر في مقاومة تلك الخطط، والمحافظة على تراث

المسلمين هناك حتى هذا اليوم، ومن أشهر مدن المغرب أبعد ذلك (المحمدية) أو مدينة فضالة حيث تبنى مصفاة صغيرة للنفط وتعد المحمدية من المدن الصناعية هناك.

إلى فاس:

وفي مساء السبت ٨ تشرين الأول سنة ١٩٦٠ غادرنا «مكناسة الزيتون» إلى فاس بطريق (صفرو) والمسافة بين البلدين لا تزيد على (١٦٠ ك) سلكناها في طريق معبدة مظللة بالاشجار إلى حاضرة الثقافة في المغرب بلد إدريس الأول ودار العلم، وفي الأيام التالية التي قضيناها في فاس كان المنهج يقضي بزيارة ضواحي المدينة، والقيام بجولة في القسم القديم وزيارة معالمه وبالخاصة جامع القرويين ومدرسته وخزانة الكتب المشهورة هناك، وكان يرافقنا عدد من أفاضل المغاربة وكبار الموظفين في الرباط، ولاحظنا في البلاد ضرباً من الكبت والحجر على الأفكار لعله من بقايا ذلك العهد الذميم عهد الحماية. ولا تخلو الأحياء القديمة من المدن وفي مقدمتها أحياء فاس من مظاهر الفاقة والحرمان، ولنا الأمل كله أن تجتث حكومة المغرب الفتية في عهد الاستقلال مساوئ عهد الحماية من عنف وإرهاق وإذلال لذلك الشعب الوديع وأن يُشعر المسؤولون هذا الشعب بسياسة الرفق واللين في هذا العهد الجديد، وهذا يتوقف بالطبع على تطهير جهاز الحكم تطهيراً تاماً من أذناب عهد الاستعمار، ولاحظنا أيضاً في أنّ الأحياء القديمة في حواضر المغرب لا تتوفر فيها شروط الصحة خصوصاً في فاس القديمة فانها لا تخلو من المستنقعات ولكنها قليلة المجاري والمصارف التي تدفع المياه الآسنة إلى أماكن بعيدة.

تستحق مدينة فاس القديمة كل رعاية من السلطات الحكومية في ناحية التنظيم والتجديد، والتخطيط لا سيما في الجهات المحيطة بجامع القرويين فإن زوّار هذا الجامع يتكاثرون في العهد الحاضر، والجامع واقع في مطمئن عميق من الأرض لا يصل الزائر إليه إلاّ بشق النفس. ومن الضروري أن يحاط الجامع برحاب أو أفنية واسعة وميادين تصلح لمرور السيارات ولكن لا أثر لشيء من هذا القبيل.

يوم الاحتفال:

في يوم الثلاثاء ١١ من تشرين الأول سنة ١٩٦٠ نزلنا - سعياً على الأقدام - إلى مدينة فاس القديمة لحضور الحفلة التي جرت بقاعة الخزانة الكبرى التابعة لمعهد القرويين وكانت الحفلة كبيرة شهدها كبار رجال الدولة من المغاربة يتقدمهم الملك، وشهدها كذلك رجال السلك السياسي شرقيين وغربيين وممثلوا الجامعات والمعاهد العلمية الذين دعوا من مختلف الجهات ثم توالى إلقاء خطب وبحوث يتألف منها مجلد ضخم، وحسبنا أن نرجع إلى السجل الذي انتظم ما أُلقِي في ذلك الموسم، وقد تم نشره أخيراً بعنوان «الكتاب الذهبي» أو «جامعة القرويين في ذكراها المائة بعد الألف» ولنا في هذا الكتاب الذهبي كلمتان إحداهما في معنى «تحية المهرجان» ألقيت في الجلسة الأولى التي عُقدت في قاعة «الحي الجامعي» بعد ظهر يوم الإثنين (١٠ تشرين الاول ١٩٦٠) وفي هذه الكلمة عنيت عناية خاصة باستنهاض القوم والتنويه بماضي المغرب في بث العلم ونشر الثقافة الإسلامية[١] والكلمة الثانية عنوانها «الطبيعة في المغرب» ألقيت بعد ذلك[٢].

وهكذا استغرقت مدة مكثنا وتجوالنا في المغرب خمسة عشر يوماً منها خمسة في الرباط ومثلها في فاس كانت حافلة بالمتع والفوائد العلمية والأدبية حيث زرنا بلاداً عزيزة علينا لم نشهدها من قبل، ولقينا فريقاً من أبنائها الأفاضل المعنيين بشؤون العلم والأدب، واغتبطنا بسعة آفاق عدد منهم وإطلاعهم على شؤون المشرق والعالم الإسلامي، وفاوضنا جماعة من هذه الطبقة في موضوعات شتى علمية وثقافية.

مجالس المغرب:

وفي بعض مجالس الرباط وفاس، وليالي طنجة ومكناس كانت تدور بين فريق من إخواننا المغاربة وضيوفهم المشارقة أحاديث شائقة تناولت موضوعات شتى لبعضها صلة بالتاريخ، وللأخرى علاقة بالأدب والثقافة العامة، وللثالثة رابطة بالتعليم والتربية، ومنها أحاديث تتصل بالخطين المغربي والأندلسي الشايعين هناك والمقارنة

(١) الكتاب الذهبي: ٤٩.
(٢) المأخذ المذكور: ٩٦.

بينهما وبين الخط المشرقي، والمفاضلة بين هذه الخطوط. ومنها حديث شائق عن ماضي المغرب في المحافظة على سيادته واستقلاله، وتميزه بذلك على جملة من البلاد الأخرى، وحديث عن التعليم قديمه وحديثه وتنسيق مناهجه، وآخر عن اللغة والثقافة اللغوية.

برامج التعليم ومشكلة تنسيقها:

مشكلة توحيد المناهج قديمةً وحديثةً وتنسيقها في التعليم مشكلة عويصة تكاد أن تكون عامة في كل قطر عربي أو إسلامي وجد فيه نوعان من برامج التعليم نوع إسلامي قديم تسير عليه المدارس الدينية أو المدارس الموقوفة التي تعنى بدراسة علوم الشريعة وفنون اللغة العربية، وتخرج إخصائيين يحملون شهادتها أو إجازة أساتذتها، ولا غاية لهم إلاّ نشر العلوم المذكورة وتعزيز مبادئ الدين الحنيف لا يطلبون على ذلك جزاءً ولا شكوراً، هذا هو الطراز الإسلامي القديم من التعليم، وأحسن مثال له مدارس النجف ومدارس بغداد والبصرة والموصل في العراق ومعاهد الأزهر في مصر والزيتونة والقرويين في فاس، ونرى إلى جانبه الآن هذا الطراز الحديث من التعليم الذي تتعهده الدولة اليوم حيثما وجد من البلدان على أحدث المناهج في التربية والتعليم، وتعنى فيه بدراسة علوم الطبيعة والرياضيات والعلوم الاجتماعيّة والطبيّة والفلسفيّة بلغات أجنبية في المعاهد العالية غالباً، وتخرج أخصائيّين يحملون شهادتها لسد حاجة الدولة من هؤلاء المتخرجين، ومن خصائص هذه المدرسة الحديثة أن جملة من طلبتها والمتخرجين منها متأثرون بضرب من الفلسفة المادية أو الواقعية كما يسمّونها، ولما انتشر هذا الضرب الحديث من التعليم، وكثر عدد معاهده وتزايد الإقبال عليها للحصول على بلغة العيش، وتضاءلت الرغبة في غيره من الدراسات، حاذر بعض المعنيين بشؤون التربية من عواقب الجفاء أو القطيعة بين مناهج المدرستين. ومن ههنا نشأت في المغرب وغير المغرب فكرة التوحيد ودمج التعليم بنوعيه في مدرسة واحدة تشرف عليها الدولة. ولا يخفى ما يعترض فكرة التوحيد هذه من مصاعب ومشكلات.

بحوث التربية في المهرجان:

عني كاتب هذه الكلمة فيمن عني بالنظر بشؤون التربية. وكانت منذ عهد بعيد شغله الشاغل في العراق، وفي غيره من البلاد التي قدر له أن يزورها. ولما شهد احتفال المغرب الأقصى حكومة وشعباً بعيد القرويين في أواخر خريف ١٩٦٠ اهتبلها فرصة للبحث عن هذه الناحية هناك، وقد جمعتنا هذه الرحلة بفريق من أفاضل المغاربة والمشارقة، فاوضناهم، وبحثنا معهم شؤون التربية، ووقفنا على آراء ووجهات نظر مختلفة، ولم تخل هذه الاجتماعات ممن ينصر المدرسة القديمة، ويشيد بمميزاتها وآثارها الجميلة، وبفضلها على المدرسة الحديثة، ولم تخل أيضاً ممن يفضل المدرسة العملية الحديثة، ولاحظنا أن هناك فريقاً ثالثاً يذهب إلى امكان التوفيق بين المدرستين، ولا يخفى أن أنصار المدرسة الحديثة ينعون على أصحاب المدرسة القديمة ضعفهم وجمودهم، كما أن أنصار المدرسة القديمة يؤاخذون أصحاب المدرسة الحديثة غالباً بتقليدهم وزهدهم في تراثهم القديم واحتقارهم له وتقديسهم لتراث الغربيين، وقد رأينا أنصار المنهج القديم يحتجون لمذهبهم غالباً بضياع التخصص أو التوسع في الدراسات الإسلامية إذا حلت المشكلة على أساس توحيد التعليم والإطاحة ببرامج المدارس الإسلامية، والخلاصة هناك آراء متضاربة في مصير المعاهد الأهلية القديمة والبرامج المتبعة فيها ومنها مدرسة القرويين فمنهم من يرى تغيير تلك المناهج وإدماج تلك المدارس في نوع من النظام الجامعي الحديث بحجة انتهاج منهج موحد في التعليم، ومنهم من يرى ضرورة المحافظة على برامج المدارس القديمة بحذافيرها وإبقائها على ما هي عليه الآن، وفريق ثالث يرى أن يوكل حل هذه المشكلة، وإصلاح المعاهد القديمة، وتحديد معنى الإصلاح المقصود إلى مؤتمر إسلامي قوامه علماء أكفّاء مخلصون متبحّرون في تلك الدراسات.

في حفلات القرويين:

رسالة القرويين. تمسك المغاربة بالدين. القديم والجديد، ملوك المغرب وجامعة القرويين المعارف الإسلامية: الحي الجامعي في مدينة فاس. خزانة الكتب.

كان مهرجان فاس القائم بمناسبة مرور أحد عشر قرناً على تأسيس «القرويين» - جامعاً ومدرسة وخزانة كتب - مهرجاناً شائقاً، وذلك في ضحوة الإثنين ١٠ تشرين الأول ١٩٦٠ شهدته وفود الجامعات وجمهرة من المعنيين بالحركة العلمية والفكرية شرقاً وغرباً، وشهدته طبقات أخرى من مختلف أنحاء المغرب يتقدمهم عاهل البلاد، وقد قوبل موكب المهرجان بمظاهر الفرح والابتهاج حيث انحدر الناس من طريق أو من باب يسعى «باب أبي الجنود» إلى منخفض فاس القديمة التي يقع فيها الجامع الكبير وما يلتحق به، وفي هذا الطريق النافذ إلى الجامع مخازن ومنعطفات ضيقة غير قليلة استقبلنا أهلها بهتافات عالية بحياة الدول العربية والأمة الإسلامية حتى مدخل الجامع، وحيا المحتفلون الجامع العظيم وطافوا في أرجائه، وفي الجامع تحف نفيسة من أبواب ومسارج أو «ثريات» وطرف مختلفة يقال أنها جلبت من الأندلس أو من جامع «اشبيلة» وزين بها جامع القرويين ثم ذهبنا إلى طابق تقع فيه المكتبة، وإلى جنبها قاعة كبيرة غصت بالناس وكانت المحافل المعنية بهذا الاحتفال تتحدث عن رسالة القرويين الدينية ومناهجها في الدراسة، وعن إنشاء جامعة جديدة تقوم على أساس التوفيق بين المناهج المختلفة والحاضرون هناك فرق وأحزاب لكل فريق رأيه ومذهبه في فكرة التوفيق بين المناهج ولاحظنا أن هذا الحديث أثار ضرباً من القلق في بعض المعاهد القديمة وأقضّ بعض المضاجع في بلاد المغرب، تحدث إليّ بذلك فريق من العلماء الأجلاّء في بعض أيام المهرجان، ولا أنسى أن الحديث كان في يوم المهرجان وفي قاعة الاجتماع بالذات.

موقف للأساتذة:

واتخذ موكبنا طريقه إلى «جامع القرويين» وكان فريق من العلماء في أفنية الجامع يتلون الأذكار والأدعية لدفع هذه الغاشية فلم يشاركوا في إقامة هذا المهرجان من الأساس فضلاً عن المشاركة في الاجتماع المذكور: وكانت المدرسة القديمة معطّلة أو مضربة على الأصح فلا طلبة ولا أساتذة لأن طلاب المرحلة الإبتدائية أُلحقوا بالمدارس العامة وطلاب الأقسام الثانوية والعالية ما زالوا يتساءلون عن «الحي الجامعي الجديد».

فكرة التوحيد في خطاب الملك:

استهل محمّد الخامس -رحمه الله- مهرجان القرويين بخطاب جامع يشعرك بما يتميز به الخطيب من الوعي والإخلاص وسلامة التفكير، ألقاه على الحضور في قاعة خزانة الكتب بجامع القرويين ونوّه فيه برسالة القرويين وأهدافها جامعاً ومدرسة قائلاً: «يعود الفضل في ذلك إلى تشبث المغاربة بالدين الحنيف، وهيامهم بكل فضيلة وتقديسهم للعلم وتقديرهم للعلماء في هذه الجامعة التي مكّنت للإسلام في نفوس المغاربة، وأطلقت ألسنتهم بالعربية، وخطت لهم المنهج الذي ساروا فيه زهاء ألف عام فلا عجب إذا صارت مهوى الأفئدة وقبلة الأنظار واستأثرت بعطف جميع الملوك الذين تعاقبوا على حكم المغرب ورعايتهم وتأييدهم، وتسارع إلى التدريس فيها علماء الأقطار المغربية والأندلسية، وتسابق الطلبة من القارة الأفريقية ومن أوربة لطلب العلوم التي كانت تقرأ فيها من علوم الشريعة واللغة إلى العلوم المشاعة بين البشر، ولئن تخلفت الجامعة القروية عن مماشاة التطور العلمي في وقت من الأوقات فإنها لم تتخلف عن أداء رسالتها إذ انقلبت إلى حصن تلوذ به حضارة الإسلام وثقافة العروبة في الجانب الغربي من بلادهما، ولمّا وضعت الخطط لانقاذ المغرب لم يغرب عن احد أهمية الدور الذي يمكن أن تقوم به «جامعة القرويين» في نهضة المغرب الجديدة فوضع لها نظام جديد، وأدخلت على برامجها تحسينات، ومن مظاهر العناية والتجديد الذي أُدخل عليها إنشاء «حي جامعي» كبير نقلت إليه الدراسة من جامعها العتيق، وتعليم العلوم الحديثة باللغة العربية إلى جانب العلوم الإسلامية، ورفع مستوى الدراسة فيها».

هذا ملخص ما ورد في الخطاب الذي استهل الملك به ذلك الاحتفال، وفيه إشارة إلى توحيد التعليم، وإلى إزالة الفوارق المحدثة فيه، وفي هذا الخطاب أيضاً تلميح إلى توجيه الثقافة في المغرب نحو هدف «القرويين» ورسالتها، وكان لهذه الالتفاتة مغزاها عند المعنيين بحل هذه المشكلة. وأشاد الملك في آخر خطابه بماضي «مدينة فاس» الفيحاء إحدى حواضر الإسلام الكبرى وقواعد العروبة العظمى التي ظلت زمناً طويلاً

المنار السامي الذي يهدي رواد المدنيّة والمورد العذب ينهل منه طلاب المعرفة من أقطار المغرب والقارة الأفريقية».

قوبل هذا الخطاب من قبل الحشد المائل في القاعة بكثير من مظاهر الاستحسان والتقدير خصوصاً عند التأكيد على الاتّجاه نحو هدف القرويين في التجديد والتوحيد، وتكييف التعليم بموجبهما، وتهدئة روع العلماء الوجلين الموجسين خيفة من التفريط بذلك التراث الإسلامي الثمين تحت عنوان التوحيد أو التجديد، والراغبين في نشر التعليم على ضوء تلك الأهداف والمبادئ المعروفة في ماضي القرويين.

ويقول بعض هؤلاء الأساتذة: صحيح أننا تخلفنا عن مواكبة غيرنا من الأمم الناهضة ولم نأخذ بأسباب نهوضها وسيادتها وعوامل الرخاء والرفاهية فيها، ومن واجبنا وقد التفتنا إلى ضرورة النظر في ذلك كله ألاّ تضطرب أو نتخبط في سيرنا، وأن نتحاشى التهافت على قشور الحضارة دون لبابها، وعلى اعراضها دون جواهرها، وألا تقلد الغربيين في الظواهر الضحلة، بل يتحتم علينا قبل كل شيء النظر بعمق في اسرار تفوق الامم وغلبتها، ويخطيء من يظن أن ذلك يتم بتقليد القوم في ازيائهم أو التشدق بلهجاتهم أو اصطناع عاداتهم كأنهم مثلنا الذي يحتذى في كل شيء، ومن الضروري أن نحدد أغراضنا وأن نسلك أقوم السبل للوصول إليها، ولنا في بعض دول الشرق والغرب أسوة.

المحافظون:

هذا ومما لا شك فيه أن تضارب الآراء واختلاف وجهات النظر إلى هذه المشكلة. وفي أوجه حلها شطر الناس لا في المغرب وحده بل في بقية الأقطار الإسلامية إلى فريقين محافظين ومجددين، وهؤلاء المحافظون طبقة تنكر تقليد الغربيين في أساليب التربية، ومن رأيهم أن تربية نشئنا عن تلك الأنماط الغربيّة يؤدي إلى الانحلال، ويقول هؤلاء المحافظون أيضاً: إن أفضل علاج لهذا التخبط ينحصر في المحافظة على منهج السلف في سيرتهم وعقائدهم وآدابهم، وفي صيانة تراثهم، وفي النهج على منوالهم في تقدير الفضيلة وتهجين الرذيلة.

المجددون:

هؤلاء المجددون على الضد من المحافظين يزعمون أن الحضارة الغربية كلّ لا يتجزأ وليس لنا أن نختار منها فإن كل ما فيها صلاح، وهم يكثرون من الحديث عن مزايا الغرب وحضارته وعن الغربيين وفضائلهم في عاداتهم وأخلاقهم وأنماطهم في الحياة، ويدعون أيضاً أن الشرق لا ينهض إلاّ إذا حذا حذوهم، وهم بعد ذلك على أقسام منهم الغلاة الذين يحتقرون روح الشرق، وما جُبل عليه الشرقيّون، ويهزأون بالمقدسات على أنهم يقدسون الغرب على كل حال.

هذا ويلاحظ أن هناك فريقاً وسطاً بين هذين الطرفين يذهبون إلى إمكان حل هذه المشكلة على أساس الجمع بين القديم والحديث، ويقولون: إن بعض مناهج التربية التي عني بها أجدادنا لا تصلح لنا بحذافيرها هذا اليوم، كما أن بعض مناهج التربية الغربية لا تصلح لنا على علاتها وشوائبها كذلك.

ولما انتهى الاحتفال في قلب المدينة القديمة، أو في المنحدر إلى جامع القرويين وكان ذلك عند الظهيرة تعيّن علينا أن نعود مصعّدين في مشقة بالغة، وأخذ الجهد مأخذه من الضيوف بعد الجولة في منحدر القرويين، وكانت بهم حاجة ملحّة إلى مركبة أو سيارة ولا سيارة هناك، وأدرك الرفاق من إخواننا المغاربة حراجة الموقف، وطالبوا الجهات المختصة بسيارة فلم يسعف الطلب، وأخيراً اتصلوا بالقصر الملكي، وبعد أخذٍ ورد حضرت سيارة صغيرة انقذتنا من تلك المشكلة.

حديث العربية في المغرب:

حديث العربية ولهجاتها في هذا العصر ذو شجون، وقد انتابت هذه اللغة في العالم العربي شرقاً وغرباً علل مختلفة أضعفتها وأنهكت قواها ردحاً طويلاً من الزمن، وكان ما أصاب العربية في المغرب أخيراً اضعاف ما أصابها في المشرق، وذلك بسبب كلب الاستعمار ومناوأته لكل مقومات الحياة في هذا القطر أكثر من سواه، ومن هذا القبيل أن فرنسا استطاعت أن تجعل من الفرنسية لغة عامة على شكل لا نظير له في غير هذه البلاد، ولما انتهى عصر الحماية جابه المغاربة مشكلات لغوية خطيرة في المدرسة وفي دواوين الرسائل والإنشاء ومصالح الدولة كافة، والخلاصة انتقل إلى

المغرب في عهد استقلاله ميراث ثقيل ومشكلات مختلفة اجتماعية وثقافية واقتصادية، ولاحظنا أن إخواننا أبناء المغرب جادون في وضع خطة تكفل حل هذه المشكلات.

لا بد لنا من كلمة عامة نمهد بها لهذا البحث بحث اللغة العربية في المغرب وتتقدم بها على الطريقة التالية:

كانت فتوح المسلمين فذة في بابها من حيث سرعتها الخاطفة وحملتها الصاعقة على الفساد في بلاد القياصرة والأكاسرة والفراعنة حتى شوهدت مقانب المسلمين تقف على شطئان المحيطات قبل مضي المائة الأولى من الهجرة، وهناك ناحية أخرى لا تقل شأناً عن اتساع الفتوح، ذلك أن تلك الأمم المغلوبة على أمرها تنازلت للفاتحين عن مشخصاتها ومقوماتها من لغة وآداب وعادات طائعة غير مكرهة، استعربت فارس وما وراءها من المشرق، واستعربت أفريقية وما بعدها من المغرب إلى أقاليم القارة الأوربية، ولسائل أن يسأل ما هو السر في تناول هذه الأمم عما تنازلت عنه، وما هي بواعث رغبتهم عن لغاتهم إلى لغة العرب، والجواب أن تلك الأمم كانت مفتقرة أشد الافتقار إلى دعوة الإسلام وإلى ما في شرائع الإسلام من يسر وسماحة وعدالة في ميزانها ونظامها متبرمة بفساد أوضاعها من النواحي المذكورة، فلا عجب إذا أقبلت على العقيدة الجديدة وأعرضت عن تلك الأوضاع القديمة.

كانت العربية في عصر الفتح لغة دين يعبد بها الله جل شأنه، ويتلى فيها كتابه وسرعان ما تحوّلت إلى لغة علم وسّعت فيض العقول وثمرات القرائح والمواهب والفضل في ذلك كله يعود إلى تلك الدعوة التي أنكرت الجهل ونددت بالجمود، ومجّدت العلم والحكمة، وحثّت الناس على إطلاق الفكر وفك الأغلال.

لم يكن نصيب القيروانيين والمغاربة والأندلسيين نزراً من ذلك الفيض كما لا يخفى وذلك بعد دخولهم في الدين، فأصبحت هذه العربية لغتهم في المخاطبات ثم أصبحت لغة الدواوين والتأليف والتعليم والقضاء في جميع الدول التي قامت في المغرب بأقسامه وفي الأندلس، وهذه الدول التي كونتها قبائل المغرب القديمة مثل

المرابطين والموحدين والمرينيين ومن تلاهم لم تعرف في دواوينها وفي ترسّلها غير العربية، ولم يكتب بغيرها حملة الأقلام، ولنا أن نقول أن أعلاماً من البربر الأقحاح بزوا غيرهم في خدمة العربية وعلومها، وحسبنا منهم ابن آجروم الصنهاجي من أهل فاس صاحب المقدمة. والجزولي مؤلف الجزولية، وهما من أبناء قبائل المغرب في الصميم.

وصف السّيوطي ابن آجروم[1] بالصلاح والبركة والإحاطة بعلم النحو قائلاً: «ومما يدل على صلاحه عموم نفع المبتدئين بمقدمته التي صنفها وهو مجاور بمكة ومعنى «اجروم» بلغة البربر «الصوفي الفقير» ويستنتج السيوطي من دراسة هذه المقدمة المشهورة أن صاحبها على مذهب أهل الكوفة في علم النحو كما يظهر ذلك من مصطلحاته التي استعملها في المقدمة وكانت وفاته بفاس سنة ٧٢٣هـ هذا وهناك من يرى أن كتاب «الجمل» للزجّاج هو أصل «الأجرومية» الصنهاجية، أما الجزولي عيسى بن عبد العزيز بن يلل بخت - ومعناه المحظوظ بالبربرية - فهو صاحب الرسالة المشهورة في النحو، وفي نسبه أسماء بربريّة ترجمها المعنيّون بكتابة سيرته، ومنهم السّيوطي في البغية توفي سنة ٦٠٧، والخلاصة لا يمكن لبلد أنجب هذه الطبقة من حذاق العربية أن تموت أو تضعف هذه اللغة فيه. ولذلك فشلت محاولة كل دولة أجنبية ناوأت اللغة العربية في المغرب، وآخرها فرنسة التي فرضت حمايتها على المغاربة وسيطرت عليهم أكثر من مائة سنة.

آثر المغرب في حفظ العربية:

وقد عد ابن خلدون بلد المغرب حصناً من حصون اللغة العربية كمصر والشام والأندلس وذلك من بعد إنحلال الدولة العباسية بغلبة التتار، ويرى ابن خلدون أن المغرب من الدول التي عاشت بها العربية بعد موتها ونسيانها في بلاد المشرق التي تغلبت عليها دول المغول، وعد منها العراق، ولا يخلو كلام ابن خلدون في هذا الفصل الذي عالج فيه حياة اللغة العربية في المغرب واندراسها في العراق والمشرق - على ما يقول- من مبالغة أو تهويل، والغالب أنه اعتمد بعض الأقاويل المرسلة

(١) البُغية (١٠٢).

والروايات الضعيفة فإن العربية لم تمت في العراق والمشرق في عصر المغول على الشكل الذي صوّره ابن خلدون. وقد انتهى مطاف ابن خلدون بالديار المصريّة والشاميّة والحجازيّة ولم يصل إلى الخطة العراقيّة ليتحقق مما قال.

لهجة المغاربة:

تعدَّدت لهجات العربية بتعدد البلدان التي يتخاطب أهلها بها، ولا ينكر أثر البيئة في اختلاف اللهجات فكانت للبدو من العرب لهجتهم وللحضر لهجتهم. ولهجات البدو والحضر أنفسهم تختلف باختلاف المكان والزمان من عزلة أو اختلاط أو جوار أو اتصال بشعوب أعجمية، ولا شك أن لهجة المغاربة في حواضرهم ومدنهم الكبيرة إحدى لهجات العربية إلاّ أنها مشوبة بعدد غير قليل من الكلمات البربريّة والعاميّة المغربيّة والفرنسيّة، وقد بذل الفرنسيون جهداً بالغاً في نشر لغتهم ببلاد المغرب المنكوبة بسلطانهم الاستعماري خصوصاً بلاد الجزائر أو المغرب الأوسط لاحتلالهم إياها قبل غيرها من الأقطار. فأصبحت الفرنسية لغة عامّة كما بدا لنا في بعض المدن والحواضر. على أننا لم نجد أثناء الرحلة والانتقال من جهة إلى أخرى في المغرب صعوبة في التّفاهم أو التحدث إلى من تحدثنا إليهم بالفصحى أو بلهجة قريبة منها، وبناء على ذلك فأحسن أداة للتفاهم فيما إذا اختلفت اللّهجات العامية هي الفصحى أو لهجة سليمة قريبة من الفصحى، وقد دلت التجربة على ذلك. هنا وقد لاحظنا أن الفصحى لا يحسن التكلم بها في المغرب إلاّ المثقفون، وهؤلاء قلة في البلاد، وجلهم حملة شهادات مدرسة القرويين أو بعض المدارس المماثلة لها. أو حملة شهادات جامعية أخرى، وقد حمدنا تجربتنا كما قلنا في التفاهم بالفصحى - لغة القرآن والذكر الحكيم - في مختلف الأقطار الإسلامية، ومن ذلك يتضح فضل مؤسسة القرويين في المحافظة على العربية، وفي إشراب نفوس المغاربة روح الدعوة الإسلامية والتمسك بالدين الحنيف وصيانة تراث العروبة.

لهجة أبناء فاس، أساتذة القرويين:

أما العلماء وأساتذة القرويين منهم خاصة فلم يتسنَّ لنا الاجتماع بأكثرهم لضيق الوقت ولمقاطعة من قاطع منهم هذا المهرجان وأضرب عن الإسهام فيه على أن من

رأينا منهم كان مثالاً في التواضع وحسن السمت ولطف اللهجة، ولهذه العلة، ولما امتازت فاس بجامع القرويين ومدرسته وخزانة كتبه إلى غير ذلك من مدارس ومساجد وخزائن كتب وجدت فيها رأينا لهجة أبناء فاس أسلم لهجات المغاربة وأقربها إلى الفصحى، وما أشبهها من هذه الناحية بلهجة أهل القاهرة في مصر أو دمشق في سورية أو النجف في العراق، أو لهجة كل بلد يعد مركزاً للدراسات الإسلامية والعربية الأصيلة فالفضل في ذلك يعود إلى تلك الدراسات.

مصطلحات المغاربة:

تدور على السنة المغاربة هذا اليوم خصوصاً على السنة اصحاب الدواوين والمترسلين مصطلحات عربية خاصة لا تستعمل في أقطار العالم العربي الأخرى، من ذلك كلمة (المخزن) يعنون بها «السلطة» أو «الحكومة» و«المشور» على وزن محور يعنون به قصر السلطان أو دار الحكومة يجتمعون فيها للمداولة وتبادل الرأي في القضايا العامة، ومن مصطلحاتهم كلمة (الحاجب) أطلقت على بعض الأماكن والضياع في منطقة مكناسة الزيتون، وقد رأينا في طريقنا إلى مصيف «إيفران» قرية جميلة تسمى «الحاجب»، وهذه المصطلحات موروثة من دول مغربية قديمة، فالحاجب في مصطلحات قدماء المغاربة والأندلسيين تعني رئيس الوزراء أو نائب الملك، ولعل هذه الجهة التي أطلق عليها هذا الاسم في طريقنا إلى مصيف «إيفران» كانت مملوكة لرجل من أصحاب هذه الرتبة، قال ابن سعيد ونقله المقرى[1] «وأما قاعدة الوزراء في الأندلس فإنها كانت في مدة بني أمية مشتركة في جماعة يعينهم صاحب الدولة يختصهم بالمشاورة ويختار منهم شخصاً لمكان النائب المعروف بالوزير فيسميه «الحاجب» إلى أن كانت ملوك الطوائف فكان الملك منهم يعظم الحاجب في الدولة المروانية، وإذا كان نائباً عن خليفتهم يسمى الحاجب، وكانت هذه السّمة أعظم ما تنوفس فيه وظفر به وهي موجودة في أمداح شعرائهم وتاريخهم».

---

(١) نفح الطيب (١ / ١٠١).

بحث ابن خلدون عن الحجابة:

وفي الفصل الذي عقده ابن خلدون في المقدمة عن مراتب الملك والسلطان بحث ممتع عن الحجابة في دول المغرب والأندلس، وعن كبرها طوراً وصغرها تارة، وانها كانت تعدل رتبة الوزارة ثم رتبة النيابة عن السلطان في الدولة العامرية ودولة بني أمية قبل ذلك، ولم يزل لها هذا الشأن فارتفعت خطة (الحاجب) ومرتبته على سائر الرتب حتى صار ملوك الطوائف ينتحلون لقبها فاكثرهم يومئذ يسمى «الحاجب» ومدلول هذه الكلمة في غالب الاحيان هو مدلول كلمة (الدوادار) في المشرق أو في الدولة العباسية وبعض الدول التركية في مصر والشام، وأما رتبة الحاجب في المشرق فانها دون ذلك وكذلك في بعض دول المغرب، قال ابن خلدون: وأما دول (زناتة) واعظمها دولة بن مرين فلا أثر لاسم الحاجب عندها وكذلك في بني عبد الواد».

في العامية المغربية:

العامية المغربية كما قلنا خليط من ألفاظ عربية، وبربرية، وفرنسية، ومن قواعد هذه اللهجة قلب الياء في بعض الأفعال والألفاظ ألفاً أو همزة فيقولون في مثل (يكون) (أكون) وفي (يقول) (أقول) وفي يدوم ادوم وفي يعيش ويطير أعيش وأطير وفي ينام انام بهمزة مكسورة بدل الياء، ومن ألفاظهم الغريبة الشائعة كلمة (وخى) بالتضعيف يستعملونها مكان كلمة (حاضر) في اللهجة المصرية أو (طيب) في اللهجة العراقية، وقد اختلفت الآراء في تخريج هذه الكلمة، وسألنا بعض أدباء المغاربة في طنجة عن أصلها فردها قوم إلى أصل عربي عن الإخاء والمواخاة، وردها آخرون إلى أصل بربري وقال لنا بعض المصريين الذين شهدوا معنا مهرجان القرويين في الرباط: في لغة قدماء المصريين كلمة تشبه هذه الكلمة هذا وإذا أراد المغربي أن يقول لك (كفاية) قال (بركة) وإذا أراد أن يقول لك (جميل) أو (حسن) قال (صافي) إلى غير ذلك. ولنا أن نقول حبذا هذا الصفاء وحبذا تلك البركة في منطق القوم.

ومن ذلك قلب الجيم ياء في جملة من الألفاظ، فيقولون: (مسيد) في (مسجد) والجمع (مسايد) ومن الغريب أنها رسمت في بعض الكتب المغربية الحديثة (مدارس المسايد) يعنون مدارس المساجد، وهذا النوع من القلب شائع كما لا يخفى في عامية

أقاليم العراق الجنوبية كالمتنفك والبصرة والعمارة خصوصاً بين طبقة الزراع والفلاحين. ولا تخلو بعض أقاليم اليمن من هذه اللهجة أيضاً، وفي هذا الصدد نقول أن التعريف بـ (ام) دون أداة التعريف الشائعة عند العرب وهي (ال) لا يزال معروفاً في اليمن على قاعدة (ليس من امبرم صيام في امسفر) فتقول بعض قبائل الجنوب في شبه الجزيرة العربية في الناصر (امناصر).

اختزال الألفاظ:

يكثر الاختزال في منطق العامة من المغاربة فيقولون في عبد الرحمن (رحوم) وفي عبد القادر (قدور) وفي زكريا (زكور) وفي عبد العزيز (عزوز) وفي عائشة (عشوش) وهذا الضرب من الاختزال معروف في لهجة أهل بغداد والموصل، وتختزل الألفاظ في منطق الأقوام القاطنة في شمال العراق، من ذلك مثلاً قولهم وفي كلمة محمود (حمو) كما هو الشأن عند المغاربة، ويلاحظ أن هناك كلمات اتفقت اللهجات العربية على اختزالها أو تصغيرها منها كلمة (خدوج) في خديجة وهي شائعة عندنا في العراق، ولها أمثال، وكان اختزال هذه الكلمة معروفاً في لهجة عرب الأندلس فهذا العماد الأصبهاني ترجم في قسم شعراء مصر والمغرب وصقلية والأندلس من كتابه المعروف بالخريدة لشاعرة أندلسية اسمها «خدوج» قال العماد: (والأصل فيها خديجة) وهو من لطائف الاتفاق في اللهجات العربية.

قدم العامية:

لا ريب في فائدة دراسة اللهجات العامية المنحرفة عن الفصحى في سائر البلاد العربية ومنها المغرب، وذلك لمعرفة أسرار تولدها وانشقاقها عن أمها الأصلية، ولا يخفى أن العامية المغربية قديمة قدم عامية الأندلس وكل عامية أخرى فلائمة النحو واللغة مثلاً، ولأهل اللّسن والفصاحة من شعراء ومترسلين لهجتان: لهجة خاصة بالتأليف والكتابة، ولهجة عامية شائعة في المحادثات اليومية داخل البيوت وفي الأسواق، قال ابن سعيد[1]: (كلام أهل الأندلس الشائع في الخواص والعوام - يعني

---

(١) النفح (١ / ١٠٣).

لهجتهم العامية - كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية حتى لو أن شخصاً من العرب سمع كلام «الشلوبين» وهو يعلم النحو في عصرنا، وهو الذي شرقت تصانيفه وغربت وهو يقرئ درسه لضحك بملء فيه من شدة التحريف).

هذا ما قاله ابن سعيد عن قدم اللهجة العامية في منطق علماء الأندلس والتخاطب بها لا بالفصحى في المنازل والأسواق. وهو فيما نرى مما يجري وفق طبيعة الأشياء، فالتخاطب بغير الفصحى في البيوت والأسواق حتى بين أئمة العربية كان وما زال معروفاً في غير الأندلس من الأقطار ومن ذلك مصر والشام والعراق، وما أكثر الشواهد على ذلك في كتب الأدب والتاريخ وحسبنا هذا دليلا على قدم اللهجات العامية.

البربر واللغة البربريّة:

يعتبر جيل البربر قسيم العرب والمستعمرين في المغرب، وللقوم لغة خاصة تعرف بالبربريّة، ونحن نفضل إطلاق كلمة (اللغة المرابطيّة) مكان (اللغة البربريّة) عليها كما ورد ذلك في غير كتاب من كتب التاريخ [1] وقد جاء في تلك الكتب التي عنيت بسيرة يوسف بن تاشقين ملك المرابطين أنه كان يجهل العربية قالوا: ولكنه كان ذكي الطبع يجيد فهم المقاصد، وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية ويترجم له من لغة إلى أخرى، ولما وصلت رسائل الاستغاثة من ملوك الطوائف بالأندلس إلى ابن تاشفين، وكانت مكتوبة بالعربية لم يفهم ما ورد فيها إلاّ بعد الترجمة، هذا ولا نعرف من سمى البربرية «اللغة المرابطية» ولكنها تسمية طريفة واصطلاح لا بأس به. وعلى كل حال فالبربريّة أو (الشلحة) - كما تسمى في المغرب - لغة خطاب ليس لها حروف، ولذلك لا يكتبون بها، وكانت شائعة في جميع أقطار المغرب قديماً ولكنها غير معروفة اليوم في برقة وطرابلس وتونس وما إليها اللهم إلاّ في جهات نائية فإنها لم تزل لغة خطاب في لهجات قبائل المغرب الاقصى التي تقطن الأرياف والجبال والصحراوات. و«الشلحة»، من لهجات البربر منسوبة فيما نرى إلى «الشلوح» قال ابن منظور (الشلوح طوائف من البربر يتكلمون بالسنة مختلفة مساكنهم

(١) الوفيات (٢ / ٣٦٥ - ٣٦٦) وانظر: نفح الطيب (٢/ ٥٢٤).

بأقصى بوادي المغرب)، هذا وفي مادة (بربر) من كتاب (التاج) لابن منظور فصل عني فيه بإيراد مختلف الآراء عن أصل البربر في بلاد المغرب والمشرق ذكر فيه طرفاً من أحوالهم وعاداتهم وما إلى ذلك. وأشار ابن منظور في هذا الفصل إلى قول ابن خلدون في كثرة عددهم، ونقل قول السهيلي في «الروض» أنهم من نسل حام، وفي هذا الفصل الذي عقده ابن خلدون كلمة عرف بها البربر وسمى بلادهم وقبائلهم ومساكنهم وعاداتهم في معاشهم ووصفهم بشدة البأس وقوة المراس وقرنهم بأمم العالم المشهورة، وذهب بعض الباحثين إلى وجود التشابه في جملة من العادات والشيم بين العرب والبربر وعدَّ من ذلك مثلاً إكرام الضيف والغيرة على الأعراض والأنفة وحماية الذمار والبساطة في العيش، ومن أجل ذلك عاش العرب والبربر جنباً إلى جنب في العصور القديمة والحديثة، والخلاصة وجد البربر في شمال أفريقية منذ عهد سحيق، ذكرهم البلدانيون وأهل السير والتواريخ، هذا ومن الأمم القديمة التي أنشأت لها مستعمرات في شمال أفريقية الفينيقيون والقرطاجنيون واليونان إلاّ أن ذلك لم يترك إلاّ أثراً ضئيلاً في السكان الاصليين، ويعللون عجز قبائل البربر قديماً أو قبل الإسلام عن إنشاء دول قويّة وطيدة الأركان ببداوتهم وبانقسامهم وانشقاقهم إلى قبائل متناحرة، ومع ذلك يلاحظ أن قبائلهم التي تقيم في الجبال الشاهقة أو في البوادي البعيدة لم تتأثر بغيرها من الأجناس إلاّ قليلاً، ولهذا فإن نزعتهم إلى الاستقلال لم تمت بالمرّة، وكانوا يكنون عداوة عظيمة للرومان، وهذه العداوة أدّت إلى غزو أفريقية الشماليّة من قبل فرنجة الديار الأندلسية، وعنى بعض الباحثين من المستشرقين الغربيين بالبحث عن سكان المغرب بأقسامه الثلاثة إلاّ أن بحوثهم مشوبة بأغراض سياسيّة وأطماع أشعبية، ولاحظنا فيها مغامر غير قليلة بل مطاعن بجيل البربر ووصمهم بالجهل والهمجيّة والوثنيّة، وحاول هؤلاء الكتّاب جهدهم التفرقة بين عناصر المغرب بحجّة اختلافهم في اللغة والجنس والعادات إلى غير ذلك، ومن رأينا أن تشويه تاريخ المغاربة من بربر وعرب وغيرهم بمثل هذه البحوث المسمومة يلحق ضرراً بالأجيال الإسلامية المذكورة، ومما يشرف البربر فيما نرى مطاعن من يطعن

بهم من كتاب الإفرنج والمستشرقين المغرضين، وفي هذه المطاعن دلالة على فشل محاولات المستعمرين في استعبادهم قديماً وحديثاً، وقد اتحد العرب والبربر اتحاداً لا تنفصم عراه في عصر المرابطين والموحدين والمرينيين ومن تلاهم من دول المغرب بأقسامه الثلاثة قديماً والى هذا اليوم.

التعليم في المغرب:

اصبع التعليم الرسمي في المغرب منذ فرضت الحماية على البلاد سنة ١٩١٢ إلى عهد غير بعيد يجري باللغة الفرنسية، والمدارس في هذا النوع من التعليم أقسام أهمها المدارس الأوربية والمدارس الإسلامية ومناهج هذه المدارس بأجمعها هي المناهج المقررة في فرنسا بالذات، تُعَلّم جميع المواد فيها باللغة الفرنسيّة، ولا تختلف المدارس الخاصّة بالمغاربة المسلمين عن غيرها فإن لغة التعليم فيها هي الفرنسية، وثلاثة أرباع معلميها فرنسيون.

اللغة العربية:

كانت اللغة العربية تُدَرّس في بعض مدارس المغرب على أنها مادة إضافيّة، بل كانوا يُدَرّسون قواعد العربيّة وموادها بالفرنسيّة، وقد حذا الأتراك بعد ذلك في بلادنا حذو القوم فكانوا يدرّسون العربية باللغة التركية، وهناك مدارس لا تدرس فيها العربية قط. هذا ما كانت عليه مدارس المنطقة السلطانية في المغرب فهي من مدارس فرنسا نفسها ولا تختلف عنها من جميع الوجوه على أن أكثر من ٩٠ بالمائة من المغاربة المسلمين محرومون من التعليم في حين أن مثل هذا العدد من الفرنسيين والأوربيين مقبولون في مدارس الحكومة المغربية إلى ذلك الحين، والخلاصة ما أبعد الفروق بين الفرص المتاحة لأبناء المغاربة والمتاحة للفرنسيين في التعليم علاوة على أن مدارس المسلمين قاصرة على الصفوف الأولية أو الابتدائية بحيث لا تستطيع كثرتهم المضي في مراحل الدراسة الثانوية والعالية، يضاف إلى ذلك أن الطالب الفرنسي يتلقى التعليم بلغته، أما الطالب المغربي فإنه يجبر على أن يتعلم بلغة أجنبية أما المعلمون من المغاربة ومن يعاونهم من المشارقة فهم أقل من ثلث المجموع، هذا في المدارس الرسميّة، والحالة أنكى وأمر في

مدارس الأوربيين فقد ناهز عدد المدرسين الفرنسيين في هذه المدارس (٢٥٠٠) ويلاحظ مثل هذا التفاوت الجسيم في المبالغ المخصصة لنفقة المدارس الفرنسية والأوربية والمبالغ المخصصة لنفقة المدارس الإسلامية.

التعليم الأهلي:

كان التعليم الأهلي المعروف في الكتاتيب شائعاً في جميع جهات المغرب وقد ارتفع عدد الطلاب في هذه الكتاتيب إلى مئات الألوف ولكن سلطان الحماية حظر إدخال أي نوع من الإصلاح على برامج هذا التعليم البسيط، ولا حاجة إلى القول بأن هذه السياسة الغاشمة أدت من جانب المغاربة إلى سخط بالغ، وكان السخط يتفاقم من حين إلى آخر، واشتدت المطالبة بالإصلاح على شكل لم يسع السلطات المغربية والفرنسية إلاّ تكوين لجنة تعني بدرس مطالب المغاربة وتقديم مقترحاتهم في هذا الشأن. وكان ذلك سنة (١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤م) وقد تلقّت السلطات الحكومية مذكرة اللجنة متضمنة مقترحاتها ولكن لم يظهر لها أثر في مرحلة التطبيق، وعلى كل حال جاءت هذه المذكرة تعبيراً عن تذمر المغاربة من انحطاط مستوى التعليم في كافة مراحله، وانعدام العناية بإصلاحه ومناواة اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

مطالب أساتذة القرويين:

وفي السنة المذكورة نشط أساتذة القرويين وطلابها منادين بصيانة كيان معهدهم، ومنع كل تدخل أجنبي في شؤونه وطالبوا أيضاً بإصلاح نظم المعاهد على أساس مسايرة الروح العصرية.

التعليم في مرحلة الاستقلال:

ولا يخلو ضرب من المقارنة بين ماضي التعليم على ما كان عليه في عهد الحماية، وما صار إليه بعد الاستقلال من فائدة، ومن الواضح أنه لم تمض فترة كافية بعد للتخلص بالمرة من مساوئ عهد الحماية في ناحية التعليم وغيره، إذ انتقل للدولة المغربية الفتية ميراث ثقيل من ذلك العهد الذميم، ويتراءى لنا أن السلطات المغربية تبذل اليوم جهداً لا بأس به في سبيلا الإصلاح، يظهر لنا ذلك من فحوى مذكرات المصالح الرسمية ووزارة التربية الوطنية، وآخر مذكرة اطلعنا عليها في هذا المعنى

تعني بشرح خطة الحكومة في إصلاح التعليم، وتعريبه في مراحله الثلاث. ومن رأي الجهات المسؤولة حسبما يظهر من هذه المذكرة أن فكرة التوحيد توحيد مناهج الدراسة إذا تم تطبيقها ستؤدي إلى خلق روح من التفاهم والانسجام بين مختلف طبقات الأمة، وذلك بدراسة عميقة للغة القومية - على حد عبارة المذكرة - وأشارت هذه المذكرة بعد ذلك إلى حدود التوحيد والتعريب، وأنها ستتناول التعليم بمراحله الثلاث وستبقى الفرنسية مع ذلك لغة تعلّم بها العلوم العامّة بالإضافة إلى أنها لغة التعليم الثانوي في كثير من المواد، ويقضي المنهج الجديد باستقلال «جامعة الرباط» استقلالاً تاماً عن الجامعات الفرنسية على أن يلحق بهذه الجامعة كلية للشريعة ومعهد للعلوم الاجتماعية وآخر للعلوم السياسية.

شؤون الطلبة:

كان نصيب الطلبة المسلمين من المغاربة من عناية السَّلطات الحكومية ضئيلاً جداً على عهد الحماية ويبدو لنا من التأمل في هذه المذكرة التي صدرت منذ عهد قريب أن السلطة تسير الآن على خطة جديدة من حيث العناية بشؤون الطلاب والنظر في حاجاتهم مادياً ومعنوياً سواء أكانوا من المغاربة أم من الأفارقة، ولم تفتها العناية بشؤون الذين يدرسون خارج البلاد شرقاً وغرباً، ومن قبيل هذه العناية تعيين مراقب للطلبة الذين يدرسون في الشرق على أن يقيم في القاهرة وآخر لمن يدرسون في الغرب على أن يقيم في باريس، وتؤكد المذكرة على وجوب إعارة النواحي المادية ما تستحقه من الاهتمام كزيادة مبالغ المنح وإنشاء المطاعم المدرسية في بعض معاهد التعليم، ومن ذلك يستفاد مبلغ الحيف الذي لحق المغاربة من جرّاء ضآلة المنح الحكومية في عصر الحماية، ومن جراء سوء التغذية:

التدرج في تعريب التعليم:

ومن الأهداف المهمة التي أكدت عليها المذكرة (تعريب التعليم) ولا شك أن السلطات المغربية تعاني مصاعب غير قليلة في ناحية التعريب ومن أجل ذلك كانت خطتها تدريجيّة في هذا الباب، وقد تم بموجب هذه الخطة تعريب قسم من التعليم

الابتدائي، وتشير المذكرة أيضاً إلى زيادة الحصص المخصصة لدراسة العربية عما كانت عليه، وإلى وضع برامج لإعداد المعلمين، ونلاحظ في هذا الصدد أن بعثات المغرب من الطلبة ترسل إلى الجامعات الفرنسية، ويا حبذا لو وزعت هذه البعثات ولم تقتصر على تلك الجامعات.

التعليم العالي: جامعة الرباط

تشير المذكرة في هذا الصدد بشيء من الاغتباط إلى تأسيس جامعة مغربية محضة في الرباط مستقلة عن الجامعات الفرنسية يشرف على إدارتها مجلس خاص، وقد زرنا مركز هذه الجامعة ومجلس إدارتها في المدينة أكثر من مرة، وتجولنا في مبانيها وهي ضخمة حقا ويبدو لنا أنها من منشئات العهد الماضي في المغرب وفيها قاعات وأبهاء حسنة لإلقاء المحاضرات والبحوث. وتنوه المذكرة بأن الإقبال على هذه الجامعة كان عظيماً وتشتمل على كلية للحقوق وأخرى للشريعة وكلية للآداب والعلوم ومدرسة للطب، ومدة الدراسة في هذه الكليات ثلاث سنوات، ولا يزيد عدد طلابها على ثلاثة آلاف، هذا ملخّص ما جاء في المذكرة عن الجامعة الجديدة، ولا شك أن تأسيس جامعة مغربيّة مستقلّة عن الجامعات الفرنسية عمل كبير، ولأجل أن تكون هذه الجامعة مستقلة بكل ما لهذه الكلمة من معنى يجب اتخاذ كل الوسائل الممكنة لجعل العربية لغة التدريس في جميع الأقسام.

فكرة التوحيد:

وفيما يتعلق بتوحيد التعليم في المغرب وردت في المذكرة عبارة صريحة لا لبس فيها ولا غموض إذ جاء فيها ما نصه: (ففي الميدان التربوي نذب إلى توحيد التعليم توحيداً يكفل تكوين المواطن تكويناً صالحاً متشبعاً بمقوماته الروحية قادراً على الإنتاج) وتعزز المذكرة هذه الدعوة إلى توحيد التعليم بما تسميه (مسايرة التطور وواقع الحياة) ونقول إن أخطر نقص يصاب به نظام تعليمي هو عدم مسايرته للواقع الذي يترتب عليه انفصال تام عن معترك الحياة.

تأخر المدارس القديمة:

تعرج المذكرة أخيراً على الإشارة إلى انحطاط المدارس القديمة بسبب جمودها واقتصارها على التلقين والترديد، في سبيل تدارك هذه الأخطار نقول «يتحتم بذل جميع مجهودنا من أجل توجيه التعليم نحو الواقع» وأنها لمفخرة للمدرسة المغربية - كما ورد في المذكرة - إذا تمكنت من أداء هذه الرسالة، هذه هي خلاصة مذكرة وزارة التربية الوطنية فيما يتعلق بإصلاح التعليم وتنسيقه وتعريبه في عهد الاستقلال، هذا وكان بودنا أن نرى فيها إشارة إلى ذلك الاتجاه الجميل الذي ورد في خطاب عاهل المغرب بشأن الإصلاح على أساس احترام أهداف القرويين الأصيلة.

الخط المغربي: بحث مقارن

توحيد القاعدة، آراء في صور الكتابة، القاعدة المشرقية، القاعدة المغربية: اقتراح على المغاربة بشأن الخط

يعتز المغاربة كثيراً بالقاعدة المتبعة عندهم في الخط، وبهذه القاعدة فيما لاحظنا يكتبون ما يكتبونه على واجهات الدواوين أو المدارس، وعلى مداخل المدن والقرى وغير ذلك ولا شك أن حروف الكتابة المغربية هي الحروف العربية إلاّ أنها تكتب بشكل يختلف عن شكلها في الكتابة المشرقية حتى أن قراءتها لا تخلو من صعوبة على المشارقة، وتاريخ هذا الخط المغربي ومثله صنوه الأندلسي قديم دون به تراث المغاربة كما نجده في المخطوطات وإلى هذه الإلفة القديمة في الخط مرد التزام المغاربة بقاعدتهم في الكتابة، وما يقال في الخط المغربي يقال في الخط الأندلسي فهو صنو المغربي بل هو هو في أكثر الأحيان، ولما كان الخط أداة خطيرة يعتمد عليها في التعليم والتأليف ذاكرنا أصدقاء لنا من علماء الرباط وأدباء فاس، وسألناهم عن رأيهم في توحيد الكتابة العربية على أساس اقتباس صورة الخط المعروفة في المشرق خصوصاً في كتابة المصاحف الشريفة فرأينا من بعضهم إعجاباً بخطهم وتفضيلاً له بشكله الحالي على خطوطنا المشرقية، وإصراراً على الاحتفاظ بتراثهم من هذا القبيل، وبالغ بعضهم قائلاً حبذا لو اقتبس أهل المشرق طريقتنا في الكتابة، وادّعى بعض هؤلاء الأصدقاء أن الخط المغربي أجمل، وللناس فيما

يعشقون مذاهب، ولمّا سألناهم لماذا تطبعون مصاحفكم بحروف مشرقية لم نجد جواباً شافياً عن ذلك.

منذ التاريخ الذي عرفت فيه القاعدة الأندلسية أو المغربية في الخط تعددت الآراء في المفاضلة بينها وبين القاعدة المشرقية، ومن رأينا أن كثرة المنادبين أو المثقفين المعنيين بهذه الشؤون ولا يستثنى المغاربة منهم يفضلون قاعدة المشارقة، وفي التاريخ شواهد غير قليلة على ذلك، منها مثلاً أن محمّد بن عبد الله البلنسي المعروف بابن الأبار بعد هجرته من الأندلس إلى تونس في عصر الدولة الحفصيّة كان لا يشق له غبار في كتابة الخطوط المشرقية التي كان السلطان يفضلها على الخط الغربي، وهذا السلطان هو الذي ناط بابن الأبار رسم طغرائه في الرسائل والوثائق السلطانية تحت البسملة، ويستفاد من ذلك أن الخط المشرقي له أنصاره الراغبون فيه من قدماء المغاربة، والحق أن أهل القيروان وأفريقية لم يعرفوا أول الأمر إلاّ قاعدة المشرق، وبها كتبوا في عصر زهو القيروان وحضارتها، فإن القيروان كانت دار علم وعرفان قبل المغرب، وعرف الخط القيرواني بالأفريقي بعد ذلك، وهو الخط الذي كان مألوفاً في بغداد والشام ومصر أو قريباً منه جداً، ومن القيروان انتقل الخط المشرقي أو الأفريقي المذكور إلى المغرب، ولكن القيروان دُمّرت في منتصف المائة الخامسة وذهبت حضارتها الباذخة فانحط الخط فيها وتغير، وعلى توالي العصور أصبح كل واحد من الخطين مستقلاً عن الآخر حتى أن من اعتاد الكتابة بالخط المغربي لا يستطيع الكتابة بالخط المشرقي إلاّ نادراً، ويعتبر الحذق في الخطين معاً فضيلة كبيرة، حتى قال ابن خلدون عن صاحبه المحدث ابن مرزوق[1] (برع في الطلب والرواية وكان يجيد الخطين). والخلاصة لم نستطع إقناع من تحدثنا إليهم من إخواننا المغاربة بوجهة نظرنا في موضوع توحيد شكل الكتابة، على أساس اقتباس القاعدة المشرقية غير أننا نعتقد أن أنصار القاعدة المشرقية يزدادون عدداً من يوم إلى آخر في تلك البلاد، ولا حاجة إلى

(١) رحلة ابن خلدون ط. القاهرة (ص ٥٠).

القول بأننا لا نتحيّز إلى خط معين ولكنها مصلحة الأمة تقضي بتوحيد القاعدة في الكتابة كما تقضي بتوحيد المنهج في الثقافة.

بحث منع في الموضوع:

عقد ابن خلدون في مقدمته بحثاً ممتعاً ألمّ فيه بتاريخ الكتابة المغربية. وأشار إلى أولية الكتابة في القيروان والمغرب، وأن خطهم كان «بغدادياً» أو مشرقياً ثم لَمَّحَ إلى سبب تغلب الطريقة الأندلسية في الخط على الطريقة الأفريقية المشرقية وتشكّى شكاة مريرة من رداءة الكتب التي انتسخت بالخط المغربي المذكور، وفي هذا الفصل بحث مقارن بين قواعد الخطوط المغربية والمشرقية تخلص ابن خلدون منه إلى القول برداءة الخط المغربي فقال: «اختط بنو العباس بغداد وترقّت الخطوط فيها وكان الخط البغدادي معروفاً برسمه وتبعه الأفريقي يعني القيرواني المعروف برسمه القديم لهذا العهد وهو يقرب من أوضاع الخط المشرقي، وتحيز أفق الأندلسي بالأمويين فتميزوا بأحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط، وتميز خطهم الأندلسي كما هو معروف الرسم بهذا العهد وطما بحر العمران والحضارة في الدول الإسلامية في كل قطر، وعظم الملك ونفقت أسواق العلوم، وانتسخت الكتب وأجيد كتبها وتجليدها، وملئت بها القصور الملوكية بما لا كفاء له، وتنافس أهل الأقطار بذلك وتناغوا فيه ثم لما انحل نظام الدولة الإسلامية تناقص ذلك اجمع، ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة فانتقل ما بها من الخط والكتابة والعلم إلى مصر والقاهرة فلم تزل أسواقها نافقة بها لهذا العهد، - يعني للخط - بها معلمون يرسمون لتعليم الحروف في وضعها وأشكالها قوانين متعارفة» هذا ما قاله ابن خلدون عن قوانين الخط والكتابة المشرقية أو البغدادية ثم قال: «وأما اهل الأندلس فافترقوا في الأقطار عند تلاشي ملك العرب فيها ومن حالفهم من البربر، فتغلبت عليهم أمم النصرانيّة فانتشروا في عدوة المغرب وأفريقية من لدن الدولة اللمتونيّة - يعني دولة المرابطين - إلى هذا العهد وشاركوا أهل العمران في الصّنائع، وتعلقوا بأذيال الدولة فغلب خطهم على الخط الأفريقي وعفى عليه، ونُسي خط القيروان والمهدية بنسيان عوائدهما وصنائعهما، وصارت

خطوط أفريقية كلها على الرسم الأندلسي بتونس وما إليها لتوفر أهل الأندلس بها وعدد الجالية من شرق الأندلس، وبقي رسم منه - يعني الخط الأفريقي المنقول عن الخط البغدادي، ببلاد «الجريد» الذين لم يخالطوا كتّاب الأندلس، ولا تمرسوا بجوارهم، وإنما كانوا يفدون على دار الملك بتونس، فصار خط أفريقية من أحسن خطوط الأندلس حتى إذا تقلص ظل الدولة الموحديّة بتونس وتراجع أمر الحضارة والترف بتراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه وبقيت فيه آثار الخط الأندلسي تشهد بما كان لهم من ذلك، وحصل في دولة بني مرين بعد ذلك بالمغرب الأقصى لون من الخط الأندلسي لقرب جوارهم، وسقوط من خرج منهم - يعني الأندلسيين - إلى فاس قريباً - أي في المائة السابعة والثامنة - ونسي عهد الخط من بعد ذلك في سدة الملك، وصار وكأنه لم يعرف وصارت الخطوط بأفريقية والمغربين الأوسط والأقصى مائلة إلى الرداءة بعيدة عن الجودة، وصارت الكتب إذا انتسخت فلا فائدة منها تحصل لمتصفحها إلاّ بالعناء والمشقّة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتحريف وتغيّر الأشكال الخطيّة حتى لا تكاد تقرأ، ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع لتناقص الحضارة».

هكذا خلص ابن خلدون من هذا البحث الطريف إلى القول برداءة الخط المغربي وأنه خط سقيم، وإلى أن الخط المشرقي أو القيرواني أفضل منه، فهو من أنصار الطريقة المشرقية في الخط التي كانت معروفة في مصر والقيروان وما إليها من البلاد، أجل خلص ابن خلدون إلى هذا الرأي بعد خبرة طويلة ودراسة عميقة قرأ خلالها ما قرأ من الكتب المرقومة بالخطين على حد سواء، ولكنه عانى ما عانى من سقم النسخ في الكتب المرقومة بخطوط أهل المغرب، هذا وما خلص إليه ابن خلدون هو القول الفصل في هذا الباب لا شك في ذلك[1].

محمّد رضا الشبيبي

---

(١) نشرت في مجلة المجمع العلمي العراق، المجلد ١٢ لسنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م، ص ٣-٤٠.

مؤتمر تأسيس جامعة أم القرويين في المملكة المغربية في تشرين الأول ١٩٦٠م / ١٣٨٠هـ، فترة الاستراحة

ويظهر في الصورة: الشيخ محمد رضا الشبيبي مع الشيخ محمد رضا المظفر

(٣)

رحلات الشبيبي
إلى القاهرة
١٩٤٨ـ ١٩٦٤م

رحلات الشبيبي إلى القاهرة

١٩٤٨-١٩٦٤

مع الفقيد أحمد لطفي السيد

وأخيراً وبعد ذلك العمر المديد والحياة الطويلة مضافاً إلى كونها حياة عريضة انتقل الأستاذ أحمد لطفي السيد إلى جوار ربه. وبفقدانه رحمه الله فقد المجمع والمجتمع علماً من أعلام العصر له صيته البعيد وآثاره الذائعة في الحكمة والفلسفة وفي السياسة والصحافة، ولا أنسى إقبال أبناء العراق والشرق العربي- وذلك في أواخر عهدنا بالدولة التركية - على قراءة الجريدة التي أنشأها في صدر هذه المائة وقد اختط لها نهجاً مبنيّاً على تعزيز الحريات العامة فأقبلت الطبقة الواعية على قراءتها أيما إقبال.

وفي ٢١ نيسان سنة ١٩٦٣ أقيمت في دار الجمعية الجغرافية حفلة كبرى لتأبين الرئيس الفقيد، قرأت وأنا في العراق ما ألقى فيها من منظوم ومنثور فشجعني ذلك على الرجوع إلا أوراق قديمة سجلت فيها مجريات هذه الدورات المجمعية. وقد شغل ذلك الفقيد جانباً لا يستهان له منها وإلى هذه السجلات استندت في تحرير هذه الكلمات.

كان أول لقاءي بالأستاذ الفقيد في دورة من دورات المؤتمر اللغوي هي الدورة الرابعة عشرة وكان قد اختير لمنصب الرياسة قبل ذلك بنحو ثلاث سنوات في سن ناهزت الثمانين وكانت شيخوخته هذه عذره عن عدم الإضطلاع بأعباء الرياسة وتصريف شؤونها أحياناً على أننا كنا إذا علمنا بوجوده في مكتبه أسرعنا إلى الاجتماع به. وكان الشرقيون والمستشرقون من أعضاء هذا المجمع موضع عناية خاصة من قبل ديوان الرياسة علة عهده في ناحية من نواحي التفقد والمجاملة حتى أصبح ذلك سنة من سنن الديوان المذكور. وكان الأستاذ الفقيد مثالاً حسناً في الالتزام بهذه العادة على وجه يدل أبلغ دلالة على شعور شريف وذوق سليم وسجايا عربية أصيلة. وقلما رأينا واحداً مثله وفي سنه يستقبل زواره هاشاً باشاً مبالغاً في الترحيب والإيناس معنياً بالبحث والحديث واقتناص المناسبات، فلا تأخذ مكانك من ديوانه حتى تنساق إلى

الحديث وحتى تتوالى التعاليق والأمالى الممتعة. هذا هو ديدن الرئيس الفقيد أينما كان لا فرق بين ديوانه هنا أو النادي الذي يستجم فيه أو منزله الخاص، حتى في مركبته التي تجوب به شوارع القاهرة، وهي لا تخلو من ضيف واحد أو أكثر من أعضاء المجتمع يتعاطى معهم شتى الأحاديث. بيان جميل ومنطق سليم وبديهة حاضرة إلى تواضع جم وأدب رفيع. ولا عجب فإنه ترجمان جميل كامل أو أكثر من أعلام الشرق والغرب على اختلاف المشارب وتفاوت الثقافات. وبعد فذة نبذة من تلك المطارحات والشوارد التي كنا نقتنصها مما كان يجري لنا معه أو يجري له معنا وما يدور في مجلسه وأكثرها مما لم يعرف عنه قبل الآن وقد راعينا في إيرادها تاريخ الدورات والجلسات المجمعية التي اتفقت فيها، وذلك على الصورة الآتية:

الدورة الرابعة عشرة: الجلسة الأولى

الاثنين ١٢ يناير ١٩٤٨

عقدت هذه الجلسة برياسة الرئيس أحمد لطفي السيد وبعد الفراغ من مناقشة المنهج أعلن الرئيس ختام الجلسة وذلك في تمام الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر من هذا اليوم ودعاني الرئيس ونحن معود إلى منازلنا إلى الركوب في سيارته فقلت له: «أنا مدعو في مكان بعيد» فقال مهما بعد مكان الدعوة، وكنت مدعوّاً عند أحد العراقيين في ناحية الزمالك فأبى إلا أن يوصلني إلى دار صاحب الدعوة وكان ثالثنا في السيارة زميل في المجمع وهو طبيب يكثر الاتصال بالرئيس ولما سألت الرئيس عن صحته شكى من الشيخوخة قائلاً: أمنيتي أن أستقيل فقال الدكتور: مستحيل، فأجاب الرئيس: «مستحيل يا دكتور ولكنه ممكن عقلاً وعادة» ولاحظنا ونحن نجوب شوارع القاهرة أن رئيس المجمع خريت في طرقها ولا يستثني من ذلك الطرق البعيدة كالجيزة والجزيرة وما إلى ذلك

الدورة الخامسة عشرة: الجلسة الأولى

٧/ ١٢/ ١٩٤٨

عقدت الجلسة الأولى من هذه الدورة في التاريخ المذكور برياسة الأستاذ أحمد لطفي السيد افتتح الرئيس المؤتمر بكلمة موجزة ثم أعقبه الدكتور منصور فهمي

بخلاصة أعمال الدورة الماضية. وبعد انتهاء الجلسة دعاني الرئيس إلى العودة بسيارته كالعادة وكان لطيفاً للغاية، وقد تحدثنا في موضوعات منوعة ولاحظت أنه يكثر من توجيه الأسئلة عن شؤون العراق وقد أجبته عي كل ما سأل، وقال ونحن نجوب شوارع القاهرة الكبرى الغاصة بالمتاجر الأجنبية: إن الأجانب عندنا احتكروا التجارة وشؤون المال والاقتصاد،أما المصريين فإنهم توفروا على الزراعة، وسألني عن رأي العراقيين في حل مشكلة فلسطين ودار بيني وبينه بحث في هذه القضية ظهر لي منه أن العوامل السياسية الخفية التي كانت تعمل في الدول العربية واحدة سواء أكان ذلك في قضية فلسطين أم في عيرها من القضايا السياسية. ويقول الأستاذ لطفي السيد إن الدول والحكومات في العالم بأسره تتأثر الآن الاتجاهات الشعبية وتحسب للرأي العام حسابه، ثم قال «على أن الفرق بعيد بين الشرق والغرب من هذه الناحية فالرأي العام هناك على شيء لا يستهان به من التنظيم والقوم يعرفون ماذا يريدون وهم يعلمون في حدود مضبوطة مدروسة ولكننا هنا لا نعلم شيئاً من ذلك فنحن في فوضى ظاهرة ». هذا ويظهر من الآراء التي تضمنها الحديث الدائر بيننا أن الرئيس يميل إلى تشجيع الشباب الواعي وأن عليهم المعول، ويقول لا مناص من فسح المجال لهم في الأعمال العامة. وبما قاله في هذا الصدد: إنهم جيل جديد وجدوا ليخلفوا جيلنا القديم، وكان الدكتور فارس نمر عضو المجمع ثالثنا في السيارة وهو يضع سماعة خاصة في أذنه لتعينه عل السمع وقد سألت الدكتور فارس عن صحته فقال: «إننا نعيش على حساب غيرنا».

الدورة السابعة عشرة

الأربعاء ٢٦/ ١٢/ ١٩٥٠

علم بعض الأصدقاء العراقيين أن الأستاذ رئيس المجمع شاك فزاروني ورغبوا في أن يصبوني لعيادة الأستاذ أحمد لطفي السيد رئيس المجمع لاعتكافه مدة بسبب برد ألم به وقد استقبلنا الأستاذ في قاعة كبيرة من منزله تحولت إلى مكتبة عظيمة حافلة بألوف من المجلدات ولاحظنا صورتين كبيرتين في صدر المكتبة إحداهما ثورة الشيخ

محمد عبده العالم المصري المشهور أما الثانية فلم أتبين صاحبها، وكان استقبال الأستاذ لنا لطيفاً جداً كعادته وحديثه ممتعاً ولما رآنا نتطلع إلى محفظة خاصة بالأدوية الطبية وضعت على مقربة منه قال لنا، «إنه يشكو من الدواء أكثر من الداء» وهو في هذه الكلمة ينظر إلى قول أبي الطيب المتنبي:

إذا استشفيت من داء بداء فأقتل ما أعلك ما شفاكا

الدورة الثامنة عشرة الجلسة الثانية

الاثنين ٣١/ ١٢/ ١٩٥١

كان هذا اليوم ميعاد انعقاد الجلسة الثانية للمؤتمر اللغوي وذهبت إلى دار المجمع في الساعة العاشرة والنصف صباحاً وهي دار قديمة تقع في مدخل شارع القصر العينى فقيل لي إن الرئيس حاضر فذهبت إلى مكتبه واستقبلني على عادته بلطف كثير وكانت علائم الصحة بادية عليه بخلاف ما كان عليه في الدورة الماضية وقال: «إن مرد ذلك إلى برك التدخين منذ عشرة أشهر»، وتحدث على ذكر التدخين قائلاً. كنت في سن الطلب والتلمذة أمتهن الصحافة في الصحف وأغشى مجلس السيد جمال الدين الأفغاني يوم كان في الآستانة لا في القاهرة في طبقة من المصريين بينهم البارودي والهلباوي وسعد زغلول والشيخ علي يوسف صاحي جريدة (المؤيد) وغيرهم وكان ذلك في سنة ١٨٩٨ أي منذ أربع وخمسين سنة _ وأكد على هذا التاريخ _ ففي ذات يوم عرض على السيد الأفغاني لفافة من التبغ وكان مولعاً بتعاطي الدخان بشتى صوره بالشيشة والغليون واللفافة فامتنعت من أخذها فتحدث السيد الأفغاني إلينا عن الدخان قائلاً، بحديث يدل على مدحه والتنويه بفائدته.

وقد عقنا على حديث لطفي السيد في هذا الموضوع بأن الأفغاني كان يقصد الفكاهة بال شك في ثنائه على التدخين والمدخنين فوافق على ذلك، ثم أورد هو وغيره من الحاضرين بعض النادر المتعلقة بالتدخين.. أثنى أخمد لطفي السيد في هذا الموضوع بأن الأفغاني كان يقصد الفكاهة بلا شك في ثنائه على التدخين والمدخنين فوافق على ذلك، ثم أورد هو وغيره من الحاضرين بعض النوادر المتعلقة بالتدخين..

أثنى أحمد لطفي السيد في هذا المجلس كثيراً على أستاذه الأفغاني قائلاً: كان شعلة من الذكاء وكانت طاقة النشاط والحركة فيه فائقة نادرة، كان إذا تكلم يستعين بيديه وببدنه وبإشاراته وبحركات عضلاته.

وحضر ذات يوم سعد زغلول فقال الأفغاني. أتعلمون كم كانت عمته هائلة في الأزهر. وختم لطفي السيد حديثه عن الأفغاني قائلاً: كان ولاشك من القوى الفعالة في مستهل هذه النهضة الحديثة.

والواقع أن أحمد لطفي السيد رئيس المجمع اللغوي يتميز فيما يتميز ته بقوة ذاكرته فهو بتاريخ حي كما يتميز بصفاء ذهنه على شيخوخته العالية.

الدورة التاسعة عشرة: الجلسة الرابعة

٥/ ١/ ١٩٥٣

عقدت الجلسة الرابعة من دورة المؤتمر في ٥/ ١/ ٥٣ وبعد انتهاء هذه الجلسة وذلك عي تمام الساعة الواحدة تفضل رئيس المجمع فدعاني إلى سيارته والذهاب إلى النادي بدعوة سابقة منه لتناول طعام الغداء. وكان المدعوون _ولا يتجاوز عددهم الخمسة_ خليطاً من الشرقيين والمستشرقين من بينه حسن حسني عبد الوهاب وماسنيون وتناول الحديث في النادي شتر المسائل الأدبية والعلمية والتاريخية.

ويعجبنا من الأستاذ أحمد لطفي السيد غزارة علمه وسعة حفظه وروايته لكثير من المنظوم والمنثور والحديث الشريف. وهو يحفظ جانباً من القرآن الكريم ولم تؤثر شيخوخته في ذاكرته القوية، وقد جرى ذكر الأنساب فقال لطفي السيد الرئيس لا يسع كثير من المصريين إلا الاعتزاز بالانتساب إلى العروبة وإن لم يكونوا عرباً والرغبة في الانتماء إلى الأصول العربية. ثم قال وكان بعض أل البكري معنيين بالبحث والتأليف في شؤون الأنساب.

الدورة التاسعة عشرة: الجلسة الخامسة

٨/ ١/ ١٩٥٣

عقدت الجلسة في ميعادها وهي الساعة الحادية عشرة، وبعد الفراغ من المنهج انفضت الجلسة في تمام الساعة الواحدة. وبعد الاستراحة القليلة في مكتب الرئيس

ذهبنا إلى منزل الدكتور منصور فهمي في ناحية الدقي بدعوة منه لتناول طعام الغذاء على مائدته وكان منزل الدكتور أكثر أناقة مما رأيناه في سنة ١٩٤٩ وبيه حديقة غناء وأما مائدته فكانت مائدة سرية وكان من المدعوين الأستاذ رئيس المجمع وحسن حسني عبد الوهاب وحضرت على المائدة السيدة قرينة الدكتور وابنه سداد -وهو طالب في كلية الهندسة- وجرى ذكر التعليم في مصر والشرق فذكرت أزمة البطالة بين صفوف المتعلمين وحملة الشهادات العالية ومرد ذلك إلى ضآلة العناية بالمشاريع الاقتصادية إلى جنب العناية بالمشاريع الثقافية.

وكان أحمد لطفلي السيد يصغي إلى نقاش فعلّق على ذلك بقوله: «دعوا التعليم ينتشر فإنه كفيل بحلّ هذه المشكلات ويحفظ ولو عن طريق الثورة». هذا وقد دعانا الرئيس لطفي السيد إلا سيارته في الإياب كما فعل في الذهاب وسألناه، وكانت السيارة تنهب بنا الطريق عن اتخاذ دار خاصة بالمجمع فقال: حاولنا ذلك ولم تزل وقد عثرنا على دار مناسبة مساحتها ثلاثة آلاف متر وقيمتها أربعون ألف دينار ولمن لجنة حكومية استكثرت الثمن، ومررنا في طريقنا إلى الفندق على ثكنات قصر النيل فسألت الرئيس عن سبب هدمها فقال: لا أرى ما يبرر ذلك ثم قال: كانت هذه الثكنات مقر قيادة الجيش البريطاني في أيام الاحتلال. قلت: وهي الثكنات التي أقيم عليها فيما بعد مبنى الجامعة العربية وبعض الفنادق الجديدة.

الدورة الواحدة والعشرون: الجلسة السادسة

٦/ ١/ ١٩٥٥

بعد انتهاء هذه الجلسة دعينا إلى الذهاب إلى نادي محمد علي لحضور مأدبة الرئيس. وهذه المأدبة خاصة بالشرقيين والمستشرقين من الأعضاء، واستقبل أحمد لطفي ضيوفه هاشاً باشاً مع أنه يحبو إلى التسعين، وكان هذا أول يوم يجمعنا بالرئيس إذا لم يشهد جلسات المؤتمر بناء على اعتكافه وانحراف صحته، وقد سألناه عن صحته فقال. حاولت اليوم أن أشهد المؤتمر ولكن الطبيب نصحني بالاستراحة.

وكان كعادته مرحاً، حلو النكتة، رقيق اللهجة، غزير المادة، قوي الذاكرة، تولى

إدارة الحديث في أكثر المدة وهو ينتقل من موضوع إلى آخر، ومن بحث تاريخي إلى سياسي إلى أدبي فاجتماعي، ولم تفته الشواهد من منظوم ومنثور، كأنه يفرغ من مكتبة سيارة. وجرى بعد ذلك ذكر الشعراء ومن الذين ذكرهم الرئيس أحمد لطفي السيد وروى شعرهم الحسين الضحاك، وبشّار، والمعرّي قائلاً: أنا من المعجبين ببشار فهو شاعر فحل كنت أنا وعبد العزيز فهمي صديقين، بل أخوين، وكنا نتذوق الأدب صنوين، وفي اقتناء الكتب وقراءة الدواوين شكلين، وقد أعجبنا معاً ببشار وشعره. ومما رواه أحمد لطفي لنا بيت من الشعر للحسين بن الضحاك في معنى سقوط التكليف عن ابن الثمانين قائلاً: فأنا الآن غير مكلف على مذهب ابن الضحاك. فأضحك الجميع، إلى أن قال: «قد انتهينا ولا أظنني أشهد مؤتمر السنة القادمة. قال ذلك وهو يبتسم فقلنا: مد الله في عمرك. ومن المسائل التي يشغل باله بها تأنيث لفظة مصب فهو يقول: «لا أدري لماذا يؤنثون لفظة مصر من بين أسماء البلدان» وسألني ما هو حكم لفظة العراق أيؤنث أم يذكر. فقلت: إذا قصدنا بها القطر والإقليم ذكّرناها، وإذا قصدنا بها البلاد أو المملكة وما إلى ذلك من المؤنثات اللفظية وردت مؤنثة، وهل في هذا النوع من التأنيث ضير على مصر؟.

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

وقد رأينا مضيفنا الأستاذ هذا اليوم حفياً بكاتب هذه الكلمة وكنت أهديته نسخة من كتابي «مؤرخ العراق ابن الفوطى» فأظهر شيئاً من الاستحسان والتقدير ومما قاله: «كان كتابكم سلوتي ومتعتي في هذه الأيام» وأطرق الأسلوب المتبع في تأليف الكتاب قائلاً: «إنه خروج على أساليب المقلدين الجامدين من المؤرخين، وإنني لأشعر بمتعة ولذة في مطالعة الكتاب فشكرت للرئيس هذا الاطراد وقلت له: هذه عين الرضى وهي العين التي تصفح عن التقصير وما أحوجنا إلى عين النقد التي تكشف لنا عن العيوب. فقال: «لم يكن فيما قلته ذرة من المبالغة» هذا موضع العبرة في هذا الحديث ذلك النشاط الذهني النادر، والانصباب على قراءة الكتب قراءة تدبر وتحقيق مع ما يعانيه من الشيخوخة والضعف الشديد.

الدورة الثانية والعشرون: الجلسة الثالثة

الاثنين ٢٦/ ١٢/ ١٩٥٥

خرجنا من قاعة الاجتماع بسيارة رئيس المجمع وكنت مدعواً على مائدته في جماعة من الأعضاء بلغوا السبعة عداً بينهم الأساتذة: المغربي وحسن حسني عبدالوهاب والدكتور منصور فهمي وماسينيون. قد دعى أيضاً وزير المعارف، ودار الحديث في ردهة النادي أيضاً وعلى المائدة عن الشؤون الثقافية، وكان وزير المعارف يشيد بمجهود وزارته في تأليف عدد من كتب القراءة الابتدائية، وتناول الحديث فيما تناول إصلاح الكتابة العربية مع التمسك بحروفها وعدم التفريط بها، وقيل إن الكتابة العربية ضرب من الاختزال والاقتصاد في الجهد والوقت فضلاً عن جمالها الفني وأن ما يملأ صفحة واحدة بالخط العربي لا يكفيه صفحتان بالحروف اللاتينية، وقد أجمع المتحدثون على أن تركيا أساءت إلى لغتها وإلى أدبها القديم عندما فرطت في الحروف العربية، وإن كثيراً من علمائها يحنون الآن إلى الكتابة بتلك الحروف الجميلة ومن الموضوعات الجغرافية أو الفلكية التي تناولها الحديث القارة المغمورة بالبحار في العصور الخالية. قال ماسينيون: إن آخر الآراء التي يذهب إليها بعض الفلكيين وعلماء الطبيعة الفرنسيين هي أن القمر انفصل عن جهة من الأرض بعينها هي الجهة التي يغمرها المحيط الآن وذلك استناداً إلى حساب المساحات بين القمر والجهة المشار إليها من البحر المذكور، غير أن أحد البحوث التي أجراها الخبراء الأمريكيون تقول إن القمر لم ينفصل عن الأرض ونظريتهم هذه تدحض أسطورة القارة المغمورة بالمحيط.

٢/ ١/ ١٩٥٦

انفضت هذه الجلسة في تمام الساعة الواحدة والربع بعد ظهر هذا اليوم، ومن ثم دعانا رئيس المجمع أحمد لطفي السيد إلى الركوب معه في السيارة ورافقناه إلى منزل الدكتور منصور فهمي بدعوة منه لتناول طعام الغذاء وكان معنا الأستاذ ماسنيون وتناول حديث الرئيس تأليف المعجمات اللغوية فقال: «دائرة المعارف الفرنسية بحاجة إلى تجديد ويلاحظ نشاط الإنكليز اليوم في تأليف معجماتهم، وأعظم منه،

نشاط الاسبانيين فإنهم يؤلفون معجماً لغوياً نادر المثال في اللغة الاسبانية تمدهم بالمساعدة على إخراجه دول أميركا اللاتينية».

وفي منزل الدكتور منصور فهمي حدثني ماسنيون كثيراً قائلاً: إنه من المحافظين المتمسكين بالعقائد وبالغ بخطر المادية والالحاد الجارف وضرورة مجابهتهما بالحرص على أصول الدين والمحافظة التامة عليها وأشار ماسنيون من طرف خفي إلى انحلال الغرب وتراجعه وإلى دوران الفلك وأن مجد الشرق وحضارته آتيان لا محالة وتحدث عن بحوث وآراء دينية متنوعة له. ولماسنيون رأي خاص في سلمان الفارسي -رضي الله عنه- إذ بالغ في الثناء عليه قائلاً: هو من أعظم المرشدين في عصر الإسلام الأول، وتكلم عن الإسماعيلية وعن فاطمة أم السبطين عليهما السلام مقارناً بينها وبين مريم منجبة عيسى عليه السلام».

الدورة الثالثة والعشرون: الجلسة الثانية

٣١/ ١/ ١٩٥٧

عقدت الجلسة برئاسة الرئيس أحمد لطفي السيد وفي تمام الساعة الواحدة بعد الظهر أعلن الرئيس ختام الجلسة ودعاني الرئيس إلى الركوب في سيارته قائلاً: «هلم قبل الاضراب». وكانت الهيآت الشعبية أعلنت حالة الإضراب في جميع الأقطار العربية من المحيط إلى الخليج احتجاجاً على ما يجري في الجزائر وذلك من الساعة الواحدة حتى الساعة الثانية من بعد ظهر هذا اليوم.

وكان ثالثنا في سيارة الرئيس زميل من الأعضاء. والرئيس كما لا يخفى محدث بارع واسع الرواية حاضر النكتة وقد تناول حديثنا بالسيارة شتى الموضوعات فأول ما قلت له: إن دار المجمع الجديدة في الجيزة بعيدة فوافق على ذلك وقال متألماً: «إنها بلية كبيرة ولكنه (فلان)» وذكر اسم بعض الأعضاء ثم قال: «كانوا يريدون إعطاءنا سراي السلطان حسين الذي تقيم فيه الأمانة العامة ل جامعة الدول العربية ولكن الأمانة المذكورة سوفت وامتنعت أخيراً إلى أن ننتقل إلى عمارتها الجديدة التي تقام تجاه وزارة الخارجية المصرية في القاهرة هذا وتناول الحديث بعد ذلك سوء الحالة

الجوية في مصر وعصف الرياح وتكاثف الغيوم وهطول الأمطار واشتداد البرد في هذا الشتاء فتساءل لطفي السيد: أصحيح ما يقال الآن أن السودان مصدر هذه الموجة ومن أين هذا البرد القارس للسودان؟، فأجاب أحد رفاقنا في السيارة إنها غعلطة والأرجح أن الموجة روسية، ولكنهم كرهوا نسبة هذه الموجة المزعجة إليها، فقلت على هذا الحد وتساءلت ونحن نخترق الشوارع أين مظاهر الإضراب؟ فقال الأستاذ لطفي السيد: «يضحكون على أنفسهم، لأن الوقت المحدد للإضراب هو وقت الراحة والقيلولة الاعتيادية في القاهرة.

مررنا في شارع سليمان باشا وفي هذا الشارع تمثال قائم فقال رئيس المجمع: «احتج الفرنسيون على تحطيم تمثال ديلسبس في بور سعيد وهذا تمثال قائد فرنسي قائم في قلب القاهرة. وهذه هي ملاحظة الرئيس بالضبط كأنه كان يتوقع إخلاء الميدان المذكور من التمثال ونقله إلى المتحف ما جرى منذ أيام».

الدورة الثالثة والعشرون: الجلسة الثالثة

٤/ ٢/ ١٩٥٧

في تمام الساعة العاشرة والنصف من صباح هذا اليوم قصدت دار المجمع اللغوي بالجيزة وكان أحمد لطفي السيد الرئيس في مكتبه حيث اتجهت إلى المكتب وسلمت فرحب ترحيباً لطيفاً على عادته، وكان عنده ملاحظ مكتبه وهو من أدباء القاهرة، ولم يلبث أن سألني رئيس المجمع عن حروف «القلقلة» وهي حروف إذا جاء عين الاسم منها لفظ الاسم تحركاً، غير أن إخواننا المصريين يسكنون أمثال هذه الكلمات.

وقلت للسيد الرئيس في الجواب أخشى أنك تسأل أو تشير إلى القلاقل والحوادث في العالم لا إلى حروف القلقلة فضحك وضحكنا. وراح الرئيس بعد ذلك يتحدث بتبسط عن شؤون الرياسة في المجمع قائلاً: «لقد بلغت من العمر عتياً وهاأنذا في الخامسة والثمانين فما أغناني عن هذه الرياسة وقد امتنعت عن الترشيح مرتين ولكن أصدقائي أصروا على انتخابي» وهو يلهج بذكر الدكتور عبدالحميد بدوي والدكتور طه حسين منهم.

قال: «فلم يسعني إلاّ الإجابة» ثم قال: «وهذه الحياة من مبدئها إلى هذه اللحظة كلها متاعب وعناء وعمل لاانقطاع له وقد عييت فما أحوجني إلى الراحة خصوصاً وأسباب المعيشة متوفرة». وفي هذه اللحظة آذنونا بالاجتماع فاتجهنا إلى القاعة وكان ذلك في الساعة الحادية عشرة.

الدورة الخامسة والعشرون

٢٢/ ١٢/ ١٩٥٨

في تمام الساعة العاشرة قصدت دار المجمع اللغوي في الجيزة وقيل لي أن أحمد لطفي السيد في مكتبه فذهبت إلى المكتب وهي أول مرة أراه في هذه الدورة فنهض هاشاً مرحباً وصافحني بحرارة وجاء على التوالي عدد من الأعضاء ودار الحديث على (الأدب الهادف) وعن معنى هذه الكلمة فقال أحدهم: لايوجد أدب غير هادف ولكل أديب هدف؛ وتساءل لطفي السيد عن معنى الهادف فقال أحدهم هو الأدب الذي يعنى بمشكلات الحياة في واقع حالها.

وطلب آخر أمثلة على ذلك فقال: على الأدباء الهادفين أن ينددوا بمساوئ الحياة الاجتماعية الراهنة وأن يشيدوا بمحاسن هذه الحياة فإذا كانت البلاد ترزح وتنوء بنظم زراعية إقطاعية كان عليهم أن ينددوا بها وإذا أفرط السكان بالتسري مثلاً وتعدد الزوجات فعلى الأديب الهادف أن يقاوم ذلك ويشن عليه حرباً بسلاح الأقلام. وكان النقاش جارياً في هذه المسائل، ومراقب المجمع يتلو الرسائل الواردة على الرئيس.

جلسة المؤتمر الخاصة:

الخميس ١٤ جمادى الآخرة ١٣٧٨هـ الموافق ٢٠/ ١٢/ ١٩٥٨

دعى المؤتمر لعقد جلسة خاصة قبل ظهر الخميس لبحث مشكلة تيسر الكتابة العربية وفي تمام الساعة العاشرة ذهبت إلى دار المجمع وقصدت مكتب المراقب فأخبرني بعد قليل بأن أحمد لطفي السيد حضر إلى مكتبه فقصدت مكتب الرئيس وكان وحده ثم حضر بعض الأعضاء والزوار وكان الحديث في مكتب أحمد لطفي السيد متشعب النواحي منوع المواضيع وهو الذي يدير الحديث في مكتبه وجلاسه

يتشوقون على حديثه ويتطلعون طلع أقواله لأنه محدث بارع غزير المادة كثير المحفوظ قوي الذاكرة، ودار البحث على الطيران فذكروا أن الدكتور طه حسين لا يسافر إطلاقاً بالطائرة وأنه رفض دعوة الكويت المشاركة في مؤتمر الأدباء إذ لا سبيل إلى السفر إلى الكويت إلاّ بالطائرة، فقال أحمد لطفي السيد عن نفسه: أنه لم يركب الطائرة وأنه دعي ليركبها مرة من مصر الجديدة إلى الهرم وكانت في مصر طيارة تنتقل بين هذين المكانين وذلك سنة ١٩١١م.

ومن الظريف أن لطفي السيد يذكر الحوادث وإن كانت قديمة بتواريخها. وعرج الحاضرون في الحديث، على التقدم في الطيران ذاكرين أنواعاً من الطائرات الحديثة فقال أحد الحاضرين: إن المشكلة في الطيران هي الهبوط على المدرج فقط وإلاّ فإن الطائرة متى حلقت في الأجواء العالية كانت المركب المريح، الأمين وأورد نادرة من نوادر الطيران وهي: أن الدكتور هيكل -رحمه الله- سافر بالطائرة هو والسيدة قريته إلى شمال أوروبا فاضطربت الطائرة فوق جبال شاهقة وأمعنت بالتحليق فراحت المرأة تصرخ وتستغيث وتتضرع، فقال لها الدكتور: أجل تضرعي على الله فإننا قريبون منه سبحانه وتعالى.

ثم عنى الرئيس والمراقب والسكرتير الخاص بتسهيل سفر بعض المستشرقين من الأعضاء إلى القاهرة قائلين أن الدكتور منصور فهمي قال وهو في الكويت: لم يبق في المجمع محل للمستشرقين. وعرّج لطفي السيد على ذكرياته القديمة ونوادر المجتمع القاهري في الجيل الماضي فذكر المجالس التي يشهدها جمال الدين الأفغاني وحفني ناصف وآخرون من هذه الطبقة، وقال: إنه كان طالباً في كلية الحقوق لما كان يشهد مجلس الأفغاني إلى غير ذلك، وقال أحدهم: إن مجمع اللغة الغربية في طريقه إلى المبنى الجديد الذي سيقام في باب الحديد، فقلت له: وهل بوشر بذلك، فقال: سمعت هذا من وكيل وزارة التربية والتعليم.

أكتفي بهذا النموذج من هذه الأحاديث، شاكراً حسن استماعكم إليه، والسلام عليكم[1].

بغداد — محمد رضا الشبيبي

(١) نشرت في مجلة الإيمان النجفية، ع٣ و٤/ السنة الثانية ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م ص١٨-٢٩.

العلامة الشبيبي في حديث مع الأستاذ نجيب الراوي
أثناء انعقاد إحدى دورات مجمع اللغة العربية في القاهرة

العلامة الشبيبي والسيد منير القاضي وبجانبهما السيد علي دوريش أمين مكتبة الخلاني
العامة في بغداد ، يشاهدون بعض المعروضات النادرة في يوم افتتاح معرض المكتبة

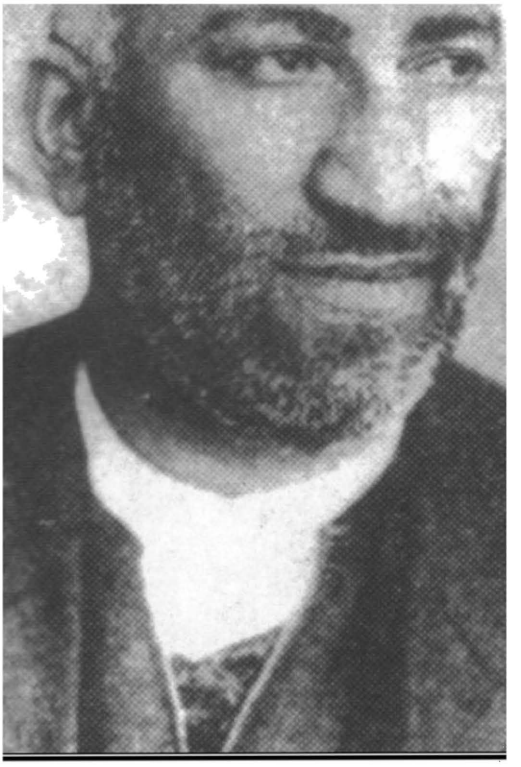

العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي في أواخر أيامه

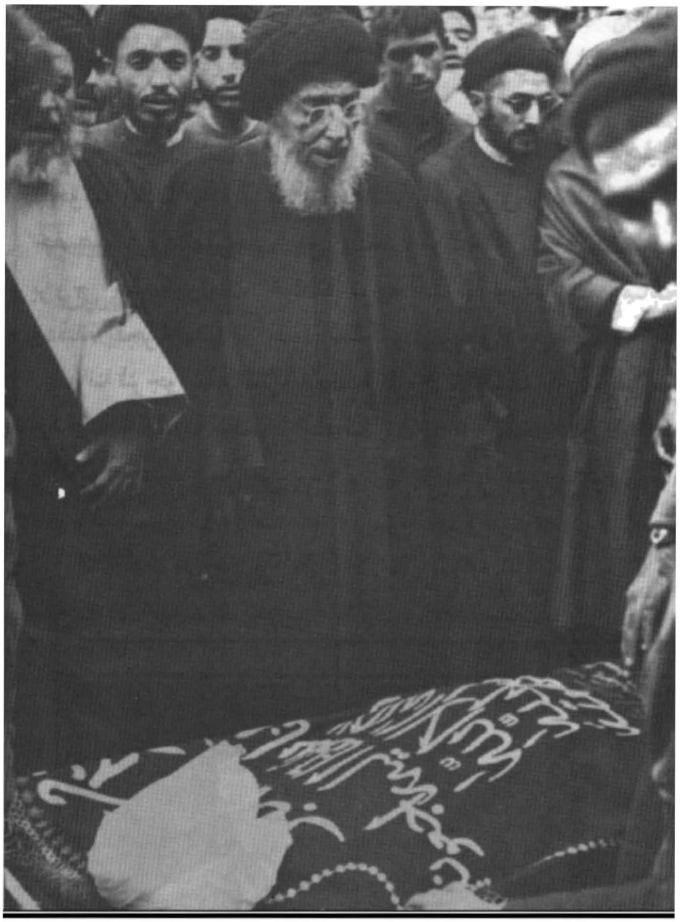

الإمام السيد محسن الحكيم يؤدي الصلاة على جثمان الشبيبي

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي.. ترجمته بقلمه	١٣
❖ - القسم الأول: المذكرات	٣٧
(١) - مذكرات الشيخ الشبيبي خلال الأعوام ١٣٣٢-١٣٣٩هـ/١٩١٤-١٩١٧م	٣٩
تمهيد	٤٣
نهضة الروحانيين الأولى	٤٥
حركة الحبوبي	٤٥
الحلو	٤٥
في السماوة	٤٦
مظاهرة واستعراض في بغداد	٤٧
علماء النجف المجاهدون	٤٧
الوفد من قبل اليزدي	٤٨
العلماء المجاهدون	٤٩
غرق بغداد	٤٩
باخرة تبحر إلى دار الحرب	٥١
حروب القرنة	٥١
حركة العلماء في بغداد	٥١
اليزدي	٥١
توارد الجنود	٥١
حركة الشيوخ	٥٢
المجاهدون	٥٢
عشائر الشامية والمشخاب	٥٣
الأكراد	٥٣
دجلة والأمطار	٥٣
الكوت	٥٤
الحبوبي في المجرة والغراف	٥٤
مجاهدو الأكراد في النجف	٥٦
عدد الجيش في الجناح الأيمن	٥٦
المعسكر العام بعد سقوط القرنة	٥٦
العدول عن مهاجمة القرنة	٥٦

الموضوع	الصفحة
دحر الإنكليز	٥٧
معسكر النخيلة	٥٧
جند النخيلة قبل وصول عسكري بك	٥٧
دفاع النجفيين	٥٧
قوة عسكرية	٥٧
رجوع	٥٨
بحيرة السناف	٥٨
غزوات الليل	٥٨
آية سماوية	٥٨
لغو ضريبة	٥٨
غلام رضا خان أمير بشتكوه	٥٩
في شرقي العراق	٦٠
حسين رؤوف بك	٦٠
أمطار شرقي العراق	٦١
في مدرسة ضباط الاحتياط	٦٢
من غربي دجلة إلى شرقي الفرات	٦٢
يوم الشعيبة	٧٣
حادثة النجف	٧٥
شهيد الدفاع	٧٧
حادثة كربلاء	٧٨
عودة العثمانيين إلى كربلاء	٧٩
سقوط العمارة	٧٩
معسكر الكفل	٨١
وفود الزعماء إلى المعسكر	٨٢
فتح الناصرية	٨٣
هجوم على الناصرية	٨٥
فتنة الحلة	٨٦
التجارة والحرب	٨٧
حروب دجلة عن برقيات القائد العام	٨٧
واقعة في النجف	٨٨
هجوم آخر على الناصرية	٨٨
مكافأة المجاهد الحبوبي	٨٩
حركة الفيلق الفراتي	٨٩
الناصرية والعمارة	٨٩

الموضوع	الصفحة
حرب العراق عن برقيات القائد العام	٩٠
العراق عن البلاغات الرسمية	٩١
حرب العراق	٩٢
دار الحكومة القديمة	٩٣
عود الماء إلى النجف	٩٣
النجفيون والدفاع	٩٤
حرب العراق عن القائد العام في الكوت	٩٤
في أعراض الناصرية	٩٥
إخلاء الكوت	٩٥
كيف أخلي الكوت	٩٧
ذيول كائنة الكوت	٩٨
سلمان باك	٩٨
حالة بغداد	٩٩
مؤتمرات النجفيين	١٠٠
الشيخ الرئيس	١٠٠
ذيول كائنة الكوت	١٠١
سؤال من القائد العام	١٠٢
بغداد والعثمانيون	١٠٢
حرب العراق	١٠٢
حرب العراق	١٠٢
مراجعات برقية	١٠٢
كائنة نجفية	١٠٢
حالة النجف	١٠٥
أهل الحسكة	١٠٨
حركة مدير الحجر الصحي	١٠٨
حركة الركب النجدي	١٠٨
اختلاف الشمرت	١٠٩
البدو وأهل النجف	١١٠
بسالة فتاة بدوية	١١١
وفد إلى النجف	١١١
فتنة في الجعارة	١١٢
حمى كربلاء	١١٢
وضع يد	١١٣
متصرف كربلاء	١١٣

الموضوع	الصفحة
خلو الوفد العثماني باليزدي والاجتماع العام في المشهد العلوي ...	١١٣
كتب البراقي	١١٥
احتفال في المشهد الغراوي	١١٥
محمد فاضل باشا	١١٦
احتفال ثان	١١٦
قفول المندوبين	١١٦
فاضل الباشا	١١٧
الغراف والإنكليز	١١٧
المتصرف والنجفيون	١١٧
رمضان أفندي	١١٨
عودة فاضل باشا	١١٨
حركة النجف	١١٨
نهضة النجف	١١٨
الجند في كربلاء	١١٨
علم تاريخي	١١٨
فاضل باشا	١١٩
البعوث إلى العراق	١١٩
حرب العراق عن برقيات القائد العام	١١٩
حرب العراق أيضاً عن برقية القائد العام	١١٩
وقعة ٨ رجب في النجف	١٢٠
غائلة ٨ رجب	١٢٠
انقسام أهل النجف إلى أفخاذ	١٢١
ازدياد النفوس في النجف	١٢١
نقلة السلاح	١٢١
النجفيون والطلاب	١٢٣
آل ازريق وأهل الشامية	١٢٣
قتل في النجف	١٢٤
نهضة الروحانيين الثانية بين النجف وسلمان	١٥٢
وفاة الرشتي في النجف	١٥٢
بين النجفيين وآل أبي حداري	١٥٢
انتصار العراق وصحف النمسا	١٥٩
من استخبارات الفيلق السادس عن العراق	١٥٩
صميدع	١٦٣

الموضوع	الصفحة
عودة المجاهدين	١٦٣
قائد العراق العام	١٦٥
خروج الإنكليز إلى الغراف	١٦٨
حمى كربلاء	١٧٥
عن المتغلبين في النجف	١٧٥
المتغلبون أيضاً	١٧٥
غرائب المتغلبين في النجف	١٧٦
غرائب المتغلبين	١٧٦
الإنكليز في الغراف	١٧٩
أيضاً الإنكليز في الغراف	١٨٠
عن الشركة الوطنية العثمانية	١٨٠
الصحف الإنكليزية وحملة العراق عن الشركة العثمانية	١٨١
قتل في النجف	١٨٢
حوادث المتغلبين	١٨٢
تبليغ رسمي في ٢٣ كانون الثاني سنة ٣١	١٨٢
الأوراق المالية والنقد الذهبي	١٨٣
في جبهة العراق - ١٦ كانون الثاني سنة ٣١	١٨٣
ساحة العراق في ٢٤ كانون الثاني سنة ٣١	١٨٣
دعوة إلى الجندية	١٨٣
النخجواني	١٨٤
عن الشركة المالية بتاريخ ٢٦ كانون الثاني سنة ٣٣	١٨٥
الإنكليز وعشائر الغراف	١٨٥
الإنكليز وعشائر الغراف أيضاً	١٨٨
نفوذ العلماء إلى دار الحرب	١٨٩
البلاغ الرسمي في ٢٩-٣٠ كانون الثاني سنة ٣١	١٨٩
رسمي ٢٩-٣١ كانون الثني سنة ٣١	١٩٠
البلاغ الرسمي من المعسكر العثماني العام	١٩٠
الشركة الوطنية عن العراق	١٩٠
البلاغ الرسمي	١٩١
برقية ابن اليزدي إلى أبيه	١٩١
في العدد ١٨٣ من (صدى الإسلام) برقية من الشهرستاني	١٩١
أعمال المتغلبين	١٩١
تطور أحوال المتغلبين في النجف	١٩٢

الموضوع	الصفحة
فتيان المتغلبين وأنجادهم	١٩٢
المتغلبون في النجف	١٩٣
سوق السلاح في النجف	١٩٤
الجيش الفراتي	١٩٤
ذيول معركة البطنجة	١٩٥
كتاب ثان عنها	١٩٥
جسر بغداد	١٩٦
منادي المتغلبين	١٩٧
الحروب العظيمة	١٩٧
معركة أول جمادى الأولى	١٩٧
السيد محمد اليزدي	١٩٨
النجفيون وبنو حسن	١٩٨
قتلى بني حسن وجرحاهم	٢٠٣
عباس الحاج طينة	٢٠٣
حروب دجلة	٢٠٤
وقعة ٢٤ مارت	٢٠٥
الحرب دائمة	٢٠٥
غولج باشا	٢٠٥
فتنة كربلاء	٢٠٦
واقعة كربلاء	٢٠٦
حروب نيسان سنة ٣٢ عن البلاغات الرسمية	٢٠٦
تسخير الكوت	٢٠٧
تسليم الكوت الإمارة	٢٠٨
حصار كوت الإمارة	٢٠٨
الغنائم في الكوت	٢٠٩
الأسرى	٢٠٩
البَرَد الهائل	٢١٠
المطر في النجف	٢١٢
بحيرة النجف	٢١٢
تواتر الأمطار وكثرة المياه	٢١٢
الطاعون الدملي	٢١٣
آل فتلة وبنو حسن	٢١٣
قتلى أهل الهندية	٢١٣

الموضوع	الصفحة
آل فتلة وبنو حسن	٢١٣
فتنة كربلاء الثانية	٢١٤
قتلى كربلاء	٢١٥
الثوار في النجف وكربلاء	٢١٥
النجف	٢١٦
كربلاء	٢١٦
فتيان المتغلبين	٢١٦
الموقف بعد تسخير الكوت	٢١٧
وفي ١١ شعبان ورد هذا البلاغ	٢١٨
الموقف الأخير	٢١٨
سامي بك	٢١٨
واقعة في كربلاء	٢١٨
واقعة النجف	٢١٩
الوباء في النجف	٢٢٠
خزاعة وأهل المشخاب	٢٢٠
بنو حسن وآل فتلة في الهندية	٢٢١
واقعة العين	٢٢١
عرب المنتفق والإنكليز	٢٢١
الصدمة الكبرى	٢٢٢
في ساحة الدجلة	٢٢٤
طيارة معادية	٢٢٤
الطيارات في الغراف	٢٢٤
جولة في تلو	٢٢٤
حادثة الفيحاء	٢٢٥
بقية عن الحلة	٢٢٧
الشيخ الحولاوي	٢٢٩
خازن المشهد العلوي	٢٢٩
الخزانة العلوية	٢٢٩
العثمانيون والإنكليز	٢٢٩
النجف والإنكليز	٢٣٠
معرض الاستخبارات الإنكليزي	٢٣٠
المعممون والإنكليز	٢٣٠
المتغلبون	٢٣١

الموضوع	الصفحة
عطية أبو كلل	٢٣١
الثوار والتجارة	٢٣١
الإنكليز والنجفيون	٢٣١
الإنكليز والنجفيون	٢٣٢
حروب العراق	٢٣٢
ثورة النجف	٢٣٥
خازن المشهد العلوي	٢٣٦
عامل النجف من قبل الإنكليز	٢٣٦
المكتب العلوي	٢٣٦
بحيرة النجف	٢٣٦
الإنكليز في قضائي النجف والشامية	٢٣٧
الغلاء في العراق	٢٣٧
رداءة موسم سنة ١٣٣٥هـ	٢٣٨
أثر سقوط بغداد في الغلاء الفاحش	٢٣٨
أشهر بغداد الأخيرة والضيق فيها	٢٣٩
سنة ١٣٣٦هـ التهديد بالمجاعة	٢٣٩
الغلاء	٢٤٠
الإنكليز والغلاء	٢٤٠
(٢) - ثورة النجف ضد الاستعمار البريطاني ١٩١٨م / ١٣٣٦هـ	٢٤١
تمهيد	٢٤٥
تقديم : ثورة على الأتراك	٢٤٨
نصّ المذكرات : الثورة على الإنكليز في النجف	٢٥١
الثورة في أبي صخير والجسر	٢٥١
الأبيض والخرم	٢٥٢
اهتمام اليزدي وبطانة اليزدي بالإصلاح	٢٥٢
إعلان الإنكليز في النجف	٢٥٢
بعد الثورة	٢٥٣
تراخي الأسعار	٢٥٣
كوكس حاكم العراق العام في النجف	٢٥٣
برسي كوكس في مهمته	٢٥٣
كوكس والعمائم	٢٥٤
طيارة ثانية في سماء النجف	٢٥٤
وفاة التبريزي	٢٥٤

الموضوع	الصفحة
النجفيون والإنكليز	٢٥٤
الإنكليز في الكوفة	٢٥٥
النجفيون والإنكليز	٢٥٥
تراخي الأسعار	٢٥٥
الإنكليز في النجف والفرات	٢٥٥
الشغب في السماوة	٢٥٦
واقعة بين النجفيين والإنكليز	٢٥٦
حوادث يوم ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٣٦	٢٥٦
حوادث يوم ٦ ربيع الثاني سنة ١٣٣٦	٢٥٧
حوادث يوم ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٣٦	٢٥٧
حوادث يوم ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٣٦	٢٥٧
حوادث يوم ١٨ ربيع الثاني سنة ١٣٣٦	٢٥٧
حوادث يوم ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٣٦	٢٥٧
حوادث يوم ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٣٣٦	٢٥٧
حوادث يوم ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٣٦	٢٥٧
حوادث يوم ١ جمادىٰ الأولى سنة ١٣٣٦	٢٥٨
الثورة العظمى في النجف	٢٥٨
حوادث يوم ٦ جمادىٰ الثانية سنة ١٣٣٦	٢٥٨
حوادث يوم ٧جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٦١
حوادث يوم ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٦٢
حوادث يوم ٩ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٦٢
حوادث يوم ١٠ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٦٤
حوادث يوم ١١ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٦٤
حوادث يوم ١٢ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٦٥
حوادث يوم ١٣ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٦٧
حوادث يوم ١٤ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٦٨
حوادث يوم ١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٦٩
حوادث يوم ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٧٠
حوادث يوم ١٧ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٧٠
حوادث يوم ١٨ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٧١
الواقعة النجفية الكبرى	٢٧٢
حوادث يوم ٢٠ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٧٤
حوادث يوم ٢١ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٧٥

الموضوع	الصفحة
حوادث يوم ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٧٦
حوادث يوم ٢٣ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٧٧
حوادث يوم ٢٤ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٧٨
حوادث يوم ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٨٠
الهجوم الإنكليزي على مواقع الثوار النجفيين	٢٨١
حوادث يوم ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٨٣
حوادث يوم ٢٩ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٨٦
حوادث يوم ٣٠ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦	٢٨٧
القبض على رئيس لجنة الثورة النجفية وجماعة من أصحابه	٢٨٨
تسليم الحاج سعد نفسه إلى الإنكليز وإمساك ابنه محسن	٢٨٩
حوادث يوم ٢ رجب سنة ١٣٣٦	٢٩١
حوادث يوم ٣ رجب سنة ١٣٣٦	٢٩٢
حوادث يوم ٥ رجب سنة ١٣٣٦	٢٩٢
حوادث يوم ٦ رجب سنة ١٣٣٦	٢٩٣
حوادث يوم ٧ رجب سنة ١٣٣٦	٢٩٣
حوادث يوم ٨ رجب سنة ١٣٣٦	٢٩٣
حوادث يوم ١٠ رجب سنة ١٣٣٦	٢٩٤
حوادث يوم ١١ رجب سنة ١٣٣٦	٢٩٥
تسليم كاظم الصبي نفسه	٢٩٥
حوادث يوم ١٢ رجب سنة ١٣٣٦	٢٩٥
تسليم عباس علي الرماحي نفسه	٢٩٧
الرواية الثانية لتسليم كاظم الصبي	٢٩٨
حوادث يوم ١٤ رجب سنة ١٣٣٦	٢٩٩
حوادث يوم ١٥ رجب سنة ١٣٣٦	٢٩٩
حوادث يوم ١٦ رجب سنة ١٣٣٦	٢٩٩
حوادث يوم ١٧ رجب سنة ١٣٣٦	٣٠٠
حوادث يوم ١٨ رجب سنة ١٣٣٦	٣٠٠
انكشاف المطالعة بين بلفور واليزدي طلب أربعين من المعممين	٣٠٠
تسليم الشيخ محمد جواد الجزائري	٣٠١
القبض على كريم بن الحاج سعد	٣٠١
حوادث يوم ١٩ رجب سنة ١٣٣٦	٣٠٢
حوادث يوم ٢٠ رجب سنة ١٣٣٦	٣٠٢
كيف قبض على كريم - تحقيق الرواية	٣٠٢

الموضوع	الصفحة
التنقيب على الميرزا عباس والشيخ محمد علي الدمشقي	٣٠٣
فتح المشهد العلوي	٣٠٣
حوادث يوم ١٩ رجب سنة ١٣٣٦	٣٠٣
حوادث يوم ٢٠ رجب سنة ١٣٣٦	٣٠٣
حوادث يوم ٢١ رجب سنة ١٣٣٦	٣٠٤
فك الحصار والإفراج عن المدينة	٣٠٤
حوادث يوم ٢٢ رجب سنة ١٣٣٦	٣٠٤
حوادث يوم ٢٣ رجب سنة ١٣٣٦	٣٠٥
حوادث يوم ٢٤ رجب سنة ١٣٣٦	٣٠٥
حوادث يوم ٢٥ رجب سنة ١٣٣٦	٣٠٦
حوادث يوم ٢٦ رجب سنة ١٣٣٦	٣٠٦
حوادث يوم ٢٧ رجب سنة ١٣٣٦	٣٠٦
تغريب السيد محمد علي الطباطبائي	٣٠٦
حوادث يوم ٢ شعبان سنة ١٣٣٦	٣٠٦
حوادث يوم ٥ شعبان سنة ١٣٣٦	٣٠٧
حوادث يوم ٨ شعبان سنة ١٣٣٦	٣٠٧
حوادث يوم ١٥ شعبان سنة ١٣٣٦	٣٠٧
حوادث يوم ١٨ شعبان سنة ١٣٣٦	٣٠٨
في سبيل الشنق والتغريب	٣٠٩
كيف شنق هؤلاء	٣٠٩
تكريم بلفور	٣١٠
وصول القائد العام	٣١١
حوادث يوم ٢٨ شعبان سنة ١٣٣٦	٣١١
(٣) - تقرير وجيز عن أحوال العراق العامة بعد الثورة	٣١٣
الحالة النفسية	٣١٧
جمع السلاح	٣١٧
الاعتقال	٣١٨
انسحاب الجيش المدّمر من مناطق الثورة	٣١٨
الشبانة	٣١٨
القلاقل الجديدة	٣١٩
الإرهاب بالطيارات	٣١٩
ضاري المحمود	٣١٩
الحالة السياسية والإدارية	٣١٩

الموضوع	الصفحة
الوزارة والوزراء	٣٢٠
الحالة في بغداد	٣٢١
الصحافة	٣٢١
الحالة في إيران	٣٢١
مستقبل العراق	٣٢٢
تقرير تشرشل	٣٢٢
فيصل في العراق	٣٢٣
❖ - القسم الثاني الرحلات	٣٢٥
(١) - رحلة في بادية السماوة سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م	٣٢٧
المرحلة العربية هي الأساس	٣٣١
مآخذ من أقوال أهل البادية	٣٣١
الرجوع إلى الفطرة	٣٣٢
رياضة الأبدان	٣٣٢
الشجرة البرية	٣٣٢
فتوح السواد وشخوص خالد إلى الشام	٣٣٤
هروب المهلب من الحجاج عن طريق السماوة	٣٣٦
خروج الوليد بن عبد الملك إلى السماوة	٣٣٦
عزل عامل أموي وعودته إلى الشام بطريق السماوة	٣٣٦
القرامطة في بادية السماوة	٣٣٧
حدود بادية السماوة	٣٣٩
كلمة في طبيعة البادية	٣٤٣
في التكوين الطبيعي	٣٤٤
السماوة من ميادين الكفاح	٣٤٥
روّاد السماوة	٣٦١
خالد بن الوليد	٣٦١
رحلة المتنبي في السماوة ومقصورته في وصفها	٣٦٤
السمعاني الرحالة	٣٧٠
قبائل السماوة في عصر السمعاني	٣٧١
رحلة في بادية السماوة	٣٧٥
المرحلة الأولى	٣٧٥
المرحلة الثانية	٣٧٨
المرحلة الثالثة	٣٧٨
المرحلة الرابعة	٣٧٩

الموضوع	الصفحة
المرحلة الخامسة	٣٧٩
المرحلة السادسة	٣٨١
المرحلة السابعة	٣٨٢
المرحلة الثامنة	٣٨٣
المرحلة التاسعة	٣٨٦
المرحلة العاشرة	٣٨٨
المرحلة الحادية عشرة	٣٨٨
المرحلة الثانية عشرة	٣٨٩
المرحلة الثالثة عشرة	٣٨٩
المرحلة الرابعة عشرة	٣٩٠
المرحلة الخامسة عشرة	٣٩٠
المرحلة السادسة عشرة	٣٩٢
المرحلة السابعة عشرة	٣٩٢
المرحلة الثامنة عشرة	٣٩٣
المرحلة التاسعة عشرة	٣٩٣
المرحلة العشرون	٣٩٧
المرحلة الحادية والعشرون	٣٩٧
المرحلة الثانية والعشرون	٣٩٧
المرحلة الثالثة والعشرون	٣٩٨
المرحلة الرابعة والعشرون	٣٩٨
المرحلة الخامسة والعشرون	٣٩٩
المرحلة السادسة والعشرون	٣٩٩
ملحق: الوثائق التي حملها الشيخ الشبيبي إلى الحجاز	٤٠٣
(٢) - رحلة إلى المغرب الأقصى	٤١١
من بغداد إلى الدار البيضاء	٤١٦
بين فرنسة والمغرب	٤١٧
للعبرة والتاريخ	٤١٩
المغرب الأقصى	٤٢٠
الشعب والمهرجان	٤٢٢
بين فاس والدار البيضاء	٤٢٣
إلى فاس	٤٢٤
يوم الاحتفال	٤٢٤
مجالس المغرب	٤٢٥

الموضوع	الصفحة
برامج التعليم ومشكلة تنسيقها	٢٤٦
بحوث التربية في المهرجان	٤٢٦
في حفلات القرويين	٢٤٦
موقف للأساتذة	٤٢٧
فكرة التوحيد في خطاب الملك	٤٢٨
المحافظون	٤٢٩
المجددون	٤٣٠
حديث العربية في المغرب	٤٣٠
أثر المغرب في حفظ العربية	٤٣٢
لهجة المغاربة	٤٣٣
لهجة أبناء فاس، أساتذة القرويين	٤٣٣
مصطلحات المغاربة	٤٣٤
بحث ابن خلدون عن الحجابة	٤٣٥
في العامية المغربية	٤٣٥
اختزال الألفاظ	٤٣٦
قدم العامية	٤٣٦
البربر واللغة البربرية	٤٣٧
التعليم في المغرب	٤٣٩
اللغة العربية	٤٣٩
التعليم الأهلي	٤٤٠
مطالب أساتذة القرويين	٤٤٠
التعليم في مرحلة الاستقلال	٤٤٠
شؤون الطلبة	٤٤١
التدرج في تعريب التعليم	٤٤١
التعليم العالي: جامعة الرباط	٤٤٢
فكرة التوحيد	٤٤٢
تأخر المدارس القديمة	٤٤٣
الخط المغربي: بحث مقارن	٤٤٣
بحث منع في الموضوع	٤٤٥
(٣) - رحلات الشبيبي إلى القاهرة ١٩٤٨ - ١٩٦٤م	٤٤٩
مع الفقيد أحمد لطفي السيد	٤٥١
فهرس الموضوعات	٤٦٧